المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع اللغة

فَرَائِدُ المعَانِي

في شرح حرز الأماني ووجه التهاني

للإمام العـــلامة المقرئ النحوي أبي عبد الله محمّد بـــن محمّد بـــن داود الصنهاجي
المشهور بـ« ابن آجُرُّوم» المتوفى سنة (٧٢٣ هـ)

(السفر الأول)

تحقيق ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف

إعداد الطالب:
عبد الرَّحيم بن عبد السَّلام نبولسي
إشراف سعادة الأستاذ الدكتور:
سليمان بن إبراهيم العايد
رئيس قسم الدراسات العليا العربية

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعياً): **عبد الرحيم عبد السلام خليفة نبولسي** .... قسم: **اللغة العربية**.......

الأطروحة مقدمة لنيل درجة: **(الدكتوراه)**.... في تخصص: **(النحو والصرف)**........

عنوان الأطروحة: « **فوائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني لابن آجرُّوم، السفر الأول، تحقيق ودراسة** »

الحمد لله رب العالمين، والصلاةوالسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٨/١/٢٢ هـ. بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تمّ عملُ اللازم، فإنَّ اللجنة تُوصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه، وا لله الموفق .

(أعضاء اللجنة)

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم: أ.د. سليمان إبراهيم العايد	الاسم: أ.د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم	الاسم: أ.د. عبد العزيز إسماعيل
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع: ..د....عبد العزيز..

رئيس قسم الدراسات العليا

أ. د. سليمان بن إبراهيم العايد

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد: فهذه رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية (تخصص النحو والصرف) بعنوان: (فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، لابن آجروم الصنهاجي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ، السفر الأول تحقيقاً ودراسة) .

وقد اقتضت طبيعة هذه الرسالة أن تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: للدراسة ، والقسم الثاني: للتحقيق .

أما قسم الدراسة فقد قسمته أربعة أبواب:

الباب الأول: المؤلِّف، وفيه سبعة فصول تناولت فيها الحديث عن: (اسم المؤلف وكنيته، وحياته العلمية ورحلته، ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه، وشيوخه، وأسانيده، وتلاميذه، وتواليفه) .

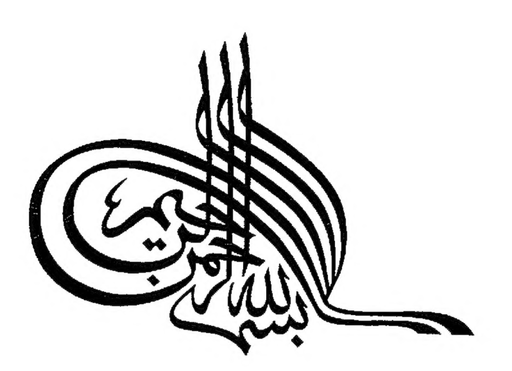
الباب الثاني: المؤلَّف، وفيه أربعة فصول، تحدثت فيها عن: (منهج المصنف في الكتاب، وبعض الظواهر الأسلوبية في عباراته، وشواهده، وموقفه القرائي، وموقفه اللغوي، والمصطلح النحوي عنده) .

الباب الثالث: وفيه فصلان، تحدثت في أولهما عن (الشاطبية طرقها وشروحها، وفي الثاني عن موقف المؤلف من القصيد) .

الباب الرابع: وفيه فصلان، كان الحديث في أولهما عن: (مصادر الكتاب، وفي الثاني عن قيمة الكتاب العلمية، وفيه قمت بعمل موازنة بينه وبين بعض الشروح الأخرى) .

ثم القسم الثَّاني، وهو النَّص المحقَّق، وقد حاولت جاهداً إخراجه على أقرب صُورة ارتضاها ابن آجروم، قدمت له بتحقيق النسبة والتسمية، ثم بوصف النسختين المعتمدتين، فعملي في التقويم، ثم المصطلحات والرموز، وأمثلة مصورة من النسختين، ثم أتبعت النص بفهارس فنية تبسط البذل بوعدٍ منجز، والله ولي التوفيق .

الباحث	المشرف	عميد الكلية
عبد الرحيم عبد السلام نبولسي	أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد	أ.د. حسن محمد باجودة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

المقدمة

الحمدُ لله الذي اصطَفَانَا بوِرَاثةِ التَّنزيل، وجَعَلَ حِفظَنَا له من حِفظِهِ إيَّاهُ من التَّحريف والتَّبديل، وشرَّفنا بما حُمِّلناه من قراءاتِهِ، وطرقه ورواياته، وضبطِ أدائِهِ واختيَارَاتِهِ، وعَصَمَنَا مِن اللَّحنِ - جليِّهِ وخفيِّهِ - في آياتِهِ، وجَبَلَنَا عَلَى تعظيمِهِ وتَعزيزِهِ، وتبجيلِهِ وتَوقِيرِهِ، ثمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ، ما نَاحَ في دَوحٍ حَمَام، على النبيِّ العربيِّ، وآلِهِ وتبَّعه على ممرِّ الحُقُب .

هذا وإن خير كلام استنهضْنَا إلى وِصَالِ عَقْدِ حَبَائِلِهِ، والوُقُوفِ عَلَى مَدلُولِ دَلائِلِهِ، لَكَلامٌ نُزِّلَ به الرُّوحُ الأمينُ، بلسَان عربي مُبين، وما كان لنا أن نَسطيعَ له ظهوراً، ولا أن نستَطيعَ له نَقباً، إلا بما أُودِعَ في جبلاَّتنا من كبدٍ لتَسخِيرِهِ في تحصيل عُيُونِ الأدَبِ، وارتشافِ ذلك الضَّرَبِ، باقتِيَافِ آثَارِ لحُونِ العَرَبِ، إذ فَضلُ ألسِنَتِهم بَيِّنٌ لا يُدفَعُ، ومَكشُوفٌ لا يُقَنَّعُ، فلْنَلْزَمْ شُفَافَةَ مَوردِهِم، ولْنَغْتَذِ تَأْوَةَ مِلَّتِهم؛ لِنَحظَ بِدَرَكِ الصَّوَاب، كالفعل المضارِعِ لمشابهتِهِ الاسمَ فَازَ بالإعراب .

وبعدُ، فإنَّ الكتُبَ والمصنَّفاتِ التي جَرَدَت روايةَ الحروف (الفرش والأصول) تأليفاً في العصرَين الأوَّلِ والأخير كما هو شأنُ كتابِ السبعة، وكتابِ التيسير، وكتابِ التَّلخيص، وكتابِ الإقناع، وكتابِ البدور...، وغيرِها من التواليف فإنَّها لا تَكَادُ تُحصَى عدداً.

وأمَّا ما يُعنَى منها بتعليل وتوجيه المرويِّ من الحروف المختَلَفِ فيهـا، فهي تواليفُ تحصُرُهَا أرقـامٌ معلُومَـةٌ؛ لندرَتِهَـا، وعِزَّتِهَـا، ومـا السـبَبُ في ذلـك إلا وعـارَةُ مسـلَكِهَا، وغَـورُ حُلكَتِهَـا، وبُعـدُ نُجُـومِ سمائِهَـا، فـلا يسْتَطِيعُهَا طَالبُهَا والراغبُ فيها إلا بعد جَهدٍ جَهيدٍ .

ومن ثَـمَّ انـبَرَى أئمَّـةٌ أعـلامٌ، وجهـابذة نقـاد لخوض هـذا الغمـار، وكشف السِّتَارِ عمَّا اشتَبَهَ من هذا المضمـار، فقَـامُوا فيه ـ بعَـون الله ـ يستَفتُونَ سالكَهُ الأوَّلَ، ويستهدُونَ مُعلِّمَه الأشمل، ويأخذونَهُ حَرفاً حَرفاً، وكِلمة كِلمة، وآية وآية، بالتَّحليل والتَّعليـل، والتَّوجيـه والتَّفصيـل، حتـى انجَلَى عنه سوادُ الدُّجيَةِ، ونِيلَت الحاجةُ منه لطالِبِ البُغيةِ، وإخَـالُ كتـابَ صاحِبنَا العلامةِ (ابنِ آجرُّوم) من أينع هذه الثَّمَـرات الـتي عُنيـت بجمهـرة المرويِّ من الحروف، ثم التعليل لها، وقـد سمـاه: « فرائـدَ المعـاني في شـرح حرزِ الأماني ووجهِ التهاني »، وهو موضوع بحثي، حيـث وفَّقـني الله عـز وجل إلى تسجيله أطروحةً لدرجة الدكتوراه بجامعة أم القرى، وكان مـن دوافع اختياري له ما يلي:

١ ـ مصاحبتي لكتاب الله المبين مذ فَتْقِ لِسَاني بنطق الحـروف، ولله الحمد.

٢ ـ حِفظِي لَه ولقراءاته بمختلفها وحُصُـولي علـى أعلـى أسـانيده في هذا العصر من فضيلة الشَّيخَين النِّحريرَين أحمد عبد العزيز الزيَّات، وعبـد الغفَّار الدُّرُوبي.

٣ ـ مَيلي إلى المشاركة في إغناء الخزانة القرآنية (تقديماً وتقويماً) .

٤ ـ رَغبَتي في ربط الخط المعرفي (القرآني اللغوي) بين الخافقين .

٥ ـ رَغبَتي في تنبيه الدارسـين اللغويـين، علـى تركـيز أبحاثهم حـول

النص القرآني المقدس وفيه.

وكان الفضلُ في اختيار هذا الكتاب لله أوَّلاً، ثم لأستاذي الدكتور عيَّاد بن عيد الثبيتي، الذي اقترَحَهُ عليَّ مشكُوراً، وأعارني مصورته، فله مني ثناءٌ كثيرٌ أثيرٌ .

فقدمتُهُ أطروحةً إلى قسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى لنيل شهادة الدكتوراه في النحو والصرف بعنوان : (فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني) للإمام المقرئ النحويِّ محمد ابن آجُرُّوم الصِّنهاجي (ت ٧٢٣ هـ) تحت إشراف فضيلة الدكتور، أستاذ الأساتيذ، ومعلم الجيل، فاتق المشكلاتِ، ومُبيد المعضلات، أستاذي وشيخي محمد إبراهيم البنا، الذي لم يألُ جهداً، ولم يضنَّ بفائدةٍ، بائدة كانت أو سائدة، حتى قاربَ العملُ الكمالَ، فجالت فرسُ السباقِ إلى الفراق، ولا مفرَّ مما قُدِّرَ، فأحَسْتُ بلُطفٍ سريٍّ، وحَظٍّ مليٍّ، أن يعتورَ العملَ جَبَلان سَلَفٌ وخَلَفٌ، وقطران كنانةٌ وحجازٌ، أما الأول فقد قُدِّمَ، وأما العاقبُ فرئيسُ قسم الدراسات العليا فضيلة الدكتور: سليمان بن إبراهيم العايد، أستاذي وشيخي الذي شرفني الله بمزاحمة الرُّكَبِ في حِلَقِ دَرسِهِ ، فاجتنَيتُ من طِيبِ غَرسِهِ، وقد حضرتُهُ وهو يحلُّ دَقَائقَ الأَشكالِ، ويُزيلُ مُعترضَ الإشكال، والعلمُ حَشوُ ثيابه، والأدبُ ملءُ إهَابِهِ، يقولُ عن رَوِيَّةٍ، بفكرةٍ سويَّةٍ ، ويُقوِّمُ الأفهامَ، ويطبقُ مَفاصِلَ المرام ، وينقُضُ شُذُوذَ المدارك، ويُنيرُ دُجَى المسالك :

لقَد جَادَ حتّى جَادَ في كلِّ مِلَّةٍ   وَحَتّى أَتَاهُ الحَمْدُ في كُلِّ مَنطِقِ

فأَدَامَ الله رِيَادَتَهُ، وبَسَطَ بينَ الخافِقَين سِيَادَتَهُ .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في قسمين: القسم الأول

وأسير بل طليق. رفع الله ذكره في الصالحين، ورقم كتابه في عليين .

كما أشكر كل مَن مَدَّ لي يَدَ العون، أو أسهَمَ بأي جهدٍ أو نصحٍ أو مشورةٍ من أساتذتي الكرام، وزملائي الأوفياء، فلجميع هؤلاء وغيرِهم الشُّكرُ والدعاءُ، شُكرُ معترف بالفضل لأهله، عاجزٍ عن أداء دينٍ لهم في عنقه، مدَّخِرٍ لهم دعواتٍ صادقاتٍ بأن يجمعني الله وإياهم في مستقرِّ رحمته، راجياً أن أكونَ قد شاركتُ بهذا العمل المتواضع في وَضع لبنةٍ من لَبِنَاتِ إحياء هذا التراث العظيم الخالد، محتسباً الأجر والثواب من الله تعالى، والله من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تمهيد:

بين يدي الكتاب

لم يُؤثَر مَتنٌ من المُتون التي تُعنَى بنظم أو نشرِ رَوضاتِ المعارف بمثل ما أُوثِرَ به قَصيدُ الحِرز، ودُرَرُ ابن بري، والأوَّلُ أعلَى وآثَرُ، وما ذلك إلا لأنَّها قصيدةٌ أُخلِصَت على قَصد، وفريدةٌ أَتَت مِن فَرد، فهي عَروسُ القصَائد، زَانَتْهَا القوافي، ورَصَّعَتْها المعاني .

فهي ولهذا مع قُربِ لفظِهَا غائرةُ المرام، مستَمِرَّةُ النِّظَام، سارت بها الرُّكبان، بما لم يَكُ في حُسبان، وطارَت في الآفاق، من غير قَدَمٍ وسَاق، فَحَفِظَتْهَا الأنامُ لما لَحَظَتْها، ورَوَتها كما رَأتها، وعكَفَتْ على معارضتها، والنسجِ على مِنوَالها، فلم تَعُدْ منها بطَائِل، ولم تشفِ منها جوابَ سائِل، ورَابَطَت من أجلها في ثُغُور الأسفار، واستشفَعَتْهَا بقيام الأسحار، فجاءت الشُّرُوحُ عليها، حسب مَقَاصدِ أربابها، كلٌّ منها ينشدُ شَواردَ القصيد، ويَدفعُ استغلاق هذا النَّظم العَتِيد، مُنفِقاً كلَّ طارفٍ وتليد .

فبينما هي كذلك، إذ طلَعَ عليها فاتِقُ رِتقِهَا، ودارِكُ خَرقِهَا، في إصباحِ بَيَاض البَرَد، فلم يستنكِفْ عن مَورِدِه من الشَّارحين أَحَدٌ، حتى جَلَسَ إلى القصيد، ورمى راحتَيه إلى طَلْعِهَا النَّضيد، فتدبَّر ما تأبطَّتْه من المعاني، واستَقْرَى ما نشَرَتْهُ في ألفاظها من المباني، فأَتحفَ بها الأوَدَّ

المتداني، وزفَّهَا في أبهَى مَلاَطِمِ التَّهاني، بكشف لُغُوزها، وفتق رموزها، وتحقيق حقائقها، وتقريب رقائقها .

فذلكُم « فَرائدُ المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني » ، وذلكم مؤلِّفُهُ ابنُ آجُرُّوم الصنهاجي، الذي استنار بصنعتِهِ كلٌّ سارٍ ودَاجي :

[فجلبْنَا بَـزَّنا نحوه   وغلاءُ السِّعرِ جلاَّبُ]

* * *

الحركة السياسية والعلمية في عصر ابن آجرّوم

لقد بــزغ نجمُ الدولة المرِّينيّة على إثــر وقعة العقاب، التي أبادت ـ وللأسف ـ دارَ الإسلام من الأندلس، وتعاقبت بعدها أزَماتٌ وكوارثُ، أدَّت إلى طغيان المجاعة، فقُطعت السَّابلة، وخلَت الديار، وأقفرت القرى، وأكل النـاسُ بعضُهم بعضاً، وتوالـت الغـارات؛ لضعـف حاميـة الدولـة الموحدية، حينها خلا الجو لقبائل زناة، فباضَت وأصفَرَتْ، وأسرَّت حسواً في ارتغاء، ونقَّبت في البلاد بزعامة عبد الحق بن محيـو المريـني، الـذي دوَّخ الخليفة الموحِّديَّ يوسف المنتصر بمراكش، وهزمَه وظهَر عليه .

واستتبَّ الأمر من بعده لبنيه، وأخصُّ من بينهم: السلطان يعقوب بن عبد الحق، الذي فتح الله على يده بلاد الأندلس مـن جديـد، وأخمـد نـار فتن الداخل، ومكَّنَ لمنابر المرِّينيِّين، واتخذ مدينة فـاس الجديـدة داراً لملكـه، ومحلَّ إيوانه، فكان اعتنـاؤه بـالعلم والعلمـاء حـافزاً لإيقـاظ الهمـم، فـأقبل الناس على العلم في شتى دروبه، لاسيما علمَي اللغـة والقـراءات، وخـصَّ العلماء بوظائف القصر والتراتيب الإدارية، والكتابـات، والدواويـن، شـأنَ سائر سلاطين الدولة المرِّينيَّـة، الـتي اتسع فيهـا أفـق العلـم؛ بتفريـغ الطلبـة للانكباب على الطلب، والقيام دون ما يحول بينهم وبينــه، فبـدأ الاجتهـاد لتكوين المدارس، وقد كان المغاربة من قبل هــذا تَّبعـاً لمـدارس الأندلـس لا يزيدون على الاستيعاب، لا يجاوزُ تراقيَهم، فتأخَّرَ بذلك الانتـاجُ الفكـري للمدرسة المغربية .

قال أعراب[1]: ظلَّت دراسةُ القراءات بالمغرب في القرنين الخامس والسادس للهجرة في نطاق محدود لا يتجاوز دائرة الأخذ والتلقي .

قلتُ: لكن اختلف الأمر في القرن السابع، لاسيما آخرَه، حيث وُرِّي زندُ الاجتهاد، وطُويت مراحل الطلب، وعلا كعبُ الاحتجاج والتعليل، وناحت حمائمُ الشعر على أيك الفنون، فقُصِّدت القصائدُ، وغِيضَ فيضُ المطولات، حيث حُجِّمَت في خيام الأرجاز، وزُمَّت بقوافي المسجَّعات، وتظافرت الجهودُ في تنافسٍ نزيهٍ، وانمحى سوادُ دجية التقليد، وانبلج الصبح على أمثال محمَّدِ بن القصاب، وأبي القاسمِ الضرير، وابنِ آجروم، وابن برِّي، وغيرُهم كثير .

فقد مالؤوا على إنشاد شواردِ وضَوالِّ علمَي القراءات والنحو، وطاردُوا ألغازهما، وفتَقُوا رَتقهُمَا، وحرروا معاطنَ الخلف فيهما، وأنَّقوا مصطلحاتهما، فسَقَوا بصنيعهم هذا تبَّعهُم من روَّادِ دُرَرِهِم شراباً سائغاً طهوراً .

قال العلامة سيدي عبد الله كنُّون[2] منوِّهاً بالأعمال العلمية الباهرة التي كانت نتيجة اهتمام السلاطين من هذه الدولة العظيمة:

« ولقد سار أولئك السلاطين في إقامة مراسمِ الخلافة على سَنَنٍ لاحبٍ، فكانوا يعقدون المجالس للمناظرة والمحاضرة، ويُطارحون الأدباء، ويحاورون الشعراء .

---

(١) جريدة الميثاق: عدد (١١٩) .

(٢) النبوغ المغربي: ١٨٥، وانظر ج٣ من الاستقصا للناصري .

أما العلماء فلا تَسَلْ عن شـدَّة تقريبهـم لهـم، واختصـاصهم بهـم ... وهذا يعني أنَّ الدولـةَ كـانت في خدمـة العلـم، بحيـث انصرفَـت الهمَـمُ إلى طلبه، واشتدَّ التنافسُ في تحصيله ...

وفعلاً فإن ما عمله المرِّينيُّون في هـذا الصـدد، يجعلهـم حريِّـين بلقـب دولة العلم ... ولقد بزُّوا بمآثرهم العلمية جميعَ مَن تقدم أو تأخر من ملوك المغرب، فمدارسُهُم الفنيةُ العديدة لم يستطع أحد أن يأتي بمثلها إلى الآن .

وخزائنُ الكتب كذلك لا تزالُ تنطق بفضلهم على الحركة العلمية في هذه البلاد منذ أسَّسُوها، ولاسيما خزانةَ القرويِّين؛ الـتي أنشـأها السـلطان أبو عنان، وأودعها كما يقول الجزنّائي[1]: الكثيرَ من الكتب المحتويـة علـى أنواعٍ من العلوم على اختلافها، وتنوُّعِ ضُرُوبها وأجناسها، ووقَفَها ابتغاء الزُّلفى، ورجاءَ ثواب الله الأوفى .

قلتُ: وبعد أن أحصى علوم هذا العصر وتفريعاتـه، وذهابـه في فنـون شتى، ونبوغه وسبكه، قال[2]:

والقراءة، ونعني بها مـا يشـمل التجويـد والرسـم والقـراءات المـأثورة والغريبة وتوجيهاتها، ما من أحد من صدور فقهاء هذا العصر إلا وكان له إلمام بها كـلاً أو بعضـاً. فـلا جَـرَمَ أن نقـول بعـد هـذا: إنَّ كـل أعمـالهم ومآتيهم للنهضة والتجدد، كانت في دائرة العروبة والإسـلام الصَّحيـح، لا تزيغُ عنها قيد فِتر، وإنهم خدموا العربية والدينَ خدمةً صادقةً، ورفعـوا لهـا مناراً عالياً، وما بعد العِيان بيان .

---

(١) ذكريات مشاهير رجال المغرب، عدد (١٦) .

(٢) النبوغ: ١٩٥-١٨٧



القسم الأول

الدراسة

وفيه أربعة أبواب:

الباب الأول: المؤلِّف .

الباب الثاني: المؤلَّف .

الباب الثالث: الشاطبية، وموقف المؤلف منها .

الباب الرابع: مصادر الكتاب، وقيمته العلمية .



وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: اسمه وكنيته ونسبه .

الفصل الثاني: حياته العلمية ورحلته .

الفصل الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

الفصل الرابع: شيوخه .

الفصل الخامس: أسانيده .

الفصل السادس: تلاميذه .

الفصل السابع: تواليفه .

الفصل الأول

ترجمة المؤلف[1]

اسمه وكنيته ـ نسبه ـ :

محمَّدُ بنُ محمَّد بنِ داودَ الصِّنهاجي[2]، أبو عبد الله، الفاسيُّ المشهورُ بـ « ابنِ آجُرُّوم ».

وفي التذكرة قال: من أهل فاسٍ، يُعرف بـ « أَكُرُّوم » ، صاحب المقدمة النحوية المشهورة بالآجُرُّوميَّة .

قال الزَّبيدي في التاج: وابنُ آجُرُّوم صاحبُ المقدمة المشهورة، وُلد سنة ٦٧٢ هـ، وهي السنةُ التي توفي فيها الإمامُ ابن مالك، وهذا من بدائع الاتفاق حتى قيل: توفي نحويٌّ، ووُلد نحويٌّ .

لم يكن في أهل المغرب ممن عاصره أعرفَ منه بالنحو .

---

(١) مصادر هذه الترجمة كالتالي:
الوافي بالوفيات ١/٢٠، والإحاطة (ضمن ترجمة محمد الغساني) ٣/٩٦، ونفح الطيب ١/٩٥، ٩٦، ٥/٢٢٥، وثبت الوادي آشي: ١٩٩، وبغية الوعاة: ١٠٢ـ١٠٣، ونثير الجمان: ٤١٧، ودرة الحجال ٢/١٠٩، وشذرات الذهب ٦/٦٢، وكشف الظنون: ١٧٩٦، وهدية العارفين ٢/١٤٥، وجذوة الاقتباس: ٢٢١-٢٣٣، وشجرة النور الزكية: ٢١٧، وسلوة الأنفاس ٢/١١٢، والدائرة (وجدي) ١/٧٩ (أجر)، ودائرة المعارف الإسلامية: ٨٤، والأعلام ٧/٣٣، ومعجم المؤلفين ١١/٢١٥، ومعلمة المغرب: ١٤٣، وذكريات مشاهير رجال المغرب ٤/٢٠، وكنز العربية للكدوسي: ١-٢، وتاج العروس (جرم) ، والنبوغ المغربي: ٢١٠، ونيل الابتهاج: ٤٣ .

(٢) من أعمال صفرو .

قال في كنز العربية: هو أبو عبد الله محمَّد، بنُ الشيخ العالم القدوةِ الحسابي الفَرَضي، أبي عبد الله محمد .

(قال فيه ابنُ الأحمر:

ومحمَّدٌ والدُ محمَّد كان فقيهاً فَرَضياً صالحاً ورِعاً)، ابنُ الشَّيخ الفقيه الورع المتفنِّنِ في علومٍ شتَّى، أبي سُليمان داودَ الصِّنهاجي، عُرفَ بابن آجُرُّوم، بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والراء المشددة، وهو بلغة البربر[1]: الفقيهُ الصَّافي في حاله، وهو رحمه الله كذلك .

تادِليُّ الأصل، فاسيُّ المولد والنشأة[2].

وفاته:

توفي بفاسٍ قبل صلاة ظهر يوم الأحد، لعشرين خَلَت من صفر، سنة ثلاثٍ وعشرين وسبعمائةٍ، ودُفِنَ بعد صلاة الظهر من يوم الاثنين داخلَ باب الحديد أو الجيزيين، وهو الباب المغلق عن يمين باب الفتوح .

وقد بلغ من العمر إحدى وخمسين سنة، والله المستعان وعليه التكلان[3].

---

(١) قال في الدرة الإلغية هامش: ٤ ص: ٧: «ونحن معشر السويسيين نقول: أكرَّام بذلك المعنى ..الخ .

(٢) وصفه المترجمون بالفقير الصوفي بدل ما كتبته عن كنز العربية .

(٣) كنز العربية ٢/٢، وجذوة الاقتباس ٢٢٢/١، والسلوة ١١٣/٢-١١٤، وفيه: لعشر يقيت، والوافي بالوفيات: ٢٠/١ ، ووفيات الونشريسي ص: ١٠٤ .

وجاء في سلوة الأنفاس: ١٠-١٢:

قد وُلد ابن آجروم عام (خبعْ) و(جكز) فيه إلى الله رجعْ

=

الفصل الثاني:

حياته العلمية

لقد اكتنف هذه الشخصيةَ الفذّةَ الغموضُ عند ناشِري سيرته، و لم يشرحوا الجوانبَ المضيئة من حياته، حتى إنَّ إيجازَهم هذا كاد يذهب بمعالم شخصيته، أو قارفَ ذلك، شأنَ ثلّةٍ من العلماء الذين ضيَّعهم التوريخ على يد أصحابهم، إما لانزوائهم وتحفُّظِهم، وإما لرفضهم دواعي الشهرة من تأديب أبناء السَّلاطين، أو العملِ في دواوينهم، وكان ما ذكرتُه أهمَّ مميزات شخصية ابن آجُرُّوم، فقد كان « من مؤدبي مدينةِ فاس[1] » . نكرةٌ مقصودةٌ عند القرَّاءِ والنُّحاة، لا يكادُ يُعرَفُ عند غيرهم، مُوطِّناً نفسَه على القراءة والإقراء .

قال العلامة عبد الله كنون[2]:

« ولقد نشأ المترجَمُ، ودرس بفاس طبعاً، وإن كنا لا نعرف شيئاً عن نشأته، ولا عن دراسته، حتى شيوخه الذين أخذ عنهم لم يذكُرهُم أحدٌ،

وقبره ذكروا في باب الحديد بفاس الغراء هاك ما تريد

وقد نظم الشيخ صالح الإلغي مولده ووفاته على حساب الجمل بقوله:

إن ابن آجروم ذا المقدمه رحمه الله بخير قدَّمه

عامَ (تبرُّع) بدا فحبذا بدوُّه وغاب عامَ (كُبَّ ذا)

عن الدرةعن الدرة الألفية: ٨ .

(١) العبارة من الجذوة ١/٢٢١ .

(٢) ذكريات مشاهير رجال المغرب: عدد ٢ (ابن آجروم) ص: ١٠ .

ما عدا أبا حيان النحويَّ، صاحب التفسير الكبير المعروف بـ « البحر المحيط»، فإنهم ذكَروا أن المترجَم أخذ عنه في طريقه إلى الحج .

كلُّ ما هنالك أن المترجم من صنهاجة (من أعمال صفرو)، وُلد بفاس، بعُدوة الأندلس، ولم يُذكر له بدءُ تعليمه، ولا على يد مُن تعلَّم، إلا شيئاً أذكرُه في محله .

رحل هذا الإمام إلى المشرق لأداء النسك، وتتميم ما نقص أهل المغرب من الإجازات والأسانيد العالية، فمرَّ بالقاهرة، وألفى أبا حيان النحويَّ المفسر، فأجازه بكل ما تصحُّ روايتُهُ عنه، ثم آب إلى فاس عاكفاً على التأديب والإقراء بالقرويِّين، بعيداً عن إغراء السَّلاطين، والتشوُّفِ للجاه والعزة في ظلال أرْوِقَةِ القصور، متغنياً عن ذلك كله بحَلْقة درسه، وطائفةٍ من روَّاد نبعه، نقرأ من هذا كلِّه، ما طُبع في ابنه، ووارث سره، الإمام منديل حيث يقول في قصيدة له (لامية) مطلِعُها:

مَـن المشِيبُ علـى فَوديه يَشتَعِلُ
فكيفَ باللهوِ في دنياهُ يَشتَغِلُ

ثم قال:

إنِّي لأعجَبُ ممَّن سَاءه عُمُرٌ
وسَرَّهُ أنَّ أمرَ النفسِ ممتثِلُ

لكنَّ أعجبَ منـه مبتَغِي رُتَبٍ
ولا لـديه بها عِلمٌ ولا عمَلُ

شَـتَّانَ ما بين مَــــن رقَّاهُ مجتدُهُ
وخاملٍ كسِــلٍ أودى به الكســلُ

إلى أن قال:

نحــنُ الأُلى فــرَعوا للمجد ذُروَتَه
وفي ظِـلال تِـلاعِ العزِّ قد نزلُــوا

إن كــان ذو نهَلٍ للعلم أو عَلَــلٍ
فَـعـَن أبي كان ذاك النَّهلُ والعَلَلُ

لم نتَّكلْ في ارتـفــاعِ الصِّيتِ قطُّ على
إشــادةِ الصوتِ من زَيدٍ كَمَا اتَّكلوا

لم نــبع أجــرَ تَعليم القُرآن بمــا
يَفنَى مـن السَّوم في الدُّنيا كَمَا فَعَلُوا[1]

---

(١) نثير الجمان لابن الأحمر: ٤١٩-٤٢٠ .

الفصل الثالث:

مكانته العلمية، وثناءُ العلماء عليه

كان المؤلفُ رحمه الله دعامةَ أركان مدرسة ابنِ القصاب قرآناً ونحواً وأدباً، تشهدُ بذلك كلّه تواليفُه التي باحت بشذا عَرفه، وأفشت أسرار فهمه، واستقامة باطنه كظاهره، وهي مع كل ذلك لم تُحِط بما لديه خُبْراً، إذ لم يُنسأ له في أجله، وعجَّل دون بلوغ أمله. عالمٌ مشاركٌ نحريرٌ، وإمامٌ مبرزٌ في النحو والقراءات بلا نظير، وإن كان لم يُعرَف بالقراءت عند الجمّ الغفير .

قال عنه ابن مكتوم: نحويٌّ مقرئ، وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنفاتٌ وأراجيزُ في القراءات وغيرها، وهو مقيم بفاس يُفيدُ أهلها من معلوماته المذكورة. والغالب عليه معرفةُ النحو والقراءات .

وصَفَهُ شُرَّاحُ مقدمته كالمكُّودي والراعي وغيرِهما بالإمامة في النحو والصلاح .

ويشهد بصلاحه عمومُ نفع المبتدئين بمقدمته .

وصَفَه محمدُ الغساني بالنحوي بالأستاذ .

ووصَفه أحمدُ بن القاضي بالأستاذ النحوي .

ووصَفه الخرازُ الشريشي في أثناء نقله عنه بقوله: قال صاحبُنا الأستاذُ.

ووصفه شرفُ الدين العمريطي بالحبر في منظومته على المقدمة، قال:

وكان خيرُ كتبه الصغيرة ... كُرَّاسةً لطيفةً شهيرة

وانتـــفـــعت أجلةٌ بعلمها مع ما تراه من لطيف حجمها

ووصفه محمد بن المبارك في شرحه على المقدمة، قال:

وهذا شرح لطيف وضعته على الآجرومية المعزوة للشيخ أبي عبد الله العالم العلامة الأستاذ الصالح محمد بن محمـد بـن داود الصنهـاجي، عُـرف بـ«ابن آجروم».

قال: وصفَتْهُ شُرَّاحُ هذه المقدمة: بالأمانة والبركة والفلاح... مدرساً شهيراً، وكان عالماً بقراءة السَّبع، فقد وضَعَ في علمها نظماً ونثراً ...[1]

ووصفه الشيخُ عبد الإله بن صالح على المقدمة بقوله:

الشيخُ الفقيه الأستاذ المقرئ المحقـق المجوِّدُ، فريدُ دهـره، ونخبـةُ أهـل عصره، أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي، عُرف بـ « ابن آجروم »[2].

ووصفه الأمير ابن الأحمر الأندلسي بقوله:

... أبو عبد الله محمد كان فقيهاً متفنناً، أستاذاً نحويـاً لغويـاً، مقرئـاً، شـاعراً، بصـيراً بـالقراءات، ولم يكـن في أهـل فـاس في فنـه أعـرَفَ منـه بالنحو[3].

وصفه التنبكتي بقوله إخباراً عنه في رحلته بقوله[4]:

« ولما حج الأستاذ الأكبر أبو عبد الله بن آجروم الفاسي ... الخ » .

---

(١) كنز العربية: ١-٢ .

(٢) شرحه على المقدمة: ٢ .

(٣) نثير الجمان: ٤١٧ .

(٤) نيل الابتهاج: ٤٣ خ في ترجمة إبراهيم الصفاقسي .

الفصل الرابع:

شـيوخه

لم تُسعفني تراجمُهُ في البحث عن شيختِهِ، وهذا مما يُتَّهَمُ به مؤرخونـا، من تغافلهم عـن مثـل هـؤلاء الأسـاطين، الذيـن لم يُفتَقَـدُوا في درب مـن دروب المعارف؛ لطول باعهم، وعلوِّ كعبهـم، وفَـوحِ شـذاهم في أطـراف الخافقين، مما دفع العلامة عبـد الله كنـون[1] إلى القـول: « ... وإن كنـا لا نعرفُ شيئاً عن نشأته ولا عن دراسته، حتى شيوخهِ الذين أخـذ عنهـم لم يذكرهم أحدٌ، ما عدا أبا حيان ...» .

قلتُ: لقد منَّ الله عليَّ أن أحظى بالعُثور علـى ثلاثـةٍ[2] مـن شـيوخه الذين تلقى عنهم، في أثنـاء قراءتـي لفرائـد المعـاني إلى جـانب أبـي حيـان، وسَعِدتُ بهذا كثيراً، وهم كالتالي:

١ ـ الإمام محمدُ بنُ القصَّاب المكنى بـ « أبي عبد الله »:

قال عنه ابنُ الجزري: محمـد بـن علي بـن عبـد الحق أبـو عبـد الله الأنصاري الفاسي، يُعرَف بـ « ابن القصَّاب »، مقرئٌ مصدَّرٌ كامل .

قال أبو حيان: كـان يُقـرئ القـرآنَ بقراءاتـه السـبع، ويُقـرئ العربيـة

---

(١) ذكريات مشاهير رجال المغرب: ٢٠ .

(٢) لقد عثر الدكتور عبد الهادي حميتو على اثنين فقـط إلى جـانب أبـي حيـان، فلعلـه لم ينظر الفرائد إلا لماماً. انظر رسالته ٤/١٢٧٥-١٢٧٦ .

أيضاً، وتوفي في حدود سنة تسعين وستمائة[1].

وهذه الترجمة على وجازتها وعدم إيفائها بالمطلوب، تُعدُّ من إفـادات العلامة أبي حيان، أفاد بها ابنَ مكتومٍ، حيث دونها في تذييله على معرفـة القراء الكبار للذهبي .

قال ابن مكتوم: « محمد بنُ علي بن عبد الحق الأنصاري، شهر بـ «ابن القصاب »، من أهل فاس، كان يُقـرئ القـرآن بـالقراءات السبع، ويُقـرئ العربية أيضاً .

وتوفي في حدود سنة تسعين وستمائة، أفادنيه شيخُنا العلامةُ أبو حيان الأندلسي، وكتبتُهُ من خطه[2].

قال سعيد أعراب عنه: « ... من الـروَّاد الأول في هـذا الميـدان، يعـني ميدان القراءات، وهو من أئمة القراءات بفاس[3].

قال عبد الهادي حميتو: يُعتبر الإمام أبو عبـد الله القصـاب الأنصـاري رائدَ المدارس المغربية في أصول الأداء الخاصة بقـراءة نـافع، وصـاحبَ أول مدرسة فنية اهتمت بهذه القـراءة ودرسـت أحكامهـا الخاصـة، ووضعـت معالم البحث والتأليف فيها[4].

قلتُ: ضاعت آثارُه العلمية، ولم يبق إلا كتابٌ له في قراءة نافع سماه: « تقريبَ المنافع في أصل مَقْرَا نافع[5] » تأثَّرَ به كلٌّ مـن ألَّـف في قـراءة نـافع

(١) الغاية ٢/٢٠٤ .
(٢) القراء الكبار ٢/٦١٢ .
(٣) القراء والقراءات بالمغرب: ٣١ .
(٤) قراءة الإمام نافع عند المغاربة ٤/١٢٦٣ .
(٥) انظر الفهرس الخاص بعلوم القرآن من فهـارس الخزانـة المغربيـة الحسـنية رقـم: ٢٥٥ بعنوان: رسالة في قراءة نافع .

بعده .

وله كتاب في القراءات سماه: « الكتاب الكبير » ذكره في باب المد من الكتاب الأول[١] .

٢ - محمد بن عبد الرحيم، أبو القاسم الضرير[٢]:

قال الوادي آشي: « محمدُ بنُ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب القيسي العنسي السبتي »[٣].

قال ابن الجزري: « القيسي الضرير، مقرئٌ ضابطٌ عارف، كاملٌ، علامةُ الغرب، إمامٌ حاذقٌ .

وُلد في حدود الثلاثين وستمائة بالجزيرة الخضراء، قرأ على خطيبها عبد الله الركيني، ثم قرأ على أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الشريشي[٤].

وقرأ أيضاً على أبي محمد بن ستاري، والقاضي أبي عبد الله الأزدي، وأبي الحسين المتيوي، وأبي عمرو العبدري، وأبي يعقوب المحسَّاني، وأبي العلاء إدريس القرطبي، وغيرهم[٥].

وكان أسرعَ الناس حفظاً، وانتهت إليه رياسةُ الإقراء .

---

(١) سأذكرهُ في المواطن التي نقل عنه المؤلف فيها في ذكر المصادر .

(٢) سأذكر نقول المؤلف عنه في المصادر .

(٣) البرنامج: ١٢٢ .

(٤) الغاية ٢/١٧١ .

(٥) البرنامج: ١٢٣ .

قرأ عليه الشيخ أبو عبد الله القصري[(١)].

قال ابنُ عبد الملك: كـان مجـوِّداً للقـرآن العظيـم، مـن أحسـن النـاس صوتاً به، وأطيَبِهم نغْمَةً في إيراده ...

تلا بحرف نافعٍ من طريقيه، والإدغامَ الكبير عن أبي عمـرو، وبروايـة يعقوب على أبي الحسن عبيد الله بن أبي الربيع[(٢)].

تُوفي بسبتة في رمضان سنة (٧٠١ هـ)[(٣)] .

٣ ـ عبد الملك بن موسى أبو مروان[(٤)]:

هذا الشَّيخُ الثَّالثُ تفرَّدتُ بتحصيله إذ وفقني الله لذلك، لكني لم أعثر له على ترجمة، ولن أقطعَ البحث عنه حتى أُلفِيَه بإذن الله .

ذكره المؤلفُ، ووسَمَه بلفظ شيخنا في أثناء شرحه لقول الشَّاطبي:

والاخـــرَى كَمَدٍّ عندَ وَرشٍ وقُنبُلٍ
وقَـد قِيلَ محضُ المــــدِّ عنه تَبَدَّلا

قال: وكان شيخُنا أبو مروان عبدُ الملك بن موسى ...[(٥)]

---

(١) الغاية ١٧١/٢ .
(٢) الذيل والتكملة ٣٧٠/٦ .
(٣) الغاية ١٧١/٢، ومقدمة تحقيق البسيط للدكتور عياد ٦٢/١ .
(٤) سأذكر نقل المؤلف عنه في ذكر المصادر .
(٥) الفرائد:

٤ ـ الإمام محمد بن يوسف أبو حيان النحوي[١]:

محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين، أبو حيان النحوي الأندلسي الغرناطي، الإمامُ الحافظ الأستاذ، شيخُ العربية والأدب والقراءات، مع العدالة والثقة .

وُلد في سنة أربع وخمسين وستمائة بغرناطة، قرأ السبعَ ببلده على عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري، وأحمدَ بن علي بن محمد بن الطباع وغيرِهما، وفي مصرَ قرأ بالسبع على هبة الله بن المليجي وخلقٍ .

قال الذهبي: ومع براعته الكاملة في العربية، له يدٌ طولى في الفقه والآثار والقراءات واللغات، وله مصنفاتٌ في القراءات والنحو، وهو مفخَرُ أهل مصر في وقتنا في العلم .

له منظومةٌ لاميةٌ في القراءات السَّبع على وزن الشَّاطبية سماها: « عِقدُ اللآلي » أخلاها من الرمز[٢].

قصَدَه من المغرب والأندلس طائفةٌ من الأكابر للرواية والإسناد، منهم شيخُنا ابن آجُرُّوم، وابنُه منديل، عَرَّجا عليه في طريقهما إلى الحج .

توفي بمصر سنة (٧٤٥ هـ)[٣].

وله تواليفُ أشهَرُ من أن يُعرَّفَ بها، أعظمُهَا في النحو: « التذييل والتكميل » ، وهو شرحٌ على كتاب « التسهيل » لابن مالك .

---

(١) جاء في سلوة الأنفاس ١/١١٣:

وشيخه بدر الدجا أبو حيان

(٢) انظر الغاية ٢/٢٢٥، والشذرات ٦/١٤٥، والبغية: ١٢١-١٢٣ .

(٣) انظر نفح الطيبب ٣/٣٩٢، الوافي بالوفيات ٢/٥٥٦ .

الفصل الخامس:

أسانيده

أمَّا الكلامُ عن أسانيده، فإنه ضربٌ من الخيال، غمرها النسيانُ والإغفالُ حتى صارت في عِداد العدم، ولذلك قال الدكتور عبد الهادي حميتو: ولقد كان الظنُّ به ـ يعني المؤلفَ ـ أن يَذكُرَ في صدر شرحه المذكور ـ يعني الفرائدَ على الشاطبية ـ سندَه بقراءتها أو بالقرءاة بمضمونها على مَن قرأها عليه، ولكنه لم يفعل ...[1]

قلت: لقد فعل المؤلف رحمه الله، وذكَرَ في صدر شرحه هذا سندَهُ بقراءتها على شيخه، وقد منَّ الله عليَّ بالحصول على هذه الدرَّةِ اليتيمة لتؤنِسَ سابقتها، وهذا تفصيلُ ما جاء في سنده:

لقد جاء في باب إدغام الحرفين المتقاربين في كِلْمة وفي كلمتين، عند قول الشَّاطبي:

وللدَّالِ كِلمُ تُرب سَهلٍ ذَكَا شَذاً
ضَفَا ثمَّ زُهـدٌ صدقُهُ ظاهرٌ جَلا

قولُه بعدما أعرَبَ البيت:

« سمعتُ شيخَنَا أبا عبد الله بن القصَّاب حين قراءتها عليه يقول: سألتُ أبا يعقوبَ المحسَّاني حين قراءتها عليه عن هذا الذي قاله الناظم في تُربِ سَهلِ بنِ عبد الله، أهو حقيقةٌ أم مجازٌ على عادة الشعراء ؟

(١) انظر قراءة الإمام نافع ٤/١٢٧٥ .

فقال أبو يعقوبَ: سألتُ أبا الحسن السخاويَّ حين قراءتها عليه كما سألتَني فقال: حقيقةٌ .

ثم لما فرغَ المجلسُ قال لبعض الطلبة: سِرْ معه إلى قبر سَهلِ بن عبد الله ...(١) .

بعد أن وضعتُ يدي على هذه اليتيمة، شرعتُ في النحت في صخور التراجم مبتغياً التوفيقَ بين أسامي رجالِ الأسانيد، عَلِّي أقع على ما يوسِّعُ طرُقَ هذا الإسناد أو يقوِّيهِ ويؤيِّدُه .

وبعد هذه الفذلكة من المتابعة والتمحيص، خرجتُ بفائدة كبيرة بحمد الله، وهي استخراجُ واستنباطُ إسنادَين آخرَين إلى جانب هذا الذي ذكرَه المؤلف .

وهذا بيانُ الاستنتاجات:

١ ـ أن ابنَ القصاب أخذَ على ابن آجروم الشاطبية قراءة منه عليه بسماعه وشرحه.

٢ ـ أن أبا يعقوب أخذ على ابن القصاب الشاطبية قراءة منه عليه بسماعه وشرحه كالأول .

٣ ـ أن أبا الحسن السخاوي أخذ على أبي يعقوب الشاطبية قراءة منه عليه بسماعه وشرحه كالسالف .

٤ ـ أن أبا الحسن السخاوي قرأ الشاطبية على ناظمها مباشرة .

وبهذا يتبين أن بين ابن آجروم والشاطبي شيوخاً ثلاثة، على العلم بأن

---

(١) الفرائد:

الشاطبية تم نظمها بالمشرق، وهذا يدل على اهتمام المغاربة بنقلها وروايتها وشرحها، في هذا الزمن الوجيز بين نظمها وظهورها، وبين العمل عليها والقراءة بمضمَّنها عند المغاربة .

ولكن الأكمةَ التي هالني أمرُها هو أنني لم أعثر على ترجمة لأبي يعقوب المَحَسَّاني، ولم أُلفِهِ بين مَن تلمَذَ لأبي الحسن السخاوي حسب اطلاعي، إلا شيئاً يسيراً وقفتُ عليه عند ابن جابر الوادي آشي في برنامجه، حيث ذكره في شيوخ شيخه محمد بن عبد الرحيم أبي القاسم الضرير، حيث قال:

مولده يوم السبت الثاني عشر لجمادى الأولى سنة تسع وعشرين وستمائة. ومن شيوخه: أبو محمد بن ستاري، والقاضي أبو عبد الله الأزدي، والحافظ أبو الحسن المتّيْوي، وأبو عمر العبدري، وأبو يعقوب المَحَسَّاني، وأبو العلاء إدريس القرطبي، وغيرهم[1].

وهذا هو الذي ذكره أحمد بن القاضي في درة الحجال[2] في ترجمة أبي القاسم، وزاد تاريخ وفاته قال:

توفي في ليلة رمضان سنة (٧٠١ هـ) أخذ عنه ابن جابر الوادي آشي.

وبهذا يكون أبو يعقوب شيخاً لابن القصَّاب وأبي القاسم؛ شيخَي ابنِ آجُرُّوم .

ويعني هذا أنني قد أحرزتُ سنَدَين للمؤلف يجمعهما طريقٌ واحدٌ:

---

(١) برنامج الوادي آشي: ١٢٢-١٢٣ .

(٢) درة الحجال ٢/٢٥٩-٢٦٠ .

الأول عن ابن القصاب، والثاني عن أبي القاسم الضرير، وابنُ القصاب وأبو القاسم، كلاهما عن أبي يعقوب، وهو عن خاتمة المحققين أبي الحسن السخاوي، وهو عن شيخ الأولين والآخرين الإمام أبي القاسم الشاطبي . والحمد لله رب العالمين .

- إلا أنه يجب أن يكون أبو يعقوب قد رحلَ إلى مصر أو دمشق للقراءة على السخاوي، أو يكون ابن القصاب وأبو القاسم قد رحلا إلى أبي يعقوب، إذا لم يثبت أن أبا يعقوب من أهل المغرب أو رحل إليه .

- لابد أن يكون أبو يعقوب قد قرأ على السخاوي في بلد فيه تُربةُ سَهلٍ التُّستَريِّ، وأرجِّحُ أن يكونَ دمشقَ؛ لأنه منزلُ أبي الحسن السخاوي، أو يكونَ البصرةَ؛ لأنه قد سُمِعَ للتُّستريِّ بها كلامٌ، كما في السِّيَر، لكون السَّخاوي قد أمرَ بعض طلبته بالسير مع المحسَّاني إلى تربة سَهلٍ يوقفه عليها.

أما ما يمكن أن يكون إسناداً ثالثاً للمؤلف كما قدمتُ في أول هذا المبحث، - وهو بالفعل كذلك - فهو ما استقريتُهُ من آكام التراجم تفصيله كالآتي :

١ - وقفتُ في الذيل والتكملة[1] على أن أبا القاسم الضرير تلمَذَ لأبي الحسين بن أبي الربيع، قرأ عليه بحرف نافع من طريقَيه، والإدغام الكبير عن أبي عمرو، وبرواية يعقوب[2] كذا قال.

---

(١) الذيل والتكملة ٦/٣٧٠، وانظر مقدمة البسيط ١/٦٢ .

(٢) الجيد أن يقول: بقراءة يعقوب؛ لأنه يقتضيه اصطلاح القراء، فالقراءة للبدر، والرواية

=

٢ ـ وقفتُ على أن ابن أبي الربيع قرأ بقراءات السبعة من طريق الكافي لابن شُريح، بالإدغام الكبير، وبقراءة يعقوب على ابن أبي هارون[١].

٣ ـ وابنُ أبي هارون محمد قرأ على أبيه أحمد بن أبي هارون[٢] .

قلتُ: ولايصحُّ ما عند ابن الجزري في الغاية أنه قرأ على أخيه أحمد[٣].

٤ ـ وقرأ أحمدُ بن أبي هارون على عبيد الله اللحياني عن شُريح، وأحمدَ بنَ عيسون، وأجازه أبو الحسن شُريح[٤].

٥ ـ وقرأ أبو الحسن شُريح على أبيه محمد بنِ شُريح[٥].

٦ ـ و محمَّد بن شُريح هو: أبو عبد الله الرعيني الإشبيلي، الأستاذ المحقق صاحب كتاب الكافي، والتذكير، ولد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة رحل فقرأ على ابن نفيس بمصر، وعلى أحمد القنطري بمكة، وتاجِ الأئمة أحمد بن علي، والحسن بن محمد البغدادي، ولقي مكي ابن أبي طالب وأجازه .

رجع إلى أشبيليه، قرأ عليه بالقرءات الثمان ابنه أبو الحسن شُريح

للشهاب، ويعقوب هذا هو الحضرمي القارئ التاسع من القراء العشرة .

(١) ترجمته في الغاية ٢/٩٠ .

(٢) الغاية ١/١٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ٢/٩٠ .

(٤) الغاية ١/١٤٦ .

(٥) نفسه ١/٣٢٤ـ٣٢٥ .

السابق الذكر، مات سنة (٤٧٦ هـ)[1].

قلتُ: وابن شُريح أحدُ معالم طرُق الأسانيد، فكفَى بالإسناد أن يصل إليه، وبهذه المتابعة يسَّرَ الله لي أن أقف على طريقٍ آخرَ لإسناد المؤلف غير طريق الشاطبي، تفرَّعَت عن أبي القاسم الضرير، من غير روايته عن المحسَّاني[2]. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) نفسه ٢/١٥٣ .

(٢) وقد وقف الدكتور عبد الهادي حميتو في رسالة (قراءة الإمام نافع ٤/١٢٦٤-١٢٦٥) على إجازة في القراءات السبع من أبي عبد الله البوعناني الفاسي لتلميذه أبي عبد الله محمد الشرفي، فيها أنه حدثه بالقراءات السبع عن شيخه ابن القصاب، ومنتهى الرواية في هذه الإجازة إلى أبي عمرو الداني، وهذا طريق آخر يمكن أن يضاف إلى أسانيد ابن آجروم، بشرط أن يكون ابن القصاب قد أجاز ابن آجروم ومن هذه الطريق.

الفصل السَّادس:

تَلاميذُهُ

إنَّ عالماً كمحمــد بـن آجُـرُّوم شعَّ سنا برقـه في المشـرق والمغـرب، وتلقَّت جهابذةُ النقاد آثاره بالقبول والرضى، لقَمِنٌ أن يتقاطرَ على حلْقَتِه رُوَّادُ العلم وطلابه، ويترتل على ينابيعه كلُّ وارد، ويُرصَد من أقلامه كـلُّ شارد، لا سيما أن ابنَ آجُرُّوم إمامٌ في القراءات بلا نظير، نثراً ونظماً، بيد أنه لم يشتهر بها اشتهارَه بالنحو، فمقدمتُهُ طارت في الآفاق، وسارت بها الركبان، وانتفعت بها جِلة، إلا أن الواقف على فرائد معانيه، يعلَمُ مقـدار ما أوتي القرْمُ من مداركَ نفيسَة، ومدارج عالية، وأفهام، يعز مطلبها على سائر الأعلام، تنبئ عن تمكنه وهيمنتـه وتمعنـه، فقـد كـان في عجـم أهـل المغرب من بربر وغيرهم،كسيبويه في أهل فـارس وغـيرهم، زكـيَّ المحتِـدِ، عذبَ المنهل والموردِ، عاليَ الهمة، عزيزَ النفس، بعيداً عن حِمَى الشبهات، تـرَّاكَ أمكنـةٍ إذا لم يرضهـا، يتغيَّـى الكَفـافَ، ويُـلازم العَفـاف، كـأنَّ ذا القروح نعته إذ يقول :

ولَو أنَّ ما أَسعَى لأدنى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَليلٌ مِنَ المالِ

بَدَهيٌّ أن تعقُبَهُ آثارُه مـن صُلبـه ومـن غـيره، فـأوَّلُ مـن يُطالِعُنَـا مـن تلاميذه ابنُهُ:

١ ـ محمد أبو المكارم (المدعو منديل):

قال ابن الأحمر[١]: شيخنا الفقيه الأستاذُ النحوي المقرئُ، محمَّدُ بنُ محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، يُكنى: أبا عبد الله ؛ ويُدعَى بأبي المكارم مَنديل ؛ ويُعرفُ بابن آجُرُّوم .

وهو من فاس، وبها رأيتُه، وأخذتُ عنه العربية، وأجازني إجازة عامة .

وقال عنه أبو زكريا يحيى الرندي الحميري الفاسي المعروف بالسرَّاج في فهرسته : الشيخُ الأستاذ الحاجُّ المقرئُ اللغويُّ الأديبُ، ابنُ الفقيه الأستاذ المقرئ العلامة، كان أديباً شاعراً مكثِراً مُجيداً منبسطاً، جميلَ المجلس، من أعجب المقرئين فصاحةً وحسنَ إلقاء، وكان جُلُّ إقرائه مقاماتِ الحريري، كان فيها أوحدَ زمانه، وكان نُبَلاءُ الطلَبة يرصُدُونه فلا يَسمعُونَ منه لَحَنَةً[٢].

ذكَرَ تلميذُه ابن الأحمر الأمير أنه كان يحضُرُ حلْقَتَه حين كان يُقرِئ مقاماتِ الحريري بجامع القرويين من فاس، هو وابنُ عمِّه الرئيس إسماعيل ..... قال[٣]:

وكان حسنَ المشاركة في العربية، حافظاً للطريقتَين التاريخية والأدبية، حسنَ المخايل، لطيفَ الشَّمائل، مع ذكاءٍ لا يُوجد في سواه، وكلامٍ

---

(١) نثير الجمان: ٤١٦، وهو تلميذ المترجم .

(٢) معلمة المغرب: ١٤٣، ابن آجروم منديل عبد الله العمراني .

(٣) نثير الجمان: ٤١٨ .

أحلى من الشهد في الأفواه، ونظمٍ كالقلائد في أجياد الخرائد، ونثرٍ بارع مستعذَبٍ أرقَّ من مرِّ النسيم وأطيب، بل هو أحلى من الشَّهد وأعجب.

رحل إلى المشرق لأداء الفريضة سنة (٧٤١ هـ)، ولقيَ جماعةً من العلماء فأجازوه، منهم أبو حيان، وأباح له روايةَ جميع ما روى وجميعَ ما ألَّفَ من نظمٍ ونثرٍ[١].

وأخذ بتونس عن أبي برَّال، والفقيه أحمد أبي العباس بن أبي بكر اليحصبي التونسي، والقاضي ابن عبد السلام، وابن جابر الوداي آشي، والفقيه ابن زيري، والفقيه المدرس أبي مهدي عيس الزواوي، والفقيه أبي عزيز، وابن مسفر، وعن قاضي الجماعة أبي عبد الله ابن يوسف، وأبي العباس أحمد الزواوي، وغيرهم[٢].

قلتُ: وكذلك أخذ عن والده، وعن أبي محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي المعروف بابن آجطا (ت ٧٥٠ هـ) صاحب : « التبيان في شرح مورد الظمآن » .

وعن أبي عبد الله محمد بن شعيب المجَّاصي، قرأ عليه فاتحة الكتاب بالقراءات السبع، وبعضَ الشاطبية، وبعضَ الدرر اللوامع، وناوله شرحه عليها[٣]...

---

(١) انظر نص ما أملاه أبو حيان على كاتب الإجازة، إذ فيها تحذير من نسخة من البحر المحيط وقعت لإبراهيم السفاقسي ادعى فيها أشياء ليست لأبي حيان، وزاد فيها ونقص، وأخبر أن هذا الأخير أخذ عن منديل. (من درة الحجال ٣/١٧-١٨، والجذوة ١/٢٣٣) .

قلت: يدل هذا على أن المترجَم لقي أبا حيان، وهو أهل للأخذ عنه. .

(٢) انظر نيل الابتهاج: ٦١٤ .

(٣) انظر القراء والقراءات بالمغرب: ٤٥ .

آثَارُهُ:

قلتُ: وقفتُ له بحمد الله على منظومةٍ من الرجز « مخطوطة » ، استدرك فيها على الإمام أبي الحسن السخاوي في منظومته في متشابه القرآن الموسومة « هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب » قال في أولها :

قال السَّخاويُّ عليٌّ ناظما كان له الله الرحيم راحما

ثم قال :

وقد نظمتُ في اشتباه الكلم أرجوزةً كاللؤلؤ المنتظمِ
لقَّبتُها هدايةَ المرتاب وغايةَ الحفاظ والطلابِ
أَودعتُهَا مواضعاً تخفَى على تالي الكتاب وتُريحُ مَن تَلاَ[1]

واستدراكُ الإمام منديل يقع في (٢٦) بيتاً على اعتبار الشطرين بيتاً مستقلاً[2].

---

(١) نشر الهداية د. عبد الله اللحياني، ولم يعرج على ذكر هذا الاستدراك، فأوردته إتماماً لما نُشر .

(٢) وهذا نص ماجاء في النسخة الخطية:

(ذكرُ ما استدركه الإمام الأستاذ أبو المكارم بن آجروم
على الأستاذ أبي الحسن السخاوي رحمه الله):

ولفظ ألفَينَا أتَى في البقرهْ من قبلِ ليس البرُّ فاقطُ ثمرهْ
وجاء في لقمانَ قبلَ الحزبِ لفظُ وجَدْنَا عنه لا للحِزْبِ
وفي النساء قد أتى أنزلنا إليك فاقراهُ كما قرَّرنَا
وتحتَ صاد فاتْلُهُ عليكَ ووجب حفظُهُمَا عليكَ
أن يطفئوا بألِفٍ ونُون في سورة التوبة عن يقين
وبعده لفظاً ويأبى الله وليس ثم هكذا سِواهُ
ولام كي معْ يُطفئوا مذكورهْ من قبل والله متمٌّ نُورَهْ

=

وهذه طائفةٌ من بدائع حكمته، ونوادر قريحته، تدل على نحته للقـوافي من معادنها، واستجلابه للمعاني من مراصدها.

من ذلك ما أورده الأميرُ ابن الأحمر في باب ما بلغه مـن شـعر قضـاة

في سُـورة الصفِّ بلا ارتيـابِ ... فاحفظهُمَا هُديتَ للصَّـوابِ

واشـهَدْ بأننا أتى في المـائدهْ ... وغيرُهُ أتى بنونٍ واحـدهْ

أعني الـذي جـاء بآلِ عمـرَانْ ... ولم يجئ سِوَاهُمَا في القُـرآنْ

فيـمـا فعلنَ بعده بالمعـروفِ ... بالباء جر مع ذات التعريـفِ

واجـرُرْ تَنكيراً يارجـُلُ ... كـلاهما من قبلِ تلكَ الرُّسُـلُ

ذاكَ يـُوعَظُ به مَـن كان ... منكم قُبيل الوالدات بـَانَ

وقـد أتى ذلكـمُ بالميم ... مـن قبل يُوعَظُ لَدَى التحريـمِ

وطبـعَ ا لله على قـلوبهمْ ... بُعيـد إنما السبيل قد رُسِـمْ

وجاءَ قبـل الحزب لفـظُ طُبِعَ ... مـن غير فاعلٍ فكن مـتّبِعاً

نرزُقُكمْ بالـفعل قـبلَ الكافِ ... متصلٌ ليس به خـلاف

قبل وإياهم أتـى في الأنعـامْ ... والعكسُ في الإسراء دون إبهـامْ

واقرأ وأمطرنَا عـليهم جمـعاً ... في سـورة الحجر وأمسِ سمعًا

واقرأه في هودَ بهـا واحـدهْ ... تحظى بكل سـؤدَدٍ وفائـدهْ

وسـنةَ ا لله التي قـد ورَدَتْ ... في آخـرِ الطَّولِ وبالفتح أتَـتْ

لـكنها في حـرفَي الأحزابِ ... مـعْ في الذين دونَ ما ارتيَـابِ

وفُتّحَتْ أبوابُهَـا بالـواو ... تـَـلاه كلُّ قارئٍ وراوِ

وهو الذي جـاء آخر الزمـر ... وحـذفها في أول فيه دار

لا يعقلونَ قـد أتى في البكْرِ ... وبالعُقُودِ يعمَلُونَ فـَادْرِ

قبلَهُمَا قـد جـاء لفظُ أوَلَـوْ ... فَاتلُوهُمَا كما أُولُوا العزمِ تَلَـوْا

انتهى ص: ٢٧-٢٨ من نسخة خاصـة . وقوله: « فـاقط » مـن قـطَّ الشـيءَ: قطعه عرضاً، وبابع (ردَّ)، فالقياس أن يقول: اقطُطْ، وربما قطها للوزن، وا لله أعلم .

وقوله: « قبل الحزب » : الحزب عند المغاربة هو نصف الجزء عند المشارقة .

وقوله: « في البِكر » : المراد البقرة، سميت بالبكر لورود البكر في قصة البقرة .

المغرب وفقهائها :

قوله : أنشدني لنفسه في الفخر والتعريض لبعض أهل العصر :

مَن المشـــيبُ على فَودَيه يَشتعلُ
فكيـــف باللَّهو في دنياه يَشـتَغِلُ

وكيفَ يَحــرِصُ في طول المقام بها
مَـــن كانَ يَعلَمُ أن لا بدَّ يَرتحِـــلُ

صَحَّ الذي خــرَّجَ الشَّيخان مِن نبأ
عَــن النَّبيِّ ومَا في قوله خَطَـــلُ

إنَّ الفَتى إنْ يَشِـــب مُسوَدُّ مَفرِقِهِ
تَشـبُّ منه اثنتان : الحرصُ والأمَــلُ [1]

قال :

يُـــقِـــرُّ بالفضل إنصافاً لصاحبِهِ
ويَسبِقُ السَّيفَ في أعدائنا العَـــذَلُ

قال :

مَا طَـــابَ أصـــلٌ لَهُ الفَرعُ يَتبعُهُ
وَليس عــن طبعها الأشياءُ تَنتــقِـلُ

---

(١) فات السيوطي أن يذكر هذا البيت في كتابه (الازدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار) ، والأبيات التي بعده ذكرتها في ترجمة أبيه .

لَو أُسـقِيَتْ بمجاج النَّحل حَنظَلَةٌ

لم يُعـذِب الطعمَ منها ذلك العسـلُ

بسـيبويهِ نَسينا كلَّ فائدةٍ

في صـنعةِ النحو لا «الكراسُ» و «الجمـلُ»

وفي مسـائل «إيضاحٍ» لنا وَضَحَتْ

مـنَ التصرُّفِ شمسٌ بيتُهَا الحمَـلُ

وعـند «حـرز الأماني»[1] شاهدٌ فطنٌ

إذ أُحْـرِزَت بحمانا تِلكُمُ السُّـبُلُ

وكـم لنا في عروض الشعر مِن نُكَتٍ

يَـدري بذلك عنا «الزَّحفُ والعـلـلُ»

بالشِّعر نفعَلُ إن نشـرِعْ أسِنَّتَهُ

مـا ليس تفعله الخطِيَّةُ الذُّبـُلُ

إن كنت تجهلُ هذا فلتُعِد نظـراً

ما العالِمُون كَمَـن للشيء قد جهِلُوا![2]

وله شعرٌ[3] في رثاء الحسـن بن علي رضي الله عنهما جواباً على طلب.

---

(١) يعني الشـاطبية، (انظر كيف يفتخر بحفظها وإحرازها) مما يدل على أنه قرأها وبمضمنها.

(٢) نثير الجمان: ٤٢١ .

(٣) انظره في نثير الجمان: ٤٢٥ .

وله شعرٌ في السيف منه قوله :

شامُوا بفاسٍ سيفَ إدريسِهم فوق منارٍ لا لأمرٍ مخوفْ
بل أشعروا بقول خير الورَى جنّتُكم تحت ظلال السُّيوفْ(١)

وله قصيدةٌ طويلةٌ في ذكر منتزهات باب الفتوح من مدينة فاس مطلِعُهَا :

أيها العارفون قدرَ الصَّبوح حدِّدُوا أُنسَنَا بباب الفتوحِ
جدِّدُوا ثَمَّ أُنسَنَا ثمَّ جِدُّوا نَسرحِ الطَّرفَ في مجال فسِيحِ(٢)

قلتُ: خاطبه أبو عبد الله الماجري بأبيات تدل على مكانته بين علماء فاس وغيرهم منها:

يا من بآدابه البديعة قد أخملَ ذكرَ البديعِ والبُستي
وسيِّداً من يَشِمْ شمائلَه يقلْ فَرَى ذا الجمال والبستِ(٣)

توفي - رحمه الله - رابع جمادى الأولى عام اثنين وسبعين(٤) .

---

(١) قلتُ: وهذا البيت فات السيوطي أيضاً في كتابه (الأزدها فيما عقده الشعراء من الأحاديث والأخبار) ، والحديث في الصحيح بلفظ: « الجنة تحت ظلال السيوف » .

(٢) أوردها بكاملها ابن الأحمر في نثير الجمان ص: ٤٥٦-٤٥٨، وعبد الله كنون في النبوغ المغربي ص: ٧٢٨-٧٣٠.

(٣) انظرها في نثير الجمان ص: ٤٢٣ ، ووفيات الونشريسي ص: ١٢٦، ٢١٥ .

(٤) انظر نيل الابتهاج: ٦١٤ .

٢ ـ محمد بن محمد بن إبراهيم[1] :

أبو عبد الله الخراز المغربي الأموي الشريشي، إمامٌ كاملٌ مقرئٌ متأخرٌ، له نظمٌ لطيفٌ، أتى فيه بزوائدَ على رائية الشَّاطبي ـ الموسومة بالعقيلة، والمقنِع من التنزيل لأبي داود وغيره سماه : « مورد الظمآن في حُكم رسم القرآن » .

قلتُ: وقد أخطأ خيرُ الدين الزركلي[2] رحمه الله إذ نسب إليه: «الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع » إذ هي لابن برِّي التازي، وإنما الذي للخرَّاز هو الشَّرحُ على البرية المسمى: « القصد النافع » .

قلتُ: قرأ الخرَّازُ على ابن القصَّابُ، ونقل عنه في « القصد النافع » في أماكن منها: نقلُهُ عنه في باب الإستعاذة الصيغَ الثلاثةَ التي زادها ابنُ القصاب في صيَغِ التعوذ .

قال: وزادَ شيخُنا أبو عبد الله بن القصاب رحمه الله ثلاثةَ ألفاظ لم أرها لغيره[3].

وقرأ على ابن آجُرُّوم، ونقلَ عنه، وشافَهَه، وأجاب عن أسئلته، وإن كان يقول : قال صاحِبُنا، فقد وصفه بالأستاذية .

وقد أوردتُ ذلك في قيمة الكتاب العلميَّة كاملاً .

وتلمَذَ له أبو محمد بن آجطا، وهو أول من شَرَح مورِدَه .

---

(١) انظر الغاية ٢/٢٣٧ .
(٢) انظر الأعلام ٧/٣٣.
(٣) القصد: ٧٥ .

توفي الخزَّازُ قبل أستاذه ابنِ آجُرُّوم بنحو خمسةِ أعوام؛ وذلك سنة (٧١٨ هـ) .

٣ ـ محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغسَّاني[١] .

من أهل حَمَّة، وشق، من عمل المَرِيَّة الغربي، يُكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن العربي، وينتمي في بني أَسْود، من أعيانها .

قال لسانُ الدين بنُ الخطيب عنه : كان ـ رحمه الله من أهل العلم والدين والفضل، كثيرَ الحياء ..، له تحقيقٌ بضبط القراءات والقيام عليها، وعنايةٌ بعلم العربية، قدم فاس، وقرأ بها على أبي الربيع سليمان اللجَّاي، وأبي الحسن بن سليمان، وابن مصامد القرطبي، والأستاذ أبي عبدالله محمد بن محمد بن آجُرُّوم الصَّنْهاجي .

وُلد عام (٦٨٢ هـ) توفي بالحمَّة عام (٧٤٨ هـ) .

٤ ـ عبدالله بن عمر الوانغيلي الضرير، يكنى أبا محمد[٢] .

قال ابن الخطيب القسنطيني : شيخُنا ومُفيدنا ـ الفقيه الحافظ المفتي بمدينة فاس، من تلامذة أبي الربيع اللجَّاي الذي قرأ على القرافي .

وقال الكتاني : وأخذ عنه ـ ابن آجُرُّوم ـ جماعةٌ من الأئمة بفاس .. والأستاذ الفقيه النحوي الصالح أبو محمد عبدالله بن عمر الوانغيلي

---

(١) الإحاطة ٣/٩٦-٩٧، والجذوة ٢/٢٩٧-٢٩٨ .

(٢) انظر سلوة الأنفاس ٣/٣٠١، والجذوة /٤٢٤، وشجرة النور: ٢١٧، ٢٣٥ .

الضرير .

أخذ عنه الفقيه الفرضي عمر الركراكي، وعبد الرحمن المكُّودي شارح الأجرُّوميَّة والألفية . توفي عام (٧٧٩هـ) .

٥ - **وأبو محمد عبد ا لله بن محمد** - ولد المؤلف .

٦ - **وأبو محمد بن مسلم** القصري السبتي - شارح الدرر .

٧ - **وأبو عبدا لله بن عمر** اللخمي .

٨ - **وأبو العباس أحمد بن محمد** بن شعيب الجزنّائي .

٩ - **وأبو عبدا لله محمد بن عبدالمهيمن** الحضرمي .

١٠ - **وأبو العباس أحمد بن محمد** بن حزب ا لله الخزرجي .

قال الكتاني في « سلوة الأنفاس »[1] في ترجمة ابن آجروم يَذكُرُ بعض من أخذ منه :

وأخذ عنه جماعة من الأئمة بفاس كالشيخ أبي العباس أحمدَ بنِ محمد ابنِ شُعيب الجزنَائي، والأستاذُ الفقيه النحوي أبو محمد عبدا لله بنُ عمرَ الوانغيلي الضَّرير، والقاضي أبو عبدا لله محمَّدُ بنُ عبد المهيمن الحضرميُّ، والفقيهُ الأستاذ المقرئُ أبو العباس أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ حزب ا لله الخزرجيُّ.

وممن أخذ عنه أيضاً ولداه: الأستاذ الأثير، العالم الكبير: أبو محمد عبدا لله، وبرسمه وضع والدُه المقدمة ...

والأستاذ المحقق الناظم الناشر أبو عبدا لله محمد المدعو بمنديل .

---

(١) سلوة الأنفاس ٢/١١٣، وشجرة النور: ٢١٧، وذكريات مشاهير رجال المغرب: ٢٠ /١١-١٢ (ابن آجروم)

وفي بغية الوعاة[1] أن السيوطي : رأى في تاريخ غرناطة[2]: أن محمداً ابن علي بن عمر الغساني النحوي قرأ عليه بفاس ووصفه بالأستاذ .

---

(١) بغية الوعاة: ١٠٢ .

(٢) تاريخ غرناطة لابن جزي الكلبي، ذكر الزركلي في ترجمة ابن جزي أن لسان الدين بن الخطيب وفق على جزء منه، والذي نقلته الآن عن الغساني من الإحاطة ٣/٩٦-٩٧، والجذوة ٢/٢٩٧-٢٩٨ .

الفصل السَّابع:

آثار ابن آجُرُّوم

أمَّا تواليفُه فإنها لم تكن من حيثُ عددُها مما يثير الدهشة، ولكن في عمق حمولتها ما يدعو إلى البهجة، لاجَرَمَ أنه أفضى إلى ما قدم، وهو في سنٍّ بزغ فيها نجمُ عطائه، إذ الرياح تجري بما لا يشتهي السَّفِنُ.

وما بقي من آثاره يُغنيه للحلول بين الأساتذة المبرِّزين، والحفَّاظ المجتهدين، النَّائين عن حضيض التَّقليد، إلى يفاع الإطلاع على الدليل السديد .

والحديثُ عن تعيين كتُبه، كالحديث عما سبق من محيط شخصه، غمرَه موجُ البحر السابق، فحال بيني وبين الوقوف على الحقائق، غير أني ألفيتُ بعد ما أنفقتُ زمناً معتبراً في تتبع أخباره في البرامج والفهارس والتراجم طائفةً مما صح أن يُنسب إليه، فيها المنثور والمنظوم، والمقتضب والمسهب، لا غرو أنه كان غايةَ منثور ومنظوم، وخيمةَ شعر محزوم .

وفي تقديمها آثرت الترتيب الألف بائي .

أولاً: البارع:

وهو نظمٌ رجزيٌّ يقع في اثنتين وعشرين ومائةِ بيت[1] ، عُني فيه ناظِمُهُ بنشر الخُلف القِرَائي بين ورشٍ[2] وقالون عن نافعٍ المدني ــ أصولاً

---

(١) على اعتبار الشطرين بيتاً واحداً .

(٢) على عادة المغاربة في تقديم ورش على قالون .

وفرشاً .

نظَمَه المؤلف سنة ٦٩٦ هـ، كما سيأتي في آخره، وبهذا يكون - والله أعلم - أولَ ناظم لقراءة نافع في المدارس المغربية التي تُعنى بهذه القراءة، على اعتبار القصيدة الحصرية في قراءة نافع من نسجٍ أندلسيٍّ .

أمَّا النظمُ المشهورُ الموسوم بـ « الدرر اللوامع » لابن بري التازي، فإنه نُسِجَ بعد نسجِ صاحبنا بسنةٍ كاملةٍ، وذلك لأن ابنَ بري نسجه سنة ٦٩٧هـ، وفي ذلك يقول في آخر البرِّية :

نظمَهَا مبتغياً للأجرِ ... عليٌّ المعروفُ بابن البرِّ

لسنة سبعٍ بعد تسعين مضَتْ ... من بعد ستمائةٍ قد انقَضَتْ

ولا اعتبار بقول واستنتاج الأستاذ محمد الأمراني(١) الذي يرى أنَّ الناظم نظمها في سنٍّ مبكرة تقدَّرُ بعشرين سنة، اعتمد في ذلك ما وقع له من تصحيف في البيت الأخير، حيث نقله بصيغة :

[سنة تسع بعد سبعين مَضَتْ ... من بعد ستمائة قد انقضَتْ]

أي بدل سبع تسع، وبدل تسعين سبعين .

ولا أعلم لهذه المنظومة نُسَخاً سوى نسخة الخزانة الصبحية بمدينة سلا، وهي ضمن مجموع برقم (٣٠٦) وتعتبر هذه النسخة يتيمة .

ولا أعلم لهذه الأرجوزة شرحاً، حتى قيَّضَ الله لها من يَفتِقُ رتقها، ويمعَنُ غَورها، شيخُ القراء الأكمل، وإمام الإفهام المبجل، شيخنا المصطفى البحياوي، بشرحٍ فيه نُكَتٌ تُلمِحُ بالغرض، وتقضي حقَّ الجوهر

---

(١) ابن بري التازي ص: ١٥٧ .

والعَرض، وسمه بـ « إتحاف القارئ والسامع بشرح نظيم البارع » .

وهذا نص البـارع برمَّتِهِ، أُبـرِزُهُ مجلـواً في حلتـه، ومـاذلك إلا لعزتـه وندرته .

البارع في مقرأ الإمام نافع

مستهل النظم :

يقولُ مَن عفوَ الإله راجي ... وعونَه محمَّدُ الصنـهـاجي

الله أحمـدُ الذي هدانا ... ومنَّ أنْ علَّمَنا القـرآنـا

وخَصَّـنا بأكرم البريئة ... محمَّدٍ وخـاتِمِ النبـوءة

صلّى عـليه اللهُ مِن رسولِ ... وصحبِهِ طُرّاً ذوي التفضيل

قصد الناظم وغايته:

وبعدُ فالقصدُ بهذا الرجَزِ ... مقـرأُ نافعٍ بلفظٍ موجَزِ

وَرْشٌ وقالونٌ على طَريقِ ... عثمانٍ الدانيِّ ذي التّحقيقِ

سند قراءة نافع :

رَوى القراءةَ أبو رُوَيـمِ ... عن جلَّةٍ وهم خيارُ قَـومِ

يزيدُ للقعقاع جـا بنَسبِ ... والهذليُّ مسلمُ بنُ جنـدبِ

وعابدُ الرحمـنَ نجلُ هرمُزِ ... وابنُ نِصَاحٍ شـيبةٌ فَميِّزِ

وعن يزيدَ وهو قُل يُعزى إلى ... رُومَانَ عنهم أجمعين نَقَـلاَ

روَّاهمُ الحبرُ أبو هريـرهْ ... مع ابن عباس بخير سِـيرة

ونجـلُ عيَّاشِكَ عن أُبيِّ ... سـليلِ كعبِهِم عن النَّبيِّ

محترز اصطلاحات النظم :

فإن ذكـرتُ دون واو حُكما ... فنافعاً أعني به إذ عـمَّـــا

وسوف أَستغني بلَفْظِ القاري ... وخُلفِهِ رغبةَ الاختصـــارِ

والله حسبي وعليــه المتَّكَلْ ... في كلِّ ما أَرُومُ قولٍ أوعَملْ

باب التعوذ :

عَـــوِّذْ بما في النَّحل عند الابتدا ... جهراً وإن نَزَّهتَ كنتَ مرشَدَا

باب البسملة :

بسمِلْ لعيسى عند وصل السُّوَرِ ... واترُكْ لدى براءةٍ عن عــذرِ

واتـــرُك ليوسف وقومٌ خيَرَهْ ... يَرَونها في الأربع المشـــهورَهْ

إلا بـــــــراءةً في الابتداءِ ... بسْمِلْ وخيِّرْ أوَّلَ الأجـــزاءِ

إن وُصِلَتْ بآخِـــرٍ لا تَقِفَا ... (وصِلْ لورشٍ أو بسكتٍ خُفِّفَا)

باب ميم الجميع :

صِلْ ضمَّ ميم الجميع مَعْ ضميرِ ... وضُمَّها لســـــاكنٍ أخيرِ

وقبلَ همز القطع ورشٌ وَصَلا ... والخُلفُ عن عيسى بتحريكٍ جلاَ

باب هاء الضمير :

لا تَصِلَــنْ هاءَ الضَّمير قبلَ ما ... يَسْكن أو من بعد أن تقدَّمَـــا

واقصُر لعيسى هاءَ فعل يجزَمُ ... أرجهْ يودِّهِ ألقِهْ إليهــــــمُ

نُصْـــلِهْ نـــُوَلِّهْ يتَّقِهْ ويؤتِهِ ... والخُلفُ في طه لدى من يــأتِـهِ

وها في يـرضَه وصِلْ إن لم يرَهْ ... عنه وفي الزِّلزالِ صِلْ حرفَي يرَهْ

باب المد والقصر :

والمدُّ في الـــواو وفي اليا والألفْ ... إن أُسكِنَا مَيتاً وهمزٌ قد أُلِفْ

من بعدها زِيـــدَ أو السكونُ ... ومع سكون الوقف ذا يكونُ
وإن تشا فاقصُـــر ووسِّطهُ وما ... قُدِّمَ فيه الهمزُ مُدَّ كيفمَا
كذا لورشٍ واقــصـرن ءالَنَ ... ونحو خِطئاً أو لهمز كــان
وصلاً وإسرائيلُ وعَـــاداً الأولى ... كيف يُؤاخذُ وقِسْ مَسـئُولاَ
(واقصُر وزِد قبلَ سكونٍ أُشكِلاَ) ... وذانِ عن عيسى لهمزٍ فُصِلاَ
ومـدَّ ورشٌ ثمَّ مثلَ سَـــوءَهْ ... زادَ ووسَّطَ ويَا كهَيئَـــهْ
وموئلاً فاقصُرهُ والمــــوءُودَةْ ... وخُلفُ سَوءاتٍ لوَرشٍ مُثبَتُ

باب الهمزتين من كلمة :

في كِلمةٍ أُخراهما قد سُـهِّلَت ... وذاتُ فتحٍ منهما قد أُبدِلتْ
بمصرَ والفصلُ لعيسى يـوجُدُ ... بألفٍ والخُلفُ في أَؤُشْـهِدُوا
ءامَنـتُمُ ءالهـــــةٌ لاخبَرا ... ثانيهما سهِّلْ وأَبدِلْ آخِـــرَا
إبـدالُ همزِ الوصـل بـين لامِ ... أجدَرُ قُلْ وهمزِ الاستفهامِ
وليـس في هذا ولا أئـمَّــــهْ ... فصلٌ ولا فيما ثلاثٌ عـمَّـهْ
وليـس في أُخراهما إن أُسكِنَتْ ... خُلفٌ كأُوتوا بل لكُلٍّ أُبدِلَتْ

باب الهمزتين من كلمتين :

وَأسقطَ الأولى إذا ما اتفقَــا ... بالفتح في كِلمتين نسُِـقَا
عيسى وإن ضَمًّا وكَسراً عَادَا ... سَــهِّلْ وللنبي إن أرادَا
والسُّـــوِّ إلاَّ والنبيِّ إلاَّ ... يُبدِلُ والإدغامُ بعدُ وَصَّـلاَ
وبينَ بينَ ورشُهُم في الأخرى ... وغيرُ آلَ أُبـــدِلَت بمصرا
وهؤلاءِ إن على البِغَـــاءِ ... بالياء مكسُــوراً لدى الأدَاءِ
وثانيَ المختلفَين سَــهِّلاَ ... وإن تُفتَح الأولى وإلاَّ أَبـدِلاَ

واقصُـــر ومُدَّ قبلَ همزٍ غُيِّرَا وحقِّقِ الكلَّ لوقفٍ إذ فَرَى

باب الهمزة المفردة :

أبدِلْ لورشٍ همزةً في الـفـــاءِ تُسكَنُ غيرَ جملةِ الإيـــواءِ

وواواً إنْ فُتِحَتْ بعدَ الـضَّـمِّ والذِّيبُ بير عنه مَعْ ذي الـذَّمِّ

بيسَ وفي الأعراف بيسٍ عنهما وأَبدِلَنْ رِءْياً لعيسى مُدغَـمَـا

باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها :

وحرِّكَ الإســكان صحَّ طرَفَــا ورشٌ بشكلِ الهمز ثم حَذَفَـا

والخُـــــلفُ في كتابيَهْ وعنهما ءالَنَ الأولى بعدَ عاداً مُدغَمَـا

رِدا والأُولى هــامِزاً إذ يَنـــقُلُ بَدءاً ووَصلاً نُجلُ مِينَا الأَبجَلُ

باب الإظهار والإدغام :

وساكنَ المِثلَين صَــــــحَّ أوَّلاَ أَدغِمْ وخُـلفُ مَالِيَهْ قَدِ انجَـلاَ

وذالَ إذْ أدغِـــــمْهُ عندَ الظَّاءِ عن نافعٍ ودالِ قَدْ في التَّــاءِ

وورشُهُم في الضادِ والظَّا أُعجمَا وعنه تاء الفعلِ في الظَّا مثلَـمَا

والكـــــلُّ عند الدال ثم الطَّاءِ ولام قُلْ وبَلْ بحرفِ الــــراءِ

فصل :

أُورِثْـتُـمُ لَبِثْتُ ثـــــمَّ عُذتُ نخسِفْ يُرِد ثُّوابَ مع نَبَـذتُ

وبــــابَ تعجَب ثم صادَ ذِكْرِ أظهِرْ وذالَ الأخذِ أَدغِمْ وادْرِ

يَلْهَثْ لعيسى مُدغَمٌ وبَا اركَبِ بعضٌ وكلٌّ عنه بـا يُعــذِّبِ

باب النون الساكنة والتنوين :

أَدغِـــمْ برلَّ النُّونَ دون غنَّةِ ويوم أبقِ ولْتُبن بكِلمَـــــةِ

وأَحـــــرُفِ الحلق وعند الباءِ تُقلَبُ ميماً عــن أُولى الأداءِ

وأَخـــفِ للباقي وقُلْ يَاسينَا عيسى بإظهارٍ كـــذكَ نُونَا
وخُلـــفُ وَرشٍ فيه والتَّبيينُ أَولى، وقيسَ مثلَها التَّـــنوينُ

باب الفتح والإمالة وبين اللفظين :

وإن قَلَبتَ ألـفــاً عن ياءِ قلِّلْ لدى الأفعالِ والأسمـاءِ
وألـــفِ التأنيث ثم أنَّى مستفهَماً بلى متى قد عَـنَّـا
ولاخلافَ بعد حرف الـــراءِ لكن أراكَهم بحـــرفِ جَاءِ
وفي رؤوس الآيِ بعدها هـَــا خُلفٌ كسُـــقياهَا ومنتَهيَاهَا
وإن جَررْتَ الراءَ من بعد الألف كالدار قلِّلْ إن وصلتَ أوتقِـفْ
والكـــفــــرين ثمَّ كفرينَا والخلفُ في جارٍ وجبَّارينَـــا
وحا لـدَى حاميمَ ثــمَّ الراءَ كالرعدِ والحجرِ وكلٌّ جـــاءَ
لوَرشِهِم وهَا ويا بكـــافِ عنه وعيسى ثمَّ عن خــلافِ
توراةُ ثمَّ محضُ هارٍ يُعـــرَفُ ومحضُ هَا طَهَ لِوَرشٍ أَعـــرَفُ

باب الراءات :

رقِّقْ لورشٍ معْ سكون اليـــاءِ والكسرِ لازمَين حرفَ الــــراءِ
ولا ترقِّقَنْهُ إن تأخَّــــرا إلا الذي من قبلُ كالقَصر يُرَى
والخُلفُ في را قَـــريَةٍ ومَريمَا والمرءِ والدَّانيُّ كُلاًّ فخـَّمَـــا
وإن محـــرَّكٌ أو استعلاءُ حالَ وإن أُخِّرَ إلاَّ الخــــاءُ
فخِّمْ وحيث كُرِّرَتْ والأعجَمْ وبابُ ذِكراً والخــلافُ في إرَمْ
ولا خلافَ في التي قد سُكِّنَتْ من بعد كسرٍ أو به قد حُرِّكَتْ
كـــذلك الوقفُ بإثرِ الكسرِ واليَا وما أَمَلْتَهُ في الـذِّكْـــرِ
والـرَّومُ مثلُ الوصلِ والتفخيمُ في غير هذا أصلُهُ مُـقـيـــمُ

باب اللامات :

وفتحَ لامٍ فخِّـــمْ إثرَ الطّاءِ عن ورشِهِم والصادِ قُلْ والـظّاءِ
يُفتَحُ أو يَسْكُنُ قُلْ وَالوجهانْ في نحو طالَ أو وُقوفِ الإسكانْ
وفي ذواتِ الياءِ فخِّمْهَا جُمَعْ إلا الفواصلَ لتأتي في تَبَـــعْ
واللامُ في اســمِ الله للتعظيمِ كلٌّ لغير الكسر بالتفخيـــمِ

باب الروم والإشمام :

أَشِمْ ورُمْ ضَماً ورفعاً واقِـفَا والرَّومُ بالكسر وجَرٌّ عُرِفَـــا
والفتحِ والنـصبِ وميمِ الجمعِ وهاءِ تأنيثٍ فخُـذْ بالمنْـــعِ
وعارضِ الشكلِ فهـاءِ المضمَرِ إنْ ضمَّ حرفٌ قبلها أو يُكسَرِ
أو واوٌ أو يـاءٌ وبعـــضُ الناسِ أجراهما فيها على القـــيـاسِ
(ولْتتْبَعِ المرســـومَ إن وقَفْتَا ولا تُخالِفْ مابه وجَدتَـــا)

باب ياءات الإضافة :

أَسكِنْ من الياءات عن قالونا تِسعاً فهاكَ عدَّها يقـينــا
(وليُــومِنُوا بي) ثـمَّ (بين إخوتي)
ثـــمَّ (ولي فيها) معي في الظُّـــلَّةِ
ثـــانٍ و(أَوزِعني) معــا و(تؤمنُوا
لي) ثـــمَّ خُلفُ فُصِّلَت قد بَيَّنُوا
ويـاءَ (محيـايَ) وعـــن عثمان في هذه فديتُكَ الوجـهـــانِ
ومــا عـــدا هذا الذي ذَكَرْنَا إنكَ قد تَدرِيهِ حـيـث يُغنى

باب الزوائد :

خمسُـونَ ياءً غيرَ يـــاءٍ ثَبَتَتْ وَصْلاً زوائدَ لحـذفٍ سُمِّيَتْ

بـآلِ عمرانَ مَنِ اتبعنـــــــي وهودٍ ويومَ يــاتي إن أخَّرتَني
والمهتدِي لا أولاً يهـــــديني وفي هنا نَبغِ وأنْ يُـــــوتيني
ءاتنيَ ا للهُ وأن تُعلِّــــمَـــنْ أتُمِدُّونني مَــــــعْ تتبِّعَنْ
أولى الجوار الـداع ذات الجرِّ بالحرفِ والمنادي ثمَّ يَســري
أَكرَمني أَهـانَني والخُلـــــفُ في ثِنتي الطُّولِ لِعِيسَى عُــرفُ
ورشٌ بهودَ تَســـــأَلَنِّ الدَّاعِ معَ الوعـــــيد في ثلاثٍ ذا عِ
يُكـذِّبُونَ قال ثم البــــادِ معْهُ دعانِ فاسْمَعْ في الرَّشَــادِ
أولى دعــاءِ أربعُ نكــــيري تُردِينِ كالجواب مَعْ نَذِيــري
نُذُري ستٌّ يُنقِذُون ترجُمُونْ بالوادِ في الفجر وقُلْ فاعْتزِلُونْ
وزِدْ لعيسى اتَّبعُونِ غَـــافِرْ وإنْ تَرَنْ واشكُرْ لربٍّ غافـرْ

باب فَرشِ الحرُوف :

وها هــو الاسكانُ ثم ها هِيَـا للامِ عن عيسى وللفا ولِـيَــا
والـــــواوِ ثمَّ هْوَ ورا قُــربةُ وبا بُيوتٍ والبُيُوتِ كســـرَةُ
أَخْــفِ يَخَصِّمُونَ مــعْ نِعِمَّا عنه يَهَدِّي لا تَعَدُّوا خَتْـمَـــا
قــرا لِيَلاّ ورشُــــهُـم بالياءِ كذا النسيءُ مُدغَماً والـــلاءِ
كاليا وقِفْ باليا لــــه وأَسكِنَا لامَ لِيَفضُوا لِيَقْطَع أو ءاباؤُنَــا
ولِيَتَمتَّعُــــــــوا كذا وأَخبرِ ما كُرِّرَ استفهامُهُ بآخـــــرِ
في العنكبُوتِ اعكِسْ ونَمْلٍ وأَهَبْ بالـــيـا وقالونُ بهمزٍ اســتَحَبْ
ســـيئَتْ وسِيءَ اقرأْهُ بالإشمامِ وأَخفِ تأمَنَّا وفي اســـــتفهامِ
رأيتَ مـــــعْ هأنتُمُ قد سَهَّلاَ وكم جَليليٍّ لورشٍ أَبـــــدَلاَ

والهاءُ من همـــــزٍ بذاك مُبدَلَه	أو هاءُ تنبيهٍ فهاكَ مُكمَلَـــــهْ
أُرجُوزةً جامعةَ المنافِــــــع	لأجل ذا سمَّيتُهَا بالـــبَــــارِعِ
أَكملْتُهَا في رمضانَ الأعظَـــم	عشرينَ منه ذي المعادِ الأكـــرَمِ
(سنةَ ستٍّ معَها ســــتُّمائَهْ	ثمَّتَ تسعينَ) بخيرٍ مُنْـبِئـَـــهْ
فالحمدُ لله العظيمِ الطَّـــــولِ	أهلُ الثَّناء وهْوَ أهلُ الـفـضــلِ
وبعدُ صلَّى الله ربي ســَــرْمَدا	على النَّبيِّ الهاشميِّ أحمـــــدَا[1]

ثانياً: التبصير في نظم التيسير :

وهو نظمٌ رجزي كذلك، نظـم فيـه « التيسـير » لأبـي عمـرو الدانـي، ويمكن أن يُعتبر من معارضات « حرز الأماني » ، إلا أنه ليس علـى وزنهـا وقافيتهـا، والنظـمُ إلى الآن لم أعـثر لـه علـى أثـرٍ، ولا أعلـم أحـداً يُعنـى بالبحث عنه، إلا أنني كنتُ أقـرأ في مخطـوطٍ لأبـي زيـد عبـد الرحمـن بـن القاضي المكناسي المسمى بـ « بيان الخلاف والتشهير وما وقع في الحرز من الزيات على التيسير » وهو كتابٌ أُلف فيمـا زادتـه قصيـدةُ الشـاطبي علـى حـد أصلهـا ومصدرهـا الـذي هـو « التيسـير » ، وهـذه الزيـادات تُسـمَّى بالألفاف؛ لقول الشاطبي:

وألـفــافُهَا زادت بنشرِ فوائدٍ فَلَفَّت حياءً وجهَهَا أن تُفضَّلاَ

(١) نشر منها العلامة عبد الله كنون خمسة أبيات من مستهلها في سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب (عدد ٢٠) ص: ٢٤ .
ونشرها الدكتور عبد الهادي حميتو في رسالته المسماة: قراءة الإمام نافع عند المغاربة ٤/١٢٧٨-١٢٨٢ وإلى الآن لم تر نور الطبع .

فوجدتُه يقول في زوائد سورة المؤمن: التلاق والتناد، الأخذُ لقالون بحذف الياء فيهما، وإليه أشارَ ابنُ آجُرُّوم في التبصرة في نظم التيسير :

وفي التَّلاقِ والتَّنادِ الخُلفُ عن ابن مِينَا والكثيرُ الحذفُ

قلت: وهذا هو البيتُ الموجودُ من هذا النظم إلا أن يُيَسِّرَ الله العثور على سائره .

وكما ينظر فقد سماه ابن القاضي بـ « التبصرة » ، والذي يُناسب والله أعلم أنه « التبصير في نظم التيسير » ليوافق السجعة .

وقد نقله أيضاً ابن القاضي في الفجر الساطع شرح الدرر والمنثوري، كذلك في شرحه على الدرر في الزوائد.

وقد عثرتُ بحمد الله على معلوماتٍ أخرى عن كتابه هذا، بيانها كالآتي:

في هامش ص: (٤٦) من « فرائد المعاني » عند شرحه لترجمة هشام، عند قوله: « يُكنى أبا الوليد » علّق بعض قراء الفرائد في الهامش بقوله:

« وقال في التبصير: إنه يُكنى أبا عمران » .

وقال في حاشية ص: (٥٠) من « الفرائد » أيضاً في ترجمة شعبة:

« وهذا هو الذي ذكر في التبصير » .

وفي الحاشية نفسه في ترجمة حفص قال :

« وقال في التبصير: إنه توفي قريباً من عام تسعين ومائة » .

وفي حاشية (٥٩) في ترجمة أبي الحارث قال:

« ووقع له في التبصير أنه توفي سنة أربعين ومائة، وهو وَهمٌ، والصوابُ ما قال هنا » .

مما يؤكد نسبته إلى المؤلف، والله أعلم .

ثالثاً: ألفاتُ الوصل :

وهو نظمٌ رجزي كذلك، نظم فيه ألفاتَ الوصل في الأسماء والأفعال، وهو أيضاً نادرٌ جداً، ولا أعلمُ أحداً طبَعه، وقد عثَرتُ عليه بفضل الله في أثناء تنقيبي في مجموعٍ يحمل رقم (٢٨٨) ق ـــ ص (٢٩٣) يوجد بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط، وها هو ذا مقدَّمٌ إلى الباحثين في صورة بهية، قال:

يا سائلاً عن ألِفاتِ الوصلِ
في الحرفِ أو في الاسمِ أو في الفعلِ

الألفاتُ قُلْ على قِسمَين — قطعٍ ووَصلٍ حين دون مَينِ
أمَّا الحروفُ قطعاً فيُعرَفُ — إلا التي الاسمُ بها يُعرَّفُ
والاسمُ كاثنين وابنَا وابنَتَا — واسماً كذاكَ وامرأً وامرأَتَا
وايمن الله بباء القَسَمِ — واستاً كذاك في اثنتين وابنُمِ
وكلُّ فعلٍ مَّاضِيٍ خماسِي — فهْوَ وَصلٌ وكذا السُّداسِي
والأمرُ منهما كذا والمصدَرُ — وفي الثلاثيِّ إذ ما تُؤمَرُ
والقطعُ في الكل إذا استفهَمْتَا — كنحو قولِ الله أَستَكْبَرتَا؟
واكسِرْ جميعَها في الابْتِدَاءِ — والفتحُ في المعرَّفاتِ جَاءِ
والضمُّ في الأفعال أيضاً مَهما — يُلازِمُ الثَّالثَ منه الضَّمَّا

فاللازمُ اخرُجُوا واقتُلوهُمْ
والعارضُ امشوا وكذا فاهدوهُمْ

وكلُّها تســـقُطُ إن وَصَلْتَا إذ غيرها به قد اســـتَعَنْتَا
وفي ســواءِ هـــذهِ الأشياءِ القطعُ في الوصل والابتـــداءِ

رابعاً: المقدمة الآجرومية :

لقائلٍ أن يقول : إن الحديث عن المقدمة لن تقرع الأذن بجديد حوله، فالمتكلم عنها كحامل تمر إلى هجر، ولكني استصغي آذان الباحثين وأَرْوِي أُوام المتعطشين إلى تصحيح ماجاء في مجلة المقتطف (عدد مارس سنة ١٩١١م) من مقال اكتتبه الدكتور يعقوب صرُّوف: حول إسقاط كلمة أجرومية وإقحامها في سلسلةٍ تاريخية تحكي تطورَ كلمة (غراماطيقا) التي ألفها ديونيسيوس تراكس، قبل الميلاد بنحو سبعين سنة، قال: وأولُ من وضع علم النحو أو قواعدَ علم اللغة وتركيب الألفاظ فيما يُعلَم اليونان، والظاهرُ أنهم وضعوها لكي يُسهلوا تعليم لغتهم على الطلبة من الرومان .

والمعروف أن ديونيسيوس تراكس ألف : (غراما طيقا) في زمن بمبيوس قبل المسيح بنحو سبعين سنة، فكان أساسَ كل الآجروميات التي أُلفت بعده، وقد حُدد هذا العلم بأنه معرفةُ لغة العلماء في أقسامها الستة؛ أي: علم اللفظ والشكل (أو الإعراب)، وعلم تفسير الكلام المجازي، وعلم التعريف أو التحديد، وعلم الاشتقاق، وعلم التصريف، وعلم النقد. وعلى هذا المبدأ أُلف الآجروميات في رومية والإسكندرية، ووصلت إلى السريان فالعرب .

ويظهر لنا أن كلمة آجرومية بالعربية هي نفس الكلمة (غراما)

اليونانية، أو (اغراماريا) اللاتينية .

نعم إن الزَّبيدي قال في تاج العروس : إن مؤلفَ الأجرومية هو ابن آجروم[١]، فنُسبت إليه، ولكن المأثورَ أن مؤلفها هو الشيخُ أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي، ولا ذِكرَ لآجُرُّوم في ترجمته » .

قلتُ: لا شك أن هذه النزعةَ توحي باجترار مضغةٍ لفظتها الحقائق التاريخية للنحو العربي من لدن هلهلته إلى استقامة عوده، متمثلةً في نظريات وطروحات الخليل، في قالب أمالي وإفادات اكتتبها قلمُ سيبويه، وهي قضية علاقة النحو العربي بالمنطق اليوناني (الأرسطي)، وأجمل ما يتقلده المغالِب في ادعائه بعد تلكم الفذلكة التي سطرت في أسفار الأولين والآخرين هو ترجمته الأنشطة اللغوية اليونانية إلى العربية على يد ابن المقفع (١٣٩هـ) الذي ترجم قاطوغورياس، و باري أرميناس (العبارة)، وأنولوطيقا، زَعَموا . ومن المعلوم أن كراوس نفى بعض هذه الرواية، وزعم أن هذه الأسفار إنما هي ملخّصٌ لبعض شروح كتب أرسطوا .

وإذا كنا لا نشك في اكتمال الحدود النحوية في أواخر القرن الثاني الهجري، وهذا من المسلمات البدهية، فإن الأعمال اليونانية المتمثلة في المنطق الأرسطي لم تثبت ترجمتها إلا على يد حنين بن إسحاق (ت٢٦٤هـ) وتحت إشرافه .

وإن كان يختلجنا ونحن نصفُ هذه الظاهرة استعمالُ سيبويه لمصطلحاتٍ فزيائية مثل: الثِّقَل والخفَّة ــ وغير ذلك، فإن استعمالَ

---

(١) التاج (جرم) .

المصطلح لايعني التحيُّز والتأثير، فبراءة النحو العربي تتمثل في(نماذجه) المكتملة، وأمثلتِهِ التي ترصد ترجمته لواقع معين موصوف داخل حيزه اللهجي والجغرافي .

ولنرجع إلى المقدمة التي تمثل حَلْقةً في سلسلة تقريب التأسيس النحوي إلى الاستعمال، نجد أن صاحبها اشتهر با ابن آجروم أكثر من اشتهاره باسمه محمد الصنهاجي، وهذه مغالطةٌ من الدكتور أن يتعامى عن هذه المسلَّمة، التي تشهد بها كلُّ نصوص تراجِمِه، ولم يشذَّ عنها أحد، حتى ترجموا معناها إلى (الفقير الصوفي) أو (الفقيه الصافي) .

قال العلامة عبد الله كنون[1]: ولا يزال الشُّلُوح (يعني البرابرة) يستعملونها بهذا المعنى أو ما يقرب منه، لكن بلفظ « أكُرَّام » ، وعلى كل حال فهي لقبُ تشريف عندهم، وتقوم مقام السيد بالعربية .

ويقال : إن جده هو أولُ من عُرف بها، فما صلة كلمة « ابن آجُرُّوم » بكلمة : (كراماطيقا) .

وإذا كان هذا الوصفُ يُرمَى على كل التآليف النحوية، فلم اختير ابنُ آجُرُّوم ؟ ولم يكن بأول من ابتدَعَ الصنعة، وكان الأحرى والأجدى أن يُوصف بها صنيع سيبويه؛ فهو أولُ كتاب رصدَ الظاهرة النحوية ووصفها، ثم إنه كان أقربَ تاريخياً إلى الأعمال اليونانية، مما يزيد هذه الالتفاتة غير الموفقة نُحُولاً وفساداً .

نعم يمكن أن نقول : إنَّ المقدمة الآجُرُّومية طُبعت في الغرب أولَ مرة

---

(١) مشاهير رجال المغرب ص: ٩ عدد: ٢٠ (ابن آجروم) .

سنة ١٥٩٣م في روما، وأعيد طبعُها بروما أيضاً سنة ١٦٣٥م بإعداد الأب أوبتيشيني obicni المستشرق الألماني، مع ترجمةٍ لاتينية وشرح، ثم طُبعت في كامبردج سنة ١٨٣٢ م.

وفي الجزائر سنة ١٨٤٦م بإعتناء برينيه : brasniay مع ترجمةٍ فرنسية.

يظهر من هذا العرض السريع اعتناء الغربيين ببعض أعمال النحو العربي المتمثل في هذه الورقات في مبادئ النحو، وما ذلك إلا لحاجتهم إلى اقتناص المنهاج الذي أُسِّستْ عليه القاعدة النحوية العربية ليهتدوا بها في ظلمات صوتٍ غُفلٍ صِفرِ اليدين من تراثٍ يُبرهنُ عن هويته وحقيقة وجوده، غيرِ موصوفةٍ له مادةُ اشتقاقه، فهو إذن منقطع عن التقاليب والتطور، منهوكُ الأسس، محدودُ الاستعمال بفترة لا يصلح لغيرها، لذلك يجد المطلع على لاروس، أو جل القواميس Les dictionnaires أنَّ الكلمات lis mots تتغيَّرُ بتغيُّرِ الطبعات، فكلما ماتت الحاجة إلى الكلمة، ماتت معها تلك الكلمة، ورُكبت كلمةٌ أخرى لتحل محلها، وغير هذا من الأمثلة كثيرٌ .

أرجعُ فأقول: إن كلمة كرامِّير grammaire قد نُحِتَت من كلمة آجُرُّومية لتدلَّ على الأعمال التي ترصُدُ تقويم الألسن، والشاهدُ: الأعمالُ التاريخية، والعربُ بالباب، والكلام في هذا الباب يطول، ولامقام له هنا[1].

---

(١) فصمتُ أكحل هذه الأغلوطات والأحاجي في سلسلة من مقالات أكتبها سابقاً .

خامساً: روض المنافع :

وهو كتابٌ ألفه في قراءة نافع، ولعله حاكى فيه تأليفَ شيخه ابن القصَّاب في كتابه المسمى « تقريب المنافع » وممن عَرَّف بالكتاب أبو عبدالله محمد بن عبدالملك الغرناطي المنتوري (٨٣٤ هـ) حيث نَقَلَ عنه في شرحه لدرر ابن بري .

سادساً: ـ فرائد المعاني شرح حرز الأماني ووجه التهاني:

وهو الكتاب الذي بين أيدينا .



الباب الثاني

المؤلِّف

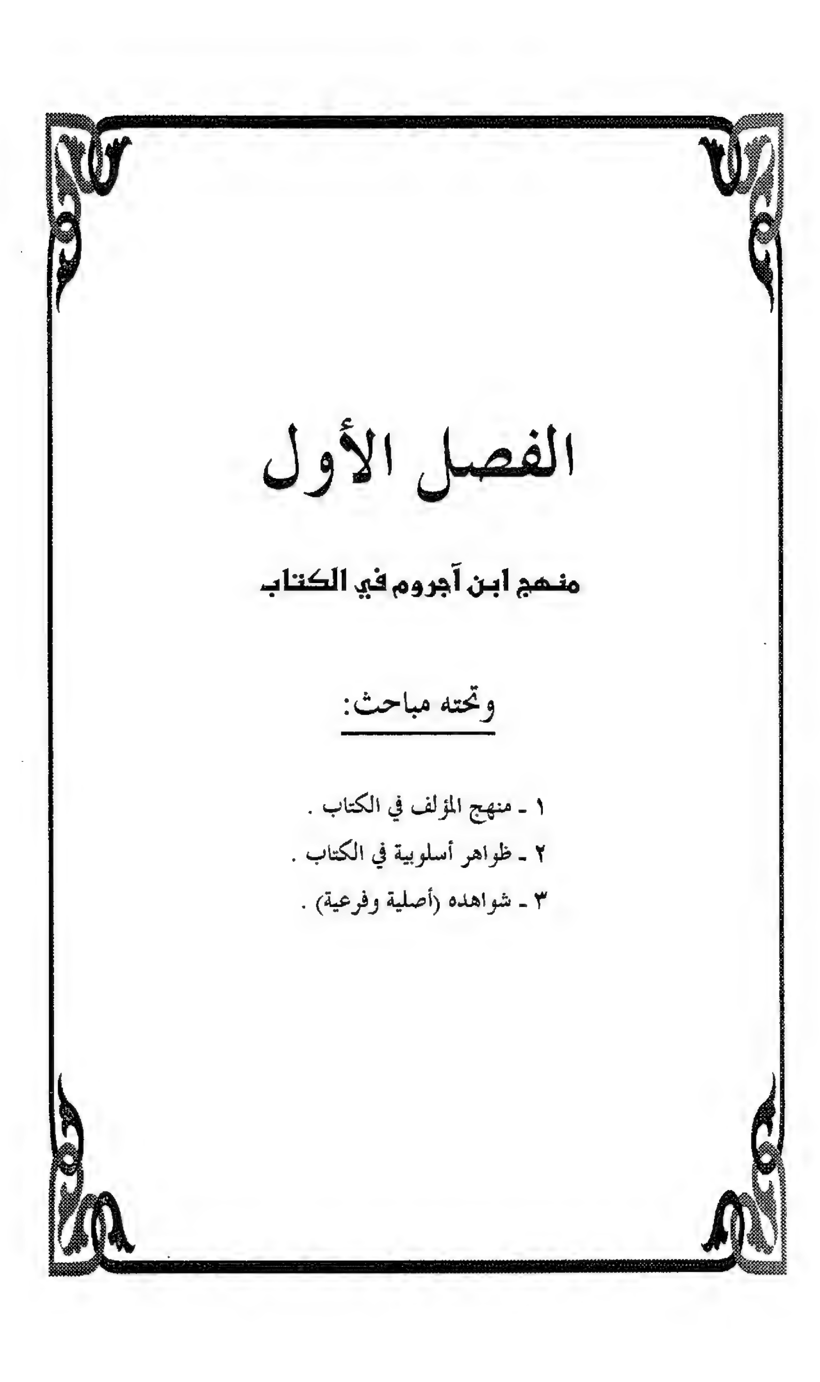
وتحته أربعة فصول:

١ ـ منهج ابن آجروم في الكتاب .

٢ ـ موقفه القرائي .

٣ ـ موقفه اللغوي .

٤ ـ المصطلح النحوي في عمل المؤلِّف .



الفصل الأول

منهج ابن آجروم في الكتاب

وتحته مباحث:

١ - منهج المؤلف في الكتاب .

٢ - ظواهر أسلوبية في الكتاب .

٣ - شواهده (أصلية وفرعية) .

المبحث الأوَّل:

منهج المؤلِّف في الكتاب

أَعرَبَ المؤلِّفُ رحمه الله عن منهجه الذي رسمه لشرحه حرز الأماني في ملطم تأليفه، إذ قال :

« .. ولم أزل منذ حفظي لها [الشاطبية] مُولَعاً بالنظر في معانيها، مُغرىً بتأمل مقاصدها ومناحيها، مستفتِحاً باب مبهمها، متعرِّضاً لإفصاح معجمها، إلى أن منح الله الكريم، ما كنتُ من ذلك أروم، وأعثَرني على ماكنت منه أحوم، فوضعتُ هذا الكتاب، مبيناً فيه مقاصده، وممهداً قواعده، وموضحاً مشكلات إعرابه، ومستوفياً لفصوله وأبوابه، مع ما أوردته من تعليل وتوجيه لوجوه القراءات بعبارات مهذبة، وألفاظ مقربة[1] ... » .

حسب استقراء مادة الكتاب تبين أن المؤلف التَزَم بما دبّج به تأليفه من منهجٍ اعتمده، بل زاد ـ أحياناً ـ رسوماً على ماذكَر، اقتضتها مادة البسط؛ ففي البُداءة يرسم بيت القصيد بخط عريض، يعرض فيه الصنعة العروضية .

ثم يتحول إلى تفكيك المادة اللغوية شرحاً وبسطاً، ثم يعقبها بإعراب البيت إعراباً وافياً، يعرضُ من خلاله الصيغ والأوزان الصرفية، وآراء أهل

---

(١) انظر النص المحقق ص: 6

الصنعة في ذلــك، وقـد يُذيلهـا باستدراكات، أو اقتراحـات، لاتخلـو مـن فائدة.

كما يَعتني بتراجم مطوّلة للواردين في القصيد، هـذا بالنسبة لتقدمـة القصيد.

أما في قاموس أبواب النظم، فإنه يخوضُ غمار أطواده، ويغور لاقتناص دُرره، من بين خُلف أصولي وفرشـي، فيبسُطُ القـول في الخلـف القرائـي بسطاً يُنبىء عن تمكنـه وإحاطتـه، وتـبريزه وإمامتـه، يعـرض فيـه مذاهـب الأئمة القُرُوم، ثم يُعلل فـيرجح أو يسـتدرك، منتصـراً في ذلـك للمسـنون المتبع، داحضاً حجج الرائين للرأي المخترع.

يكاد يطرد عنده طريق العرض بطرح السؤال، وفـرض الاعـتراض في ثنايا تعليلاته بقوله: فإن قيل، أو فإن قال قائل، أو فإن قلتَ، فيجيب عـن المستشكل فيبدأ بقوله: فالجواب، وهذه طريقةٌ سلكها علـى درب شـيخه محمد بن القصاب في كتابه : « تقريب المنافع » فإن مبتدأه السؤال، وإنهاءَه بالجواب، ونجدها كذلك عند مكيٍّ في الكشف وغيره .

كقوله عند شرحه لقول الشاطبي : (من باب الهمز المفرد)

سوى جملة الإيواء والواو عنه إنْ تَفَـتَّـــح إثر الضمِّ نحو مُؤَجَّلا

فإن قيلَ: لِمَ أُبدلت الهمزة في أُوَلِّف وأُوَذن حين اجتمعنا، و لم تحـذف كما حُذفت في : أنا أكرم، والأصل: أأكرم ؟ .

فالجوابُ: أن همزة أأكرم زائدة على الفعـل، وهمـزةَ أولـف أصليـةٌ

لأنها فاءٌ مــن الفعـل، فحكمـوا لـلزائد بـالحذف، ولمـا هـو أصـل بالبقـاء والإبدال[١].

أغنى تأليفَه[٢] بإيراد أقوال الأعلام السابقين كالداني ومكي والمهدوي والحصـري وابـن البـاذش والفاسـي والســخاوي والجوهــري وســيبويه، والفراء، والزجاج، والكسائي، وغيرهـم[٣].

---

(١) الفرائد ورقة: ١١٦ .

(٢) خلافاً لما ذكره الدكتور عبد الهادي حميتو، وليست لأمثالـه. انظـر قـراءة الإمـام نـافع عند المغاربة: ١١٩٩ .

(٣) أسهبت القول عنهم في المصادر .

المبحث الثاني:

ظواهر أسلوبية في الكتاب

أمَّا عن العبارة، فهي منه حرةٌ مِعطارة، هذَّبها فأحسن تهذيبها، وشذَّبها فأنق تشذيبها، وألبسها رداءَ الوقار، ووقاها أكمة العثار، حتى كادت تسيلُ عذوبةً ورقة، عرض بها الآراء، وناقش بها المخالف، في أناةِ العلماء واعتدالِ الحكماء، لم تزغ به سطوة القلم ولا سلطانه، عن جادة العلم ونزاهته، فليت شعري هل إلى هذا السلوك من سبيل، حتى تعتدل أقلامنا، فلا تخط إلا مختاراً من القول .

إلا أنه في ثنايا هذه المزايا طُوِيَت بعضُ الظواهر الأسلوبية التي قد تخالف المعتاد، فرأيت نشرَها، وتبيين موقفي منها، وهي على النحو التالي:

١ ـ زيادة الواو من غيرمسوغ في قوله: « والضمير الذي يعود على المبتدأ، وهو ما نابت الألف واللام منابه على مذهب أهل الكوفة » .

فالواو في قوله: « وهو » حشو لا يقتضيها سياق معنى، والكلام تام دونها .

٢ ـ استخدامه بعض الألفاظ في غير مناسبتها كقوله: « وذلك أنه بدأ بالبسملة، ثم ثنى بالتصلية » فقوله: « بالتصلية » غير وارد في هذا المعنى، وقد نبه الجوهري في الصحاح (صلا) على عدم إجازتها، قال: تقول: صليت صلاة، ولا تقل: تصلية .

٣ ـ تكريره لبعض حروف الجر في الجملة مرتين كقوله: « اعلم أن حرف الجر يدخل على مثله على وجهين » .

فقد كرر حرف « على » مرتين، وهذا منبوذ عند نقاد صنعة الكلام، إذ يتأتى حذف الأولى، وتعدية الفعل قبله بنفسه؛ ليسلم إلى إفصاح السياق .

٤ ـ حذفه ما يجب أن يثبت، من ذلك قوله: « والقراءة المسكوت عنها بالسكون الذي ضد للحركة » .

والسياق يقتضي إثبات كلمة « هو » بعد «الذي» لإيضاح المفاد .

٥ ـ عدم إضافته لما تحسن فيه الإضافة كقوله: « فيد ورجل محذوفان التنوين » .

والأجود أن يحذف النون ويضيف، وله أن يمطل حركة الفاء، أو نقول: يشبع ألف التثنية كما كان قبل الحذف؛ لأجل الإضافة، وعليه قولهم: (التقت حلقتا البطان) .

٦ ـ نبا منه وهمٌ عند شرحه لقول الشاطبي:

ومهما تصلها مع أواخر سورة

حيث قال: « فتعرض الناظم من الوجوه الأربعة للجائز، وسكت عن غير الجائز » .

والعكس هو الصواب، إذ الناظم ـ رحمه الله ـ تعرض من الوجوه الأربعة لغير الجائز، وسكت عن الجائز، فتأمل .

٧ ـ ومن تراكيبه التي تحتاج إلى إعادة نظر قوله على لسان سيبويه: «وذلك أنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد، ثم يعاودوا له » .

كذا في النسخة بخطه رحمه الله، ولا معنى لقوله: « يعاودوا له » لأن

الفعل بهذا التركيب يتعدى بنفسه، فله أن يقول: يعاودوه، أو يقول: يعودوا له كما في الكتاب .

٨ ـ ومما سها عنه رحمه الله مقابلته (هبطا) بـ (وَطَيا) ، ولا يتأتى في المقابلة، إذ هما من جنس واحد، قال: « فقابل إذا بإن، وهبطا بوطيا وليست في البيت»، والأنسب أن تقابل (هبطا) بـ (علَوا) .

٩ ـ ومن إعراباته قوله في بيت:

« وإدغام ذي التحريم طلقكن قل أحق ... ... »

قال: « وارتفاع قوله: (وإدغام) بالابتداء، و(أحق) خبر الابتداء، و(قل) موسط بين المبتدأ والخبر » .

والأولى أن يكون قوله: « قل » هو الخبر، وعليه فـ « أحق » مقول القول، أو يجعل « أحق » خبراً لمبتدأ مقدر؛ أي: هو أحق، والله أعلم .

١٠ ـ يرى ابن آجروم أن أداة الشرط يعمل فيها ما قبلها، من ذلك قوله في إعراب قول الشَّاطبي:

إذا لم ينون أو يكن تا مخاطب

والعامل في قوله: « إذا لم ينون » فـ « مُدغِم » في البيت الأول، والمعروف أن إذا الشرطية لا يعمل فيها ما قبلها، وكذلك سائر أدوات الشرط، لا يجوز أن يعمل فيها ما قبلها إلا حرف الجر؛ لأنها تُثبت فيما بعدها معنى، فكان لها صدرُ الكلام، إلا أن نقول: خرجَت هنا عن أصلها فهي لمطلق الحين . انظر المقتصد في شرح الإيضاح ١١٠٩/٢، واللباب ٥٦/٢، والمغني ٩٣/١، والمقتضب ٥٥/٢، وشرح المفصل ٩٦/٤، والأزهية ٢٠٢ .

١١ ـ إدغام الأخرج في الأدخل، من ذلك قوله:

« وأما الحاء فيدغمها ـ يعني أبا عمرو ـ في العين ... الخ » .

ويعني هذا أن حرف الحاء ـ وهو أخرج في الحلق من العين، إذ العين أدخل منه في الحلق ـ يدغم في العين، وهذا ـ كما هو مقعد عند علماء الأصوات ـ غير جائز .

وقد قرر سيبويه في الكتاب ٤/٤٤٩-٤٥١ هذا الملحظ في وصفه لإجراء الإدغام في حروف الحلق، قال: لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله، وهذا هو الذي عناه ابن عصفور في الممتع: ٦٨٥ بقوله: وحروف الحلق لا يجوز إدغام الأخرج منها في الأدخل .

فعلّى هذا يحسن أن يقال: وخرِّجَت قراءة أبي عمرو بالإدغام هنا، على قلب الأدخل إلى الأخرج .

١٢ ـ تعبيره بالانسفال في وصف المخرج بدل الاستفال ،الذي ورد في نصوص أمثال الداني والقيسي، من ذلك قول القيسي في الرعاية: سميت مستفلة؛ لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك، بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخرجه. الرعاية: ٩٩ بتصرف .

وأمَّا الداني فيقول في التحديد ص: ٢٢٨، سميت مستفلة لأن اللسان لا يعلوبها إلى جهة الحنك، وهي ما عدا المستعلية .

المبحث الثالث:

شواهد التعليل والتوجيه

أمَّا عن شواهد التعليل والتوجيه فإنه يستشهد للظاهرة المرصودة، باتخاذه ناموساً مسلوفاً، لدى نابتة العلم وجهابذته مألوفاً .

قسَّمتُ الكلام عنها إلى شواهد أصلية وأخرى فرعية، ورتبتها حسب أهميتها، فالأصلية تنتظم في:

١- الرواية والأثر :

أ ـ لما تحدث عن الخلف الوارد في ﴿عاداً لأولى﴾ عند قول الشاطبي :

وقـــــل عاداً الأولى بإسكان لامه
وتنوينه بالكسر (كـ)ـاسيه (ظـ)ـللا

قال: وحجة قالون وأبي عمرو في نقلهما الحركة في هذا الموضع دون سائر أمثلة ما فيه لام التعريف: الجمع بين اللغتين مع اتباع الأثر، والاقتداء بالسلف ...[١]

ب ـ ولما تحدث عن النوع الرابع من الهمزتين في كلمة واحدة، وهو أن تكون الهمزتان مفتوحتين بعدهما همزة ساكنة، وذلك لفظ « ءامنتم » في ثلاثة مواضع في الأعراف، وطه، والشعراء .. عند قول الشاطبي :

---

(١) الفرائد: ٣١٥ .

وطه وفي الأعـــــراف والشعرا بها
أءمنتم لكـــــل ثالثاً أبــــــدلا
وحقــــــــق ثان صحبة ولقنبل
بإسقاطه الأولى بـطـــه تقبــــلا
وفي كـلـهـــا حفص وأبدل قنبل
في الأعراف منها الواو والملك موصلا

وساق الحجَـجَ لكـل مذهـب مطـرد، أمـا مـا لم يطـرد، فجعـل مـرده الرواية، وذلك حُجة كافية، بل هي أول الحجج .

قال: وحجة من قرأ بالإخبار في موضع، والاستفهام في موضع آخـر: أنه جمع بين اللغتين مع اتباع الأثر، وأنَّ الرواية سنةٌ لاتؤخذ بالرأي، وإنمـا التعليل بعد السماع[1].

٢ـ القرآن والقراءات :

نلمس ذلك عند كلامه عن كلمة « أرجئه » في قول الشَّاطبي:

وعـــسى (نفر) أرجئه بالهمز ساكنا
وفي الهاء ضم (لـ)ـف (د)عواه (حـ)ـرملا

عند تعليله للهمز وتركه استشهد بما قـرِئ بـه في آيـاتٍ أُخَـر، قـال : وأما الهمز وتركه فهما لغتـان، يقـال : أرجـأت الأمـر وأرجيتـه: أخرتُـه،

---

(١) الفرائد ورقة: ١٠٢ .

وقرئ قوله تعالى: ﴿ تُرجِي مَن تَشَاءُ ﴾[1] بالهمز وبغير الهمز . وكذلك ﴿ مُرجَونَ لأَمرِ الله ﴾[2] قرئ ﴿مُرجَون﴾، و﴿مُرجَئُون﴾. فمن قال : أرجأتُ، قال في الأمر: أرجئْه بهمزةٍ ساكنة ؛ لأنّها لام الفعل، وتضم الهاء على هذا، ومن قال: أرجَيت، قال في الأمر: أرجِه بحذف الياء للأمر، وتكسر الهاء ؛ لأنَّ قبلها كسرة . انتهى .

٣ - رسم المصحف الإمام[3]:

يرى المؤلف أن العلة في ترك البسملة في أول براءة سقوطُها من المصحف الإمام، قال عند شرحه لقول الشاطبي :

ومهما تصلها أو بدأتَ براءةً   لتنزيلها بالسيف لست مبسمِلا

من باب البسلمة : والعلةُ في ترك البسملة في أول براءة سقوطُها من المصحف[4]..

٤ - اللغة :

وتنقسم إلى نحو وصرف ولهجات القبائل وشعر وأمثال العرب وأقوالها (الأساليب والنماذج النحوية)وَمّا جاء على الأصل، والحمل على المعنى .

---

(١) سورة الأحزاب:آية: ٥١ .

(٢) سورة التوبة: آية: ١٠٦ .

(٣) الأمثلة كثيرة في باب الوقف على مرسوم الخط، فأجدني مضطراً لعدم التمثيل منه؛ لكونه خارجاً عما أحقق، إذ هو في السفر الثاني (يسر الله إتمامه) .

(٤) الفرائد: ورقة: ٥١ .

أ ـ النحو:

لا تكاد تخلو ظاهرة من الظواهر المعالجة في الكتاب من تعليلات نحوية، فهي المهيمنة على جميع الشرح، وأجتزئ بعرض نموذج للتمثيل:

عند شرحه لقول الناظم :

ومالكِ يوم الدين راويهِ نَاصِرٌ

قال: وحجَّةُ مَن قرأ: « مالك » بالألف: أنَّ معناه عنده: مالكُ الحكم يوم الدين، ثم أُضيف اسمُ الفاعل إلى الظرف حين حذف المفعول على حد قولهم :

ياسارقَ الليلةِ أهلَ [الدار]

بخفض الليلة ونصب أهلَ[1] ...

ب ـ الصرف:

يمكنُنا أن نقول: إنَّ أبواب الأصول عند القراء يقابلها أبواب التصريف عند النحاة، والكلام هنا كلُّه على أبواب الأصول، لهذا أختار نموذجاً ليُقاس عليه مالم ينشر .

ـ في تناوله لتعليل استثناء ورش بابَ الإيواء عند قوله الشاطبي:

سوى جملة الإيواء والواو عنه إن

من باب الهمز المفرد: قال: فإن قيل: لِمَ اختصَّ ورش البدل في الهمزة المفردة بالتي في موضع الفاء دون التي في موضع العين واللام ؟

---

(١) الفرائد: ١٨٠ .

فالجوابُ: أن الهمزة الساكنة إذا كانت فاء يلزمها البدل في بعض التصاريف، وذلك في نحو : ءامن وأنا أؤمن، والأصل : أَأْمن وأُؤْمن، ولا يجوز أن تلتقي همزتان في كلمة واحدة عند العرب، فأبدلت بحسب الحركة التي قبلها، ولا يجوز أن يحققها أحد، فإذا لم تكن قبلها همزة أخرى، أبدلها ليجريَ البابُ كلُّه على طريقة واحدةٍ، كما قالوا : يعد، والأصل: يَوعِد، فحُذفت الواو؛ لوقوعها بين ياء وكسرة، ثم حملوا عليه تَعد ونَعد وأَعد، والأصلُ فيهن : تَوعد ونَوعد وأَوعد، ولم تقع الواوُ فيهن بين ياء وكسرة، فحذفوهن لتجريَ الواوُ التي هي فاءٌ في هذا الفعل الذي على فَعَل مَجرىً واحداً، وإن لم يكن فيهنَّ من العلة مافي يعد...

جـ ـ لهجات القبائل :

عند تناوله لتعليل مذهب تسهيل الهمزة الثانية من كلمة عند قول النَّاظم :

وتسهيلُ أخرى هَمزتين بكلمةٍ ... سما وبذاتِ الفتح خلفٌ لتجملا

وقل ألفاً عن أهل مصر تبدَّلت ... لورشٍ وفي بغداد يُروى مُسهَّلا

قال: وحجَّةُ مَن سهَّل الهمزة الثانية في هذا الباب: أن الهمزة على انفرادها مستثقَلَةٌ لبُعدِ مخرجها، ولذلك شُبهت بالتهوع، فلما لاصقتها همزةٌ أخرى، تأكد الثقل، فسهَّلَ الواحدة منهما لذلك، وسهَّلها بينَ بينَ، أي: بين الهمزة والحرف السَّاكن الذي يناسب حركتها؛ لقربها منه، وكان ذلك أولى من إبدالها؛ لأن فيه إبقاءَ بعض لفظها .

قال أبو عمرو : وهذه القراءةُ لغةُ قريش، وسعد بن بكر، وكنانة،

وعامةُ قيس، وهي الأكثرُ في كلام العرب[1]...

د ـ الشعر :

جاء في باب الهمزتين من كلمة عند قول الناظم :

وحقَّقها في فصلت صحبة ءأعْـ ـجمي والأولى أسقطن لتَسهُلا

قوله: وحجةُ مَن قرأ بهمزة واحدة أحدُ وجهين: إمَّا أن يكون حَذَفَ همزة الاستفهام اتكالاً على قرينة الحال، كما قال :

فوالله ما أدري وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان

يريد أبسبع، وكما قال الآخر:

تروح مع الحي أم تبتكر وماذا عليك بأن تنتظر

يريد : أتروح[2]...

هـ ـ الأمثال :

استشهد بها في أثناء شرحه لقول الشاطبي :

بنفسي مَن استهدي إلى الله وحده

قال: ومنها التحول من حال إلى حال، يقال: استنوق الجمل، واستتيست الشاة، واستنسر البغاث[3] ..

---

(١) الفرائد: ٩٨ .

(٢) الفرائد: ٢٣٨ .

(٣) الفرائد: ٩٤ .

و ـ أقوال العرب: (الأساليب والنماذج النحوية)

استشهد بها للمعتدّ بالعارض في الابتداء بـالمنقول إليه حركةُ همزة الوصل عند قول الشاطبي .

وتبدا بهمز الوصل في النّقل كلّه وإن كنتَ معتداً بعارضه فلا

قال: .. فالجوابُ: أنه اعتدّ بالحركة العارضةِ وجعلها في ذلك كاللازمة، والعربُ تفعل ذلك، ألا تراهم قالوا: لَحْمَر جاء، فيبدءون باللام المفتوحة وحركتُها عارضة، إنما هي حركةُ الهمزة نقلت إلى اللام[1]...

ز ـ ما جاء على الأصل:

نجده علّل بما جاء على الأصل في الخُلف الجاري في كلمة (السراط) عند قول الشاطبي :

وعند سراط والسراط لقنبلا

وحجةُ مَن قرأ السراط بالسين: أنه الأصل، وماجاء على الأصل، فلا سؤال فيه، والدليل على ذلك أنهم يقولون: سرطتُ الشيء أسرطه[2]، إذا ابتلعتَه، والسِّراط مأخوذٌ من ذلك؛ لأنه يبتلع سالكه، ولهذا يقال له : لقيم[3]..

---

(١) الفرائد: ٣١٦ .

(٢) بابه: فهِمَ .

(٣) الفرائد: ١٣٧ .

حـ ـ الحمل على المعنى:

نلمس ذلك عند تعليله لقصر « مالك » من باب البسملة :

قال: وحجةُ مَن قرأ بغير ألف ـ يعني ملك ـ أن فَعِلاً أعمُّ من فاعل؛ لأنه أحدُ أوزان المبالغة؛ لأنك تقول: مالك لمن ملَكَ أدنى شيء، ولا تقول: ملك إلا لمن ملك أشياءَ كثيرة، ولأنَّ كل مَلِك مالك، وليس كل مالك ملك[1]...

والشواهد الفرعية تنتظم فيما يلي:

أ ـ الحديث[2]:

احتج به للمبسملين بين السورتين وهم: قالون، والكسائي، وعاصم، وابن كثير: وذلك في قول الشاطبي :

وبسمل بين السورتين (بـ) سنة (ر)جال (نـ)موها (د)رية وتحملا

قال: وحجةٌ مَن أتى بالبسملة بين السورتين: السنة الواردة في ذلك عن النبي ﷺ؛ روى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: "أُنزلت عليّ آنفاً سورةٌ، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّا أعطيناك الكوثر﴾، حتى ختمها"[3].

---

(١) الفرائد: ١٣ .

(٢) الكلام على قصة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف أكتفي فيه بالإحالة على كتاب القياس للإمام العلامة الخضر حسين، فإنه سفر أغنى وأقنى، وانظر كذلك السير الحثيث للاستشهاد بالحديث (للفجال) .

(٣) الفرائد: ٤٧ .

ب ـ أقوال الفقهاء ومذاهبهم :

احتج بها عند حديثه عن البسملة التي في أول أم القرآن من حيث كونها آية أم لا. قال: أما التي في أم القرآن، فمذهبُ مالك وأصحابه أنها ليست بآية، ومذهبُ الشافعي وأصحابِه أنها آية[1].

وقال في موضع آخر قال: ورُوِيَ عن سعيد بن جبير أنه قال: كانوا في عهد النبي ﷺ لا يعرفون انقضاءَ السورة حتى تنزلَ بسم الله الرحمن الرحيم. يريد عند الشُّروع في أخرى[2]...

استنتاج :

نجد أن الاختلاف واردٌ بين منهجه في تناول أبيات التقدمة، ومنهجه في أبيات الأصول، لا أتكلم عن كيفية تناوله للمادة اللغوية أو العروضية، وإنما عن كيفية الاحتجاج وأدواته، وإعراب الأبيات .

ـ غلب عليه في الأول الاعتناءُ بالاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وأقوالِ اللصحابة، ومذاهبِ الفقهاء وأقوالهم، والاستئناسِ ببعض ماجاء في كتب التراجم والتفاسير، وكتبِ الأدب، يعقِّبُ هذا بإعراب وافٍ للبيت، لا يغادر فيه بيضاء ولا سوداء إلا أحصاها، كوجهته في قول الناظم : فأما أبو بكر ...[3]

ـ أما في أبواب الأصول:

(١) الفرائد: ٤٧ .

(٢) الفرائد ٤٧ .

(٣) الفرائد: ٢١ .

فمن الوجهة الإعرابية فإنه لم تطِّرد عنده فيه سنةٌ مؤكدة، ففي بعضها ما أعربَ البيتَ ولا شامَّهُ، كما فعل عند قول الناظم[١]:

وفي خمسة وهي الأوائل ثاؤُهَا وفي الصاد ثم السين ذالٌ تدخلا

وفي بعضها يعربُ إعراباً خفيفاً كفعله عند قول الناظم:

إذا ألـف أو ياؤها بعد كسرة أو الواو عن ضم لقي الهمزة طولا

وفي بعضها الآخر: يتعلل لعدم الإعراب بظهوره، كما فعل عند قـول الشّاطبي :

وعن حمزة في الوقف خلف وعنده

روى خَلَفٌ في الوصل سَكتاً مُقلَّلا

الأبيات الثلاثة، قال : وإعراب الأبيات الثلاثة ظاهر[٢].

ولا تكاد تطردُ عنده طرقُ الاحتجاج ولا التعبير عـن كيفيـة تقديمـه، فتارةً يقدِّمُ قانوناً بين يدي الاحتجاج .

وتارةً يقول: « وحجةُ » مضيفاً إياها، وعلى هذا النمـط سـائرُ ظواهـر الاحتجاج .

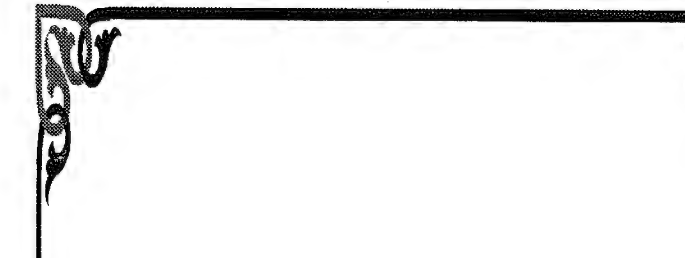
وتارةً يسميه توجيهاً كقوله : وإذا فرغنا من توجيه القراءات[٣].

---

(١) الفرائد: ١٢٥ .

(٢) الفرائد: ١٢٥ .

(٣) الفرائد: ٨١ .



الفصل الثاني

موقفه القرائي

وتحته مباحث:

١ ـ الانتصار للرواية .

٢ ـ استدراكه على بعض النحاة .

٣ ـ توفيقه بين مذاهب القراء والنحاة .

٤ ـ تنبيهه على بعض التناقضات .

المبحث الأول:

انتصاره للرواية وردُّه على مَن غلَّطها

انتصر المصنف لقراءة ابن ذكوان ﴿أرجئه﴾ بالهمز وكسر الهاء بعد ما غلطها أبو علي الفارسي وابن مجاهد.

قال أبو علي : ... رواية ابنِ ذكوان عن ابن عامر غلطٌ .

وقال ابن مجاهد بعد ما روى الكسرَ والهمز: هذا لا يجوزُ؛ لأن الهاء لا تُكسَرُ إلا إذا وقع قبلها كسرةٌ أوياء ساكنة ! .

قال : قلتُ: وجهُ قراءة ابن ذكوان أن نقولَ: كسرَ الهاءَ؛ لأنها بعد جيمٍ مكسورة، ولم يَفصلْ بينهما إلا ساكنٌ، وهو غيرُ حَصِين، ألا تراهم قالوا: قِنية، والأصل: قِنوة؛ لأنه من قنوتُ الشيء واقتنيتُه، فقلبوا الواو ياءً؛ للكسرة، وبينهما السَّاكن فلم يعتدوا به ...، قال: ونظائرُهُ كثيرة[1].

(١) الفرائد: ٢٠٣ .

المبحث الثاني:

استدراكه على بعض النحاة

وذلك في تعليلهم لبدل (ءالله)، قال عند شرحه لقول الشاطبي :

وإن همز وصل بين لامٍ مسكَّنٍ وهمزةِ الاستفهام فامدده مبدِلاَ

فللكلِّ ذا أولى ويقصـرُه الذي يُسـهلُ عن كل كالآن مُثِّلا

قلتُ: زعم بعض النحويين أنَّ قولهم: ءالله بـالبدل أن همـزة الوصـل حُذفت منه، وأن هذه الألفَ الموجودة غيرُ مبدلة من همـزة الوصـل، بـل حُذفت همزة كما حذفت في قولك : (استكبرتَ) على القياس .

ثم لما وقع التباسُ الاستفهام بالخبر، أدخلوا هـذه الألـف للفـرق كمـا يدخلونهـا ليفصلـوا بهـا بـين الأمثـال في نحـو : اضربنـان زيـداً، أدخلـوا لتفصلوا بها بين معنيين .

قال أبو الحسـين ابـن أبـي الربيـع: ويُبطـل هـذا القـول مـا روي مـن تسهيلها بين بين .

قلت: يظهر أن اختلافهم في هذه المسألة مبنيٌّ على اختلافهم في همزة الوصل، هـل اجتُلبـت متحركـةً، أم اجتُلبـت سـاكنة، أم اجتُلبـت ألفـاً ؟ وحين ابتدؤوا بها حرَّكوها فانقلبت همزةً .

فمَن قال: إنها اجتُلبت متحركة، قال تُسهَّل بين بين؛ لأنها لمـا تعـذَّرَ أن تحذفَ أثبتوها بمـا استحقته مـن الحركـة، إذ لا توجـد في الابتـداء إلا متحركة تركوها في الوصل بحركتها .

ومَن قال: إنما اجتُلبت ساكنة، قـال: تُبـدل ألفـاً؛ لأنهـا سـاكنة بعـد

فتحة نحو: رأس، وذلك أنها إنما تُحرك في الابتداء وليست هنا بالمبتدأة، وثبتت للفرق فأثبتوها كما جاؤوا بها .

ومَن قال: اجتُلبت ألفاً وحُركت حين الابتداء، يقول: ثبتت هنا ألف الوصل ساكنة غير متحركة؛ إذ لا ضرورة تدعو إلى تحريكها، فبقيت على حالها ألفاً .

المبحث الثالث:

توفيقه بين مذاهب القراء ومذاهب النحاة

قال في باب المد والقصر عند قول الشاطبي :

إذا ألف أو ياؤها بعد كسرة أو الواو عن ضم لقي الهمز طولا

واختلفَ القراءُ والنحويون في علة زيادة التمكين لحروف العلة إذا كان بعدها همزة، فأما ابنُ مجاهد وابنُ كَيسان فقالا: إنما وجب المدُّ لبيان الحرف الممدود؛ لأنه آتٍ بعد حركته فهو خفيٌّ، وقبل الهمزة وهي خفية لبعدِ مخرجها وصعوبةِ النطق بها، فلما لاصقت حرفاً خفياً، خِيفَ أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاءً، فبُيِّنَ بالمد ليظهر .

وقال القتبي وأبو إسحاق الزجاج وجماعةٌ: إنما وجب التمكين لبيان الهمزة، لا لبيان الحرف الممدود ؛ لأنها لبُعد مخرجها يَقوى الناطقُ عليها بزيادة المد قبلها، فكأن فيه ضرباً من الاستعداد لإخراجها .

قال أبو عمرو: والتعليلان على اختلافهما صحيحان .

قلت: وتظهر ثمرة الخلاف في نحو: ءامن؛ فمَن يُعلل بالعلة الأولى، يمدُّ هذا لملاصقة الهمزة لحرف المد، ومَن يُعلل بالثانية، لا يمدُّ؛ لأنَّ الهمزة قد نُطِقَ بها قبل الحرف الممدود، فلا يجري مده شيئاً فيها[1] .

---

(١) الفرائد: ٢٠٣ .

المبحث الرابع:

تنبيهٌ على بعض آراء القراء

١) في أثناء شرحه لقول الشاطبي :

خذ العفوَ وأمُرْ ثم من بعد ظُلمِهِ وفي المهد ثمَّ الخلد والعلم فاشملا

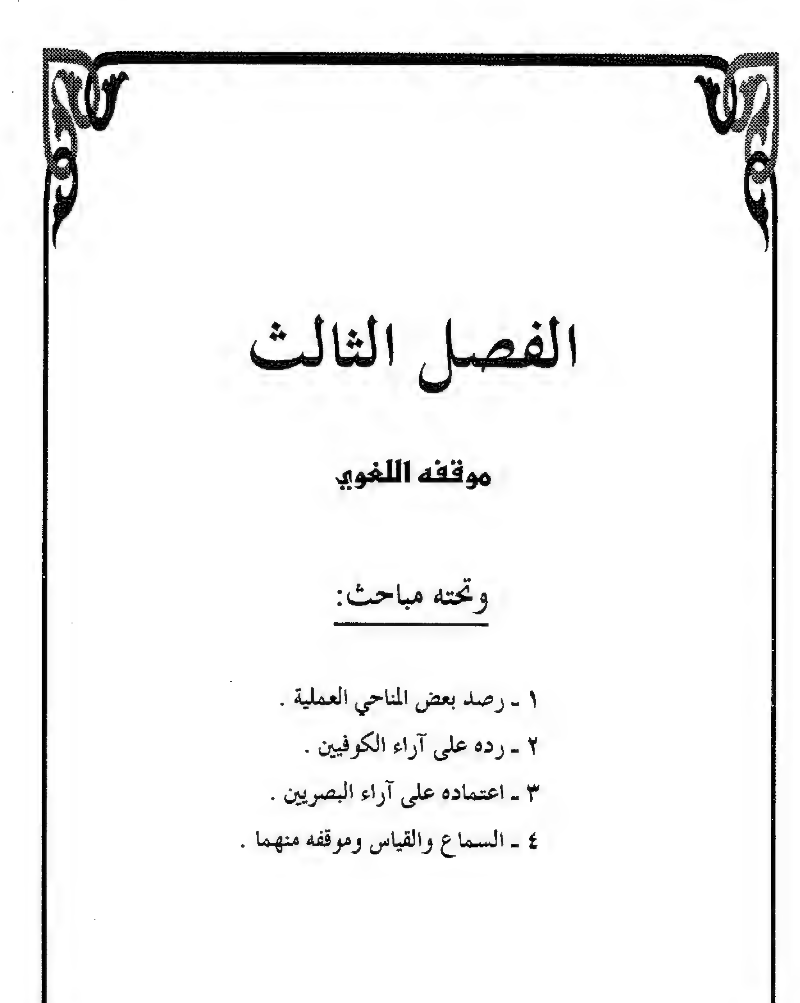
قلتُ: يجب أن يكون الإخفاءُ الذي يحكيه القراءُ في باب الادغام غير الروم؛ لأنهم لا يرُومُون الفتحة، وقد ذكروا أن نحو: ﴿خُذِ العفوَ وأْمُرْ﴾ ﴿وبَعدَ تَوكِيدَهَا﴾ خفَيَّان، وإن لم يكن كذلك، فهم متناقضون، والله أعلم[١].

٢) رده لرأي الفراء القائل بأن اشتقاق « ذئب » من ذاب يذوب، قال بعد أن احتج للاستثناء الوارد في « ذئب » : وليس ما يقوله الفراء أنه مشتقٌّ من ذاب يذوب بصحيح؛ لظهور الهمزة فيه في: ذئاب وأذؤب، وذؤبان[٢].

---

(١) الفرائد: ٧٧ .

(٢) الفرائد: ٢٩٩ .



الفصل الثالث

موقفه اللغوي

وتحته مباحث:

١ ـ رصد بعض المناحي العملية .

٢ ـ رده على آراء الكوفيين .

٣ ـ اعتماده على آراء البصريين .

٤ ـ السماع والقياس وموقفه منهما .

سأعرض في هذا الفصل لموقف الإمام ابن آجروم من اللغويات .

رصد منام عملية في الكتاب

أودُّ بادئ بُداءة أن أنبه على ما وقع للإمام السيوطي (رحمه الله) في ترجمته لابن آجروم في « بغية الوعاة » إذ خلع عليه رداء مذهب الكوفة بأدنى ملابسة، من ذلك قوله :

استفدنا من مقدمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو، لأنه عبَّرَ بالخفض وهوعبارتُهُم، وقال: والأمرُ مجزومٌ وهو ظاهرٌ في أنه معرَبٌ، وهو رأيُهم، وذكرَ في الجوازم كيفما، والجزمُ بها رأيُهُم، وأنكرَه البصريون فتفطّن .

قلتُ: إنَّ توظيف المصطلح واستعمالَه في بسط مادة اللغة، لا يعني التمذهب ولا التحيز إلى فئة، لأن المصطلح لا يكونُ حِكراً على نحلة من النِّحَل، لأنه موروثٌ فكري حضاري يمثل موازين التأسيس والتقعيد لحقبة نشوئه، ونحن إذ نتبنّاه إنما نفعل لنبلُوَهُ ونعيِّرَ به استمرارَ ودوامَ صرحِ تلكمُ اللغة التي اتمازَ بها من تعلق بأدق أسبابها .

لهذا فالعلامةُ ابنُ آجُرُّوم استعمل المصطلح الكوفي وغلب عليه، واستعمل في المقابل المصطلح البصري في غير المقدمة، من « الفرائد » و«البارع» ، ولديَّ منهما المادة الصالحة للعرض[1].

ـ أقول: وتفردَ الرأيُ الكوفي عنده بالذكر في غير ما محل، فمن الأمثلة

---

(١) سأتلو به هذا المبحث .

على ذلك: عند شرحه لقول الشاطبي :

وبالسُّوءِ إلا أبدَلا ثم أَدغَمَا   وفيه خلافٌ عنهما ليس مُقفَلا

بعد أن علَّلَ مذهب الإبدال والإدغام في الهمزة الأولى من ﴿بالسوء إلا﴾، ونقلِ الحركة والحذف، وهو وجهٌ لم يَقرأ به إلا أبو جعفر، ذكَرَ مذهب التسهيل بين بين، وقال: ومَن سهَّلَهَا بين بين أَجرَى الواو مُجرَى الألف، وهذا مذهبُ الكوفيين يُجرون الواوَ والياء الواقعَتَين قبل الهمزة مُجرَى الألف فيُسهلون الهمزة بعدهما بين بين، كما يسهلونها بعد الألف؛ لاشتراك الألف معهما في أنهما ساكنتان مثلها، وفي المد وأن حركة ما قبلهن من جنسهن[1] ..

ـ واستشهد بسماع الكوفيين من العرب بعد أن علقه بالصحة عند قول الشاطبي :

وقل ألفاً عن أهل مصرَ تبدَّلَت   لورشٍ وفي بغدادَ يُروَى مسَهَّلا

قال أبو عمرو: وحكى الكوفيون سماعاً عن العرب: التَقَت حلقَتَا البطان، وله ثلثا المال، بإثبات الألف وبيانها في حال الوصل .

قلتُ: إذا صحت حكاية الكوفيين فقراءة ورشٍ أقربُ؛ لأن الساكن فيما حكَوا من كلمتين .

قال أبو عمرو: ولم يقولوا ذلك ولم يُجيزوه إلا عن سماعٍ من العرب....[2]

---

(١) الفرائد: ١٠٩ .

(٢) الفرائد:٩٨ .

ـ وقال عند شرحه قول الناظم :

وقد أظهروا في الكاف يحزنْكَ كُفرُهُ

إذ النُّونُ تَخفَـــــى قبلها لتُجَمَّلا

حيث تكلم عن علة عدم إدغام نحو : ﴿ أنا نذير مبين ﴾ .

ثم قال : ... وإذا قلنا: الهمزة والنون والألفُ ثلاثتُهَا هي الضمير على مذهب أهل الكوفة، فوجهُ الإظهار بيِّن ..."[1]

ـ وقرَّبَ بين مذهب الكوفة ومذهب البصرة من غير ما ترجيحٌ بينهما، واستدرك عليهما، ومن الأمثلة على ذلك :

قوله: وما تتعلق به الباء في قولك : بسم الله الرحمن الرحيم، لا يجوز أن يقدَّرَ هنا بين الباءين إذ ليس المعنى عليه، ألا ترى أنك لو قدرتَه فعلاً على مذهب الكوفيين لكان التقديرُ: بدأتُ ببدأتُ باسم الله، وإنما بدأ باسم الله .

وكذلك لو قدرتَه على مذهب البصريين لكان التقديرُ: بدأتُ بابتدائي باسم الله .

إنما المعنى: بدأتُ بهذا اللفظ الذي هو بسم الله، وقد زال ذلك العاملُ وصارت الباءُ داخلة على بسم الله كدخولها على معمول مفرد ...[2]

ـ ووفَّقَ بين المذهبين وصحَّح طريقهما في التعليل، وأضاف لهما

---

(١) الفرائد: ٦٢ .

(٢) الفرائد: ٦ .

مذهباً ثالثاً، وذلك في وزن كلمة « أوَّل » حيث قال بعد أن أسهب في شرح كل مذهب[1]: فهذه المذاهب الثلاثة لكل واحد منها ما يشهد له بالصحة من كلام العرب .

فيشهد للمذهب الأول تركُ عدم التغيير؛ لأن في المذهبين تغييرَ الفاء والعين، وفي المذهب الأول قلبُ الفاء في « أولى » أبداً، وقلبُ العين في قراءة ﴿ عاداً الأُولى ﴾ .

ويشهد لصحة المذهب الثَّاني: قولهم أوائل وقراءة: ﴿ عاداً لُؤْلى ﴾ وفيه تغيرُ العين في « أول » لزوماً وتغيير الفاء في « أولى » أيضاً كذلك .

ويشهد لصحة المذهب الثالث: أولى، وفيه تغييرُ الفاء في « أول » والعين في ﴿عاداً لُؤْلى﴾ على قراءة من همز ...[2]

---

(١) الفرائد: ٣١٤-٣١٩ .

(٢) الفرائد: ٣١٩ .

المبحث الثاني:

رده على بعض آراء الكوفيين

ـ رده لرأي الكسائي القائل بأن (آل) أصله أول، تحركت الواو بعد فتحه فانقلبت ألفاً .

قال: وسيبويه لم يحكِ في تصغيره إلا الهاء، فلا بد أن يقال: إن آل أصله: أهل ولو كان الألف منقلباً عن واوٍ لما رُدَّ في التصغير إلى الهاء، وما قاله الكسائي لا دليلَ فيه[1].

---

(١) الفرائد: ١٥٩ .

(٢) الفرائد: ٢٩٩ .

المبحث الثالث:

اعتماده على آراء البصريين واستشهاده بها

أ ـ اعتماده على أن « فِعَل » لم يُثبته سيبويه في الصفات إلا في قولهم : قومٌ عِدَىً، وذلك عند احتجاجه لنقل (رِدْءاً) عند قالون، في أثناء مناقشته لرأي أبي جعفر في ذلك، قال: وأما من طريق اللفظ، فلا يخلو من أن يكون اللفظُ مقصوراً كـ(مِعىً) أو منقوصاً كـ(دم)، فلا يصحُّ أن يكون مقصوراً؛ إذ لم يثبت من كلام العرب: الرِّدَى كالمِعَى، ولا ورد قافيةً، ولا سُمِعَت إمالتُه، وأيضاً « فِعَل » لم يثبته سيبويه في الصفات إلا في قولهم: قومٌ عِدَىً، وزاد أبو علي : مكاناً سِوَىً [1].

ـ وكذلك فعل في أثناء احتجاجه لضم ميم الجميع مع كل متحرك، وأنها على الأصل في ذلك، قال: وذلك أنك إذا أردتَ اثنين زدتَ بعد الميم ألفاً، وإن أردت الجمع زدت واواً، قال سيبويه: و لم يفرقوا بالحركة، وبالغوا في هذا. يريد : أنهم لو فرقوا بين المثنى والمجموع بحركة الميم فيقولون مثلاً: أنتمَ وأنتمُ بفتح الميم في التثنية وضمها في المذكَّر، لكان فرقاً، لكنهم بالغوا في الفرق ففرَّقوا بالحركة، ثم أضاف إلى هذا التعليل تعليلَ أبي علي [2] ..

ـ وعضَدَ تعليله لنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها بكلام سيبويه

---

(١) الفرائد: ٣٢٤ .

(٢) الفرائد: ٥٥ .

قال: وهذا الذي قلناه يظهر من كلام سيبويه .

قال : واعلم أن كلَّ همزة متحركة كان قبلها حرف ساكنٌ، فأردتَ أن تخفف حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، وذلك قولك: مَنَ بُوك، ومَنَ مُّك، وكَمِ بِلُكَ، إذا أردت أن تخفف الهمزة في الأب والأم والإبل[1].

- واعتمده في بيان وزن « جِيد » أهو من فِعْل أو فُعْل، عند شرحه لقول امرئ القيس :

فأدبرْت كالجزعِ المفصَّلِ بينَه بجيد مُعَمٍّ في العشيرة مخوَلِ

قال : وجِيد يجوز أن يكون وزنه فُعْلاً وفِعْلاً ، فإن كان فُعْلاً فالضمة انقلبت كسرة لتصح الياء، وإن كان فِعلاً فالكسرةُ أصلية .

هذا على قول سيبويه، وهو عند الأخفش بالكسر لا غير[2].

قلتُ: فلم يخرج عن المدرسة في الاستشهاد .

- واعتمده في شرح كلمة (لبَّيك) وبيان حالها قال: ولبَّيك عند سيبويه مصدرٌ مثنى لا يظهرُ معه فعلُه أبداً نحو : سبحان الله[3].

- وعضد به رأيه في الاحتجاج للبدل في « أأنذَرتَهم » على أنه جاء على غير قياس، مع كونه صحيحَ النقل، وارداً عن العرب .

قال: قال سيبويه: وليس ذا بقياس مستتبٍّ، يريد البدلَ في نحو:

---

(١) الفرائد: ١٢٢ .

(٢) الفرائد: ١٣٣ .

(٣) الفرائد: ٣٣ .

أأنذرتهم .

قال : وإنما يُحفظ عن العرب كما يُحفظ الشيءُ الذي تُبدل التاءُ من واوُه نحو: أتلجت، فلا يُجعل قياساً في كل شيء من هذا الباب،وإنما هي بدلٌ من واو أولجت ...[1]

قلتُ: لم يكن هذا الحيز حيزَ إحصاءِ إفاداتِ المؤلف من معين البصرة أولِهِم وآخرِهِم، فقد تواترت نقولُه عن الخليل وسيبويه والأخفش وأبي علي وابن جني وغيرهم .

ولكني قبضتُ قبضة من أثر مسجِّلِ ريادتهم الإمامِ سيبويه نائباً عن الإسهاب .

وفي كل هذا لم أسجل في مقابل ردوده على آراء الكوفيين رداً لرأي البصريين، بل اعتمده وعضد÷، وزكى به مذهبه، مما يدلُّ على محاولة تحييزِ مذهبه النحوي، وتأطيره وإلحاقه بمذاهب البصرة، معتمداً في ذلك على ما سلف، ثم على ذهاب الرجل في التعليل والوصف مذهب السماع والقياس ؛ إذ هما أساسان للمدرسة البصرية .

---

(١) الفرائد: ٩٨ .

المبحث الرابع:

السماع والقياس وموقف المؤلف منهما

انتهاجاً لمهيع كلام النحاة عن أسس التقعيد في المدرسة البصرية، يتحتم الكلامُ عن أساسين من الأسس التي كانت دعامةَ التسطير والتنظيم للقاعدة النحوية نحواً وصرفاً ولغةً لدى هذه المدرسة هما: السماع والقياس بعد الوحيين .

إن من خصائص الأصول البصرية في جمهرة اللغة واستنباط القاعدة النحوية طرق تحملها: من شدة الاتكال على الموازنة، والاستقراء، والتحري، والتحفظ في النقل، والرواية عمَّن جُبلوا على الفصاحة وخُصوا بها و لم يُصهَروا في قوالب الحضارة، زيادةً على التثبت من صحة النقل عن هؤلاء الفصحاء الموثوق بعربيتهم (ولو كانوا أطفالاً ومجانين أو فتاكاً وصعاليك، لأن الجرحَ والتعديل لا ينطبق على الفصيح الذي قال، وإنما على الراوي والرواية، كما كانت الحال بالنسبة للقراءات القرآنية والأحاديث)[1].

---

(١) الأصول. حسان: ١٠٧ .

وإذا كانت طبيعة البحث عند النحاة الأوائل تستدعي جمهرةَ وحشدَ ما يمكن أن يُحشدَ من لهجات قبائل مترامية المعاقل، مقسمة الأطراف، إذ لا يمكن التأسيس على سماع جهةٍ من الجهات وحدها، فإن الأمر أفضى إلى وضع ضوابط تؤهلُ المسموع إلى أن يمثلَ قاعدة من القواعد، من ذلك الشيوعُ والاطراد،ونبذُ النادر والعزيز، وما عمَلُ سيبويه في الكتاب على الباحث ببعيد، فهو أنمُّ بمنهج المدرسة من زجاجة، فبأدنى إدراك يَرى الباحث تعامل سيبويه مع سماعاته من الأعراب مباشرةً أو بوساطته شيوخه، وكيفيةَ اختياره لما تظافرت فيه مدارجُ الفصاحة وصحةُ الثبوت.

و ... عندما[1] رأى النحاة كل هذا أو مثلَه كثيراً أجرَوا استقراءهم على أشكالٍ لغوية مختلفة باختلاف لهجات قيسٍ وتميمٍ وأسدٍ وطيئ وهذيل وكنانة، واستخرجوا معظمَ قواعدهم النحوية من هذه الأمشاج.

ـ نرجع إلى القياس ودوره في التغنِّي به عن الاستقراء الكامل لمفردات اللغة وأنماط لهجاتها .

إذا عرفنا أن القياس هو حملُ مجهول على معلوم، علمنا بعد ذلك

(١) أصول مدرسة البصرة: ٢٥٧ .

إمكانَ تتميم وتنمية المشروع النحوي وتوسيعه حتى يشمل أكبر عدد من أشكالٍ تركيبية ليست مما قالته العرب، ودائرةُ الحاجة والافتقار إلى استعمال أنماط كثيرة، مما تستدعيه سنة هذا الكائن الحي، أوسع من القصور عند ما قيل أو ما لم يُقَل .

قال ابن جني[1] في معرض حديثه عن القياس:

« ... ألا ترى أنهم يقولون في وصايا الجمع: إن ما كان من الكلام على فَعْل فتكسيره على أفعُل،ككَلْب وأَكْلُب ...، وما كان على غير ذلك من أبنية الثلاثي فتكسيرُه في القلة على أفعال نحو : جَبَل وأجبال، وعُنُق وأعناق ... قال : فليت شعري هل قالوا هذا ليُعرَف وحدَه، أو ليُعرف هو ويُقاسَ عليه غيرُه .

قلتُ: فبالقياس يُصاغُ المضارعُ والمصادرُ وأسماءُ الفاعلين وغيرُ ذلك بالحمل على النظير .

قال ابن جني[2]: وكذلك قولهم : إن كان الماضي على فَعُلَ فالمضارع منه على يَفْعُل، فلو أنك على هذا سمعتَ ماضياً على فَعُل، لقلتَ في مضارعه: يَفعُل، وإن لم تسمع ذلك، كأن يسمعَ سامعٌ ضؤل، ولا يسمع

(١) الخصائص ٣/٤٠-٤١ .
(٢) المرجع السابق .

مضارعه، فإنه يقول فيه: يضْؤُل وإن لم يسمع ذلك، ولا يحتاج أن يتوقف إلى أن يسمعه ...الخ

والذي أُوثرُه بالحديث هنا هو أثرُ البصريين في صنعة ابن آجُرُّوم والأخذِ بمهايع كلامهم في استعمال السماع والقياس وريادة السماع عند التقابل، عمَلاً برأي ابن جني وشيخِهِ أبي علي .

ففي المنصف[1] قوله : ... إلا أن الاستعمال إذا وردَ بشيء، أخذَ به وتركَ القياس؛ لأنَّ السماعَ يُبطلُ القياس .

قال أبو علي: لأن الغرض فيما ندوِّنُهُ من هذه الدووايـن، ونُثبتُهُ من هذه القوانين، إنما هو ليلحقَ مَن ليس من أهل اللغة بأهلها، ويستوي من ليس بفصيح ومَن هو فصيح، فإذا ورد السماعُ بشيء، لم يبقَ غرضٌ مطلوبٌ، وعُدِلَ عن القياس إلى السماع .

قلتُ: سرَى ابن آجروم على هذا المسرى في تعليله لـ ﴿مَالِيَه هَّلَكَ﴾ وما جرى فيها من خلافٍ حول إدغامها وإظهارها، حيث يرى أن إدغامَها قياسٌ عضَده بمقتضى أصول كلام العرب الذي أُنزِل القرآن بها، وفزِعَ إلى تشنيع القول بالإظهار، وعلّله بكونه لم يثبُت عن العرب مثله .

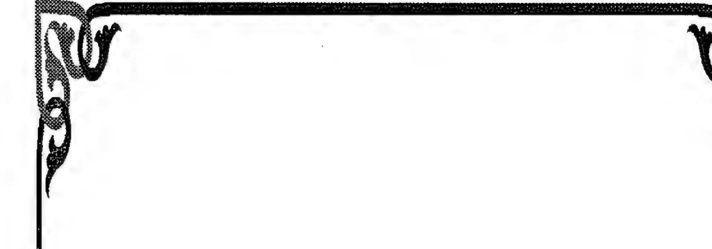
---

(١) المنصف ١/٢٧٩ .

قال: الذي يقتضيه القياسُ في ﴿ مَالِيَه هَّلَكَ ﴾ الإدغامُ لكل مَن أثبت الهاء في الوصل، وهو الذي تقتضيهُ أصولُ كلام العرب الذي أُنزِل القرآن بها .

وأما الإظهارُ فشيءٌ لم يثبت من كلام العرب، وكلامُ المقرئين يقتضي أن الإظهار عندهم غيرُ مأثور عن النبي ﷺ ، وإنما هو نظرٌ منهم، فلا يُرجعُ إليه؛ لمخالفته كلامَ العرب وأسلوبَ فصاحتها، والله أعلم .

آثرتُ هذا المثال، والمتتبعُ لعمل المؤلف يرى أنه على هذه النِّحلة من الرأي والقول .



الفصل الرابع

المصطلح النحوي في عمل المؤلف

ويَنقسم إلى:

١ ـ مصطلحات بصرية .

٢ ـ مصطلحات كوفية .

٣ ـ مصطلحات توفيقة .

من البدهي المسلَّم أن لكل حقلٍ معرفيٍّ مصطلحات تُعتمَدُ للتواصل في النقل والمناظرة، وكان نصابُ الحقل اللغوي من أوفى الأنصبة متمثلاً في نتاج مدرسة البصرة ثم مدرسة الكوفة على التوالي، معتمدتين في ذلك زعامة المؤسس الأول الخليل بن أحمد، وسَننهُ ومنهاجه يخص ذلك بشكل عام: اللغة في ضبط مادتها، والنحو في أشكال دلالته وتراكيبه، والصرفَ في تقاليب أوزانه وتعليلاته، ووصفَ ورصدَ أصواته .

استمدت مدرسة البصرة كمال وإحاطة حدودها وتعريفاتها التي تؤلِّفُ مقاصدها اللغوية من معادن الخليل، وكذلك فعلت مدرسةُ الكوفة، أفادت ثم أبدعت، فجاءت المصطلحات على ثلاثة أنماط :

١ـ مصطلحات بصرية خاصة .

٢ـ مصطلحات كوفية خاصة .

٣ـ مصطلحات بصرية كوفية مقسمةَ التعبير، موحدة المقصد[1].

والمؤلف (رحمه الله) كان من رواد الأنماط الثلاثة، وهذه نماذجُ من استعمالاته .

١ ـ عبر بالعطف[2] وهو مصطلحٌ بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (النسق) .

---

(١) لست الآن بصدد ذكر التفصيلات ولتنظر في الإنصاف وائتلاف النصرة ومدرسة الكوفة .

(٢) الفرائد ٣٨ .

٢ ــ عبر بالتمييز[١] وهو مصطلح بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (التفسير) .

٣ ــ عبر بالحال[٢] وهو مصطلح بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (القطع).

٤ــ عبر بالضمير[٣] وهو مصطلح بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (الكناية) .

٥ــ عبر بالصفة[٤] وهو مصطلح بصريٌّ، يقابله عند الكوفيين (النعت).

٦ـ عبر بالنعت[٥] وهو مصطلحٌ كوفيٌّ، يقابله عند البصريين (الصفة).

٧ ــ عبر بالكناية[٦] وهو مصطلح كوفيٌّ، يقابله عند البصريين (الضمير).

٨ـ عبر بالنصب[٧] وهو مصطلحٌ مشتركٌ، وهو عند الكوفيين للمعرَب والمبني، أما عند البصريين فهو للمعرَب فقط .

٩ـ عبر بالخفض[٨] وهو مصطلح كوفيٌّ، يقابله عند البصريين (الجر).

---

(١) الفرائد: ١٤١ .
(٢) الفرائد: ١٤ .
(٣) الفرائد: ٦٢ .
(٤) الفرئد: ٢ .
(٥) الفرائد: ٢ .
(٦) الفرائد ٧٨ .
(٧) الفرائد: ٨٠ .
(٨) الفرائد: ٨٠ .

١٠ ـ عبر بالجزم[1] وهو مصطلحٌ مشترك، فهو عند الكوفيين للمعرَب والمبني، وعند البصريين للمعرَب فقط .

ـ هذا العرضُ الموجز لاستعماله للمصطلحين، قد يُضيفُ لُحمَةً في طريقي إلى بصرية المؤلف، وعلى الله قصد السبيل .

---

(١) الفرائد: ١١٩ .



البابُ الثّالث

وتحته فصلان:

١ ـ الشاطبية: شروحها، وطرقها .

٢ ـ موقف المصنف من القصيـد .



الشاطبية

طرقها، وشروحها

طرق الشاطبية وشروحها

لما كان مدارُ هذا التأليف على فكِّ غوامض الشَّاطبية، وَجَبَ أن أُلمحَ بشيء من مقاصدها:

لقد رام النَّاظمُ رحمه الله اختصار كتاب « التيسير » لأبي عمر الداني (ت٤٤٤ هـ) الذي كان منارَ الاهتداء، لمراكب القرَّاء في عُدوة الأندلس، فنظمَ فيه ما اختصره، ونشرَ في ألفافه ما اعتبره، فجاء على ما قال:

وفي يُسرِها التيسيرُ رُمتُ اختصارَها
فأَجْنَتْ بِعَونِ الله منه مُؤَمَّلا

وقال:

وألفافُهَا زادَتْ بنشرِ فوائدٍ فَلفَّتْ حَياءً وَجهَهَا أن تُفَضَّلا

قلتُ: نشرَ فيها الخُلف القرائي أصولاً وفرشاً بين الأئمة السبعة ورواتهم، على ما سنرى في الشَّرح، ولكن الذي يهمني هو التنبيهُ على طرُق هؤلاء الرواة الذين لم يُعرِّجْ عليهم النّاظمُ اتكالاً على ما في أصله الذي هو « التيسير »، وكان لا بد من الإشارة إليهم، إذ يتحتم على كل آخذِ روايةٍ من الروايات جمعاً أو إفراداً أن يعرفَ المتن أو الكتاب الذي قرأ بمضمَّنه، وأن يعرفَ طُرُقَه ليسلَمَ من التركيب والخلط، ورَوماً للاختصار فإني أسوقُها منظومةً فريدةً، نظَمَهَا الأفراني في مقصورته قال:

دونَكَها عيسى لـهُ أبو نشِيطُ أرزقٌ لـورشِهِم قد انتَمَى
لأحمَـدَ الـبزِّي أبو ربيعَة لـقُـنبُلٍ ابن مجاهدٍ قَـفَى
روَى أبـو الزعراء عن دُورِيِّهم عن صالح ابنُ جـريـر يُجتَلَى
فعن هشامٍ قد روى حُلوانهم وأخفش لنجل ذكـوان رَوَى
يحيى بنُ آدم طريقُ شُـعبة حفـصُهم عُبيدُ صـبَّاحٍ لَقَى
عن خلفٍ إدريسُ قُلْ خلاَّدُهم عـنه ابن شـاذانَ إمـامُ العُلَمَـا
محـمَّـدٌ عن ليثهم وجعفرٍ أعني النَّصيبي للدورٍ قد مَضَى[1]

---

(١) وللتوسع ينظر التيسير - والغيث: ١٦ .

شروح الشاطبية:

تواضع الأئمة القراء على اصطلاحٍ ذي ثلاث شعب (القراءة ـ الرواية ـ الطريق) أنيط على الترتيب بأحيازها لتنماز به سبل الأسانيد في مهيع رسوم المروي المتصل .

فجعلوا القراءة للإمام (البدر) .

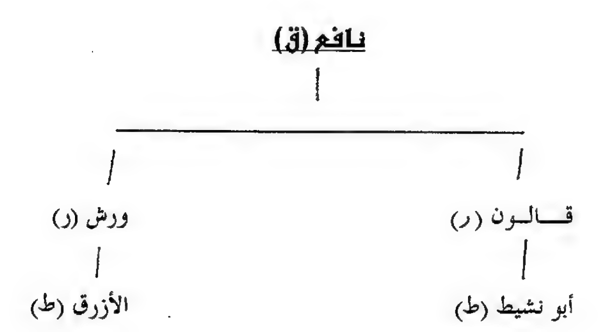
والرواية للقارئ (الشهاب) .

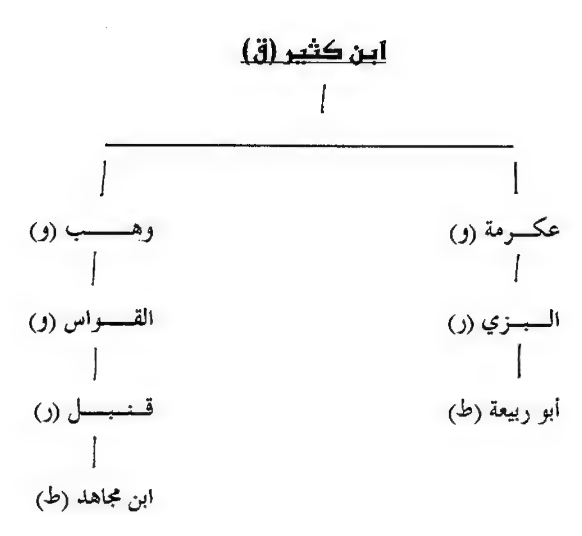
والطريق للآخذ عن القاري .

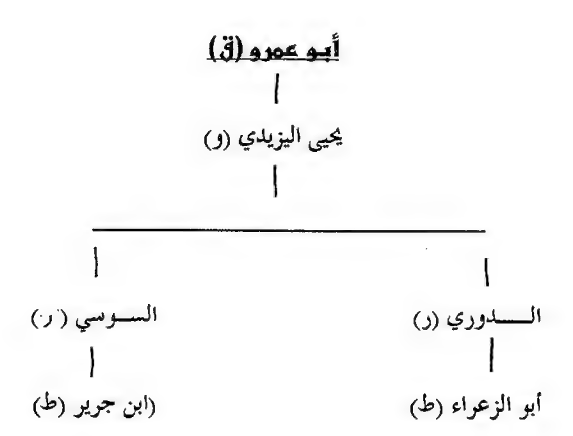
فنقول مثلاً: قراءة نافع، ورواية ورش، وطريق الأزرق .

أو نقول تصعداً: الأزرق عن ورش عن نافع، وهذا تمثيل بالجزء على الكل.

وهذا رسم بياني يُجلي وضع أصحاب القراءة وأصحاب الرواية وأصحاب الطريق، وقد اخترت حرف (ق) ليدل على صاحب القراءة، وحرف (الراء) ليدل على صاحب الرواية، وحرف (الطاء) ليدل على صاحب الطريق، وعلى العلم بأن هذه الأسانيد فيها المباشر وغير المباشر، فما كان منها مباشراً، تركته على أصله، وما كان منها غير مباشر، بينت موسِّطه في الإسناد، واخترت له حرف (واو) ليدل عليه :


نافع (ق)
قالون (ر)
ورش (ر)
أبو نشيط (ط)
الأزرق (ط)


ابن كثير (ق)
عكرمة (و)
وهب (و)
البزي (ر)
القواس (و)
أبو ربيعة (ط)
قنبل (ر)
ابن مجاهد (ط)



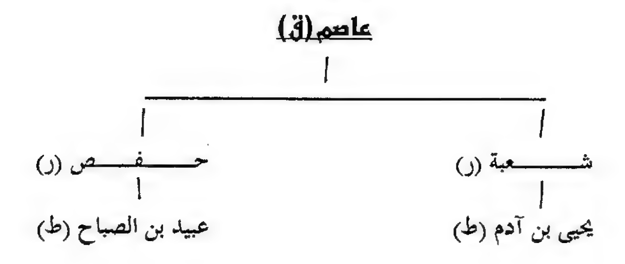
ابن عامر (ق)

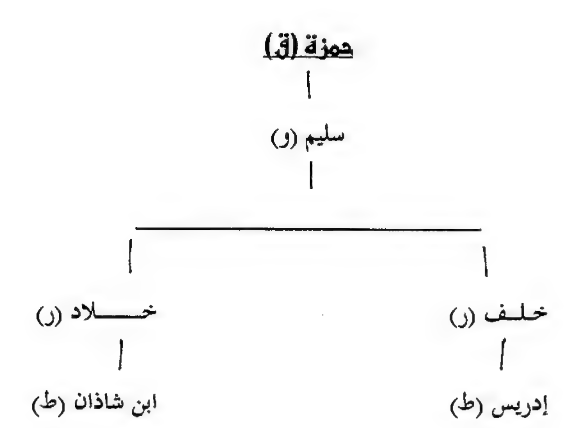
يحيى الذماري (و)

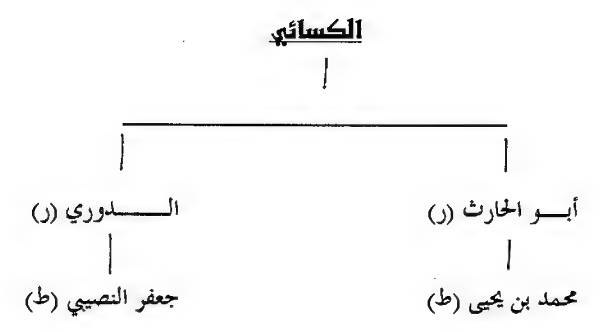
عراك (و) | أيوب التميمي (و)

هشام (ر) | ابن ذكوان (ر)

الحلواني (ط) | الأخفش (ط)




حمزة (ق)
سليم (و)
خلف (ر)
خـــلاد (ر)
إدريس (ط)
ابن شاذان (ط)


الكسائي
أبـــو الحارث (ر)
الــــدوري (ر)
محمد بن يحيى (ط)
جعفر النصيبي (ط)

شروح الشاطبية:

وهذا عرضٌ لشُروح الشَّاطبية مرَتَّبٌ حسب الوفيات إن أمكنني، تحاشيتُ فيه ذكر الحواشي والتعليقات والشروح التي لم تتم.

١ ـ علي بن محمد، أبو الحسن السخاوي فتى الشاطبي وهو أول من شرحها[١]، وفتح وصيدها، عنوان شرحه: (فتح الوصيد في شرح القصيد). توفي السخاوي (سنة ٦٤٣ هـ).

٢ ـ عبد الرحمن بن إسماعيل، أبو القاسم المعروف بابن الحداد (ت في حدود ٦٢٥) بمراكش قرأ على الشاطبي، قال ابن الجزري: ويحتمل أن يكون هو أول من شرحها[٢].

٣ ـ محمد بن محمود شمس الدين السمرقندي (ت في القرن ٧ هـ)[٣].

٤ ـ أحمد بن علي بن محمد، أبو العباس (ت في نحو ٦٤٠ هـ)[٤].

٥ ـ منتجب الدين حسين بن أبي العز الهمداني (ت ٦٤٣ هـ) اسم شرحه: «الدرة الفريدة في شرح القصيدة».

٦ ـ محمد بن الحسن بن محمد، أبو عبد الله الفاسي (ت ٦٥٦ هـ) واسم شرحه: «اللآلي الفريدة في شرح القصيدة»[٥].

---

(١) انظر كلام ابن الجزري في الغاية ٣٦٦/١ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه ٢٦٠/٢ .
(٤) التكملة ١٢٢/١ .
(٥) الغاية ١٢٣/٢ .

٧ ـ محمد بن أحمد بن محمد الموصلي (شعلة) (ت ٦٥٦ هـ) شرحه «كنز المعاني»[١].

٨ ـ محمد بن علي بن موسي أبو الفتح الأنصاري الدمشقي (ت٦٥٧هـ)[٢].

٩ ـ علم الدين القاسم بن أحمد اللورقي، أبو محمد الأندلسي (ت٦٦١هـ) وشرحه: «المفيد في شرح القصيد»[٣].

١٠ ـ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة (ت٦٦٥ هـ) وشرحه «إبراز المعاني»[٤].

١١ ـ علي بن يعقوب بن شجاع أبو الحسن الموصلي المعروف بالعماد (ت٦٨٢هـ)[٥]

١٢ ـ علاء الدين بن أحمد (ت ٧٠٦ هـ)[٦].

١٣ ـ جعفر بن مكي أبو موسى الموصلي (ت ٧١٣ هـ)[٧].

١٤ ـ علي بن يوسف بن حريز أبو الحسن اللخمي (ت٧١٣هـ)[٨].

١٥ ـ علي بن محمد عبد الحق أبو الحسن الزرويلي المعروف

---

(١) الغاية ٢/٨١ .

(٢) معرفة القراكبار ٢/٥٣٤-٥٣٥ .

(٣) الغاية ٢/١٥٦ .

(٤) معرفة القراء الكبار ٢/٥٣٧-٥٣٩ .

(٥) الغاية ١/٥٨٤-٥٨٥ .

(٦) كشف الظنون ١/٦٤٨ .

(٧) الغاية ١/١٩٨ .

(٨) الغاية ١/٥٨٥ .

(بالصغير) (ت٧١٩هـ)[١].

١٦ ـ محمد بن محمد بن داود الصنهاجي أبو عبد الله المعروف بابن آجروم (ت٧٢٣ هـ) شرحه: « فرائد المعاني »[٢].

١٧ ـ يوسف بن أبي بكر بن خطيب (ت ٧٢٥ هـ)[٣].

١٨ ـ أحمد بن محمد بن عابد الولي بن جبارة المقدسي، أبو العباس (ت٧٢٨هـ) شرحه: « المفيد في شرح القصيد »[٤].

١٩ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن عبد الملك القيرواني (ت في حدود سنة ٧٣٠ هـ) شرحه: « تذهيب الأمنية في تهذيب الشاطبية »[٥].

٢٠ ـ إبراهيم بن عمر بن إبراهيم أبو إسحاق الجعبري، برهان الدين (ت٧٣٢ هـ) شرحه: « كنز المعاني »[٦].

٢١ ـ محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن عبد الخالق أبو عبد الله المقدسي (ت٧٤٩هـ)[٧]

٢٢ ـ أبو بكر الشمسي المعروف بابن الجندي (ت ٧٦٩ هـ) شرحه: «الجوهر النضيل»[٨].

٢٣ ـ عباد بن أحمد أبو الفضل الحسني كان حياً في (٧٠٤ هـ)

---

(١) الاستقصا ١٧٨/٣، وقد ضبطها الناصري بالتصغير .

(٢) المؤلف صاحبنا .

(٣) فهرس الخزانة الحنفية ١٤٠/٦ .

(٤) الغاية ١٢٢/١ .

(٥) هدية العارفين ١٠٧٣/١ .

(٦) معرفة القراء الكبار ٥٩١/٢ .

(٧) الغاية ٢٨٢/٢-٢٨٣ وقد فات د. حميتو .

(٨) الغاية ١٨٠/١ .

شرحه: «كاشف المعاني»[١].

٢٤ ـ عبد الرحمن بن السيد عبد المحسن الأنصارى الواسطي أبو الفرج المقري (ت ٧٣٤ هـ)[٢].

٢٥ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الدقوقي (ت ٧٣٥ هـ)[٣].

٢٦ ـ هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم البارزي الحموي (ت٧٣٨هـ) شرحه: «الفريدة البارزية في حل الشاطبية»[٤].

٢٧ ـ الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي (ابن أم قاسم) (ت٧٤٩هـ)[٥].

٢٨ ـ عمر بن عثمان كان حياً سنة (٧٢٣)[٦].

٢٩ ـ أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود أبو العباس المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) شرحه: «العقد النضيد في شرح القصيد»[٧].

٣٠ ـ محمد بن عمرو بن علي العمادي فرغ من تأليفه (٧٦٢) شرحه: «مبرز المعاني»[٨].

٣١ ـ حمزة بن عبد الله (ت ٧٦٧ هـ) شرحه: «جامع القواعد»[٩].

---

(١) الفهرس الشامل ١/٢٣٩ .
(٢) هدية العارفين ١/٥٢٦ .
(٣) الغاية ١/٣٦٣ .
(٤) الغاية ٢/٣٥١ .
(٥) الغاية ١/٢٢٧ .
(٦) الفهرس الشامل ١/١٧٤ .
(٧) الغاية ٢/٣١٠ ، يحققه الآن الزميل أيمن سويد بإشراف الدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم، بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى .
(٨) إيضاح المكنون ٣/٤٢٤ .
(٩) الفهرس الشامل ١/٢٨٧ .

٣٢ ـ محمد بن جمال الدين بن أحمد الديباجي أبو عبد الله (ت٧٧٤هـ)[١].

٣٣ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن علي البغدادي يقال له الواسطي (ت٧٨١هـ)[٢]

٣٤ ـ أحمد بن ربيعة بن علوان الدمشقي: (ولد سنة ٧٣٥ تقريباً)[٣].

٣٥ ـ علي بن عثمان بن محمد ابن القاصح (ت٨٠١ هـ) شرحه: «سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرى المنتهي»[٤].

٣٦ ـ شرف الدين صدقة بن سلامة بن الحسين، تاريخ كتابته (٨٣٠هـ)[٥].

٣٧ ـ محب الدين محمد بن محمود بن النجار أبو عبد الله البغدادي (المتوفى سنة ٨٤٣ هـ)[٦]

٣٨ ـ شهاب الدين أحمد بن أسد بن عبد الواحد أبو العباس المعروف بابن أسد (المتوفى سنة ٨٧٢)[٧].

٣٩ ـ شمس الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (المتوفى سنة

---

(١) هدية العارفين ٢/١٦٦ .

(٢) له شرحان على الشّاطبية. الغاية ١/٣٦٤ .

(٣) الغاية ١/٥٣ .

(٤) مطبوع متداول بهامشه (غيث النفع للسفاقسي) .

(٥) إيضاح المكنون ١/٤٠٠ .

(٦) كشف الظنون ١/٦٤٨ .

(٧) هدية العارفين ١/١٣٣ .

٨٩٣)[١].

٤٠ ـ زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر العيني (ت ٨٩٣) شـرحه: « حل الشاطبية »[٢].

٤١ ـ أحمد بن يوسف بن محمد شهاب الديـن المصطفـي الحصكفـي الحلبي المتوفى (ت٨٩٥)[٣].

٤٢ ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى (ت ٩١١ هـ)[٤].

٤٣ ـ علي بن ناصر الحجازي المكي (كان حيـاً في سنة ٩١٦ هــ) شرحه: « الدرة المضيئة »[٥].

٤٤ ـ أحمد بن محمد بـن أبـي بكـر شـهاب الديـن أبـو العبـاس (ت ٩٢٣ هـ) شرحه: « الفتح الداني »[٦].

٤٥ ـ عبد الله بن محمد الحسيني (ت ٧٧٦ هـ)[٧].

٤٦ ـ الشيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى (ت ٩٥١ هـ)[٨].

٤٧ ــ جمـال الديـن حسين بـن علـي الحصـني (ت بعـد ٩٦٠ هــ)

---

(١) كشف الظنون ١/٦٤٦ .

(٢) الفهر الشامل ١/٤٤٠ .

(٣) هدية العارفين ١/١٣٦ .

(٤) كشف الظنون ١/٦٤٨ .

(٥) الفهرس الشامل ٢/٤٥٥ .

(٦) قال القسطلاني في الفتح المواهبي: ٨٤: وقد كتبت عليها توضيحاً مسـايراً لهـا مبينـاً لبعض ما فيها من معاني المباني، كافلاً من أعـاريب قراءاتهـا بغـرر وجـوه التهـاني، وسميته بـ(الفتح الداني من كنز حرز الأماني) نفع الله به كما نفع بأصله .

(٧) كشف الظنون ١/٦٤٩ .

(٨) الفهرس الشامل ٢/٤٨٤ .

شرحه: «الغاية»[١].

٤٨ ـ محمد بن حسام دده الحنفي (ت بعد ٩٨٦ هـ) شرحه: « المعين »[٢].

٤٩ ـ أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي (ت ٩٩٨ هـ)[٣].

٥٠ ـ شمس الدين حمد بن أحمد الغساني أبو عبد الله (من القرن العاشر الهجري) شرحه: « العقد النضيد »[٤].

٥١ ـ الملاّ علي بن سلطان بن محمد القاري (ت ١٠١٤ هـ)[٥].

٥٢ ـ محمد السوسي أبو القاسم المغربي (ت ١٠٣٨ هـ)[٦].

٥٣ ـ علي بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الجمال (ت ١٠٤٤ هـ) شرحه: « الدر النضيد في مأخذ القراءات من القصيد »[٧].

٥٤ ـ عبد الرحمن بن القاضي أبو زيد المكناسي (ت ١٠٨٢ هـ)[٨].

٥٥ ـ أحمد المغنيساوي. ت في حدود ١٠٩٠ هـ) شرحه: « إظهار المعاني»[٩].

---

(١) كشف الظنون ٦٤٧/١ .

(٢) الفهرس الشامل ٤٨٩/٢ .

(٣) الفهرس الشامل ٤٩٣/٢، وقد نقل عنه الجمزوري في الفتح الرحماني.انظر ص:٤٠.

(٤) الفهرس الشامل ٤٩٤/٢ .

(٥) الفهرس الشامل ٥٠٢/٢–٥٠٤، وذكر له ناصر الدين الأسد شرحاً لعله غير هذا انظر ٥٠١/٢ .

(٦) شجرة النور الزكية: ٢٩١ .

(٧) إيضاح المكنون ٤٥٣/١ .

(٨) الفهرس الشامل ٥٢٥/٢ .

(٩) القراءات القرآنية ص: ٤٤ .

٥٦ - محمد بن داود بن سليمان (ت ١٠٩٨ هـ) شرحه: «الدرة الفريدة»[١].

٥٧ - عمر بن عبد القادر الأرمنازي (ت ١١٤٨ هـ) شرحه: «الإشارات العمرية»[٢].

٥٨ - الشاوي أبو القاسم المعروف بابن درى (ت ١١٥٠ هـ)[٣].

٥٩ - جلي الطنتدائي شرحه: «الفيض الرباني»[٤].

٦٠ - محمد بن علي بن علون الدمشقي (كان حياً في سنة ١١٧٢ هـ) شرحه: «الفوائد السنية»[٥].

٦١ - سليمان بن حسين الجمزوري أنهاه في سنة (١١٩٨ هـ) شرحه: «كنز المعاني»[٦].

٦٢ - عبد الله بن أبييه الديماني الشنقيطي (ت ١٣٢٨ هـ)[٧].

٦٣ - أحمد بن محمد الحاجي الشنقيطي (ت ١٣٥١ هـ)[٨].

٦٤ - علي بن محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ) شرحه: «إرشاد المريد»[٩]، وله: «الشرح الكبير»[١٠].

---

(١) لفهرس الشامل ٢/٥٣٠ .

(٢) الفهرس الشامل ٢/٥٨٣ .

(٣) إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ٥/٥٣٦ .

(٤) أعلام الدراسات القرآنية د. مصطفى الصاوي: ٣٣٨ .

(٥) قراءة الإمام نافع ص: ١٢٠٨ . رسالة غير مطبوعة .

(٦) الفهرس الشامل ٢/٦١٨-٦٢٠ .

(٧) قراءة الإمام نافع ص: ١٢٠٩ .

(٨) المصدر السابق .

(٩) الشرح نفسه، وانظر ترجمته عند الزركلي في الأعلام ٥/٢٠، وقد وهم وسماه الصباغ .

٦٥ ـ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (ت ١٤٠٣ هـ) شرحه: «الوافي»[(١)].

٦٦ ـ إبراهيم المغربي[(٢)].

٦٧ ـ محمود بن صبغة الله[(٣)].

وهذه شروحٌ لم تعرف أصحابها:

٦٨ ـ الوجيز[(٤)].

٦٩ ـ جامع الفوائد[(٥)].

٧٠ ـ تبصرة المستفيد[(٦)].

٧١ ـ اللآلئ الجلية[(٧)].

٧٢ ـ المحصي[(٨)].

٧٣ ـ الصيرفي[(٩)].

٧٤ ـ النكت المفيدة[(١٠)].

٧٥ ـ عرض الأماني[(١١)].

---

(١٠) انظر هداية القاري لشيخنا المرصفي رحمه الله ص: ٢٩٠ .

(١) الشرح نفسه .

(٢) الفهرس الشامل ٢/٦٩٢ .

(٣) الفهرس الشامل ٢/٦٧٥ .

(٤) كشف الظنون ١/٦٤٩ .

(٥) كشف الظنون ١/٦٤٩ .

(٦) كشف الظنون ١/٦٤٩ .

(٧) كشف الظنون ٢/١٣٣١ .

(٨) كشف الظنون ١/٦٤٩ .

(٩) كشف الظنون ٢/١٣٢٠ .

(١٠) الفهرس الشامل ٢/٧٨٧ .

(١١) الفهرس الشامل ٢/٧٥٢ .



الفصل الثّاني

موقف المصنف من القصيد

وتحته مباحث:

١ ـ إعادة الترتيب .

٢ ـ ما يمكن التغني عنه .

٣ ـ الاستدراك والاقتراح .

٤ ـ المناصرة والمعاضدة .

تمهيد:

تغور طبيعة الأناسي دون الكمال فيما قارفته من أعمال نقلية كانت أو عقلية، وإن ناشدته، ويدركها الخطأ والخطل، وإن بعّدته، لهذا وذاك آن لنا أن نقول: كم ترك الأول للآخر، ومن ثم فإن هذا الناموس الفطري حل من الناظم محل الرضى إذ يقول:

وإن كـــــان خرقٌ فادَّرِكْهُ بفضلة

من الحلم وليُصْلِحْهُ مَن جَادَ مِقْوَلا

لذا يتعين على القارئين في النصوص قديمها وحديثها أن يقدموها فُقّاعاً يروي الواردين .

فما كان من المؤلف (رحمه الله) إلا أن نصح لما بين يديه من عمل، فتراه في مدارج النظيم بين الرفض والفرض، والفتق والرتق، استخرجت من ذلك كله مباحث أربعة، يدور حولها صنيعه بالقصيد:

أولاً: إعادة الترتيب.

ثانياً: ما يمكن الاستغناء عنه.

ثالثاً: الاستدراك والاقتراح.

رابعاً: المناصرة والمعاضدة للناظم ضد المخالف.

ولنضرب مثلاً لكل مبحث قصد التوضيح:

مثال المبحث الأول:

عند حديثه عن قول الناظم رحمه الله:

وقبل وبعد الحرف أتى بكل ما   رمزتُ به في الجمع إذ ليس مُشكِلا

يقول: إنَّ الرموز الموضوعة لاجتماع القراء، وهي الكلم الثماني، يأتي بهن قبل الحرف المختلف فيه وبعده، لأنه غير مشكل، ألا تراه لا يدل صحبة ولا صحاب، هذا اللفظ ملتَزَمٌ أبداً، فبذلك لا يلتبس، وقد تقدَّمُ بيانُه قبل.

وكان حق هذا البيت أن يذكره إثر قوله:

وحصنٌ عن الكوفي ونافعِهم عَلا

يرى المؤلف أن هذا البيت:

وقبل وبعد الحرف ...الخ

إنما هو لبيان كيفية التعامل مع الرمز الحرفي والكلمي تقديماً وتأخيراً، عند الإدلاء به إلى الخلف القرائي أصولاً وفرشاً، لهذا يَقترح أن تُذيلَ به الأبيات التي تحدَّثَت عن الرمزَين التي بدأها بقوله:

ومنهنَّ للكوفي ثاء مثلث....

وأنهاها بقوله:

وحصنٌ عن الكوفي ونافعِهم علا

قلتُ في غير افتئات على المؤلف:

إنَّ الناظم رحمه الله لما ذكرَ الأبيات التي تُعنى بالرموز الدالة على القراء والرواة، أردَفَها بما يُبين شرطَه في التعامل مع الخلاف القرائي الوارد في القصيد، ثم ذيَّلَ بالبيت المذكور، لأنه من كمال فَهم شَرطه، إذ بيانُ وضع الرمز بين أوجُه الخلاف، إدراكٌ لتمييز الخُلف والمنوط به، لذا أُخِّر بالوضع لأنه مؤخر بالطبع. والله أعلم.

مثال المبحث الثاني:

عند قول الناظم من باب الإدغام الكبير:

ويـــــا قومِ مالي ثمَّ يا قومِ مَن بلا

خلافٍ على الإدغامِ لا شكَّ أُرسِلا

قال: لما قال قبل هذا:

وعندهم الوجهان في كلِّ موضِعٍ تَسمَّى... ... ...

فأخبر أنَّ كل ما التقى فيه مِثلان بسبب الحذف، فيه الوجهان: الإظهار والإدغام، دخل عليه نحو قوله تعالى: ﴿ويا قَومِ مَالي أَدْعُوكُم﴾ (الآية ٤١ من غافر)، و﴿يَا قَومِ مَن يَنصُرُنِي﴾ (الآية ٣٠ هود)، فإن الأصلَ إثباتُ الياء، والأصلُ: ويا قومي، ولا شك أن الياء لو أُظهرت لم يكن إدغامٌ؛ لعدم التقاء الأمثال، ثم لما حُذفت الياء، التقى المِثلان، فكان يجب أن يكون فيهما الوجهان في: يبتغ وأخويه.

والفرق بينهما: أن المحذوف هنا غيرُ أصل، بل هو زائد، فإذا أدغمت بعد الحذف لم يلتق على الكلمات إعلالان، بخلاف الكلم المتقدمة .

قلتُ: لو قال الناظم في البيت الذي قبله:

وعندهم الوجهان في كل موضع تسمى لحذف الأصل منه معللا

لم يحتج إلى هذا البيت، وأظنه إنما أراد أن يذكر ما ذكره صاحب «التيسير»، والله أعلم.

ـ قلتُ: قد يخفى على بعض القَرَأة الفرقُ بين الملحظين، لذا رأى التنبيه على ذلك.

أما أنه أراد أن يذكر ما جاء في التيسير، فالجواب عنه أنه جعل قصيدته اختصاراً لما في التيسير، بدليل قوله:

وفي يُسرها التَّيسيرُ رُمتُ اختصَارَهُ فأَجنَتْ بعونِ الله منه مُؤمَّـــلا

والله تعالى أعلم.

مثال المبحث الثالث:

ناقش الناظمَ في قوله:

وقبل يئسنَ الياءُ في اللاء عارضٌ سكوناً أو أصلاً فهو يظهرُ مُسهِلا

الذي يظهر منه أن أبا عمرو لم يدغِم هذا الحرف من المِثلين في قوله تعالى: ﴿يَئِسنَ﴾ الآية، لأنه يقرؤه بياء ساكنة من غير همز(١)، وعلل بعلتين:

أولاهما: سكونُ الياء عارض.

أخراهما: عروضُها، إذ أصل اللائي بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة، حذفت تخفيفاً لتطرفها، ووقوعها بعد كسرة، فتطرفت الهمزة الآن فأبدلت على حركتها ياءً مكسورة على غير قياس؛ لأن قياسها أن تسهل بين بين، ثم أُسكنت الياء طلباً للتخفيف، أو على نية الوقف، فعلى هذا أظهر لأن أصل الياء همز، والهمزُ لا يدغم.

قال: ولو قال الناظمُ عوض هذا البيت:

وأظهروا اللائى إذ الياءُ عارضٌ أو إسكانُها والنحوُ الادغامَ عَدِّلا

وساق لذلك أدلة وناقشها بتمكن واقتدار .

ـ عند إعرابه لقول الناظم:

وإدغامُ ذي التَّحريم طلَّقَكنَّ قُلْ أحقُّ وبالتأنيث والجمعِ أثقلا

قال: وارتفاع قوله: « وإدغام » بالابتداء، و « أحق » : خبر الابتداء، و «قل»: موسَّطٌ بين المبتدأ والخبر، التقدير: قل إدغامُ ذي التحريم طلقكن أحق. و« طلقكن » : بدل من ذي التحريم، ولو قال:

---

(١) والوجه الأول له وللبزي تسهيلها بين بين، وهذا لا خلاف فيه لأنه قياسها .

وإدغامُ ذي التحريم طلقكنَّ إن

لكان أولى وأحسنَ حشواً .

ـ عند إعرابه لقول الناظم:

إذا لم يُنوَّن أو يكُن تا مخاطَبٍ وما ليس مجزوماً ولا مُستثقَلاَ

قال: و « ما » في قوله: « وما ليس » بمعنى الذي، وليس واسمُها وخبرُها صلةٌ لها، ومحلها النصب على أنها مفعولةٌ بفعل محذوف، كأنه قال: ويدغم الذي ليس مجزوماً ولا متثقّلا، ولو قال:

إذا لم ينون أو يكُن تَا مخَاطَبٍ ولم يكُن مجزُوماً ولا متَثَقّلا

لم نحتج إلى هذا الإضمار.

ولا يجوز أن تكون « ما » معطوفة على « تا مخاطب » الذي هو خبر « يكن » لفساد المعنى، لأن خبر « يكن » منفيٌّ بعطفه على المنفي، فيكون التقدير: يدغم الحرف المقارب إذا لم يكن الذي ليس مجزوماً، فيؤول المعنى إلى أنه يدغم المجزوم وليس كذلك.

ـ يتجلى من خلال المعروض أن المؤلفَ اقترح تعديلاً في نسق البيت، وهو إبدالُ قول الناظم: « ما ليس » ، بقوله: « لم يكن » ؛ تحرزاً من الإضمار، واستيحاشاً من فساد المعنى، المطروحَين آنفاً.

ـ عند قول الناظم:

وعنهم وعن حفصٍ فألقِهْ ويتّقِهْ

حَمَى صَفوَه قَومٌ بخُلفٍ وأنهَلاَ

وقُلْ بسكون القاف والقصر حفصُهُم

... ...

قال: والباقون يحركون الهاء، إلا أنهم يختلفون في القاف، فمنهم من سكّنها ويقصر الهاء؛ لأنها بعد ساكن، وهو حفصٌ المنصوص عليه في قوله:

وقل بسكون القاف والقصر حفصُهم

يريد في: « يتقه » ، والباقون يحركون القاف بالكسر.

وتسامح فيه أيضاً الناظمُ، وكأنه هنا بين إما من جهة اللغة، وإما من جهة نطقه به محركاً قبل في قوله:

.... ويتقه حمى صفوه......

وكان حقُّهُ أن يتعرض لذكر حكم الهاء في قراءة حفص، وأنها مكسورةٌ، لأنَّ السُّكونُ قبل الهاء لا يتضمن كسر الهاء.

قلتُ: نلاحظُ في هذا الاستدراك أنَّ المؤلف رحمه الله استدركَ على الناظم، ووجَّه تسامُحَه، ولكنه لم يقترح تعديلاً منظوماً في أبيات المشكل على عادته، كما مرَّ بنا في الأمثلة السالفة، وربما اجتزأ باقتراح التعديل المنظوم عند الفاسي، إذ أورده في التعليق نفسه، وسأبسطُ القول في تعديل الفاسي هذا في حيزه.

ـ عند قول الناظم:

كجِيءَ وعن سُوء وشاء اتصالُهُ

ومفصولُه في أمِّهَا أمرُهُ إلى

قال مستدرِكاً على الفاسي استدراكَه على الناظم:

وأحسنُ من ذلك إصلاحاً أن لو قال:

ومفصولُه ما إنْ بِهِ إنْ لَهُ إِلى

فإنه يستوفي جميع الأمثلة والصناعة الشعرية. والله أعلم. والمُثُلُ كلها من كتاب الله: ﴿فيما إن مكناكم﴾ الآية: ٢٦ الأحقاف، ﴿به إن كنتم﴾[1] الآية، و﴿يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ الآية: ٥ الأحقاف.

قلتُ: لم يشترط الناظمُ رحمه الله أن يمثِّلَ بالقرآن على وجه اللزوم، إذ نجده مثل بغير القرآن في آخر باب الهمز المفرد عند قوله:

إذا سَكَنَت عَزمٌ كآدَمَ أُوهِلا

فلفظ «آدم» من القرآن، ولفظ «أُوهلا» ليس من القرآن.

ويجمل بنا أن نقول: إنها حاصلةٌ في قوله: «في أُمها أمره إلى » والله أعلم.

(١) ﴿به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ هذا صوابها، وقد صححت في محلها من التحقيق.

مثال المبحث الرابع:

في مقابل ما أُرينا آنفاً من اعتراضاتٍ للمؤلف على الناظم، نجده يؤم وجهَةً أخرى هو مولاَّها مستوياً على سُؤْقِهِ، يُعجِبُ القرَّاءَ ليغيظ بهم النقاد .

وإلى القراء الكرام جزءاًمما أينع ثمرُه من أمثلةٍ تناثرت بين ثنايا الأبواب.

أولاً: في سورة أم القرآن عند قول الناظم:

ومَالكِ يَومِ الدِّينِ رَوايهِ نَاصِرٌ وعند سِراطٍ والسِّرَاطَ لِ قُنْبُلاَ

أورد المؤلف في شرحه لهذا البيت توجيهاً واعتراضاً للفاسي على البيت المذكور، قال: قال الفاسي: واعتمد في فهم مراده من إثبات الألف لهما، وحذفها عن سواهما، على اشتهار القراءتين وانتشارهما، قال الفاسي: ولو قال:

ومالك يوم الدين مُرَّ نَمَى رِضىً

ونحوَه لكان أوضحَ للقصد.

فتعقبه المؤلف منتصراً لمقول الناظم، بقوله: قلتُ: ما ذكرتُه أولاً[1]، لا يحتاج معه إلى ما قال:

لأنه قال أولاً:

---

(١) قال: وفهم أن مراده إثبات الألف من اللفظ بذلك؛ لأن الوزن لا يتم إلا بالألف؛ لأنها في مقابلة الواو من فعولن التي هي آخر الوتد المجموع، وهو محاشى من الحذف إلا في الضرب والعروض. وضد إثبات الألف حذفها، فكأنه يقول: (ملك يوم الدين) بإثبات الألف رواية ناصر، وبحذفها للباقين .

وباللفظ أستغني عن القيد إن جلا

ثانياً: عند قول الناظم:

عليهم إليهم حمزةٌ ولديهمُو جميعاً بضم الهاء وقفاً وَموصِلا

قال: وقوله: ـ الناظم ـ « بضم الهاء » يُفهم منه علـى اصطلاحـه فتـحَ الهاء للباقين.

قال الفاسي: واعتُذِرَ عنه بأنه اعتمد علـى مـا اسـتقرَّ وثبـت،مـن أن هذه الهاء لا تُفتح لغة. قال: ـ الفاسي ـ وليس بذلـك؛ لأنـه احـترز فيمـا هذا سبيله، ألا تراه قال:

وكسرُ بُيُوتٍ والبيوتُ يُضَمُّ ...[1]

ولم يقل: وبَا بُيُوت والبيوتُ يضم .

قلت: ـ أي المؤلف ـ: ومثلُه قوله:

وها هو بعدَ الواوِ والفَا ولامِهَا وها هي... ... ...[2]

ثم قال في البيت بعده:

... ... والضمُّ غيرُهُم وكسر... ... ...[3]

ومعلومٌ أنه لا يقال في هُوَ وهِيَ: هَوَ، وهَيَ بـالفتح، ومثلـهُ كثـيرٌ في القصيد.

---

(١) فرش سورة البقرة، وتتمته:

... ... عن حمى جلة وجهاً على الأصل أقبلا

(٢) فرش سورة البقرة، وتتمته:

أسكن راضياً بارداً حُلا

(٣) فرش سورة البقرة وتتمته:

وثم هو رفقاً بان والضم غيرهم وكسرٌ وعن كل يُمل هو انجلا

قال الفاسي: ولو قال ها هنا: بضم الكسر. لم يلزمه شيءٌ، ولو جاء رواية بالكسر ملفوظاً بها لم يلزمه شيء أيضاً.

قلت: ما قاله من الاعتراض صحيحٌ، والجواب عن ذلك: أنه إنما يجب عليه أن يلتزمَ الاصطلاح الذي قدمه حيث يكون في مخالفته لَبسٌ، نحو قوله:

... على فتح ضم الراء نَبَّهتُ كفَّلا

لو لم يقل: ضمِّ الراء، وأطلق الفتح لفهم منه للباقين الكسر، وذلك ممكنٌ لغة، إذ يقال: رَبوة، ورُبوة، ورِبوة...

فأما حيث لا لَبسَ فيجوز أن يأتي بالاصطلاح طَرداً لمذهبه، ويجوز أن لا يأتي به اتكالاً على التعارف اللغوي.

وأما قول الفاسي: «لو جاءت رواية بالكسر ملفوظاً بها لم يلزمه شيء» فغير صحيح؛ لأنه إنما يتكل على اللفظ حيث ينجلي ولا لَبس له في ذلك، بأن يقتضيه الوزنُ والخط، فأما حيث لا بيان لا بالوزن ولا بالخط، فلا يتكل على اللفظ .

قلتُ: يتضحُ له من هذه المسألة موقفان:

١) تصحيحه للاعتراض أولاً، ومعاضدتُهُ له بالأمثلة.

٢) دحضُه للاستدراك، ودمغُهُ بما يُعفِّي أثره.

ثالثاً: عند قول الناظم:

كيبغِ مجزوماً وإنْ يكُ كاذِباً ويخْلُ لكم عن عالمٍ طَيِّبِ الخَلاَ

أورد قولَ السخاوي في توجيه البيت، قال: قال أبو الحسن السخاوي: ويجوز أن يريدَ الناظم بذلك نفسه، معناه: أنقُلُهُ عن عالمٍ طيِّبِ الخلا.

قلتُ: ـ أي: المؤلف ـ في هذا بعدٌ؛ لأنه لا يخلو من تعظيم النفس.

قلتُ: أوردتُ هذا الرد هنا في حيز المناصرة، لأنه إنصافٌ للناظم رحمه الله، والإنصافُ مناصرةٌ، والله أعلم.

جاء عند الناظم:

وإظهارُ قومٍ آلَ لوطٍ لكَونِهِ قليلَ حروفٍ ردَّه مَن تنبَّلا

قوله: قال الفاسي: والذي ذكَره من الاعتلال ـ يعني الناظم ـ موجودٌ في قوله: ﴿ جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ﴾ (الآية: ٢٥ الحج) مع الاتفاق على إدغامه، ألا ترى أنَّ الناسَ أصلُه: أناسٌ، فحُذِفت همزتُهُ، أو نَوَسٌ، فقُلبت واوه ألفاً، أو نَسِيَ فقُدِّمت لامُه إلى موضع العين، ثم قُلبت ألفاً، فالإعلالُ فيه موجود على كل هذه الأقوال.

قلتُ: ما أورده غيرُ وارد، والفرق بين (آل) وبين (الناس): أن آل أُبدِل لضرب من الاختصاص كما قلناه، والناسُ غُيِّرَ، كما قال على تلك الأقوال لكثرته في كلامهم، ولكثرته لا يُحَاشى عن تغير الإدغام، فافترقا...

في المثال الآن نجد المؤلف يرُدُّ على شيخه محمد بن القصاب الذي تلقى عنه النظمَ وشرحَه مشافهَةً، فلم يضرهُ أن يرُدَّ عليه منتصراً بذلك للناظم، إذ كان ذلك من النزاهة العلمية،، قال عند شرحه للبيت:

وفي عَشرِها والطاءِ تُدغمُ تاؤُها وفي أحرفٍ وجهان عنه تَهلَّلا

... قال شيخُنا محمد بن القصاب (رحمه الله): خلَط[1] في هذا البيت بأن جمع فيه إدغام المِثلين وإدغام المتقاربين، لأن العشرة التي تُدغم

---

(١) يعني الناظم .

فيها الدال، من بعضهــا التــاء، ولمـا قــال: إنَّ التــاء تُدغــم في العشـرة وفي الطاء، أعطَى بذلك أن التاء تدغم في مِثلهــا وفي مقاربِهـا، والبـابُ بـابُ المتقاربين .

قال: فالأَولى أن يقول:

وفي تِسعِهَا والطاءُ تُدغمُ تاؤُهَا

ولا يذكُرُ التاءَ .

قال بعضُ الطلبة: هو على حـذف مضـافٍ، كأنـه قـال: وفي بعـضِ عَشرِها.

قلتُ: ما ذكرهُ الناظمُ هو الصوابُ، ولا يصحُّ غيرُه، وذلك أنه حين أراد أن يذكرَ الحروف التي تُدغم فيها التــاءُ وهـي العَشـرة الـتي مثلناهـا، كان بين أمرين: إما أن ينظُمَ بيتاً يجمعُهَا فيه، كما فعل في الدال، وإما أن يحيل على حـروف الـدال، ويزيـدَ الطـاء، وإذا أحـال إمـا أن يحيـل علـى جميعِها، أو يقول: إلا التاء فيستثنيها.

فإن نظم بيتاً كان فيه تكرار الحروف لتقدمهـا في فصـل الـدال، وإن أحالَ عليها، كان فيه إدخالُ بابِ المِثلين على باب المتقاربين، وإن أحــال على بعضها فيقول مثلاً: وفي بعضها، كما تأوله، أو في تِسعها، كان فيـه إبهــامٌ؛ لأن البعضَ غـيرُ مُعيَّـن، وكذلـك التسعةُ، وإن قــال: إلا التــاء فيستثنيها، كان فيه إيهام أنه يظهرها عند التاء مثلها .

إذ كذلك مقتضى الاستثناء فالأحسنُ من هذا كله ما قـال، ويكـون فيه الجمعُ بين إدغام المتقـاربين والمِثلـين، وهـو أَولى مـن تكـرار الحـروف كلها، ومن الإبهام والإيهام. وا لله أعلم.

عند قول الناظم:

وَسكِّنْ يؤدِّهْ معْ نُوَلِّهْ ونُصْلِهِ ونُؤْتِهِ منها فاعتبِرْ صافياً حَلاَ

قال: قال الفاسي: ويلزمُ على ما أصَّلَه أن تكون قراءةُ الباقين بالفتح؛ لأنه ضد الإسكان، وليس كذلك، غير أنه اعتمد على معرفة قاعدةِ هاء الضمير، وأنها إذا كانت لمذكَّر وكان قبلَها كسرةٌ، فإنها تكون مكسورةً، فلم يضر الإخلال بما أصَّله لعدم الإلباس.

قال[1]: ولو قال عوضَ ذلك:

وكسرُ يؤدِّهْ مَعْ نُوَلِّهْ ونُصْلِهِ ونُؤْتِهِ منها فاعتَبِرْ صافياً حَلاَ

لم يلزمهُ شيءٌ.

قلتُ: ما قاله الفاسي صحيحٌ، إلا أن الناظم رحمه الله لم يلتفِت إلى هذا. والدليل على ذلك أنه لم يذكر في هذا الباب حُكماً للهاء باعتبار كونها تُكسر أو تُضم، اتكالاً على أن ذلك مقدَّرٌ من اللغة، فلم يحفِل[2] بذكره، والله أعلم.

قلتُ: نبَّه الجعبري على أن ضدَّ الإسكان هنا الكسرُ، قال: وقيده[3] بالمتقدم، ولم يتنبَّه له مَن قال: خرَجَ الناظم عن قاعدته. نَعَم لو قال:

وكسر يؤدِّهْ مَعْ نُوَلِّهْ ونُصْلِهِ ونوتِهِ منها فاعتبر صافياً حَلاَ

لَدَفَع وهمَه[4].

يظهر من كلام الجعبري أنه استدركَ على الفاسي، ثم اعتمدَ عليه في

---

(١) أي الفاسي .

(٢) من باب ضرب .

(٣) الناظم .

(٤) كنز المعاني خ : ١٠٤-١٠٥ .

اقتراح التعديل، لكنه لم ينسُب شيئاً إلى صاحبه.

والأحسن مما قالاه[1] في الاعتذار عن الناظم توجيهُ وفهمُ المؤلف (رحمه الله) لقول الناظم في مطلِع الكلام عنه إذ قال: والباقون لا يُسكنونها بل يحركونها بما تُحرَّكُ به هاءُ الإضمار من الضم والكسر... عند حديثه عن قول النَّاظم:

كجيءَ وعن سوء وشاءَ اتِّصَالُهُ ومفصولُه في أمها أمرُه إلى[2]

قال: ... قال الفاسي: ولو قال:

والآخَرُ قالُوا أَنْ بِهِ إِنْ وَلاَ إِلى

لأتى بالجميع .

قلتُ: يمكن أن يقال: قد أتى الناظم في المنفصل بمثالِ الألف مع توفية الصناعة الشعرية، وذلك بائتلاف أمها وأمره .

نعَم تكونُ بعضُ الأمثلة من القرآن وبعضُها ليس منه، ولا يضرنا ذلك. وأما الصناعةُ الشعرية ففيه نوعٌ من البديع يُسمى الطباق؛ وهو ذكرُ الاتصال والانفصال كما قال الشاعر[3]:

رَمَى الحدَثانُ نسوةَ آلِ عَمْرو بمقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودا

فَرَدَّ شعورَهنَّ السُّودَ بيضاً وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البيضَ سُودا

ثم أتى باقتراحه: وفي معرِضِ تعليقه على قول الناظم:

---

(١) الفاسي والجعبري .

(٢) تكلمت عن هذا البيت في اعتراضاته، وذلك لأن الكلام عن هذا البيت يتفرع إلى اعتراض على الفاسي مع الانتصار للناظم، وهو ما نشرته هنا، وإلى اعتراض على الناظم وإعطاء بديل على المنظوم، وهو ما نشرته هناك، فافترقا .

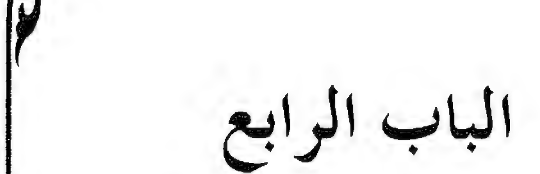
(٣) مخرج في التحقيق .

ولا مدَّ بين الهمزتين هُنَا ولا   بحيثُ ثلاثٌ يتَّفِقْنَ تَنَزُّلا

أورد اعتراضَ شيخه ابنِ القصاب على قول الناظم هذا، قال: وكان شيخُنا أبو عبد الله محمد بن القصاب (رحمه الله) يعترض من قول الناظم: «يتفقن تنزلا» ، ويقول: ليست الهمَزَات في أأنتم وبابِهِ متفقاتٍ، قال: والصواب أن يقول: بحيث ثلاثٌ يلتَقِين تنزلا .

قلتُ: هذا الاعتراض لا يلزم، وما قاله الناظم حسنٌ جداً، والاتفاق الذي أراده: اتفاقُ نزولهن في الخط، وذلك أن هذه الكلمة لو رُسمت على ما يقتضيه القياس واللفظُ لَرُسمت بثلاثِ ألفات: الأولى استفهامٌ وهي مبتدأة فترسَمُ ألفاً، والثانيةُ ألفُ القطع تُرسَمُ ألفاً؛ لأنها كانت مبتدأةً قبل همزة الاستفهام، والثالثةُ ألفُ الوصل تُرسَمُ ألفاً؛ لسكونها وانفتاح ما قبلها، فقد اتفقت نزولاً.

هذا مجمَلُ ما انتصَرَ به المؤلف (رحمه الله) للناظم (رحمه الله)، واعتذر عنه به، مما صُوِّبَ نحو قصيده من سهام النقد، من قبل الشراح والمشتغلين بهذا النظيم .



الباب الرابع

ويتضمن فصلين:

الأول: مصادر الكتاب .

الثاني: قيمة الكتاب العلمية .



الفصل الأول

مصادر الكتاب

وتحته مباحث:

١ ـ مصادر القراءات وحججها .

٢ ـ مصادر النحو والصرف .

٣ ـ مصادر فقه اللغة .

٤ ـ مصادر التفسير .

٥ ـ مصادر اللغة (المعاجم) .

القول في مصادر الكتاب[١]:

لا ريب أن العلم يزكو بموضوعه، والموضوع يشذو بعرف أقباسه، وما الأقباس إلا شهب استنارت بعلم القروم السابقين، فنورت سواد دجى اللاحقين، إذ على دركهم التعويل، وإلى رسمهم يؤول التأويل، لهذا وذاك رصع المؤلف (رحمه الله) دركاً منه لخطورة الموضوع عقد تأليفه، بعقيق المنقول ودرره، وإليه أشار في ديباجته إذ يقول:

«وكل ذلك[٢] من كتب العلماء نقلته، وعلى ما تقتضيه مذاهبهم أوردته».

لما دعت سننُ الرسائل رصدَ أشباه هذه الخصائص بلمِّ شَتَاتها، ونظمها في سمط السبك العجيب، بضرب من التوضيح والتقريب، والإرباء بها عن الإملال والتعييب، جنحت إلى القول على تعداد مصادره وموارده، فاستقريتها فألفيتها مصادر تضرب في فنون شتى، فرتبتها على مقاصدها معالجاً ظواهرها، بغية الارتقاء عن حضيض التقليد، إلى يفاع الاطلاع على الدليل السديد .

---

(١) للكتاب مصادر أخرى فقهية حديثية أصولية، رأيت أن لا أثقل بحشدها كاهل الدراسة؛ لاعتقادي أنها مصادر ثانوية بالنسبة لموضوع الكتاب، لهذا اقتصرت على الأهم مخافة السآمة .

(٢) عمله في التأليف الذي رسمه، وكان هذا القول على أثره. انظر ص: ٣ .

المبحث الأول:

ذكر مصادر القراءات وحججها وعللها

قبل الحديث عن هذه المصادر أُعلِمُ أن النقل عنها ينقسم قسمين:

١ - نقل سطر[1].

٢ - نقل صدر[2] (المشافهة).

نقل السطر:

تطالع الباحث في هذا النوع ثلةٌ من تواليف السابقين التي أفاد منها المؤلف، رتبتُها على حسب الوفيات ذاكراً أهمية كل منها، مع تبيين التي أكثر المؤلف النهل منها:

١ - ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) في كتاب « السبعة » كتابٌ أشهر من أن يُورَّى له زند التعريف، فهو الكتاب الذي يعد كتاب القرن الرابع، حسم الخلاف، وحصر الائتناف، بطرد المؤتلف، وإنكار المختلف، من قراءات وروايات، وطرق ووجوه، عُزيت إلى عدد كثير من حاملي هذا العلم، اختلفت مذاهبهم، وطرقُ تحملهم، ما يُنذر بالخلل والوهم والإيهام، في المروي والمختار من مقروء الإمام، فأدلج ابن مجاهد (رحمه الله) بتأليفه هذا في الأسحار، لتبزغ حجته شمساً في واضحة النهار، فكان له من الله كالإلهام، ليُؤَمَّ عند أهل الإئتمام. ففي تعليله لصنيعه هذا يقول:

---

(١) وهو ما نقله المؤلف من صحيفة أو سفر .

(٢) وهو ما نقله المؤلف عن شوخه .

« فمن حملة القرآن المعرِبُ العالِمُ بوجوه الإعراب والقراءات، العارفُ باللغات ومعاني الكلمات، البصيرُ بعيب القراءات، المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يَفزع إليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين.

ومنهم مَن يعرب ولا يلحن، ولا علم له بغير ذلك، فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته، ولا يقدر على تحويل لسانه، فهو مطبوع على كلامه.

ومنهم مَن يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه، ليس عنده إلا الأداء لما تعلَّمَ، لا يعرف الإعراب ولا غيره، فذلك الحافظُ، فلا يلبث مثلُهُ أن ينسى إذا طال عهده، فيُضيع الإعراب لشدة تشابهه، وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة؛ لأنه لا يعتمد على علم بالعربية، ولا بصر بالمعاني يرجع إليه، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه.. الخ »[1].

٢- الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) في كتاب: «الحجة للقراء السبعة» يُعد كتاب «الحجة للقراء السبعة» ، من الكتب المتقدمة في التعليل للقراءات والاحتجاج لها، في نَفَس طويل يكاد به يقارف الإملال. يقول ابن جني في وصفه[2]: فإن أبا عليٍّ رحمه الله عمِلَ كتاب الحجة في القراءات، فتجاوزَ فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء .

وكتاب الحجة هذا يعتبر امتداداً لعمل ابن مجاهد في كتابه « السبعة ». فهو ممن تلمذ لابن مجاهد، وروى عنه القراءة عرضاً وتعليلاً

---

(١) السبعة (المقدمة) ص: ٤٥-٤٦ .

(٢) المحتسب ٣٤/١ .

واحتجاجاً لما تضمنه من القراءات والروايات والطرق[1].

قال في مقدمته للحجة:.. « فإن هذا الكتاب نذكُرُ فيه وجوهَ قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمدَ بنِ موسى بنِ العباس ابن مجاهد رحمه الله، المترجَم بمعرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز والعراق والشام، بعد أن نقدم ذكر كلِّ حرف من ذلك على حسب ما رواه، وأخذنا عنه[2] » .

استدلَّ ابنُ آجُرُّوم بالحجة في بعض ما ذهب إليه، واستأنس به أخرى، وعارضَه فيما لم يوافقه فيه.

٣ ـ ابن غلبون أبو الطيب عبد المنعم (الأب) (ت ٣٨٩ هـ). في كتاب «الإرشاد»[3] كتابٌ لا يُعرَفُ عنه اليوم شيءٌ إلا ما ذُكِرَ به ومنه في كتب التراجم، ونقول المتأخرين عنه، وهو من أصول النشر[4]، إذ قرأ به صاحبُ النشر القرآنَ كلَّه بسنده إلى مؤلفه، ذكره المؤلف باسمه و لم يتعامل معه كثيراً.

٤ ـ القيسي: أبو محمد مكي بن أبي طالب. (ت ٤٣٧ هـ) في كتابين: «التبصرة» و« الكشف » .

أ ـ « **التبصرة** » : كتابٌ فيه أصولُ القراءات السبع مجردةً من غير

---

(١) الغاية ٢٠٧/١ .

(٢) الحجة ٥/١-٦، والكتاب طبع كاملاً بتحقيق بدر الدين قهوجي وزملائه، ويعتبر أغنى وأكبر موسوعة وصلتنا في حجية القراءات .

(٣) اسمه: الإرشاد في معرفة مذاهب القراء السبعة وشرح أصولهم. وانظر الغاية ٤٧٠/١.

(٤) الأصل الثاني والعشرون. النشر ٧٩/١-٨٠ .

تعليل ولا توجيه، تباعاً لعمل شيخه عبد المنعم بن غلبون في كتاب: « الإرشاد » .

وذلك ما عبَّر عنه في تقدُمته للكتاب قائلاً:

« وقد رغِبَ إليّ راغبون في جمع كتاب في أصول القراءات، وذكر ما اختلف فيه المشهورون من القراء، فخرَّجتُ في هذا الكتاب أربعَ عشرة رواية عن السبعة المشهورين، واعتمدت في أكثره مما قرأت به على شيخنا أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون... فجمعتُ في هذا الكتاب من الأصول ما فُرِّقَ في الكتب... ليكون تبصرةً للطالب، وتذكرةً للعالم، سميته «كتاب التبصرة »[1].

وفي مقدمته للكشف يقول[2]: وسميتُهُ كتاب التبصرة، وهو فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات طلباً للتسهيل، وحرصاً على التخفيف.

ب ـ « الكشف »: وهو كتابٌ فيه الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ألفه محاكياً فيه كتاب الحجة للفارسي، مع تفادي مرهِقَات الأول، بعد ما ألَّفَ مختصراً للحجة مسماه « المنتخب » ، وهو آخِرُ ما أَلَّفَ، ومن مصادره فيه كتابُهُ التبصرة الذي وعد في صدره أنه سيؤلِّفُ كتاباً في علل القراءات التي ذكرها في التبصرة[3] قال: أذكُرُ

(١) عن التبصرة: ١٧٢-١٧٣ طبع بتحقيق د.محيي الدين رمضان، وغوث الندوي، وهو الأصل التاسع من أصول النشر ١/ ٧٠ .

(٢) الكشف ١/ ٣ .

(٣) قال: أذكر فيه وجوه القراءات واختيار العلماء في ذلك، ومن قرأ بكل حرف من

فيه حجج القراءات ووجوهها واسمه: كتاب « الكشف عن وجوه القراءات »[1].

والكتابُ يُستدلُّ به في بابه، إلا أنه وقع في الطعن على بعض الوجوه القرائية المجمع على صحتها.

وابن آجُرُّوم يستدلُّ ببعض آرائه أحياناً، وله عليه استدراكات .

٥ ـ المهدوي (ت ٤٤٠ هـ) أبو العباس أحمد بن عمار في كتاب: « شرح الهداية » .

يعتبر الكتابُ شرحاً وتوجيهاً لما أورده من أحرفِ الخلاف عند القراء السبعة في كتابه «الموسوم بـ « الهداية »[2] .

ففي مقدمته له يقول[3]:

« وقد سألني سائلون أن أملي عليهم كتاباً مختصراً في شرح وجوه القراءات، والاعتلال على الروايات، بغاية الاختصار، وحذف التطويل والتكرار، وأن أجعل ذلك شرحاً للكتاب المختصر في القراءات السبع الذي كنتُ أَلَّفتُهُ وسميته بكتاب « الهداية » ، فأجبتهم إلى ذلك، وجعلتُ هذا الكتاب إملاءً على حسب الإمكان...

الصدر الأول، وأقاويل النحويين وأهل اللغة، لا أخرج فيه عن شرح ما ذكرته في هذا الكتاب من الاختلاف، أسميته: كتاب الكشف عن وجوه القراءات. التبصرة: ١٧٣ .

(١) الكشف ١/٣-٤ .

(٢) الأصل الثامن من أصول النشر ١/٦٩ .

(٣) شرح الهداية ورقة: ١، وقد حققه الزميل حازم حيدر (رسالة علمية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) .

والكتاب ثالثُ ثلاثة[1] من مدَّخر القول على الاحتجاج، حتى إننا نجد مَن يُفضِّلُهُ على الحجة، من ذلك ما ذكره القفطي[2] عن بعضِ مَن ذاكرهم فيه قال: « وهو عندي أنفعُ من الحجة للفارسي » ، فقلت له: «وهو صغيرُ الحجم »! فقال: « إلا أنه كثيرُ الفوائد، حسنُ الاختصار، يصلُحُ للمبتدي والمنتهي... » .

وفي المقابل نجد اليمني[3] لا يعتبر هذا التفضيل .

لكننا نرجع إلى قول الزركشي[4] معترفاً بفضل السابق واللاحق إذ يقول: «وكلٌّ منها قد اشتملَ على فوائد » .

وقد أفاد منه المؤلف وله عليه اعتراضات[5].

٦ ـ **الداني**: أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ). في خمسة كتب هي:

« جامع البيان » ، « الاقتصاد » ، « التيسير » ، « الإيضاح » ، «الإدغام الكبير»[6].

أ ـ « **جامع البيان** » : كتابٌ جمع فيه كلَّ ما وصله عن علم القراءات، وهو أحسنُ ما صُنِّفَ فيه وأجوده، وقد أطال فيه وأجاد، قال

---

(١) الحجة للفارسي، والكشف لمكي، وشرح الهداية نفسه .

(٢) الإنباه ١/٩٢ .

(٣) إشارة التعيين: ٤٢ .

(٤) البرهان ١/٣٣٩ .

(٥) وذكر له المؤلف « التحصيل والتفصيل » من غير إفادة .

(٦) الترتيب على حسب ما اقتضته فهرست تصانيف الداني ص: ١٦-١٧-١٩ .

عنه ابنُ الجزري[1]: «في القراءات السبع، يشتمل على نيف وخمسمائة روايةٍ وطريق عن الأئمة السبعة[2]، وهو كتابٌ جليل في هذا العلم لم يؤلَّف مثله»[3].

أفاد منه المؤلف ولم يذكر اسمه.

ب - «الاقتصاد» : كتابٌ في القراءات السبع كذلك، وليس في علم المرسوم[4]، وذكرَ ابن الجزري أنه منظومةٌ قال: ومنظومتُهُ الاقتصاد أرجوزةٌ بمجلد[5].

أفاد منه المؤلف وذكره باسمه.

جـ - «التيسير» : كتابٌ في القراءات السبع[6]، غني عن الإيماء إليه، فهو أصلُ نظم الشاطبي في الحِرز، وعليه مدارُهُ عدا الألفاف، وهو أعرفُ مصنفات أبي عمرو في فنون القراءات[7].

اعتمد عليه المؤلف كثيراً ويذكره باسمه في تصنيفه كما سيأتي.

---

(١) وهو الأصل الثالث من أصول النشر ١/٦١.

(٢) لعل كتاب الهذلي أوفر منه على العدد.

(٣) حقق منه د. عبد المهيمن الطحان (الأصول) بجامعة أم القرى.

(٤) كما وهم فيه د. التهامي الراجي في تحقيقه للتعريف ص: ٥٤، وحايد زيدان في تحقيقه للمكتفى ص: ٣٦، و. عزة حسن في تحقيقه للمحكم ص: ١٥، تبعاً للكشف ١/١٣٥، وهدية العارفين ١/٢٥٣.

(٥) الغاية ١/٥٠٥.

(٦) وهو الأصل الأول من أصول النشر ١/٥٨.

(٧) والكتاب على أهميته في الباب، اقتصر في تحقيقه وطبعه على عمل المستشرق الألماني أوتوبرتزل منذ ١٩٣٠م، وهو كتاب يجدر بأهل القرآن أن يتعالوا به عن أيدي أمثال هؤلاء الجهلة، إذ النص المحقق يحفل بالاضطراب والتحريف والبتر والوهم والسقط، وقد عانيت منه وعالجت فيه ما وصلت إليه يدي.

د ـ « **الإيضاح** » : وهو كتابٌ في بيان مذاهب القراء في الهمزتين[١]، وما يجري عليها من تغيُّرٍ وأحوال من تحقيق وتسهيل، وإسقاط وتبديل، ورَدَ باسم: الإيضاح في الهمزتين في فهرست ابن خير[٢].

وقد أفاد منه المؤلف في بابه[٣].

ـ « **الإدغام الكبير في القرآن**[٤]» : هو كتابٌ أفرد فيه أبو عمرو باب الإدغام الكبير بالتأليف؛ لأهميته القصوى، وحاجة القارئ والنحوي إليه، ومعلومٌ أن الإدغام الكبير إذا أُطلق ينصرفُ إلى رواية السوسي عن أبي عمرو، فهو الذي نقله عنه، ولا يضرُّ ما جاء في الحرز من عزوه إلى أبي عمرو بقوله:

أبو عمرو البصري فيه تحفلا

لأنه يعلم بطريق الرواية والنقل الشفاهي، وهو مثل قوله:

وخُلفهم في الناس في الجر حصلا

فذكر أبا عمرو في رمز الحاء، والمقروء به في إمالة الناس المجرور للدوري عنه.

ذكر الداني في مقدمته لهذا الكتاب علة تأليفه له بقوله:

« ... فإن جماعة من أصحابنا (حرسهم الله) تكررت مسألتهم وتأكدت رغبتهم في تصنيف كتاب خفيف في شرح مذهب أبي عمرو

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/٣٢٨، والغاية ١/٥٠٥ .

(٢) ص: ٢٩ .

(٣) والكتاب لم يطبع إلى الآن .

(٤) ورد بعنوان (التفصيل لمذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير) في فهرست مصنفات الداني ص: ١٩ .

بن العلاء (رحمه الله). في الإدغام الكبير وتفصيل ذلك بعلله ووجوهه، وتبيينه بأصوله وفروعه، وإفراده برواية أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي عنه دون رواية غيره، فأجبتهم»[1].

أفاد منه المؤلف في بابه [2].

وإجمالاً أقول: هذه المصادر من بين تآليف أبي عمرو، تعد قطرة من بحر، فهو أستاذ الأستاذين، ومن نظر في كتبه عَلِمَ مقدار الرجل، وما وهبه الله تعالى فيها، فسبحان الفتاح العليم[3].

٧ - الحصري: أبو الحسن عل بن عبد الغني الحصري القيرواني (ت٤٨٨هـ) في منظومته الرائية: (الموسومة بالحصرية).

منظومةٌ رائية اشتَهرت باسم صاحبها، نظم فيها قراءة نافع من روايتي ورش وقالونٍ عنه، مجلِّياً الخلافَ الدائرَ بينهما أصولاً وفرشاً، مقسِّماً ذلك إلى أبوابٍ يقتضيها الغرض، مقدماً لورش على قالون، بخلاف الشاطبية والتيسير، حاكى[4] فيها منظومة الخاقاني (الرائية)[5] الموسومة بـ « باكورة علم التجويد »

أولها:

---

(١) مقدمة كتاب الإدغام ص: ٢٩ .

(٢) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور زهير غازي زاهد .

(٣) عن الغاية ١/٥٠٤-٥٠٥ .

(٤) قال:

فجئت بها فهرية حصرية ... على كل خاقانية قبلها تزري

(٥) مطلعها:

أقول مقالاً معجباً لأولي النهى ... ولا فخر إن الفخر يدعو إلى الكبر

[إذَا قُلتُ أبياتاً حِسَاناً من الشـــّـعرِ
فــلا قُلْتُهَا في وصفِ وَصلٍ ولا هَجْرِ]

- وقال في غرضها:

[أُعلِّمُ في شعري قراءةَ نافع روايةَ ورشٍ ثم قالون في الإثر]

وقد اعتمدها الشاطبي في الحرز، وأفاد منها كثيراً، من ذلك:

قوله في باب المد:

[إذا ألـــــفٌ أو ياؤُها بعد كســـرة
أو الواوُ عن ضم لقي الكسرَ طُولاَ]

حاكى في ذلك قول الحصري في الباب نفسه:

[إذا الألـــفُ المفتوحُ ما قبلها أتت
أو الواوُ عن ضم أو الياء عن كسر]

ومن ذلك ما ألمح به إليه في باب الروايات بقوله:

مذاهبُ شذت في الأداء توقلا

و لم يستشهد بها المؤلف إلا إلماماً يسيراً[1] .

٨ - ابن الباذش: أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري (ت ٥٤٠ هـ) في كتابه: « الإقناع » .

وهو كتابٌ في القراءات السبع[2]، صنفه أبو جعفر مرتّباً به كتابَي «التبصرة» و « التيسير » لمكّي والداني، معتمداً في تأليفه وحسن تصنيفه

---

(١) وهي الأصل الثالث والخمسون من أصول النشر ٩٦/١، حققها الزميل توفيق العبقري مع شرح لها (رسالة علمية بجامعة فاس) .

(٢) وهو الأصل التاسع والثلاثون من أصول النشر ٨٨/١ .

على والده أبي الحسن علي بن أحمد، وبهذا أشار في مقدمته إياه بقوله:

« وإني تأملت كتابَي الشيخَين الإمامين أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، وأبي عمرو عثمان بن سعيد القرشي رضي الله عنهما: التبصرة والتيسير[1]، فألفيت معناهما للاسمية موافقاً، وباطنها للعنوان مصاحباً مرافقاً، لأنهما قرباهما للمبتدئ الصغير، وقصدا قصد التبصير والتيسير.. ولا درك عليهما، بل لهما الدرك... »

لكن في كتابيهما مجال للتهذيب، ومكان للترتيب، فكم هناك من منفرد حيل بينه وبين أخيه، ونازح عن أمه وأبيه، ومنفصل عن فصيلته التي تؤويه.... وطالعت أبي، أيده الله، في مشكله وعويصه...[2]

والكتاب معتمَدُ المؤلف لاسيما في التراجم[3].

٩ ـ الشاطبي: أبو القاسم بن فِيرُّه الرعيني الأندلسي (ت ٥٩٠ هـ) في منظومته الموسومة بـ« حرز الأماني ووجه التهاني » .

قصيدةٌ لامية من البحر الطويل، تضمنت الخلاف الدائر بين القراء السبعة أصولاً وفرشاً، قال عنها ابن الجزري: « ومن وقَفَ على قصيدته، عَلِم مقدار ما آتاه الله في ذلك، خصوصاً اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها، فإنه لا يَعرِفُ مقدارها إلا من نظم على منوالها، أو قابل بينها وبين ما نُظم على طريقها، ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة

---

(١) ينظر في التقديم للزمن لا للرتبة .

(٢) مقدمة الإقناع ١/٤٨-٤٩، ٥١ .

(٣) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش، ويحسن إعادة تحقيقه؛ لما فيه من الوهم، وعدم التنسيق بين النسخ المعتمدة في تحقيقه .

والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن... »

قلتُ: وهي الركن الأقوم، والصدر الأعظم، وعليها مدار هذا التأليف المبارك[١].

١٠ ـ السخاوي: أبو الحسن علي بنُ محمد بنِ عبد الصمد (ت٦٤٣هـ) في كتابه الموسوم بـ «فتح الوصيد في شرح القصيد» .

صاحب الكتاب، أجلُّ أصحاب الناظم، وإليه يُشير بقوله:

« يقيض الله لها من يشرحها[٢]، فقد كان شغوفاً بها معنياً بشهرتها»[٣].

قال ابن الجزري[٤]: « وألف من الكتب شرحَ الشاطبية، وسماه « فتح الوصيد » ، فهو أول مَن شرحها.. »[٥].

قال أبو شامة[٦]: « وإنما شَهَرَها بين الناس، وشرَحَها، وبيَّنَ معانيها، وأوضحها، ونبَّه على قدر ناظمها، وعرَّف بحال عالمها شيخُنا الإمام العلامة علمُ الدين.. أبو الحسن عليُّ بنُ محمد » .

وقال الجعبري[٧]: « وكلٌّ كَلٌّ على فاتح وصيدها، ومانحِ نضيدها الشيخُ العلامة تاجُ القراء علمُ الدين السخاوي،جزاه الله عنا خير الجزاء».

---

(١) تحدثت عنها في مبحث خصصته لها .

(٢) الغاية ٥٧٠/١ .

(٣) منجد المقرئين ص: ٥٣ .

(٤) الغاية ٥٧٠/١، وهي من مرويات صاحب النشر ٦٣/١ .

(٥) فيه نظر، وقد تقدم التحقيق في هذه المسألة في مبحث شراح القصيد .

(٦) الإبراز .

(٧) كنز المعاني (شرح الشاطبية) المقدمة .

قد أفاد المؤلف من هذا الشرح كثيراً، ويُعدُّ من أهم معتمداته في الفرائد، وله معه وقَفَاتٌ[١].

١١ ـ الفاسي: أبو عبد الله محمد بن الحسن: (ت ٦٥٦ هـ). في كتابه الموسوم بـ «اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة» .

كتابٌ عُني فيه صاحبه بفسر أبيات القصيد، نَحَى فيه منحى ذوي السبق حاملي علم هذا الفن، فأفاد فيه وأجاد، واعتنى بالتوضيح والاعتراض، لا جَرَمَ فهو من الأساتذة الأفذاذ .

قال ابن الجزري[٢]: « وشرحه للشاطبية في غاية الحسن » .

قال مؤلفها في تسميتها وسبب تأليفها: « ... ثم استخرت الله تعالى في جمع شرح وسطٍ، لا أميل فيه إلى الاستكثار، ولا أخل فيه بالمقصود بقصد الاختصار، فجمعتُهُ على ما رأيت من الترتيب، وآثرت من التلخيص والتقريب، وسميته بـ « اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة..[٣]» وهو من أكبر معتمدات المؤلف في الفرائد، وله عليه اعتراضات سنذكرُها في محلها[٤].

(١) يعمل فيه بعض الطلبة بجامعة القرآن الكريم بأم درمان .

(٢) الغاية ٢/١٢٢-١٢٣، وهي من مرويات ابن الجزري. انظر النشر ٦٤/١ .

(٣) مقدمة اللآلي .

(٤) يعمل عليها بعض الطلبة في المغرب، وقد ذكر لي د. عبد العزيز عبد الفتاح قاري أنه يعمل عليها منذ سنة ١٩٨٩م بالمدينة المنورة، وفقه الله لإكماله .

المبحث الثاني:

كتب معاني القرآن

الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد. (ت ٢٠٧ هـ) في كتاب «معاني القرآن».

هو أول كتاب في معاني القرآن بعد كتاب الكسائي عند الكوفيين، وهو عبارةٌ عن آمالي أملاها على أصحابه كما جاء في الفهرست[١]:... فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أُمِلَّ عليكم كتاباً في القرآن.

قال السمَّري[٢] في بُدءةِ الكتاب: هذا كتابٌ فيه معاني القرآن، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء يرحمه الله عن حفظه من غير نسخة، في مجالسه أول النهار...[٣]

وقد أفاد منه المؤلف، وله معه وقفاتٌ.

الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة (الأوسط) (ت في حدود ٢١٥ هـ) في كتاب: «معاني القرآن» .

يُعتبر الكتاب ثالثَ ثلاثة أُلفت في هذا الغرض لدى مدرسة البصرة، يقدُمُها أبو عبيدة، ثم قطرب، ثم الأخفش .

إذا لم يكن الكتاب بدعاً من سالفيه، فإن له النصيبَ الأوفى في

---

(١) الفهرست

(٢) محمد بن الجهم السمري ، راوية الكتاب .

(٣) المعاني ١/١، وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد علي النجار وصاحبيه .

الإطلاع والإفادة من كتاب سيبويه[١] فقد أربَت إفاداته منه على مئتي إفادة وإنشادة.

كان ثعلب يُفضلُ الأخفش ويقول: كان أوسَعَ الناس علماً .

وقد أفاد منه المؤلف كثيراً[٢].

الزَّجَّاجُ: أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) في كتاب: «معاني القرآن وإعرابه» .

وهو كتابٌ أمَّ فيه مؤلفُه البيان بالإعراب، وجعله سابقاً للمعنى، قال عند شرحه لقوله تعالى: ﴿وما يُعلِّمَان﴾: وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير، لأن كتاب الله ينبغي أن يتبين، ألا ترى أن الله يقول: ﴿أَفَلاَ يَتَدبَّرُونَ القُرآن﴾ (النساء/٤)، فحُضِضْنَا على التدبر والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة، أو ما يوافق نقَلَةَ أهل العلم[٣].

وقال في مقدمته[٤]: هذا كتابٌ مختصر في إعراب القرآن ومعانيه.

وقد أفاد منه المؤلف في مواضع معدودة[٥].

---

(١) فهو أحدق أصحابه والطريق إلى كتابه. أخبار النحويين البصريين: ٦٦ .

(٢) طبع الكتاب بتحقيق د. الورد ١٩٨٥ .

(٣) ١/١٨٥ من المصدر نفسه .

(٤) ١/٣٩ من المصدر .

(٥) طبع بتحقيق شلبي في خمسة مجلدات .

*** نقل الصدر (المشافهة) :**

ليس ثمة إلا مصادرُ ثلاثة، وهم شيوخُه الذين تلقى عنهم بعض أصول هذا النظم وشرحه مشافهةً، جرياً على العادة في الحِلَق .

١ - محمد بن علي بن عبد الحق أبو عبد الله الأنصاري الفاسي المعروف بابن القصَّاب (في حدود ٦٩٠ هـ) أفاد منه المؤلف فيما تلقاه عنه من شرح للقصيدة مشافهة.

٢ - أبو القاسم الضرير: أفاد منه كذلك في شرحه للشاطبية مشافهة.

٣ - أبو مروان عبد الملك بن موسى: أفاد منه في شرحه لأصول الشاطبية (التيسير) .

المبحث الثالث:

مصادر النحو والصرف

١ - سيبويه :

سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) في: « الكتاب ».

قال يونس بن حبيب بعد ما نظر في الكتاب: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيما حكى عني[١].

وقال أبو سعيد السيرافي: وعَمِلَ كتابه - سيبويه - الذي لم يسبقه إلى مثله أحد، ولم يلحق به من بعده[٢].

ليس من الإغراب: أن يقارف الكمالَ ذلك الكتاب، وقد اجتمعت لصاحبه من الشِّيخة مقرئين ونحاة، ما يؤهله لإحكام الكلام في النحو والقراءات، من أمثال يونس، والخليل، ويعقوب الحضرمي، وأبي عمرو ابن العلاء.

قال ابن النديم[٣]: قرأت بخط أبي العباس ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنساناً منهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل.

يُعتبر الكتاب من أهم موارد ابن آجُرّوم في تعليل الظواهر القرائية والنحوية والصرفية، ولولا أنه كتابٌ وُسِمَ بالنحو لجعلته في بُدَءَة مصادر القراءات.

---

(١) شرح السيرافي .

(٢) أخبار النحويين البصريين: ٦٤ .

(٣) في الفهرست: ٨٦ .

٢ ـ أبو زيد الأنصاري: سعيد بن أوس الخزرجي (ت ٢١٥ هـ) في كتاب «الهمز» .

نقل عنه ابن جني في المنصف ٥٧/٢ . وذكره، قال: إن أبا زيد ذكر ذلك في كتاب همزه المقيس.

ونسبه إليه ابن النديم، وابن خير، والقفطي، وخليفة، نشر باعتناء لويس شيخو بمجلة المشرق سنة ١٩١٠م[١].

٣ ـ السيرافي: أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٨ هـ) في كتاب: « شرح كتاب سيبويه » .

ذكر الدكتور البنا: أنه أجلُّ كتبه[٢]، ووصفه ياقوت في معجم الأدباء[٣] بقوله: وشرح كتاب سيبويه في ثلاث آلاف ورقة، فما جاراه فيه أحدٌ، ولا سبقه إلى تمامه إنسانٌ[٤].

والحق أنه كتابٌ أحاط بما في الكتاب خُبراً، فقد فسر وعلَّلَ واستدركَ أيضاً، فلم يغادر ظاهرة إلا أحصاها.

وعلى هذا طاوله أبو علي وأصحابُه مترقبين عثراته، فأفادوا بعد ذلك منه و لم يُحرِزُوا طَلِبَتَهم.

وقد أفاد منه المؤلف .

---

(١) معجم المعاجم ص: ١٦٦ بتصرف .

(٢) مقدمته لأخبار النحويين البصريين: ١٨ .

(٣) معجم الأدباء ١٥٠/٨-١٥١ .

(٤) على ما في هذا الكتاب من ذخائر فكرية ناضجة، لم يعتن فيه من قبل الباحثين بالعناية اللائقة به إلا ما جاء من تحقيق رمضان عبد التواب وصاحبيه، وعبد المنعم فائز من أول الجزء الرابع إلى باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل من ط هارون .

المبحث الرابع:

مصادر فقه اللغة

١ - ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) في كتاب: «أدب الكاتب» . جاء في اليتيمة[١]:

أدبُ الكاتب عندي ماله في الكُتب نِدُّ
ليس للكاتب منه إن أراد العلمَ بُدُّ

وروى ابن خلدون[٢]: أن « أدب الكاتب » أولُ أصول وأركان الفن (يعني الأدب)

وهو أول مؤلَّفٍ في فقه اللغة وأسرارها في سننها وسياقاتاتها ونظمها، وإن كان العنوانُ ينصرف إلى غرض محدود، وهو ما يتعلق بأدوات محترف الكتابة واحتياجاته في تنميق النظم وترصيعه.

قال الدكتور محمد محمد حسين[٣]: عالج سلفنا مواضع فقه اللغة تحت هذا الاسم الصريح، كما فعل ابن فارس والثعالبي، وعالجوها تحت غير هذا الاسم كما فعل ابن قتيبة في أدب الكاتب...

وبدأ هذا العلم في خطواته الأولى غيرَ محدد الدلالة، يضم أشتاتاً من المعارف...[٤]

فكان هذا الكتاب أولَ كتاب عالج هذه الظاهرة تحت غير عنوانها، إذ أراد به تقديم الثقافة اللغوية الجامعة، التي يحتاج إليها كُتّاب الدواوين،

---

(١) لأبي منصور العبدوني ٤/٧٧ من اليتيمة .
(٢) المقدمة: ٥٥١ .
(٣) مقالات في اللغة والأدب: ١١٢ .
(٤) المصدر نفسه: ٥٧ .

وتضمن كثيراً من الفصول التي تتجاوز السرد اللغوي إلى استنباط خصائص اللغة في صياغة الألفاظ، ونظم الكلام، ودلالات الأوزان، والفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة المعاني، والمتشابهة الرسم...[1]

٢ ـ ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) في كتاب «الخصائص».

يقول الدكتور محمد محمد حسين[2]: وكان أعظم ما ألف في موضوع فقه اللغة وأوفاه شمولاً ودقة كتاب «الخصائص» لابن جني.

وقال في مكان آخر: وعالجوه (فقه اللغة) تحت غير هذا الاسم كما فعل...، وابن جني في الخصائص[3].

يتبين لمتتبع هذا الفن أن التأليف فيه يحصره عدد قليل، وذلك لخطورة موضوعه، وحلكة ليله، لاستنباطه أسرار اللغة وكنهها، وما وُوري عن قارئها، وعُمِّي عن ناظرها، وجاء هذا الكتاب قبضةً من أثر أبي علي، نبَذَها أبو الفتح فأصبحت متعاليه عن الأنداد، في عمق وسداد.

قال في مقدمته: هذا... كتاب لم أزل على فارط الحال، وتقادم الوقت، ملاحظاً له، عاكفَ الفكر عليه...

ثم إن بعض من يعتادني.. سأل فأطال المسألة.. أن أُمضي الرأي في إنشاء هذا الكتاب...[4]

وللمؤلف معه وقفات في أثناء رده لبعض القراءات.

ابن أبي الربيع: الحسين عبيد الله بن أحمد الإشبيلي السبتي (ت٦٨٨هـ).

---

(١) المصدرنفسه .

(٢) مقالات في الأدب واللغة: ٥٧ .

(٣) المصدر نفسه: ١١٢ .

(٤) مقدمة الخصائص ١/١-٣ .

المبحث الخامس:

مصادر التفسير

١ ـ الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت ٥٢٨ هـ). في كتاب: «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل».

كتابٌ في تفسير القرآن الكريم، معتَمَد في المسائل اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، لا يؤبَه له في مسائل أخرى[1]، تصدى له بالنقد أبو حيان الجياني في البحر، وابن المنير في الانتصاف، والصفاقسي في الغيث، وانتصر له السمين الحلبي في الدر المصون.

وبالجملة فهو كتاب ينتفع به في بابه. أفاد منه المؤلف في اللغة.

٢ ـ ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) في كتاب «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» .

مؤلَّفٌ فيه تفسير القرآن العظيم، أهم مميزاته ذكرُ القراءات داخل النسق المبين، وتوجيهها، والاحتجاج والانتصار لها، مع التعرض للظواهر النحوية والصرفية واللغوية، لا جَرَمَ أنها عمدة المفسر وعدة المتدبر، فقد قال الإمام مالك بن أنس: لا أُوتَى برجل يفسر كتاب الله غيرِ عالم بلغة العرب إلا جعلتُهُ نكالا[2].

---

(١) منها رده لبعض القراءات التي خالفها القياس النحوي، وقد صح سندها، واستشهاده بشعر أبي تمام، إذ قال محتجاً: « أجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » ، ومعتقده في الصفات، ولهذا بجاله .

(٢) البرهان ١/٢٩٢ .

وقال مجاهد بن جبر: لا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب[١].

وقد أفاد منه المؤلف[٢].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) طبع الكتاب ثلاث مرات، وللدكتور عبد الوهاب فايد دراسة حوله سماها (منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم) .

المبحث السادس:

المصادر اللغوية

يُلاقي المتكلم بالعربية عنتاً كبيراً من أفعالها، وهو يكون عرضة لأن يخطئ فيها بالتحريف في حركاتها، أو بتبديل بناءٍ منها بآخر، وذلك ما استنهض اللغويين العرب لتأليف معاجم في الأفعال كان منها الخاصُّ ببعض صيغها، والعامُّ في جميعها لغرض العلاج أو الوقاية من تلك الأخطاء التي يقع فيها المتكلمون عند النطق بالأفعال.

ذلكم الكلم الذي دبَّج به العلامة اللغوي محمد الشرقاوي إقبال حديثه وفهرستَه لمعاجم الأفعال[1]، وصدَّرَ فهرسته بكتاب الأفعال لابن القوطية إذ هو مستهلُّ الباب.

١ ـ ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٧ هـ) في كتاب «الأفعال» .

من أوائل الكتب المؤلفة في هذا الغرض بهذا الاسم، قال ابن خلكان[2]: وصنف ابن القوطية الكتب المفيدة[3] في اللغة منها كتاب: تصاريف الأفعال، وهو الذي فتح هذا الباب، فجاء من بعده ابن القطاع وتبعه...[4]

---

(١) معجم المعاجم: ٢٥٧ .

(٢) وفيات الأعيان ٤/٣٦٨-٣٦٩ .

(٣) منها المقصور والممدود. الوفيات ٤/٣٦٩، ومعجم المعاجم : ٢٧٦ .

(٤) قلت: تبعه ابن طريف الأندلسي (أبو مروان عبد الملك ت ٤٠٠ هـ) قال القفطي:، وله كتاب حسن في الأفعال، ثم السرقسطي (أبو عثمان المعافري) قال ابن خير في

صدَّرَ كتابه بمقدمة عن الفعل وأحواله وأهميته، قال:

« اعلَم أن الأفعال أصولُ مباني أكثر الكلام، وبذلك سمَّتها العلماء الأبنية، وبعلمها يُستدَلُّ على أكثر علم القرآن والسنة، وهي حركاتٌ متقضِّيات»[1] ثمَّ تكلم عن الأفعال الثلاثية[2]، أعقَبَهَا بالحديث عن مصادر الثلاثي[3]، فمصادر الرباعي[4]، فالصفات في الألوان[5]، فالصفات بالجمال والقبح والعلل والأعراض[6]، فأقل الأبنية[7]، وبها ختم الديباجة، ثم بدأ بحرف الهمزة[8]، وهكذا إلى الياء[9].

وقد اعتمده المؤلف فيما اكتتبه من الأبنية.

٢ ــ ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني (ت٢٩١هـ) في كتاب « الفصيح » أو اختيار فصيح الكلام. جاء في مقدمته: هذا كتابُ اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس

كتاب الأفعال لأبي عثمان سعيد، طبع بحقيق محمد محمد شرف، ثم ابن القطاع (أبو القاسم على الصقلي ت ٥١٥ هـ) قال ابن خلكان: كتاب الأفعال أحسن فيه كل الإحسان، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية، وإن كان ذلك قد سبقه إليه. معجم البلدان: ٢٥٦ .

(١) المقدمة من كتاب الأفعال لابن القوطية: ١ .

(٢) نفسه: ١-٣ .

(٣) نفسه: ٣-٥ .

(٤) نفسه: ٥-٧ .

(٥) نفسه: ٧ .

(٦) نفسه: ٧-٨ .

(٧) نفسه: ٨-٩ .

(٨) نفسه: ٩ .

(٩) نفسه: ٣٠٤ .

وكتبهم، فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك.

ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك، فأخترنا أفصحهن.

ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهن بأكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما، وألفناه أبواباً، فمن ذلك باب فَعَلتُ بفتح العين...

قال القنّوجي[1]: وهو كتاب صغيرُ الحجم كثير الفائدة، اعتنى به الأئمة، ثم ذكر شُرَّاحَه ونُظَّامه.

وقال الشرقاوي إقبال[2]: والفصيح هذا مما يدخل في عداد الكتب التي أُلفت في التصويب اللغوي، وهو كان من أَسْيَرِ المعاجم ذكراً، وأكثرها تداولاً بين المؤدِّبين والمتأدِّبين...

اعتمده المؤلف كما اعتمد بعض إنشادات صاحبه.

٣ - الجوهري: أبو النصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣ هـ) في كتاب «الصحاح[3]» تاج اللغة وصحاح العربية.

---

(١) البلغة: ٤٣٦ .

(٢) معجم المعاجم: ٧٠ .

(٣) اختلف الباحثون في كيفية ضبط صاده فتحاً أو كسراً، والصواب تصويبهما، فقد جاء عن التبريزي أنه قال: كتاب الصِّحاح بالكسر، وهو المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظراف، ويقال: الصَّحاح بالفتح، وهو مفرد نعت كصحيح، وقد جاء فَعال بفتح الفاء لغة في فعيل كصحيح وصحاح، وشحيح وشحاح، وبريء وبراء . ذكره في المزهر، وقال ابن الطيب الشرقي: حيث لم يرد عن المؤلف في تخصيص أحدهما بالسند الصحيح ما يصار إليه، ولا يعدل عنه، فكلا الضبطين صحيح، خلافاً لمن أنكر الفتح ولمن رجحه على الكسر .

تقسِّمُ الدراسةُ المعجمة العملَ في إطارها إلى أربع مدارس[1]:

المدرسة الأولى: مدرسة الخليل.

المدرسة الثانية: مدرسة أبي عبيد.

المدرسة الثالثة: مدرسة الجوهري.

المدرسة الرابعة: مدرسة البرمكي.

ولكل هذه المدارس توابع لها وعُيَّلٌ عليها، والمهم من هذا المدرسة الثالثة وهي مدرسة الجوهري في الصحاح.

قال الثعالبي[2]: وله كتاب الصحاح في اللغة، وهو أحسنُ من الجمهرة، وأوقَعُ من تهذيب اللغة، وأقرَبُ متناولاً من مجمل اللغة.

وقال عنه ابن منظور[3]: ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، قد أحسنَ ترتيب مختصره، وشُهِرَ بسهولة وضعه، فخف على الناس أمره فتناولوه، وقَرُبَ عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه.

وقد سار الجوهري في صحاحه على نظام التقفية ملتزِماً الصحة في المروي، متحاشياً غير الصحيح.

قال القِنَّوجي: وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. ولهذا سمى كتابه «بالصحاح» ... فهو في كتب اللغة نظير صحيح البخاري في كتب الحديث، وليس المدار في الاعتماد على كثرة الجمع، بل على شرط الصحة[4].

---

(١) أول من قال بهذا العطار محقق الكتاب .

(٢) اليتيمة ٤/٢٨٩ .

(٣) مقدمة اللسان .

(٤) البلغة: ١٢٢، ١٢٤ .

وقد أحسن صنعاً العطار إذ جعله صاحبَ مدرسة التفقيه ورائدَها إذ لم يأبه لزعم[1] من يرى أنه اختلسها من خاله الفارابي صاحب « ديوان الأدب »، والبندنيجي صاحب كتاب « التفقيه » . قال: ونحن ومعنا الحق والعلم والتاريخ والواقع نؤكدُ أن الجوهري قد انتهى إلى منهجه دون أن يكون بين يديه مثالٌ سبقه فتأسَّاه... وكلمة الجوهري: «على ترتيبٍ لم أُسبَق إليه » تدل على أنه لم يَطلع على كتاب التفقيه للبندنيجي المغمورِ هو وكتابُه[2].

واعتمده المؤلف في بيان بعض الملتبس.

---

(١) دكتور العطية في مقدمة تحقيقه كتاب التقفية، والشيخ الجاسر في مجلة العرب ج٧ سنة ٧١ محرم ١٣٨٧ - ١٩٦٧م .

(٢) مقدمة تحقيق الصحاح ٨/١ .

الفصل الثاني



قيمة الكتاب العلمية

وفيه خمسة مباحث:

١ ـ الموازنة بينه وبين أوجه الشروح .

٢ ـ ترصيعه للعمل بثلة من القواعد اللغوية .

٣ ـ تحكيمه لبعض المقولات المعتبرة .

٤ ـ آثاره في اللاحقين .

٥ ـ الكتاب في نظر بعض المحدثين .

المبحث الأول:

الموازنة بينه وبين من خلفهم في العمل (أوجه الشروح)

تتباين منظومة شراح القصيد، تبايناً ينبئ عن مقصدهم، فمنهم مَن يختصر اختصار مخلاً لا يكاد يفي بغرض الشرح، ومنهم من يتسع ويُسهب بالتعلات والإيضاح، ومنهم من يتوسط فيقتصر على ما يرى له داعياً قوياً.

وإخال صنعة شيخنا في سفره هذا في ثاني المدارج المتلوة آنفاً، وما قلت هذا تعصباً مني، ولكن عن مكابدة ومجاهدة، ضارعتهما لدرك ما نثر من درر الرسم وشريف الوسم، ولست بمدع في مقولتي هذه أني أحطت بما لم يحط به سواي، وجئت من سبأ الفرائد بنبأ يقين، ولكن عنَّ لي أن أقول بما فيه أجول فقلت، وورِّي لي زند الإعجاب بما حوله أدور فحَمَلت .

أسست الموازنة على أجود الشُروح وأشهرها، وأذهبها في مجال التعليل والرصد، والافتراض والفرض، متحاشياً ما غث من سائرها، أو اعتدل في مقصدها.

أولاً: شرح الإمام السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) الموسوم بـ «فتح الوصيد في شرح القصيد» وهو شرحٌ نفيسٌ به عُرفت القصيدة، وبه عرَفَ كلٌّ شارح طريقه إليها.

قال برهان الدين الجعبري[١]: وكُلٌّ كَلٌّ على فاتح وصيدها، وماتح

---

(١) الكنز، المقدمة .

نضيدها، الشيخِ العلامةِ تاجِ القراء، سراجِ الأدباء، علم الدين أبي الحسن السخاوي جزاه الله عنا خير الجزاء.

وقال أبو شامة[(١)]: وإنما شَهَرَها بين النـاس وشرَحَها، وبيَّـنَ معانيهـا وأوضحها، ونبَّهَ على قـدر ناظمهـا وعـرَّفَ بحال عالمهـا شـيخُنَا الإمـام العلامة علم الدين، بقية مشايخ المسلمين، أبو الحسن علي بن محمد.

وقال ابن الجزري[(٢)]: وإليه أشار الشاطبي بقوله:

يقيضُ الله لها فتىً يشرحُهَا

وفي المنجد قال: كان مشغوفاً بالشَّاطبية، معنياً بشـهرتها، معتقـداً في شأن مؤلفها وناظمها رحمه الله تعالى، ولهذا اعتنى بشـرحها، فكـان أولَ من شرحها[(٣)]، وهو الذي قام بشرحها بدمشق، وطال عمُرُه، واشـتهرت فضائله، فقَصَدَه الناس من الأقطار، فاشتهرت الشّاطبية بسـببه، وإلا فمـا كان قبله تُعرف الشاطبية ولا تُحفَظُ، وكان أهل مصر كثيراً ما يحفظـون «العنوان» لأبي طاهر...[(٤)]

ثانياً: شرح أبي عبد الله الفاسـي (ت ٦٥٦) الموسـوم بـ« اللآلـئ الفريدة في شرح القصيدة» .

قال عنه الحافظ الذهبي[(٥)]: وشرحه للشاطبية في غاية الحسـن، وكـان

---

(١) الإبراز: المقدمة .

(٢) الغاية ١/٥٧٠ .

(٣) انظر قوله في الغاية في ترجمة ابن الحـداد (ت٦٢٥هـ)، ويحتمـل أن يكـون أول مـن شرحها ١/٣٦٦ .

(٤) منجد المقرئين: ٥٣ .

(٥) معرفة القراء الكبار ٢/٥٣٤ .

إماماً... بصيراً بالقراءات وعللها... خبيراً باللغة مليح الكتابة... انتهت إليه رياسة الإقراء بحلب .

- النتاج:

ظهر من خلال الإطلاع والموازنة بين الشروح الثلاثة:

أن ابن آجروم قرأ «الفتح» و«اللآلئ» قراءة المتمكن، وحفِظَ خطتهما، واعتنى بها، فنمقها وأنقها، وزاد عليها ونقص منها، وثارَ عليها أحياناً وعالجها، وأفاد منها في شرحه هذا، شأن أساطين العلم الأوائل، الذين يحفظون ليضيفوا، فجاء شرحُه جامعاً للشرحين، محاسنهما وتجويدهما، فالناظرُ فيه كالناظر فيهما، مع تأنقٍ في العبارة، وإحكامٍ في المطالب، وإسهابٍ في التعليل غير مملٍّ، وإبرامٍ في المسائل غير مخل، وتجويدٍ رتّلَ فيه المآتي من غير تراكب ولا تراكم، إلا في مسائل التراجم، فقد حفظها بحرفها، واعتمدها بنصها، وتلك مزية لا رزية.

المبحث الثاني:

ترصيعه الكتاب بثلة من قواعد اللغة والنحو والصرف

أجتزئ بذكر بعضها مخافة الإملال:

١) ليس في الصفات فِعَلٌ إلا «عداً» .

٢) الهمزة بين بين في زنة المتحركة وإن خف النطق بها.

٣) لام المعرفة لا تكون في الكلام إلا ساكنة، ولا تسكن مبتدأة إلا في صيغة الأمر خاصة، على لغة الحمل على النظير من المسموع.

٤) الإبدال أقربُ إعلالاً من الحذف ؛ لأنه إعدام.

٥) أسماءُ الأعداد قبل وقوعها على معدود موقوفات.

٦) لم تجئ «وَعَوتُ» .

٧) ما كان على «فُعَلٍ» يجوز فيه أربع لغات.

٨) الإدغام الصغير لا يكون فيه إسكانٌ.

٩) لا يرد عاملٌ على عامل.

١٠) لا يُدغم أحد المثلين في صاحبه.

١١) العرب تستفهم في التوبيخ ولا تستفهم.

١٢) حرف اللين أضعف من حروف المد.

١٣) لم يُدغموا «بكر راشد» .

١٤) الأصل في التقاء الساكنين التحريكُ ثم الحذف.

١٥) الإشمامُ لا يؤتى به إلا بعد السكون الخالص لا غير، ورَومُ الحركة حركةٌ وإن ضعفت بذهاب معظمها.

١٦) العرب لا تستثقل في العارض.

١٧) ليس في الأفعال: افَّعَلَ، وافعَلَّلُوا.

١٨) شذ قولهم: ودٌّ: في وتد.

١٩)الضمير المرفوع يُنزل من الكلمة منزلة الجزء منها.

٢٠) العرب تفتح: هذا ماشَ.

٢١) العرب تفعل ذلك يقولون: لَحْمَرُ جَاءَ، وألَحْمَر.

٢٢) أل في الأسماء بمنزلة قد في الأفعال.

٢٣) السكت بعضُ الوقف.

٢٤) الوقف لا يكون على بعض الحركة.

المبحث الثالث:

تحكيمُه لمقولاتٍ
تُعتَبَرُ جوامعَ كَلِمٍ للمسنون المتَّبع عند ملتزمي المنهج الأقوم لرصد وتأسيس القاعدة اللغوية

وأُمثِّل لهذا بما يلي:

١) ما كان على غير قياسٍ، فسبيلُه أن يُقعد حيث ورد.

٢) لا يُستعمَلُ إلا ما استعملته العرب في كلامها.

٣) قد يحكم لشيءٍ بحُكمَين.

٤) ما منعته علةٌ أن يجريَ على أصله فليس بمخالفةٍ للأصل.

المبحث الرابع:

أثارة من آثاره في اللاحقين

(نماذج من إفاداته في أعمال خالفة)

لقد بزغ بدر هذا العمل إبان الحاجة إلى شرح يفك غوامض القصيدة، ويقربها من روادها؛ لأن شروحها لم تتداول بالقدر المطلوب حينئذ، فجاء الكتاب مدرسة متكاملة شع نورها لمن اقتفى أثرها من شراح للقصيد، أو مفرِدين لباب من أبوابه أصوله أو فرشه، أو متفردين بتأليف في الباب في غير محاذاة للقصيد، كشراح البرية، وغيرهم ممن ألف في المفردات .

١ ـ نجد في طليعة من تأثر به ونقل عنه الإمام محمد بن إبراهيم الشريشي الشهير بالخراز[1] في كتابه الموسوم بـ: « القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع » .

قال في أول كتابه هذا:... نقلتها من كتب الأكابر العلماء المشاهير...

فقد وصف ابنَ آجروم بما ذَكَرَ، إذ هو داخلٌ تحت الذين نقلَ عنهم في كتابه.

وفي أثناء نقله عنه يصفه بالأستاذية، من ذلك قوله عند تعليله لعدم مد ياء إسرائيل:

---

(١) أبوعبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي المعروف بالخزار، أخذ عن محمد بن القصاب ومحمد بن آجروم ـ المؤلف ـ، إمام في قراءة نافع، مقدم فيه، بارع في الرسم والضبط، قال ابن الجزري: إمام كامل، أخذ عنه أبو محمد ابن أجطا. انظر الغاية ٣٧/٢ .

ـ لذلك قال صاحبُنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن آجُرُّوم (رحمه الله تعالى) مع كونه اسماً أعجمياً ؛ لأنه كثيراً ما يخالف أحكام الأسماء العربية مع كونه بلغ غاية عدة حروف الأسماء (وغاية عدد حروف الأسماء)[1] سبعة أحرف، فمد الألف وترك الياء؛ لأن الياء أضعف لأن الهمزة قبلها، فالضعف فيها من وجهين[2].

ـ ومنه قوله: عند شرحه لقول ابن بري:

ومـــد قالونٌ لما تسهَّلا بالخلف في أو شهدوا ليفصلا

وقد ذكر صاحبُنا الأستاذ (رحمه الله) في مصنفه على القصيد، ومنه نقلتُ ما أوردته عنه، وشافهني مع ذلك في بعضه فقال: لأنها سُهِّلَت لثقلها في نفسها لا لاجتماع همزتين..

قال: فإن قلتَ: يجوز أن يُوقَف على هاء التنبيه قبل الهمزة، وتنفصل الهمزة منها فتحقق إذ ذاك وليس التسهيل لازماً لها ؟

فالجواب: أن الألف الذي يراد مدُّهَا مفقودة حالةَ التحقيق، ولا تجتمع هي والهمزة المحققة عنده أبداً، لأنه إنما سهلها لثقلها في نفسها، والله أعلم[3].

ـ ومنه قوله عند شرح قول ابن بري:

وحيث تلتقي ثلاث تركه وفي أئمة لنقل الحركة

وذكر صاحبُنَا الأستاذ (رحمه الله)، أنَّ مَن لم يفصل فيه أتى به على

---

(١) ليست في أصل النص .
(٢) القصد النافع: ١٣٦ .
(٣) القصد النافع: ١٦٢ .

لغة الذين يقولون: (خطاءء)، فيجمعون بين الهمزتين، واكتفى بالتسهيل عن الفصل لأنه لا يستثقل همزين كل الاستثقال، لأن مذهبه استخفاف اجتماع همزتين بخلاف ما فعل في أئذا وبابه، لأنه أتى به على لغة الذين لا يجمعون بين الهمزتين، فلم يكفه في زوال اجتماعهما التسهيل، بل سهّل وفصل، والله أعلم[1].

ومنه قوله عند شرح قول الناظم:

وإن أتت مفتوحة أبدلها واواً إذا ما الضمُّ جاء قبلها

وقال صاحبُنا الأستاذ أبو عبد الله (رحمه الله):

فإن قيلَ: لِمَ أُبدلت الهمزة في (أُأَلف) و(أُؤَذن) حين اجتمعتا، ولم تُحذَف كما حذفت في (أنا أكرم) والأصل (أُأَكرم) ؟

فالجواب: أن همزة « أُأَكرم » زائدةٌ على فاء الفعل، وهمزةُ « أولف » أصلية، لأنه فاء من الفعل، فخصوا الزائد بالحذف، وما هو أصل بالبقاء والإبدال[2].

- ومنه قوله عند شرحه لقول ابن بري:

والعين واللام فلاتبدلهما لنافع إلا لدَا بيس بما

وأبدل الذيب وبير بيس ورش ورئيا بإدغام عيسى

وقد ذكر صاحبُنا الأستاذ أبو عبد الله (رحمه الله) في ذلك وجهاً، وهو : ... ثم ذَكَرَه، وعلق عليه بقوله: وهذا الذي ذكَرَ الأستاذ (رحمه

(١) القصد النافع ص: ١٦٦ .
(٢) القصد النافع ص: ١٩٢ .

ا لله) ظاهرٌ، إذ لم توجد هذه التغييرات في غيره من نظائره[1].

ـ ومنه قوله عند شرحه لباب ياءات الإضافة:

قال صاحبُنا الأستاذ أبو عبد ا لله (رحمه ا لله):

فإن قيل: الفتحة في الياء مستخفة، ألا تراهم يقولون: هذا قاض، ومررت بقاض، ورأيت قاضياً، فيقدرون الضمة والكسرة ويظهرون الفتحة، وذلك لخفتها ؟

فالجواب: ...ثم ذكره[2].

هذه جملةُ ما أفاد منه العلامة الخراز في شرحه على البرية.

٢ ـ نقل عنه العلامةُ ابن المجراد[3] في شرحه للدرر المعْلَوْن بـ «إيضاح الأسرار والبدائع وتهذيب الغرر والمنافع في شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع » في عدة أبواب مثل: ذكر ميم الجمع، والهمز والنقل. أجتزئ بنقله عنه عند شرحه لقول ابن بري من باب المد:

ويـــاء إسرائيل ذات قصر   هذا الصحيح عند أهل مصر

... وأما في الوقف فقال ابن آجروم في « فرائد المعاني » :

فلا يجوز فيه إلا الطبيعي كما في الوصل ؛ لأنه إنما ترك مد الياء في الوصل خوفاً من أن يجمع في كلمة واحدة بين مدتين مع كونه أعجمياً، وهذا بعينه موجود في الوقف، وقد سألت عن ذلك شيخنا أبا القاسم بن

---

(١) القصد النافع ص: ١٩٦ .

(٢) القصد النافع ص: ٣٢٠ .

(٣) محمد بن محمد بن عمران السلوي، يعرف بابن المجراد، وتوفي سنة ٧٧٨ هـ ، والكتاب مخطوط لم يطبع .

الطيب الضرير فقال ما هذا نصه: « وأما مدُّ القرآن في الوقف وما شاكله مما يَترُكُ ورشٌ مدَّه في الوصل، فإنه يجري فيه ما يجري في غيره من حروف المد في الوقف؛ لأن خلافهم في مده مبني على الاعتداد بما يسكنه الوقف؛ هل يجري السكون العارض يجري مَجرى الأصلي أم لا ؟ » انتهى كلامه.

- قال: - يعني ابن آجروم - فانظر كيفَ ساوى بين القرآن والظمآن وإسرائيل، والقياس يوجبُ ما تقدم من التفصيل، والله أعلم. [1]

٣ - نقل عنه العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي في كتابه الموسوم بـ: « مقالة الأئمة الأعلام في تخفيف الهمز لحمزة وهشام » عند حديثه عن مذهب حمزة في لام التعريف قال:

« قال ابن آجروم: فإن قيل هل يجوز النقل ؟ فالجواب أن النقل جائز وإن لم يقرأ به »[2].

- ونقل عنه في مسألة: أأنذرتهم؛ قال: « وقال ابن آجروم: الذي يظهر لي أنه يمد لا غير »[3].

- ونقل عنه في مسألة مد ياء « إسرائيل » حال الوقف وعدم مدها. قال: «وخالف ابن آجروم فقال: لا يجوز إلا الطبيعي كالوصل لاتحاد العلة »[4].

---

(١) إيضاح الأسرار والبدائع، باب المد . وهو مخطوط .

(٢) مقالة الأئمة الأعلام ورقة: ١٥ نسخة خاصة .

(٣) المصدر السابق ورقة: ٣٢ .

(٤) المصدر السابق ورقة: ٣٧ .

هذه طائفة من نقول اقتُبِسَت من أصل الكتاب « الفرائد » تنبئ عن قوة اعتماد أكابر هذا الفن على كتاب « الفرائد » في الاحتجاج والتعليل عند المدرسة المغربية، المتمثلة في ذلكم الشرح الذي لا ضير إن قلتُ: إنه جمع عِلمَ سابقيه فأوعى، وأغنى اللاحقين عن لاحقيه فرضًى.

المبحث الخامس:

الكتاب في نظر بعض المحدَثين

قلتُ: وقد أشار بعضُ المتأخرين إلى عظمة هذا الكتاب وقدرِ صاحبه أمثال العلامة الإمام سيدي عبد الله كنون حيث قال:

وللمترجَم (رحمه الله)... شرحٌ على (حرز الأماني) المنظومة المعروفة بالشاطبية في القراءات ؛ لأنه كان ذا قدم راسخة في هذا العلم، أخذه الناس عنه وانتفعوا به فيه، وقد رأيت في بعض شروح الخراز أنه ممن أخذ عن المترجَم[1].

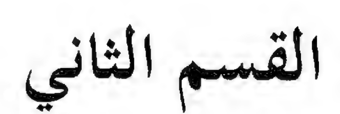
ـ والدكتور البحاثة عبد الهادي حميتو حيث يقول عن الكتاب:

وهو من الشروح المغربية النفيسة على الشاطبية، ومن مفاخر المكتبة المغربية. قال: وقد وجدتُ طلبة الدراسات الإسلامية يتهيبون الإقدام على تحقيقه حتى الآن[2].

---

(١) انظر ذكريات مشاهير رجال المغرب ع/٢٠ ص:٢٤ .

(٢) قراءة الإمام نافع: ١٢٧٧ .



النص المحقق

ويسبقه:

١ ـ تحقيق النسبة والتسمية .

٢ ـ وصف النسختين المعتمدتين .

٣ ـ عملي في التقويم .

٤ ـ المصطلحات والرموز .

٥ ـ نماذج مصورة من النسختين .

تحقيق النسبة والتسمية

أولاً:

أدل دلائل تحقيق النسبة والتسمية المؤلِّفُ نفسُه، فقد أورد المؤلف في تقدمته للكتاب الاسم الذي ارتضاه علواناً لمؤلَّفه، قال في صفحة (٣): وسميته «فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني» .

ومما يزيد الحجة رسوخاً أن النسخة بخط المؤلف نفسه، وهذا يوافق ما على أول صفحة من النسخة.

ثانياً:

تصحيح نسبته له من نصوص المترجمين له، منهم:

١ ـ الكتاني في سلوة الأنفاس، انظر ٢/١٣[1]، قال: وإن من تآليفه أيضاً شرح حرز الأماني في القراءات .

٢ ـ مخلوف في شجرة النور الزكية، انظرالصفحة: ٢١٧. ولم يذكر الاسم، بل قال: شرح حرز الأماني في القراءات.

٣ ـ جاء في دائرة المعارف الإسلامية ١/٨٤ أنه كتب شرحاً لمنظومة الشاطبي.

٤ ـ أثبت نسبته له الزركلي في الأعلام ٧/٣٣ قال:

وله فرائد المعاني في شرح حرز الأماني خ مجلدان منه، وأورد صورة الصفحة الأولى من النسخة التي بخط المؤلف، وهي النسخة نفسها التي

---

(١) جاء في السلوة ١/١١٣:

أَلَّفَ ذي معْ شرحِهِ حرزَ الأمانْ ‏ ‏ ‏ وشيخُهُ بدرُ الدُّجا أبو حيان

يشير ب(ذي) إلى المقدمة .

اعتمدتها في التحقيق.

٥ ـ نسبه له العلامة سيدي عبد الله كنون في ذكريات مشاهير رجال المغرب (العدد الخاص بابن آجروم ص: ٢٤) قال:

وللمترجم رحمه الله من غير المقدمة شرح على (حرز الأماني) المنظومة المعروفة بالشاطبية في القراءات.

٦ ـ نسبه له الدكتور عبد الله العمراني في ترجمته له في معلمة المغرب. انظر ص: ١٤٣، وانظر هامش (٢) ص: ١٩٩ من ثبت الوادي آشي.

٧ ـ نسبها له ناصر الدين الأسد في الفهرست الشامل. انظر ٢٠١٣/١، قائمة النوادر ص: ٧.

٨ ـ كما أثبته له الأستاذ سعيد أعراب في كتابه القراء والقراءات في المغرب ص: ٦١، قال:

ومن مؤلفاته: فرائد المعاني في شرح حرز الأماني، وهو من أنفس شروح الشاطبية، له فيه تحقيقات بَعُد العهد بمثلها.

٩ ـ نسبه له الدكتور عبد الهادي حميتو في رسالته (قراءة الإمام نافع عند المغاربة) ١١٩٨/٤، ١٢٧٧.

١٠ ـ أثبته له أيضاً مُقرِئ الديار المغربية، أستاذي العلامة مولاي مصطفى البحياوي (حفظه الله) في كتابه الموسوم بـ(إتحاف القارئ والسامع) ص: ٣.

ثالثاً:

وقفت على نصوص عديدة تدل على صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه، بعضُ هذه النصوص يذكر المؤلِّف والمؤلَّف في أثناء النقل عنه،

وبعضها لا يذكر إلا المؤلِّف فقط. وقد وفيت الحديث عن الكتب التي أفادت من « الفرائد » وأصحابها في: (قيمة الكتاب العلمية)، وأجتزِئ هنا بذكر من ذكره من أصحاب تلك النصوص.

١ـ ابن بري في القصد النافع[١]:

أ ـ ذكر اسمَ المؤلِّف فقط عند نقله عنه في تعليله لامتناع مد ياء إسرائيل، قال: قال صاحبُنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن آجروم رحمه الله تعالى[٢]:

ب ـ لم يذكر اسمه وإنما صرَّح بتصنيفه على القصيد عند شرحه لقول ابن بري:

ومد قالون لما تسـهَّلا بالخلف في أو شهدوا ليفصلا

كما صرح بالنقل عن المصنف ومشافهة المصنف له ببعض ما نقل عنه وقال: وقد ذكر صاحبُنا الأستاذ (رحمه الله) في مصنَّفه على القصيد.. ومنه نقلتُ ما أوردته عنه، وشافهني مع ذلك في بعضه...[٣]

جـ ـ لم يذكر اسم المؤلِّف ولا المؤلَّف وإنما وصَف المؤلف بالأستاذ، حيث قال عند شرح قول ابن بري:

وحيث تلتقي ثلاث تركه وفي أئمة لنقل الحركة

قال: وذكر صاحبُنا الأستاذ (رحمه الله).. وذكر النص بكامله عنه..[٤]

---

(١) عرفت بالكتاب في قيمة الكتاب .

(٢) القصد النافع: ١٣ .

(٣) القصد النافع: ١٦٣ .

(٤) المصدر نفسه: ١٦٦ .

د ـ ذكره بكنيته فقط عند شرح قول ابن بري:

وإن أتت مفتوحة أبدَلها   واواً إذا ما الضم جاء قبها

قال: قال صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله (رحمه الله)، ثم ذكر النص كاملاً[1].

٢ـ ابن المجراد في: إيضاح الأسرار والبدائع[2]:

أـ ذكره باسمه وصرح باسم المؤلّف وذلك في أثناء شرحه لقول ابن بري:

وياء إســـــرائيل ذات قصر   هذا الصحيح عند أهل مصر

قال:... وأما في الوقف فقال ابن آجروم في: فرائد المعاني...ثم ذكر النص كاملاً [3].

٣ـ ابن القاضي في كتابيه « مقالة الأئمة الأعلام » و « بيـان الخلاف والتشهير »[4]:

أـ ذكـر اسمَ المؤلّف فقط عند حديثه عن مذهب حمزة في لام التعريف قال: قال ابنُ آجروم.... ثم أورد النص[5].

بـ وذكر اسم المؤلّف كذلك في أثناء حديثه عن ياء إسرائيل، قال: وخالف ابن آجروم.. ثم ذكر النص كاملاً[6].

---

(١) المصدر نفسه!٩٢، وكذلك صفحة: ١٩٦، ٣٢٠ .

(٢) تحدثت عنه في قيمة الكتاب .

(٣) إيضاح الأسرار والبدائع ، باب المد .

(٤) انظرهما في قيمة الكتاب .

(٥) مقالة الأئمة الأعلام ورقة: ١٥، وورقة: ٣٢ .

(٦) مقالة الأئمة الأعلام ورقة: ٣٧، وبيان الخلاف والتشهير ورقة: ١٠ .

- وكذلك فعل كل من عُني بترجمته: فمنهم من أشار إلى تصنيفه في القراءات، ومنهم مَن عيَّنَ تصنيفه على « حرز الأماني » ، ومنهم مَن ذكر اسم التصنيف .

ولم يختلف أحدٌ منهم في تسمية المصنّف، إلا ما وجدتُ بأخرةٍ وهو كالتالي:

١ - كُتِبَ على علبة المكروفيلم الذي أمدَّني به الدكتور الفاضل عياد الثبيتي: « قرائحُ المعاني » ، ولا وجه لهذه التسمية، إذ لم أُلفِها بين المصادر المعتمدة.

٢- ذكر الدكتور حميتو عبد الهادي: أن بعضهم يسُميه: (فوائد) بالواو، والصواب الأول[1]، يعني تسميته (الفرائد) .

قلت: ولا وجه لهذا كله للعلة التي أسلفت، ولكون النسخة رقم ١٤٦ ق بالخزانة العامة بقسم الوثائق، التي هي بخط المؤلف، صرَّحَ فيها باسم مصنفه هذا حيث قال: وسميته: « فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني »[2].

وعلى هذا النسخة (ب) .

---

(١) انظر قراءة الإمام نافع: ١٢٧٧ .

(٢) من النسخة أ ص: ٣ .

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذا النص وتقويمه على نسختين لا أعلم لهما ثالثة.

أولاً: النسخة الأولى:

يحفظها قسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٤٦ ق. عليها ختمان الأول: يحمل اسم الخزانة العامة بالرباط ورقم ١٤٦ ق.

والثاني: يحمل اسم مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت ورقم ٩٧ ص والظاهر أنها كانت بتمكروت ثم نقلت ضمن ما نقل من مخطوط إلى الخزانة العامة بالرباط للصيانة.

والنسخة في مجلدين كبيرين: الأول يبدأ بأول النظم بعد المقدمة وترجمة الشاطبي، وينتهي عند آخر باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها. ويبدأ المجلد الثاني بأول باب: وقف حمزة وهشام على الهمز.. وينتهي بآخر باب الزوائد وهو آخر باب في الأصول .

جاء في أول ورقة من هذه النسخة ما يلي:

كتاب فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، مما عني بتصنيفه الشيخ الفقيه الإمام الأستاذ، المقرئ، المحقق، النحوي، اللغوي، الفرضي، المشارك في العلوم، النحرير، العلامة الحافظ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح الناسك الورع أبي سلمى داود الصنهاجي الشهير بابن آجروم (رحمة الله تعالى عليه)، وهو بخط يده المباركة، إلا ما جُدد لمحوٍ

أو سقط من بعض الورقات، فإنه بخط يد ولده عبد الله محمد[1] المدعو منديل (رحمه الله تعالى) ونفع بهما معاً آمين.

فهي على ما يظهر من هذا التعريف بخط المؤلف نفسه[2]، فهي لهذا نسخةٌ فريدةٌ نادرةٌ طُبع خطها بطابع علمي متفرد، يظهر من رسمه التمكنُ من كيفية رسم الهمزات وإخلاء الحروف التي لا تنقط ـ إذا تطرفت ـ من النقط مثل النون والفاء والقاف والياء، والتبريز في استعمال إشارات «اللحق» وتسويته مع الكِتْبَة التي يومئ إليها، مع العناية بالتصحيح الذي يعبر عنه بكلمة (صح) عند آخر اللحق، والتضبيب إلى غير ذلك من الضوابط المعروفة عند علماء الرسم من الحذف الإشاري والنقل وغيره، على طريق المقاربة في ضبط النص القرآني.

ـ كُتبت هذه النسخة بمداد خافت يضرب إلى الاحمرار منه إلى السواد، عدد أوراق الجزء الأول منها (٣٢٧) صفحة، كل صفحة بين (٢٧و ٣٠) سطراً، في كل سطر ما بين (١٥ و ١٧) كلمة، يظهر من هذه النسخة ـ يقيناً أنها مسوَّدَةٌ لأمور:

١ ـ كثرةُ اللحق.

٢ ـ كثرة التضبيب، والشق.

٣ ـ وهو أقوى الشواهد: جاء في صفحة رقم ٤٨ في هامشها من جهة اليمين إلى أسفل عند بياض في صلب النص، قال في الهامش: (في

---

(١) الصحيح: أبو عبد الله محمد، وهو المدعو منديل كما تقدم في ترجمته .

(٢) خلافاً لتشكيك الزركلي في صحة نسبة الخط للمؤلف. انظر الأعلام ٣٣/٧.
قلت: وقد نشر في المصدر نفسه صورة الصفحة الأولى التي فيها ذكر النبي ﷺ من النسخةالمذكورة، التي رمزت لها بـ(أ) .

المبيَّضَة بخطه: قلتُ: حُقَّ لأبي إسحاق أن يقول ما قال).

وهذا يدل على صحة وجودِ نسخة أخرى بخط المؤلف بيَّضها من بعد هذه، ولكن وللأسف لا تُراح رائحتها من قريب ولا من بعيد.

وقد علقتُ الأمل على كلام ناصر الدين الأسد في الفهرس الشامل[١]، حيث ذكر في قائمة النوادر أن في خزانة القرويين بفاس نسخةً في جزئين بخط المؤلف تحمل رقم (١٤٦ ق). فسافرتُ من أجل ذلك إليها، فلم أعثر لها على أثر لا في الفهرس العام ولا الخاص، فرجحت أنها بعينها التي في الخزانة العامة بالرباط والله المستعان.

- كما أن هذه النسخة عليها قراءاتٌ متعددة وتعليقات من كنز المعاني للجعبري، واللآلئ الفريدة للفاسي، والنشر لابن الجزري، والإقناع لابن الباذش، والإيضاح للأهوازي، واستدراكات من بعض من قرأها وغير ذلك مما يجعل النسخة غنيةً بهوامشها، إلا أن غالب هذه الهوامش مبتورة، أو غير مقروءة لضيق الطُّرَر، وتراكب الحروف، وزيغ المداد، ومشق الكتابة، وتعليقها.. كما أُلصِقت في أثناءها بعض الملحقات.

ولم يكتب عليها تاريخ نسخها، وعلى العموم فهي نسخةٌ صعبةُ المنال، تحملُ القارئ فيها على الإملال، ولكن الله ذللها لي فمشيت في مناكبها، وغُذيت بدرها، ولله الحمد.

رمزت لها برمز (أ) وجعلتها عمدةَ الاستنساخ.

---

(١) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ١/٢٠١٣، قائمة النوادر: ٧.

ثانياً: النسخة الثانية:

يحفظها كذلك قسمُ الوثائق بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (ق٦٦٤)، تحملُ ختمَين: (الأول) يحملُ اسم الخزانة العامة بالرباط ورقمها: ق ٦٦٤ كما تقدم. الثاني: يحمل اسم مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت تحت رقم (٦٦١ ص)، والظاهرُ كما تقدم أنها مما نُقل إلى الرباط للصيانة.

كُتِب في أول ورقة عليه ما يلي: « السفرُ الأول من كتاب فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني ، مما عني بتصنيفه العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي » .

عليها بعض البيانات بالتمليك، وبعض التنويه بالشرح والحكم بأفضليته وتقدمه وتبريّزه على شرح الفاسي وأبي شامة والجعبري والشعلة وغيرهم، وقال صاحبه بعد هذا: وليس الخبر كالمعانية.

والنسخة في مجلد كبير يجمعُ الجزئين معاً، يبدأُ الجزء الأول من بدء النظم وينتهي بآخر باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، كُتب على آخر ورقة منه: تم السفر الأول بحمد الله وحسن عونه يتلوه في أول الثاني: باب وقف حمزة وهشام على الهمز. ويبدأ الجزء الثاني ببترٍ في أول باب وقف حمزة وهشام على الهمز، وينتهي بآخر باب الزوائد، آخر باب في الأصول.

عدد ورقات الجزء الأول منها: (١٣٠) ورقة أي (٢٦٠) صفحة، في كل صفحة ما بين (٢٩ و ٣٠) سطراً، في كل سطر ما بين (٢٠ و ٢٥) كلمة قد تزيد أو تنقص. يكاد ينعدم منها اللحق والتضبيب، وقد استعنت بها كثيراً على تتبع ما رسم في النسخة الأولى، إلا أنها نسخة

فقيرة من حيث ضوابطُ الكتابة، فالظاهر أن الناسخ لا مساس له بالعلم ألبتة، فقد كان يرسم الكلمات فقط دون فقه لمعناها، وقد يُصحف الفاء قافاً والنون باء، وعنه منه، وبه له، أما الكلمات التي لها رسم الكلمة وليس لها مدلولها، فحدِّث عنها ولا حرج، ناهيك عن تصحيف أسماء الأعلام والحذف والزيادة، وانتقال النظر، مما يجعل النص مبتوراً تلسع المحقق قراءته.

وعلى العموم فهي نسخةٌ رديئة ليس فيها نفع إلا في جملتها، وليس عليها اسمُ ناسخها، ولا تاريخُ نسخها، وقد رمزت لها برمز بـ(ب).

عملي في التحقيق

قوَّمتُ النص من خلال المقابلة بين النسختين أ وب، وجعلتُ العهدة على (أ) فإن طرأ مايجانب المألوف، فإني أجنح إلى تعديله في صلب النص مستنداً إلى ب، فإن لم أجد فإني أركن إلى تركه كما هو، ويكون التعليق على الهامش لتوضيح العلة.

- ترصيعُ النص بتقسيمه إلى مفردات وجمل متكاملة الدلالة، مما يُعين على توضيح مفاده، مستعيناً باستخدام العلامات المعروفة عند نابتة المحققين وجهابذتهم، كالفواصل، والنقط،وعلامات التعجب، والاستفهام، وغير ذلك.

- إلحاق اللحق بمنازله من النص.

- إخراج ما ضُبِّبَ أو شُقَّ من النص.

- إبراز الفرش المختلف فيه بين قوسين مع ترقيمه وإحالته.

- الترقيم إتباعاً للعد الكوفي، والتقييد بالحركات، نظراً لاختلاف وجوه النحو والقراءات.

- ضبطُ ما يلتبس رسْمُه من أسماء الأعلام، لأنها لا تُدرك بالمعنى، ولا يستدل عليها بما قبل وبعد.

- البعدُ عن التعني بتقييد الواضح الذي لا يلتبس.

- التعليق على النص بما يزيل اللبس، ويُناقش الرأي، وينأى بالإيهام.

- تخريجُ وعزوُ الآيات والأحاديث والنقول،والآثار، والأشعار إلى مظانِّها ومصادرها.

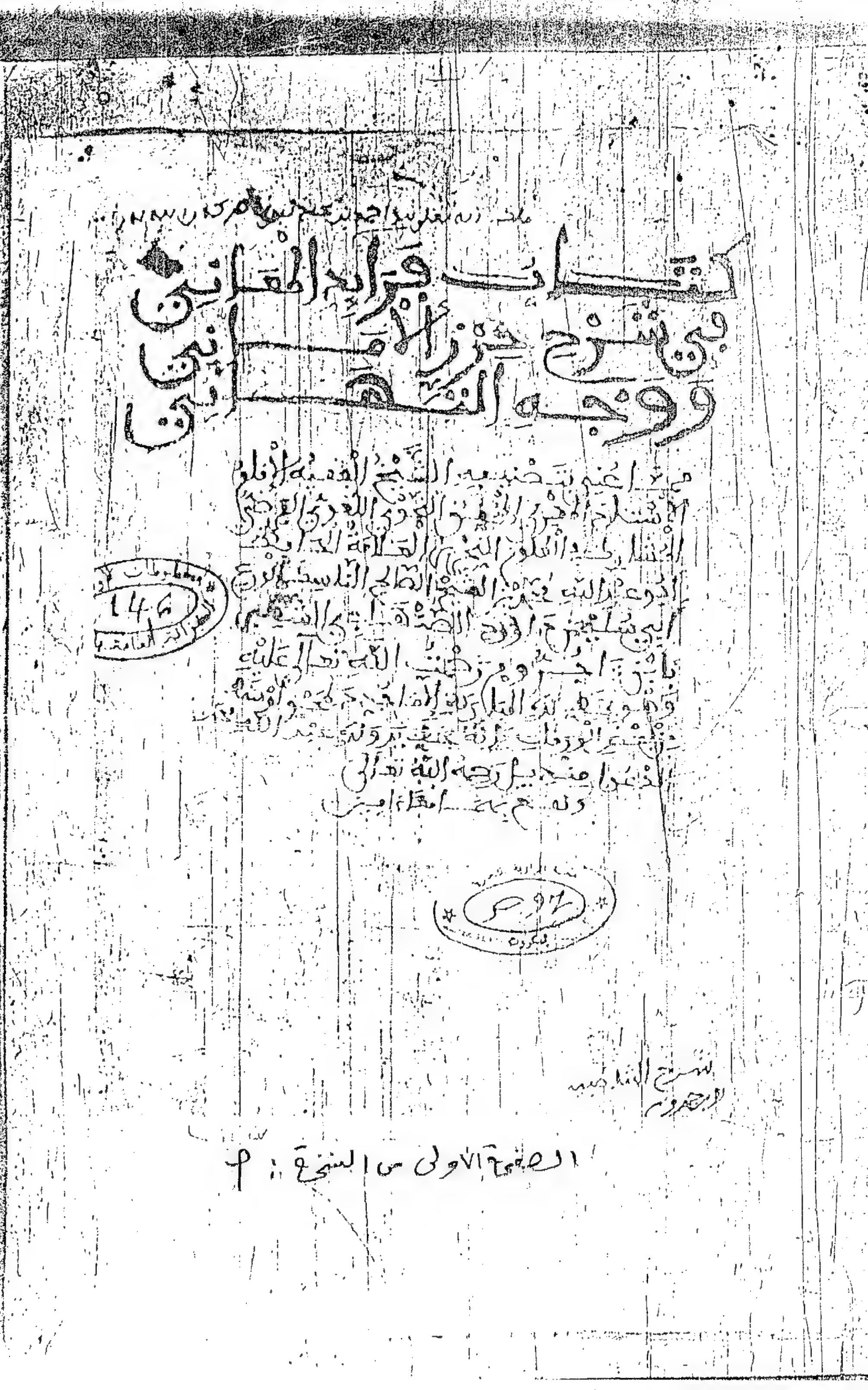
- الاعتناء بتراجم المغمورين الذين لم يشتهروا.

- تحلية نسق التراكيب غيرِ الواضحة بشرح الموهم، وتقويم الفاسد رسماً منها.

- ترصيع العمل بثلةٍ من الفهارس لتُعين على درك المقصود.

المصطلحات والرموز المستعملة في التحقيق

الكوفيون	=	عاصم وحمزة والكسائي
الحرميان	=	نافع وابن كثير
النحويان	=	أبو عمرو والكسائي
الابنان	=	ابن كثير وابن عامر
[ ]	=	لما زيد على النسخة الأم
( )	=	رتق الخرق المحتمل
أ	=	النسخة الأم رقم ١٤٦ ق
ب	=	النسخة المساعدة رقم ٦٦٤ ق
خ	=	مخطوط
ل	=	لوحة
ق	=	ورقة
و	=	وجه
م	=	مجلد، أو تاريخ ميلادي .
ط	=	طبعة أو مطبوع
ص	=	صفحة
ج	=	جزء
هـ	=	تاريخ هجري
ت	=	تاريخ الوفاة
١/أ و ١/ب	=	إنهاء الوجه أو الصفحة



كتاب فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني

مما اعتنى بتخريجه الشيخ الفقيه الأجل [illegible]

[illegible]

[illegible] العلامة [illegible]

[illegible]

[illegible] الصنهاجي [illegible]

[illegible] بابن آجروم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] رحمه الله تعالى

[illegible]

146

97

شرح الشاطبية لابن آجروم

الصفحة الأولى من النسخة : م





[illegible]

في قرائته باب الادغام الكبير [illegible]

[illegible] الا ان [illegible] ما اليه [illegible]

[illegible] الاخرين بالاظهار [illegible] الاخرين [illegible] من الكسائي

والادغام الذي قد روي عنه [illegible] الحركة [illegible] التشديد

بالاصل [illegible] الادغام [illegible]

[illegible] الكسائي [illegible]

[illegible]

[illegible] الادغام [illegible]

انه فصل ان [illegible]

[illegible] الادغام [illegible]

قلت [illegible]

[illegible] الادغام [illegible]

[illegible] كلام العرب [illegible]

[illegible] كلام العرب [illegible]

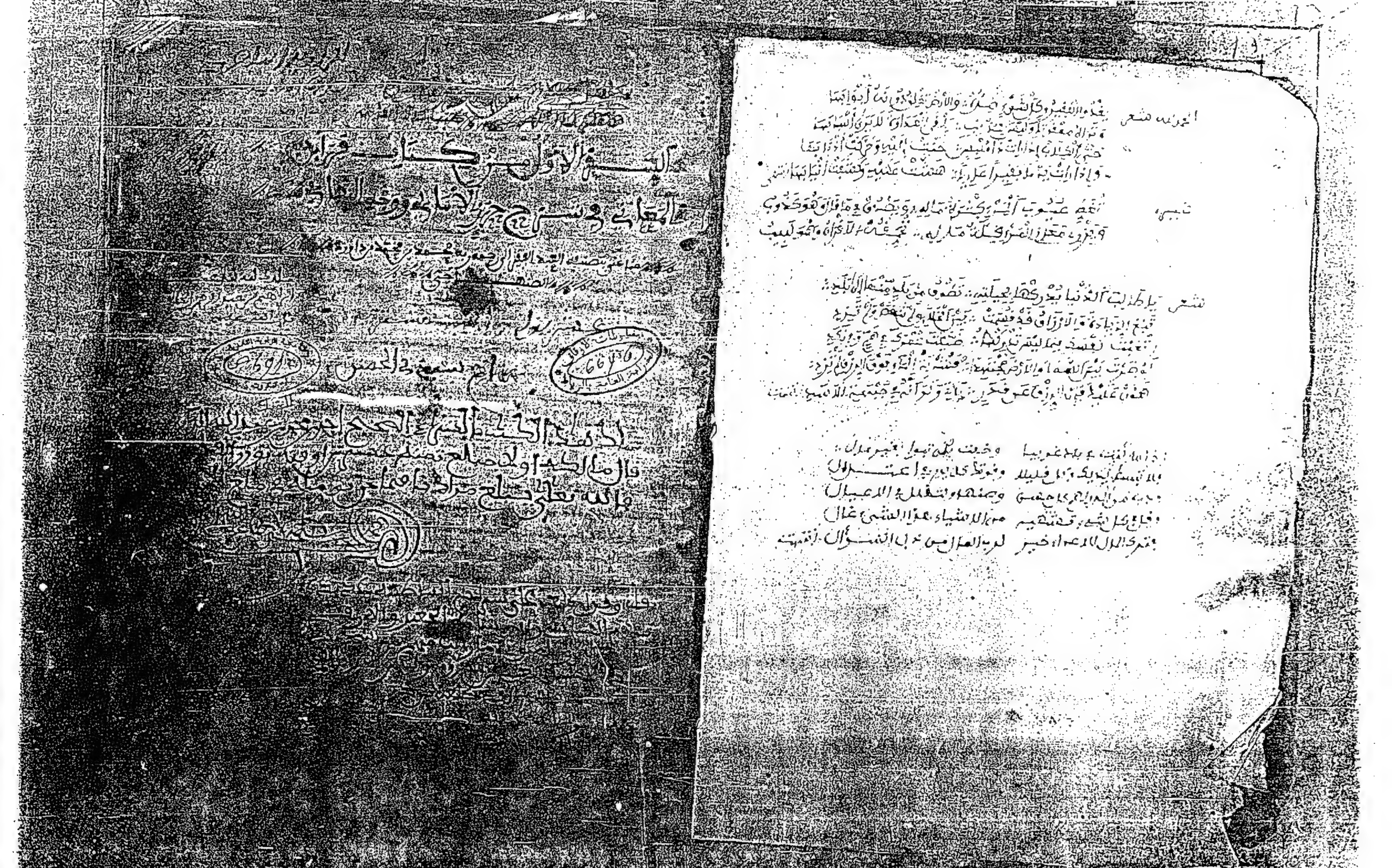
[illegible]

[illegible] كلام العرب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



[illegible]

أجداج سليمى بعاقل ... [illegible]

سماحة ... [illegible] ... وإذا ما

[illegible] ... ولكن ... [illegible]

[illegible] ربع دارس الرسم باللوى ... لأسماء عفا آيه المور والقطر

[illegible]

كتابيه اي اعني ان من حقق كتابيه اي الهاء في ماليه هلك ومن نقل اي عمل بالنص في
ماليه هلك الادغام ليس الا وان حقق كتابيه اي والفرق بينهما ان النقل لا يلزم منه ما لزم
لما سبقت من اجله وهو الوقوف عليها والموقوف عليه لا يشترط في الوقف والادغام
اليها لا ينافي ما سبقت له لان الادغام لا يكون الا في ساكن وهذا ساكن وان لم
تحكى سيبويه ان مثل هذا لا يتصور فيه الا الادغام وقد نقلنا كلام سيبويه في هذا
في باب الادغام الكبير حيث تكلمنا على قوله وقبل يسر اليا في الادغام فلينظر
هنالك قال ابو جعفر واما ماليه هلك لمن اثبت ها السكت وصلا فلا اخذ لهم
بالاظهار الا ورشا فلا حجة له بالوجهين من الاظهار والادغام لانه قد روي عنه نصا نقل
الحركة في كتابيه اي على التشبيه بالاصل الثابت في جميع احواله وقياسه الادغام
ومن اخذ له في ذلك بغير نقل اخذه في هذا بالاظهار وهو الوجه وكلاهما معمول به
ما اخذ المغربين قال الحافظ رضي الله عنه وجه الادغام في ماليه هلك انه قصد الى اجراء الوصل
على الوقف ثم اعترض بينهما التقاء المثلين ولم يكن بد من الادغام فاما من اظهر فانه واقف
لا محالة وان لم يقطع صوته **قلت** الذي يقتضيه القياس في ماليه هلك
الادغام لكل من اثبت الهاء في الوصل وهو الذي تقتضيه اصول كلام العرب
الذي انزل القران بها واما الاظهار فشيء لم يثبت من كلام العرب وكلام المغربين
يقتضي ان الاظهار عندهم غير ماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو نظر
منهم فلا يرجع اليه لمخالفته كلام العرب واسلوب فصاحتهم والله اعلم قال ابو الحسن
من حجج من الامام الهيثمي الذي لا يدرى منه ان المتقين الحرفان الصحيحان فيسكن الاول منهما
في الادراج فلا يكون حينئذ بد من الادغام متصلين كانا او منفصلين فالمتصلان نحو
قولك شق وصب وحل فالادغام واجب لا محالة ولا يوجد في التعجب الا من النظم
نحو قولك خذ دابتك وادع عامرا **فان قلت** وقد ذكر ابن الجزري
ولعل وقفه ما كان مشتملا على الحرف الاول ويثبت ذلك
قد وحلل فلا ادغام قبل فتح تمعيبه وذلك ان النون
انما هو على الاصل بدلا من قراءة عاصم وقبل من راق وبيان النون من من تمعيبه ذلك ان النون
الساكنة لا توقف في وجوب الادغام في الراء نحو من ربك ومن راق وما ذكر كيفما عينت
في الادغام من راق وليس مثلين ويوضح من قول الناظم نفسه ان هذا الوجه انما
يجوزونه في الصحة وسهونعل الحركة اما على الاصل **وبالله التوفيق**

تم السفر الاول بحمد الله وحسن عونه يتلوه في اول الثاني باب وقف حمزة وهشام على الهمز

الصفحة الأخيرة من النسخة ب



فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني

لابن آجروم

السِّفرُ الأوَّل

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً

يقولُ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ داودَ الصِّنهاجيُّ عفا الله عنه:

الحمدُ لله المبتدِئ بالإحسَان، المتفضِّلِ بنعمتَي الإسلام والإيمَان، المفضِّلِ نَوعَ الإنسانِ علَى سَايِرِ[1] الحيَوَان، مُطلِقُ الألسِنةِ بذكرِه، ومُرشِدُهَا مَهْيَعَ[2]

---

(١) قال الجوهري في الصحاح (سير): وسائر الناس: جميعهم، وخطأه الحريري في درة الغواص:٣، وتبعه ابن هشام في شرح بانت سعاد، قال: وسائر بمعنى الباقي، ولا نعلم أحداً من أهل اللغة ذكر أنها بمعنى الجميع إلا صاحب الصحاح، وهو وهم. قال البغدادي في حاشية شرح بانت سعاد لابن هشام ١/٧٣٥-٧٣٨ : هو تابعٌ - يعني ابن هشام ــ في هذا للحريري في درة الغواص، وهو أول مسائلها، قال: يستعملون سائر بمعنى الجميع، وهو في كلام العرب بمعنى الباقي، ومنه قيل لما يبقى في الإناء: سؤر، والدليل على صحة ذلك: أن النبي ﷺ قال لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوة: اختر أربعاً منهن، وفارق سائرهن؛ أي: من بقي بعد الأربع اللاتي تختارهن. الحديث في الموطأ ٢/١٠٢ .

قال العسكري في المعجم في بقية الأشياء: ٩٦: السؤر: ما يبقى في الإناء من الشراب بعد ما يشرب.

وقال ابن الجوزي في تقويم اللسان: ١٢٢: وتقول: لا أكلمك سائر اليوم؛ أي: ما بقي منه، مأخوذ من سؤر الإناء، وهو بقية ما فيه، والعامة تشير بسائره إلى جميعه، وذلك غلط .

وقال الصفدي في تصحيح التصحيف: ٣٠٢-٣٠٣: يقولون: قدم سائر الحاج، واستوفى سائر الخراج، فيستعملون سائراً بمعنى الجميع، وهو في كلام العرب بمعنى الباقي... قال: والصحيح استعماله فيما كثر أو قل؛ لأن الحديث: إذا شربتم فأسئروا؛ أي: أبقوا في الإناء بقية ما .

وأنشد سيبويه:

=

تَرَى الثَّورَ فيها مُدخِلَ الظِّلِّ رَأسَهُ   وسَــائِرُهُ بَادٍ إلى الشَّمْسِ أَجْمَعُ

البيت في الكتاب ١/١٨١، ودرة الغواص: ٥، وأمالي المرتضى ١/٢١٦ .

قال ابن الأثير في النهاية ٢/٣٢٧: (سأر): والسائر مهموز: الباقي، والناس يستعملونه بمعنى الجميع، وليس بصحيح .

قال ابن بالي في خير الكلام: ٣٠: نقل المولى حسن جلبي عن بعض أئمة اللغة في حاشية التلويح: أنه بمعنى الجميع، ثم قال: والحق أن كلا المعنيين ثابت لغة .

وقال البغدادي في حاشية شرح بانت سعاد ١/٧٣٦: إن أبا علي الفارسي ــ وهو شيخ الجوهري ـ قال: إن سائراً يأتي بمعنى الجميع، وتبعهما ابن بري والنووي في تهذيب الأسماء واللغات... قال معلقاً على قول الفيروز أبادي: وأما قول صاحب القاموس: والسائر بمعنى الباقي لا الجميع كما توهم جماعة، أو قد يستعمل له، ومنه قول الأحوص:

فجَلَبْتُهَا لَنَا لُبَابةُ لمَّا   وقَدَ النَّومُ سَائرَ الحرَّاسِ

فإشارة إلى أن فيه خلافاً؛ فمنهم من قال: إنه الباقي لا الجميع، ومنهم من قال: إنه قليلاً ما يستعمل له، وأنت تعلم أن مثبتَ القولين خير من نافيهما .

أما عن إبدال الهمزة ياء في سائر ـ كما فعل المؤلف ـ فلأن الهمزة تبدل من الياء إذا وقعت عين (فاعل) نحو: سائر وبائع. انظر اللباب ٢/٢٩٦ .

والمعروف أن علماء القراءات والنحو لا يجيزون البدل في ما اندرج في هذه البابة مثل: بائع وقائل وسائر وغيرها من الأوصاف، ويعدونه من لحن الفقهاء ـ أعني مثل بايع ـ؛ لأن تخفيف الهمز هنا عندهم إنما يكون بالتسهيل بين بين لا بالإبدال ياء خالصة، قال ابن الجزري في النشر ١/٤٦٢ في باب الوقف على الهمز: فأما إبدال الهمزة ياء في نحو: (خائفين وجائر وأولئك) وواواً في نحو: (أبناؤكم وأحباؤه) فإنني تتبعته من كتب القراءات ونصوص الأئمة ومن يعتبر قولهم، فلم أر أحداً ذكره ولا نص عليه، ولا صرح به، ولا أفهمه من كلامه، ولا دلت عليه إشارته سوى أبي بكر بن مهران... والأهوازي في الإيضاح.

والقصد أن إبدال الياء والواو محضتين في ذلك إنما هو مما لم تجزه العربية، بل نص أئمتها على أنه من اللحن الذي لم يأت في لغة العرب، وإن تكلمت به النَّبط، وإنما الجائز من ذلك هو بين بين ، وهو الموافق للرسم أيضاً... فهو من الشاذ المتروك الذي لا يعمل به، ولا يعتمد عليه، والله أعلم .

وقال الأشموني في شرح الخلاصة: وأما إبدال الهمزة في ذلك ... ياء محضة فنصوا على أنه

=

حمدِهِ وشكرِه[١]، نوَّرَ البصاير بنور الإفهام، وكحَلَ بإثمد الحكمةِ آماقَ[٢] الأفهام، فغرِقَت في بحار جلاله العقولُ، وأعجزَهَا عن الإدراك ذلك المعقُولُ، فانقلَبَت وأبصارُهَا حَسِيرَةٌ[٣]، وألسُنُ بَيَانها حَصِرَةٌ[٤]، الذي جعلَ كتابه العزيزَ عَلَماً لائحاً للاهتداء، وطريقاً واضحاً للاقتداء، وسُلَّمَ نجاةٍ أبديَّةٍ، وحياةٍ سرمديَّةٍ، كلأَهُ ولم يَكِلْهُ إلى كِلاءَةِ المخلوقين، فقال تعالى وهو أصدقُ القائلين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

لحن، ولو جاز تصحيح الياء في بائع، لجاز تصحيح الواو في قائل . وفي ب: (على جميع سائر) .

(٢) « طريق مهيَع: واضح واسع، وجمعه مهايع، أنشد ابن بري:

إن الضيعة لا تكون ضيعة حتى يقام بها طريق مهيع

وفي حديث علي: اتقوا البدع والزموا المهيع. هو الطريق الواسع المنبسط، قال الأصمعي: الميم زائدة، وهو مفعَل من التهيع وهو الانبساط .

قال الأزهري: ومن قال: مهيَع فعْيَل فقد أخطأ؛ لأنه لا فَعْيَل في كلامهم بفتح أوله، والمراد هنا على سنن العرب في خطابها .

(١) لتمام الفائدة انظر (الحمد والمدح والشكر والثناء والرضا) وفروقها في اللغة والتراث، مقالة اكتتبها الدكتور عبد الكريم الباقي بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، (مجلد ٥٧ جزء: ٤، صفحة: ٥٨٥) جودها وزانها بنصوص الأوائل .

(٢) جمع مُوقٍ ومُؤقٍ ومَأقٍ ، قال ابن الهيثم في اللسان (مأق): في حرف العين الذي يلي الأنف لغات خمس: مُؤقٌ ومَأقٌ مهموزان، ويجمعان أمآقاً ... وقد يترك همزها فيقال: موق وماق، ويجمعان: أمواق إلا في لغة من قلب فقال: آماق، وأنشد ابن بري للخنساء:

ترَى آمَاقَهَا الدَّهرَ تدمعُ

والمؤقُ: مؤخّر العين، قال امرؤ القيس في ديوانه: ٨٢:

وعينٌ لها حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ شقّت مآقيهما من أُخُر

والمؤلف أراد المجاز لا الحقيقة، وأضاف المؤق إلى الفهم لجامع النظر في كلٍّ .

(٣) قال في الغرر المثلثة: ٤٠٢ (حسر): وحسُرَ البصرُ ـ ككَرُمَ وضَرَب ـ : حسوراً: كلَّ وانقطع من طول مدىً .

(٤) ممتنعة من العجز، وانظر (حصر) في الغرر المثلثة: ٤٠٢ .

الذِّكرَ وإنَّا له لَحَافظُونَ﴾[١].

نحمدُه حمدَ متوكِّلٍ عليه، مُذعِنٍ مستَسلِمٍ إليه، ونشهدُ أن لاإله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً ندَّخرها للقائه، ونعتدُّهَا يومَ ثوابه وجزائه .

والصَّلاةُ على سيِّدِنا محمَّدٍ خِيرَةِ أصفيائه، وخاتِمَةِ أنبيائه، ومُبلِّغِ أنبائه، ومبيِّنِ إنبائه، المنتخَبِ لتبليغ الرسالة، وإيضاحِ الدِّلالة، المنتقَى من أكرم الأنساب، وأطهرِ البطون والأصلاب، أرسلَهُ بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ابتعثَه على فترةٍ من الرسُل، ودُثُورٍ من السُّبُل، فهدَى وأرشَدَ، وأوضَحَ ومَهَّد، وأنزلَ عليه كتابه الحكيمَ، وصراطَه المستقيمَ، بيَّنَ فيه حلالاً وحراماً، وشرائعَ وأحكاماً، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِهِ، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ .

والرِّضَا عن أصحابه الذين كانوا بيَدِ الدِّين حُسَاماً، وعلى لَبَّتِهِ[٢] نظاماً، وبأُفقِهِ نجوماً، وعلى بُردَتِهِ رُقُوماً، فلم يَألُوا نصحاً في ذاته، ولا بذلاً في مرضاته، بل جاهدوا في الله حق جهاده، وأذعنوا لرَائِدِ أمره ومُرَادِه، صلَّى الله عليه وعليهم صلاةً تُورِدُنا حوضَه الأصفى، وتُلحِقُنَا بُرْدَ شفاعته الأضفى، وتبوِّئنا لديه مقامَ الزُّلفى، وتُنِيلُنَا الجزاءَ الأوفى، وسلَّمَ كثيراً أثيراً .

أمَّا بعدُ، فإنَّ العلمَ[٣] أرفعُ المطالِبِ، وأنفعُ المكاسِبِ، وأغنى مدَّخَرٍ، وأقنى متَّجَرٍ، هو الملاذُ الأوقى، والعُروَةُ الوُثقَى، والضِّياءُ والنُّورُ، والشِّفاءُ لما في الصدور، وإنَّ أرفعَ العلومِ قدراً، / وأسناها خطَراً، وأهداها سَبيلاً، وأوضحَها دليلاً، كتابُ الله الكريم، وهو منهاجُهُ القَويم، والحجَّةُ الدامغةُ، والمحجَّةُ[٤]

١/أ

---

(١) سورة الحجر: ٩ .

(٢) أي: على طاعته .

(٣) في ب: فإن الكلم .

(٤) في ب : الحجة .

البالغةُ، مَن تركَه[1] مِن جبَّارٍ قصَمَه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلَّهُ الله .

وإنَّ من أحسنِ ما فيه صُنِّفَ، وفي طُرُق قراءاته[2] أُلِّفَ: قصيدةَ أبي القاسم الشَّاطبيِّ - رحمه الله - وهي المسمَّاةُ: بـ(حرز الأماني ووجه التهاني)، هذَّبَ فيها العباراتِ، وأوضَحَ الإشاراتِ[3]، وأبانَ مشكلاتِ المسائلِ، وبرَّزَ على الأواخر والأوائل، ولم أزل منذ حفظي لها مُولَعاً بالنظر في معانيها، مُغرىً بتأمل مقاصدها ومناحيها، مستفتِحاً بابَ مبهَمِهَا، متعرضاً لإفصاح معجَمِهَا، إلى أن منَحَ الله الكريم، ما كنتُ من ذلك أرُومُ، وأعثَرَني على ما كنتُ منه[4] أحوم، فوضعتُ هذا الكتاب مبيناً فيه مقاصِدَه، وممهداً قواعِدَه، وموضِحاً مشكلاتِ إعرابه، ومستوفياً لفصوله وأبوابه، مع ما أوردتُهُ من تعليلٍ وتوجيهٍ لوجوه القراءاتِ، بعباراتٍ مهذَّبةٍ، وألفاظ مقرَّبةٍ، وكلُّ ذلك من كتُبِ العلماء نقلتُهُ، وعلى ما تقتضيه مذاهبُهُم أودَرْتُهُ[5]، وسمَّيتُهُ:

« فَرَائدَ المعَاني في شَرح حِرزِ الأمَاني ووجهِ التَّهَاني »

وجعلتُهُ إماماً أعتمِدُهُ،و زماماً أقتَصِدُهُ، ليُرشِدَ إضلالي، ويُنبِّهَ إغفالي،

---

(١) في ب: من تركها .

(٢) في ب: قراءته .

(٣) في ب: الإشارة .

(٤) لعل المؤلف أراد: على ما كنت عليه أحوم؛ لأن كل من رام أمراً فقد حام عليه حوماً وحياماً، إلا أنه والله أعلم، لم يستملح الجمع بين كلمتين من جنس واحد في جملة؛ لأنه منبوذ عند أهل صنعة الكلام، قالوا: تكرير الكلمة في الكلام مرتين، كالجمع في النكاح بين أختين، الأولى حلٌّ يُرام، والثانية بسِلٍّ حرام ، قال في إحكام صنعة الكلام: ٢٥٧: الفقرة المكتوبة كالدرة الموهوبة، فإن وقع عليها ذرٌّ، فهو بيعٌ وشر .
والأجود أن يقول: على ما كنت حوله أحوم، ولو كان أراد المجاز لا الحقيقة، والله أعلم .

(٥) في ب: أوردته، ولا يجوز أودرته؛ لأنه ضد المعنى .

ولأقتفيَ في ذلك سَنَن[1] أئمةِ الهدى الماضين، والأعلامِ الخالين، فأتعلَّقُ بأهدابهم، وأَلحَقُ بمَن استَهدَا[2] بهم، مبتغياً بذلك جزيلَ الأجر، وجَرْيَ الذِّكْـر، وحـقٌّ علـى مَن اقتَبَسَ منه عِلماً، أو اسـتفادَ منـه حُكمـاً، أن يدعـوَ لمؤلِّفـه بـالغفران والفـوزِ بـالرضوان، واللهُ سبحانَه يجعلُـهُ لوجهـه خالصـاً، وعلـى مـا لديـه مـن الثَّـواب حارصاً، ويجعلُنَـا ممـن عَلِمَ وعَلَّـم، وقـال فيـه ﷺ: « خـيرُكُم مَـن تَعَلَّـم القـرآنَ وعَلَّمَه[3] »، وأنْ يعصِمَنا من الخطأ والخَطَل، والزَّيغ في القـول والعمَـلِ، إنـه سميـعُ الدعاء، عليمُ الخَفَاء .

فصل: أَذكُرُ فيه بعضَ أخبار الشَّيخ أبي القاسم الشَّاطبيِّ[4] ـ رحمه الله ـ :

هو أبو القاسم[5] محمَّدُ[6] بنُ فِيرُّهْ[7] بـنِ أبـي القاسـمِ الرُّعَيـنيُّ ثـم الشَّـاطبيُّ،

---

(١) قال في الغرر: ٤٥٢ : السَّنَن محركة: نهج الطريق .

(٢) القياس أن ترسم ألفاً مقصورة؛ لأنها منقلبة من ياء كما هي في ب .

(٣) صحيح البخاري، (باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه) عن عثمـان رضـي الله عنـه، انظر الفتح ٩/٧٤-٧٥ .

(٤) انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار ٢/٤٥٧، ومفتـاح السـعادة ١/٣٨٧، ونكـت الهميـان: ٢٢٨، والوفيات ١/٤٢٢، ونفـح الطيـب ٣/١٦٢، والشـذرات ٤/٣٠١، والغايـة ٢/٢٠، ومعجم الأدباء ٦/١٨٤، وإنبـاه الـرواة ٤/١٦٠، والذيـل والتكملـة ٥/٢/٥٤٩، والديبـاج المذهـب ٢/١٤٩، وكشـف الظنـون ١/٦٤٦، وطبقـات الشـافعية للسـبكي ٤/٢٩٧، ٨/٣٠٢، ووفيات ابن قنفذ: ٢٩٦، ودائرة المعارف الإسلامية ١٣/٨٨ .

وقد أفرد ترجمته بالتـأليف الإمـام شـهاب الديـن القسـطلاني، في رسـالة أسماهـا: الفتـح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي .

(٥) انظر الخلاف في مسألة التكني بكنية النبي صلـى الله عليـه وسـلم في مختصـر الفتـح المواهبي: ٢٨.

(٦) في هامش أ: محمد بن خلف بن أحمد .

(٧) قال التاج السبكي: اسم عجمي يقال: تفسيره: الحديد، وقال ابن خلكان: هو بلغة اللَّطيني، من أعاجم الأندلس، ومعنـاه بالعربيـة: الحديـد، وللأسـتاذ خـير الديـن الزركلـي في الأعـلام =

وفِيرُّهْ: اسمُ والده، وهو بكسر الفاء بعدَها ياءٌ ساكنةٌ ثمَّ راءٌ مشدَّدةٌ ثم هاءٌ ساكنةٌ، وهو اسمٌ محكِيٌّ، وهو من قولك: فرَرْتُ فمَ الدابَّةِ أفِرُّه؛ إذا كشَفتَ عنه لتعلَمَ ما سِنُّها، والأمرُ منه: فِرُّهْ، بضم الراء على لغة المُتْبِعِين، يضمُّون مع ضمير المذكَّرِ، ثم أشبَعُوا الكسرةَ فصار: فِيرُّه، كما قال الشَّاعرُ[1]:

وإنَّني حَيْثُ مَا يُثني الهوَى نَظَرِي   مِن حَيْثُ مَا سَلَكُوا أَدْنُوا فَأَنْظُورُ

فهو إذاً جملَةٌ من فعلٍ وفاعلٍ ومفعولٍ، وإذا وُصِلَ على هذا بما بعدَه، ضُمَّت هاؤُهُ؛ لأنها إنما سكَنَت للوقف، والله أعلم، ويحتَمِلُ أن تكون الهاءُ من نفْسِ الكلمة، ويكون أعجمياً، وإذا وُصِلَ على هذا أُعرِبَت هاؤُهُ إعرابَ ما لا ينصرِفُ للعجمية والتعريف.

والرُّعينيُّ: انتسابٌ لقبيلته، والشَّاطبيُّ: انتسابٌ لبلده .

كان[2] رحمه الله عالماً بكتاب الله تعالى بقراءاتِهِ وتفسيرِهِ، عالماً / بحديث رسول الله ﷺ، مبرِّزاً فيه[3]. ٢/أ

وكان[4] إذا قُرِئَ عليه البخاريُّ ومسلِمٌ والموطَّأُ، يُصَحِّحُ[5] النُّسَخَ من

٥/٨٢ هامش (٢) توجيه لطيف في هذا الصدد، قال: الحديد في اللاتينية ferrum فيرُّم، وبالفرنسية (fer) فير، وبالإسبانية (herro) هيرُّو، فاسم أبي القاسم مركب من اللفظين اللاتيني والإسباني ، وانظر هذا في دائرة المعارف الإسلامية ٨٨/١٣ .

(١) البيت لابن هرمة في ملحقات شعره: ٢٣٨-٢٣٩، وشرح المعلقات السبع للزوزني: ٢٨٥-٢٨٦، وبغير نسبة في شرح القصائد للأنباري: ٣٣٢ ، وسر الصناعة ٢٦/١ ، والمسائل الحلبيات: ١١٣. يريد: أنظرُ فأشبع الظاء فنشأت عنها واو .

(٢) من هنا يبدأ كلام السخاوي مقدمة فتح الوصيد .

(٣) وفيات الأعيان ٧١/٤ ، ومختصر الفتح المواهبي: ٤٤ .

(٤) مقدمة فتح الوصيد .

(٥) في فتح الوصيد: عليه .

حفظه، ويُملِي النكتَ على المواضع المحتاج إلى ذلك فيها .

قال أبو الحسن السَّخاويُّ[1]: وأخبرني أنه نظَمَ في كتاب التمهيد لابن عبد البر قصيدةً دالية في خمسمائة بيت، مَن حَفِظَهَا أحاطَ بالكتاب عِلماً[2].

وكان مبرِّزاً في علم النحو واللغة[3]، عالماً بعلم الرُّؤْيا، حسنَ المقاصد، مخلِصاً فيما يقولُ ويفعَلُ .

قال أبو الحسن[4]: قال النَّاظمُ رحمه الله: لا يَقرَأُ أحدٌ قصيدتي هذه إلا نفَعَهُ الله بها؛ لأني نظمتُهَا لله سبحانه .

وكان يجتنبُ فُضُولَ القول، ولا يتكلَّمُ في سائر أوقاته إلا فيما تدعو إليه ضرورةٌ[5]، وكان لا يجلسُ للإقـرَاءِ[6] إلا على طهارةٍ وهيئةٍ حَسَنةٍ، وخضوعٍ واستِكَانةٍ، ويمنعُ جُلَسَاءَه من الخوض في الباطل، ومن الحديث في شيءٍ إلا في العِلمِ والقرآن، وكان يعتلُّ العلَّةَ الشَّديدَةَ، فلا يتشَكَّا ولا يتأَوَّهُ[7]، وإذا سُئِلَ عن حاله قال: العافيةَ، لا يزيدُ على ذلك[8].

قال أبو الحسن[9]: وذكَرْتُ له يوماً جامعَ مصرَ، وقلتُ: قد قيلَ: إنَّ الإذانَ

---

(١) مقدمة فتح الوصيد .

(٢) مختصر الفتح المواهبي: ٦٥ .

(٣) في مقدمة فتح الوصيد: والعربية .

(٤) مقدمة فتح الوصيد، ومختصر الفتح المواهبي: ٦٢ .

(٥) مقدمة فتح الوصيد .

(٦) جمال القراء وكمال الإقراء ٢/٤٨٠، ومقدمة فتح الوصيد .

(٧) مقدمة الفتح .

(٨) مختصر الفتح المواهبي: ٩٧ .

(٩) مقدمة الفتح .

يُسمَعُ فيه من غير المؤذِّنين، ولا يُدرَى ما هو، قال: قد سمعتُهُ مراراً لا أُحصِيها عند الزَّوال .

قال[١]: وقال لي يوماً[٢]: جرَت بيني وبين الشَّيطان مخاطَبة، فقال: فعلتَ كذا، فسأُهْلِكُكَ، فقلتُ: والله ما أبالي[٣].

وقال لي يوماً[٤]: كنتُ في طريق وتخلَّفَ عني مَن كان معي، وأنا على الدَّابَّة، فأقبلَ اثنان، فسبَّني أحدُهما سبّاً قبيحاً، فأقبَلْتُ على الاستعاذة، وبقيَ كذلك ما شاء الله، ثم قال له الآخَرُ: دعْهُ، وفي تلك الحال لحقني مَن كان معي، فأخبرتُهُ بذلك، فطُلِبَ يميناً وشمالاً، فلم نجد أحداً[٥].

وكان رحمه الله يَعذُلُ[٦] أصحابَهُ في السِّرِّ على أشياءَ لا يعلَمُهَا منهم إلا الله تعالى، وكان يجلِسُ إليه مَن لا يعرفُهُ[٧]، فلا يَرتابُ في أنه يُبصِرُ؛ لأنه لذكائِهِ لا يَظهَرُ منه ما يَظهَرُ من الأعمى في حركاته[٨].

---

(١) أي: السخاوي .

(٢) مقدمة الفتح، ومختصر الفتح المواهبي: ١١٩ .

(٣) في الفتح: بك .

(٤) مقدمة الفتح ، ونكت الهميان: ٢٢٩ .

(٥) في ب: فلم يجد أحداً .

(٦) صح من باب قَتَل وضرَبَ كما في المصباح، والعذل: اللوم، والاسم: العذَلُ، ومنه المثل: سبق السفُ العذَلَ ، ومنه قول بعضهم:

لو كنت تعلمُ ما أقولُ عذرتَني ... أو كنتُ أجهلُ ما تقولُ عذلتكا
لكــن جهلتَ مقالتي فعذلتني ... وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتكا

(٧) مقدمة الفتح .

(٨) قال القسطلاني في مختصر الفتح الوهبي ٥٢: والذي أقول: إنه كان أبصر من كثير من البُصَراء، وكان ينشد رحمه الله:

وقالوا قد عَميتَ فقلتُ كلا ... وإني اليوم أبصرُ من بصيرِ
ســوادُ العين زارَ سوادَ قلبي ... ليجتمعا على فهم الأمــور

وُلِدَ[١] في آخرِ سنةِ ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة، ومات[٢] رحمه الله يوم الأحد، بعد صلاة العصر، في اليوم الثّامن والعشرين من جمادى الآخرة، سنة تسعين وخمسمائة، ودُفن يومَ الإثنين في مقبرة البَيسَاني[٣]، وتُعرف تلك الناحيةُ بـ (سَارية)[٤]، وذلك بالقَرافَةِ من القاهرة المحروسة[٥].

أخذَ القراءةَ عن الشَّيخِ الإمام الزاهد أبي الحسن[٦] بنِ هُذَيلٍ[٧]، عن أبي داودَ، عن أبي عمروٍ الدانيِّ، وأخذَهَا أيضاً عن أبي عبد الله محمَّدِ بنِ أبي العاصي النَّفْزِي[٨].

وها أنا حين أبتدئ بشرحِ القصيدةِ المذكورةِ بعون الله تعالى[٩]:

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ٤٥٧/٢، والغاية ٢٠/٢ (برقم: ٢٦٠٠).

(٢) معرفة القراء الكبار ٤٥٨/٢، والغاية ٢٣/٢، ومختصر الفتح المواهبي: ١٠١.

(٣) القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني. انظر الغاية ٢٣/٢، والفتح المواهبي: ١٠١.

(٤) انظر الذيل والتكملة ٥٥٦/٢/٥، وليس المقصود بسارية ما عند ياقوت في المعجم برقم: (٦١٧٨) إذ تلك مدينة بطبرستان. وفي هامش أ: وصلى عليه أبو إسحاق المعروف بالعراقي، إمام جامع مصر يومئذ. وهذا النص في مقدمة فتح الوصيد.

(٥) من قوله: وذلك بالقرافة موجود في صلب نص ب، وكتب في أ بخط صغير بين أسطر المتن.

(٦) علي بن محمد بن علي، وكتب بين أسطر المتن في أ، وهو كذلك في مقدمة الفتح.

(٧) الأندلسي، وعرض عليه التفسير حفظاً عن ظهر قلب. كذا بين الأسطر في أ، وهو في ب في صلب النص، وفيه: (على ظهر) بدل (عن ظهر).

وابن هذيل: هو الإمام الثقة العالم، الأستاذ أبو الحسن البَلَنسي، منقطع القرين في الدين والورع، قرأ الكثير على أبي داود (المذكور في النص) ولازمه، انتهت إليه رياسة الإقراء في زمانه، توفي سنة ٥٦٤ هـ. الغاية برقم: (٢٣٢٩).

(٨) محمد بن علي أبي العاص، أبو عبد الله النفْزي الشاطبي، يعرف بـ (ابن اللأْيُهْ) إمام مقرئ مجود محقق كامل، قرأ القراءات على ابن غلام الفرس، وعليه أبو القاسم الشاطبي وغيره، توفي سنة بضع وخمسين وخمسمائة. الغاية برقم: (٣٢٦٣).

(٩) كذا في الأصل.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللهِ فِي النَّظْمِ أَوَّلا تَبَارَكَ رَحْمَاناً رَحِيماً وَمَــوْئِلاَ ٣/أ

هذه القصيدةُ من الطويل، من الضرْبِ الثاني منه[١]، وتقطيعُه:

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُن

يلزمُ عَروضَهَا وضربَهَا القَبْضُ، ويجوزُ فيه في الحشو القبْضُ، وهو حسَنٌ، والكفُّ وهو قبيحٌ، ويدخلُه في الابتداء الثَّلْمُ والثَّرْمُ[٢]. فالقبْضُ فيه حسنٌ، والكفُّ قبيحٌ، ولا يجوزُ اجتماعُهُما فيه خوفاً من توالي أربعةِ أحرفٍ متحركاتٍ.

بيتُ الكفِّ والثلْمِ[٣]:

شَاقَتْكَ أَحْدَاجُ سُلَيمى بعَاقِلٍ فعَيناكَ لِلبَينِ تَجُــودَانِ بِالدَّمْعِ

بيتُ القَبْضِ[٤]:

سَمَاحَةَ ذَا وَبِرَّ ذَا وَوَفَاءَ ذَا وَنَائِلَ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرْ

---

(١) له ثلاثة أضرب: (مفاعيلن) و(مفاعلن) و(مفعولن) زاد الأخفش الأوسط رابعاً هو: (مفاعيلْ) . العروض للأخفش: ١٣٩، وصنعة الشعر لأبي سعيد السيرافي: ٩٥ .

(٢) يدخله في الابتداء الخرم فيقال له: أثلم، فإذا دخله القبض مع الخرم قيل له: أثرم، قال الناظم في باب الخرم:

والخرمُ في أوائل الأبياتِ تُعرَفُ بالأسماء والصِفَاتِ

يَدخلُهُ الخرمُ فيُدعَى أثْلَمَا فإن تلاه القبضُ سمِّي أثرَمَا

الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي من العقد الفريد ٣٩٧/٥ .

(٣) انظر صنعة الشعر: ٩٧ ذكره في الخرم والكف .

(٤) انظر العروض للأخفش: ١٣٠، والخزانة ٥٢/٥، وديوان امرئ القيس: ١١٣ .

بيتُ الثَّلَم[1]:

دَعْ عنكَ نَهباً صِيحَ في حَجَرَاتِهِ وَلكِنْ حَدِيثاً مَاحَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

بيتُ الثَّرَم[2]:

شَاقَكَ رَبْعٌ دَارِسُ الرَّسْمِ باللِّوى لأسماءَ عَفَّى آيَهُ المورُ وَالقَطرُ

وقافيتُهَا من المتَدارَك، ليس فيها من الحروف التزامٌ إلا الرويَّ وحرفَ الإطلاقِ وهما الياءُ والألفُ، وفيها من الحركات التزامُ المجرى وهو فتحةُ اللام .

فأما القبضُ: فذهابُ الساكنِ الخامسِ، وهو الياءُ من مَفَاعيلُن، والنون من فعولن .

والكفُّ: ذهابُ الساكنِ السابع، وهو النونُ من مَفَاعيلُن .

والثَّلَمُ: ذهابُ أوَّلِ فَعُولُن في أول البيت .

والثَّرَمُ: ذهابُ أولِهِ وخامِسِهِ .

والمرادُ بالمتدارَك: أن يقعَ في آخرِ البيت متحركان بين ساكنَين، وهما في هذا البيتِ: واوُ « موئلا » ، وألفُ الإطلاق. والمتحركان: الهمزةُ واللامُ. وهذا لازمٌ في هذه القصيدة .

قوله: « بدَأتُ » ، يُقالُ: بدأتُ الشيءَ وابتدأتُهُ: أحدثْتُهُ وأنشأتُهُ، ومنه: ﴿الله يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُهُ﴾[3]، ويقالُ: بدأتُ بالشيء: قدَّمتُه. والمرادُ هنا هذا المعنى .

وقوله: « ببسمِ الله » : اعلَمْ أن حرفَ الجر يدخلُ على مثله على وجهَين:

---

(١) في ديوان امرئ القيس: ٩٤، وانظر صنعة الشعر: ٢٨٩، القول في الدخيل .

(٢) انظر اللسان (عفا) بغير نسبة، مع اختلاف في الرواية، وانظر صنعة الشعر: ٩٨ .

(٣) سورة الروم: ١٠ .

أحدهما: الضرورةُ كقوله ـ أنشده ابنُ جني[1] ـ:

فَلاَ وَا للهِ لاَ يُلْفَى لَمِا بي ... وَلاَ لِلِمَا بِهِمْ أَبَداً دَوَاءُ

القياسُ أن يقولَ: ولا لما بهم، لكنه اضطُرَّ فزادَ اللامَ، ووجهُ هذه الضرورةِ أنَّ حرفَ الجر اللام، وهو على حرفٍ واحدٍ، لا ينفصلُ من الكلمة فجعَلَه مع ما بعده كالكلمة الواحدة، فساغَ لذلك دخولُ حرف الجرِّ عليه، فلو كان حرفُ الجر مثلاً: «من» أو «عن» لم يسُغْ ذلك، وأما قول الشَّاعرِ[2]:

وصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ

فالكافُ الثانيةُ اسمٌ بمعنى: مِثْل، والأولى حرفُ جرٍّ، وهي كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3] أعني في توكيد التشبيه .

/ **والوجهُ الثاني:** أن يدخلَ حرفُ الجر على مثله في التَّسْمية. وذا كأن يُسمى بحرفٍ خافضٍ معه مخفوضُهُ، مثل أن تُسمِّيَ شخصاً «بزيدٍ» من قولك: مررتُ بزيدٍ، أو من قولك: أخذتُ من زيدٍ . ٤/أ

وإذا كان ذلك كذلك، فلا يخلو حرفُ الجر من أن يكونَ على حرفٍ أو على حرفَين أو على أكثر، فإن كان على حرف واحدٍ حكَيْتَهُ كما كان قبلَ التَّسمية[4] فتقولُ: جاءني بِزَيدٍ، ورأيتُ بِزَيدٍ، ومررتُ بِبزَيدٍ، ولا تؤثِّرُ فيه

---

(١) من الوافر، وهو في الخزانة لمسلم بن معبد الوالبي ٣٠٨/٢، وسر الصناعة ٢٨٢/١، وهو بغير نسبة في معاني الفراء ٦٨/١، والخصائص ٢٨٢/٢ . وقال ابن جني في المحتسب ٢٥٦/٢: «وبعدُ فالحق أحق أن يتبع، هذا البيت لم يعرفه أصحابنا، ولا روَوه، والقياس من بعدُ على نهاية المج له والإعراض عنه، لا سيَّما وقد جاور بحرف الجر حرفاً مثله لفظاً ومعنىً، فلو وُجد هذا البيت عنواناً على كل ورقة من مصحف أبي عمرو، لما جاز استعمال مثله في الشعر إلا كَلاَ ولاَ ـ يعني قليلاً ـ فضلاً عن الأخذ به في كتاب الله» ، وقال المعري في رسالة الملائكة: ١٩٣-١٩٤ :وقد حكى الفراء دخول اللام على اللام في قول الشاعر ـ ثم أورده.

(٢) البيت من مشطور السريع، وهو لخطام المجاشعي في الكتاب ٣٢/١، والخزانة ٣١٣/٢ . وانظر شرح أبيات الإيضاح للقيسي ٨٨٣/٢ .

(٣) سورة الشورى: ١١ .

(٤) انظر الكتاب ٤١٣/٢، وارتشاف الضرب ٣١٩/١، واللباب ١٣٥/٢ .

العواملُ شَيئاً؛ لأن هذا العاملَ قد استحقَّه، ولا يعملُ عـاملان في معمـول واحـد مع أنه يغيرُ المرادَ من الحكاية. ويجوز فيه وجهٌ آخـرُ: وهـو أن تُعرِبَـه وتشَبِّهَه في ذلك بالمضاف والمضاف إليه، لكن بعد أن تصيِّرَ حرف الجر في هيئـة الأسمـاء، ، وذلك أن تشبعَ حركتـه، وتزيـدَ علـى حـرف الإشباع مثلَـه ليصيرَ علـى ثلاثـة أحرفٍ، ثم تعمَلُ فيه العواملُ ويصيرُ الاسمُ المجـرور مخفوضـاً بالإضافـة، فتقـول: جاءني بيٌّ زيدٍ، ورأيتُ بيَّ زيدٍ، ومررتُ بيِّ زيدٍ .

فإنْ كـان حـرفُ الجـر علـى حرفـين فـلا يخلـو أن يكـون الثـاني معتـلاً أو صحيحاً، فإن كـان معتـلاً نحـو: في، فلـك فيـه الحكايـةُ والإعـرابُ إلا أنـك إن أعربتَ زدتَ على الياء ياءً أخرَى وأدغمتَ فقلتَ: فيٌّ زيدٍ، وفيَّ زيدٍ، وفيٍّ زيـدٍ، وإن حكيتَ تركتَه على حاله[1].

والأحسَنُ في هذَين الفصلَين: الحكايةُ لما في الإعراب من التغيـير، وإن كـان الثاني صحيحاً نحو: مَن زيدٌ، حكيتَ إن شئتَ، وأعربتَ إن شـئتَ، والإعـرابُ أحسنُ، ولا تزيدُ على النون شيئاً؛ لأنها صحيحة، وإن كان علـى ثلاثـة أحـرف فصاعداً جاز الإعرابُ والحكايةُ نحو: منذُ اليومِ .

فنقولُ: دخـولُ حـرف الجـر في بيـت أبـي القاسـمِ الشـاطبيِّ هـو مـن قبيـل الحكاية، ، أراد أن يخبر أنه بدأ بقـول المستفتح (بسـم الله)، فـأدخل عليـه البـاءَ وحكاهُ .

وما تتعلق به الباءُ في قولك: (بسم الله الرَّحمـن الرَّحيـم) لا يجـوزُ أن يقـدرَ هنا بين الباءين، إذ ليس المعنى عليه، ألا ترى أنك لو قدرتَـه فعـلاً علـى مذهـب

(١) انظر الكتاب ٤١٣/١، ٣٢٩/٣-٣٣٠، وما ينصرف وما لا ينصـرف: ١٢٧-١٢٨، وأثـر التسمية للدكتور سليمان العايد: ٩٩-١٠٠ .

الكوفيين[١]، لكان التقديرُ: بدأتُ بِبَدأتُ باسم الله، وإنما بَدأ باسم الله، وكذلك لو قدرتَه على مذهب البصريين[٢] لكان التقدير: بَدأتُ بابتدائي باسم الله، إنما المعنى: بَدأتُ بهذا اللفظ الذي هو بِسم الله، وقد زال ذلك العاملُ، وصارت الباءُ داخلةً على (بِسم الله) كدخولها على معمول مفردٍ، وهذا شبيهٌ بقولهم: ليس بِقُرشيًّا[٣]، جواباً لِمَن قال: أليس قُرَشيًّا ؟[٤]

فكما لا يُقدَّرُ هنا العاملُ ، كذلك هنا، والناظمُ رحمه الله لم يحْكِ لفظَ البسملة، إنما قال في وقت النظم: باسم الله، كقوله تعالى: ﴿باسْمِ الله مَجْريهَا وَمُرْسَاهَا﴾[٥] . وكما جاء في حديث أنسٍ قالَ: « طَلَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وُضُوءاً، فقالَ رسُولُ الله ﷺ: هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنكُم مَاءٌ، فوَضَعَ يَدَه في المَاءِ، ويَقُولُ: تَوَضَّؤُوا باسمِ الله، فَرَأَيتُ الماءَ يَخْرُجُ من بينِ أَصَابعِه، فتَوَضَّؤوا حتّى توضئوا مِن عِندِ آخِرِهِم » الحديث[٦] .

ثم حكى النَّاظمُ ما قال، فأدخلَ عليه الباءَ، / ولو حكى البسملةَ لأتى بلفظها بِسم الله الرَّحمن الرَّحيم . ٥/أ

---

(١) انظر البيان ٣٢/١، والتبيان ٣/١ .

(٢) فالباء متعلقة بالكون والاستقرار. انظر البيان ٣٢/١،و قال: الصحيح ما ذهب إليه البصريون، وانظر التبيان ٣/١ .

(٣) انظر الكتاب ٤١٣/٢ ، والجمل: ٣٨١ .

(٤) انظر الكتاب ٤١٣/٢ .

(٥) سورة هود: ٤١ .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ١٦٥/٣، وهو في المسند برقم: ١٣٨٤، و: ١١٨١ عن ثابت وقتادة عن أنس - رَضي الله عنهم - .

فإن قلتَ: قولُه: بدأْتُ بِبِسم يقتضي أنه بدأ باسم الله، وهنا[1] إنما بدأ بلفظ بدأتُ .

فالجوابُ: أنه بَدَأ باسم الله في وقتِ النظْم لفظاً، وحينئذٍ نظَمَ القصيدةَ، ثم أخبَرَ بما فعَلَ، وكذلك قوله: ثنَّيتُ وثَلَّثْتُ، فكأنه قال مثلاً: بِسم الله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّمَ تسليماً، الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، ثم حكى هذا كلَّه بالمعنى .

والنَّظْمُ يجوزُ أن يكون بالمعنى المنظوم كقولهم: هذا الدرهمُ ضَرْبُ الأميرِ، أي: مضروبُه، ويجوزُ أن يكون مصدراً من قولك: نَظَمَ الجوهرَ في سلك، والكلامَ والأمورَ، وصَلَ بعضَها إلى بعضٍ نظماً في ذلك كلِّه، ولا بدَّ أن تقدِّرَ في كلا الوجهَين حذفاً، ويكونُ التقديرُ: بدأتُ في وقت إرادة نظمي أو منظومي بِبِسم الله .

وقولُه: « أولاً » : اعلم أن « أوَّل[2] » في كلام العرب يأتي على قِسمَين: اسماً وصفةً، فالاسم نحو قولهم: ما تركت له أولاً ولا آخراً، أي: قديماً ولا حديثاً، وهو منصرفٌ في النكرة، وأما الصفة فنحو قولك: ما رأيتُه منذُ عامٍ أوَّلُ، ومنذُ عامٍ أوَّلَ، وهو أفعلُ من[3]، والدليل على ذلك: أنك تقولُ في مؤنَّثه: الأولى، ولا يُستعمل لذلك أوَّلُ إلا مضافاً، أو بالألِف واللام، أو بمِن، فإذا قلتَ: منذُ عامٍ

(١) في ب: « وهو » .

(٢) هو أفعَلُ، فاؤه وعينه من جنس واحد على رأي البصريين، وأما الكوفيون فهو عندهم: وَوَّل على فوعل، فاؤه وعينه واو. انظر الكتاب ٢٨٨/٣، والمقتضب ٣٤٠/٣، والمنصف ٢٠١/٢، وسر الصناعة ٦٠٠/٢، وشرح الشافية ٣٤٠/٢، واللباب ٢٢٢/٢، ٢٣٥، ٢٣٦، وسفر السعادة ١١٩/١ وما بعدها .

(٣) يريد أنه أفعلُ تفضيل .

أولُ، فالأصلُ: أوَّلُ من عامك، لكنهم حذفوا منه « مِن » لكثرته في كلامهم، كما تقول: زيدٌ فاضلٌ، وعَمْروٌ أفضلُ، تريد: منه، وقالوا: لم يقل رجلٌ أولُ منه، أي: أسبقُ منه .

وإذا كان نعتاً لظرفٍ، جاز أن يُحذفَ الموصوفُ، ويُقام مُقامَه، فإن كانت معه « مِنْ » ظاهرةً أُعربَ ليس إلاَّ، نحو: جئتُكَ أوَّلَ من أمسٍ، التقدير: جئتُكَ يوماً أولَ من أمسٍ، ويصير كقوله تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ...﴾[1] التقديرُ: والركبُ مكاناً أسفلَ من مكانكم، ثم حذف الموصوفَ والمضافَ[2] .

وإن كانت « مِن » محذوفةً جاز فيه البناءُ والإعرابُ، أما البناءُ فلِشَبَهِهِ بالظروف التي يُحذَف ما تُضافُ إليه، وتُبنى نحو قولك: ابدأ بهذا أولُ، تريدُ: ابدأ بهذا زماناً أولَ من زمان كذا، ثم تَحذف « زماناً » فيصيرُ: ابدأ بهذا أولَ من زمان كذا، ثم تحذف « مِن » وتصير كقَبلُ إذا قلتَ: ابدَأْ به قبلُ، فتبنيه على الضم، فتقولُ: ابدأْ بهذا أوَّلُ ، وأما الإعرابُ فعلى الأصل؛ لأن « مِن » معه مُرادةٌ، وهذه لغةٌ قليلة .

قال سيبويهِ[3]: سَألتُ الخليلَ - رحمه الله - عن قول بعض العرَب ــ وهو قليلٌ ــ: « مُذ عامٌ أوَّلَ » ، فقال: جَعَلُوهُ ظرفاً في هذا الموضع .

قلتُ: التقديرُ فيه: مذ عامٌ كائنٌ زماناً أولَ مِن زمانِكَ، فحُذفت « مِن » والظرفُ الموصوف،وأُقيمت الصفةُ مُقامه،وبقيت معرَبةً على تقدير وجود «مِن».

---

(١) سورة الأنفال: ٤٢ .

(٢) انظر الكتاب ٢٨٩/٣ باب الظروف المبهمة غير المتمكنة ، والدر المصون ٤٢٢/٣-٤٢٣ .

(٣) الكتاب ٢٨٩/٣ وتتمة النص: « فكأنه قال: مذ عامٌ قبلَ عامِك » .

٦/أ

/ وأنشَدَ سيبويهِ[1]:

يَــا لَيتَهَا كَـانَتْ لأهلي إبلاَ
أَو هُزِلَت في جَدْبِ عامٍ أوَّلاَ

أجاز في نصب « أولاَ » وجهَين: الظرفَ، وأن يكونَ صفـةً لـ « عـامٍ » علـى إرادة « مِن » .

وأما إذا كان نعتاً لغير الزمان، فليس فيه إلا الإعرابُ .

و « أوّلَ » في بيت أبي القاسم يجوزُ أن يكونَ حالاً من النظـم أي: في حـال كونه أوَّلاً لم أُسبَقْ إليه، ويجوزُ أن يكونَ حالاً من اسم الله، أي: في حال كونـه مُقَدَّماً على غيره من الأماكن .

وتبارك تفاعَلَ من البركة، وهو لفظٌ يجمَعُ أنواعَ الخير، قال الله تعالى: ﴿في لَيلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾[2] أي: جامعةٍ لأنواع الخير، وقال: ﴿وَهَذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ﴾[3] .

و « رحماناً » و « رحيماً » و « موئلاً » ينتصبْنَ على الحال من ضمير « تبارك »، ويجوز أن ينتصبْـنَ عـن فعلٍ محذوفٍ التقديرُ: أمـدحُ، كمـا قـالوا: الحمـدُ لله الحميـدَ، ولا يجـوز نصبُهـنَّ علـى التمييز؛ لأن الفعـلَ أُسـند إلى فاعلـه حقيقـةً، والتمييزُ في نحو: تصبَّب زيدٌ عرقاً[4]، هو الفاعلُ حقيقـةً، والأول ــ وهـو الـذي

---

(١) الكتاب ٢٨٩/٣، واللسان (وأل) ولم يعرف قائله .

(٢) سورة الدخان: ٣ .

(٣) سورة الأنبياء: ٥٠ .

(٤) إنما انتصب التمييز في نحو « تصبب زيد عرقاً » لأنه وقع بعـد جملـة تامـة كمـا يقـع المفعـول، ويتعلق بالجملة كالمفعول، فكما أن المفعول منصوب، فكذلك ما أشبهه. انظر منثور الفوائـد للأنباري: ٥٧ .

أُسند إليه الفعل[1]- مجاز، وأما تبـارَكَ فإسنادُهُ لضمير اسم ا لله حقيقةً، فلا يجوز التمييز.

واختُلف في الرحمٰن والرحيم أيهما أبلَغُ من الآخَر، فقيل: رحمن أبلغُ؛ لأنه فَعْلان من الرحمة، وهذا البناءُ مختصٌّ به سبحانه، وفَعْلان إنما يأتي في الامتلاء والكثْرَة، فَمَلآن وعَطْشَان: الكثيرُ الامتلاء والعطَش؛أي:هو الذي في أعلى درجات الرحمة، وهذا لا يكونُ إلا مختصّاً إلا به، وقيل:هو أبلغ لأنه فُسِّرَ بالذي وسعت رحمتُهُ كلَّ شيءٍ، ولم يُبَح لأحد التسمِّي به؛ لما فيه من الدِّلالة على عموم الرحمة .

والرحيم هو كالتتمَّة والرَّديف[2]، وقال الزمخشري[3]: هو أبلغ لكثرة حروفه، واعترض هذا بأن حذراً أبلغ من حاذر، وقيل: الرحيمُ أبلغُ؛ لأنه من أوزان المبالغة[4] نحو: قديرٌ وعليمٌ وغفورٌ وخلاَّقٌ، وقَدَّمَ الرحمنَ لأنه يلي العواملَ في نحو: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾[5] و﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحمنِ﴾[6] و﴿قُلِ ادْعُوا ا لله أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾[7] .

وقيل: هما سواءٌ، ليس أحدُهما أبلغَ من الآخَر .

قلتُ: صرفَ رحمْناً للضرورة، وكان حقُّه ألا يأتيَ به إلا بالألف واللام أو الإضافة، كذلك نطقَت به العرَبُ، وإنما قلنا: لا ينصرِفُ؛ لأنه فَعْلان الذي مؤنثه[8] فَعْلى نحو: سَكْرَان .

فإن قلتَ: سَكْرَان له سَكْرَى، ورَحمَان ليس كذلك .

---

(١) ما بين المعترضتين من هامش أ .

(٢) في هامش ب: « والوصف » ولا معنى له؛ لأنه يريد ما دق منها ولطف ..

(٣) انظر الكشاف ٦/١،والدر المصون ٣١/١، ٣٥،وتفسير أسماء ا لله الحسنى للزجاج:٢٨، ٢٩.

(٤) انظر التبيان ٤/١ .

(٥) سورة طه: ٥ .

(٦) سورة مريم: ١٨ .

(٧) سورة الإسراء: ١١٠ .

(٨) في أ : « له » .

قلتُ: كونُه ليست له فَعْلى امتَنعَ من المعنى، ولا يَقدَحُ ذلك في الأحكام، ألا ترى أنَّ آدَرَ أفعَلُ، وليس له فَعْلاء، وهو مع ذلك لا ينصرفُ في النكرة كأحمَرَ الذي له حمراء .

و « مَوئِلا » : مَفْعِل، من وَأَلَ إليه؛ إذا لجأ أو نجا، والله تعالى يُلجأ إليه، وينجُو مَن هرَبَ إليه، وفي الحديث: « لا مَلجَأَ ولا مَنجَا إلا إليك[1] » ، وأَطلَقَ على الله سبحانه: مَوئِلاً، ولم يَرِدْ به سماعٌ[2]، على أحد القولَين في ذلك، /وذلك أن الأسماءَ الواقعةَ على الله تعالى تنقسمُ أربعةَ أقسام: ٧/أ

قسمٌ وَرَدَ السماعُ به، وليس فيه إيهامٌ، فيجوز إطلاقُه عليه في الموضع الذي وَرَد فيه السماعُ وفي غيره، وذلك أسماؤُهُ الحسنى كالله والرحمنِ والرحيمِ .

والقسمُ الثاني: ما وردَ به السماعُ وفيه إيهامٌ، فيجوزُ إطلاقُهُ في الموضع الذي وردَ فيه فقط، ولا يُتَعدى نحو: ﴿الله يَسْتَهزِئُ بِهِم﴾[3] ونحو: ﴿ومَكَرُوا وَمَكَرَ الله﴾[4] هذا إنما وَرَدَ للمقابلة، ويُسميه أهلُ البديع: المشاكَلَة[5]، ومنه قولُ الشّاعِر[6]:

قَالُو اقْتَرِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ   قُلْتُ: اطْبُخُوا لي جُبَّةً وَقَمِيصَا

---

(١) انظر الأدب المفرد ، باب فضل الدعاء عند النوم، وباب ما يقول إذا أوى إلى فراشه .

(٢) انظر البرهان للزركشي ٣/٤٦١ .

(٣) سورة البقرة: ١٥ .

(٤) سورة آل عمران: ٥٤ .

(٥) انظر طراز الحلة : ٤١٣ .

(٦) البيت من الكامل، قائله أبو الرقعمق. انظر: طراز الحلة: ٤١٧، ومعاهد التنصيص للعباسي ٢/٢٥٢ .

القِسمُ الثالث: ما لم يَرِدْ به السماعُ، وفيه إيهامٌ، فلا يجوزُ إطلاقُهُ عليه بإجماعٍ .

القِسمُ الرابع: ما لم يَرد به السماعُ، وليس فيه إيهامٌ. فهذا فيه خلافٌ؛ فأهلُ السنَّةِ يمنعُونَ من إطلاقه؛ لعدمِ ورود السماع به، والقاضي أبو بكر الباقلاني[1] وأصحابُه يُجيزون ذلك، وذلك نحو: عارفٍ ومَوئِلٍ وغيرِه مما هو صحيحُ المعنى[2].

* * *

وثنَّيتُ صلَّى الله ربي علَى الرِّضَا   محمَّدٍ المُهْدَى إلى النَّاسِ مُرْسَلا

ثنَّى بالصلاة على النبي ﷺ لأن الله تعالى قرنَ ذكرَه بذكره في غيرِ ما موضعٍ، قال الله تعالى: ﴿ومَنْ يَعْصِ الله ورسُولَه﴾[3]، ﴿وأَطيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[4] مع ما في الصلاة عليه ﷺ من جزيلِ الثواب .

جاءَ في الحديث: « يا محمَّدُ، أمَا يُرضيكَ ألاَّ يُصلي عليكَ أَحَدٌ من أمَّتك إلاَّ صلَّيتُ عليه عشراً، ولا يُسلِّمُ عليك إلاَّ سلَّمتُ عليه عشراً »[5] .

وعن أبي هريرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسُولُ الله ﷺ : « لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُم

---

(١) محمد بن الطيب أبو بكر، من كبار علماء الكلام، رئيس مذهب الأشاعرة، أشهر كتبه « إعجاز القرآن » (٣٣٨ ـ ٤٠٣هـ) الديباج المذهب: ٢٦٧ .

(٢) انظر في هذا المعنى طراز الحلة: ٩٧-٩٨ .

(٣) سورة النساء: ١٤ .

(٤) سورة التغابن: ١٢ .

(٥) سنن النسائي في كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ ، فضل التسليم على النبي ﷺ ، عن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن النبي ﷺ ، ثم ذكره .

قبوراً، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُم تَبْلُغُني حَيثُ كُنتُمْ[١]» .

وعن أنس بن مالكٍ أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ ذُكِرْتُ عِندَهُ فَلْيُصلِّ عليَّ، وَمَن صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى الله عَلَيهِ عَشْراً[٢]» .

والصَّلاةُ من الله تعالى بمعنى الرَّحمة .

وقيل: هو لفظٌ لجميع الدعاء الصالح، والصلاة في اللغة: الدعاء، ثم نُقلت إلى الأفعال المخصُوصة .

وقيل: لم تُنقلْ، بل هي مستعمَلَةٌ في موضعها الأصليِّ، ثمَّ زادَ الشَّارعُ فيها أشياءَ أُخَر .

قال ابنُ عباسٍ[٣] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[٤] معناه: يُباركون.

وقيل: معناه إنَّ الله يترحَّمُ، وملائكتَه يدعون له .

قال المبرِّدُ[٥]: «وأصلُ الصلاة الترحُّمُ، فهي من الله رحمةٌ، ومن الملائكة رقَّةٌ واستدعاءٌ للرحمة من الله» .

وقد وردَ في الحديث صفةُ صلاة الملائكة على مَن جلسَ ينتظرُ الصلاةَ: اللهمَّ اغفِرْ له، اللهمَّ ارحَمْهُ[٦].

---

(١) أخرجه أحمد، قال: حدثنا سُريج ٢/٣٦٧، وأبو داود قال: حدثنا أحمد بن صالح ٢٠٤٢، بزيادة: «ولا تجعلوا قبري عيداً»

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة: ٦١ عن أبي إسحاق عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

(٣) انظر الشفا للقاضي عياض، باب حكم الصلاة عليه والتسليم، وفرض ذلك وفضيلته بتصرف ٢/٦٠ .

(٤) سورة الأحزاب: ٥٦ .

(٥) نقله عن الشفا ٢/٦٠ ولم أقف عليه في كتبه .

(٦) الشفا ٢/٦٠ .

وقيل(١): الصلاةُ من الله تعالى لِمَن دون النبي رحمةٌ، وللنبي ﷺ تشريفٌ وزيادةُ تَكرِمَةٍ .

وقيل(٢): صلاةُ الله(٣) ثناءٌ عليه، وصلةُ الملائكة دعاءٌ .

وقد فرَّقَ النبيُّ ﷺ في حديث تعليمِ الصلاةِ عليه، بين لفظِ الصلاة ولفظِ البركة، فهما بمعنَيَين(٤).

ومعنى « ثَنَّيتُ » : فعلتُ مرةً ثانية . فبدأَ بالبسملة، وثنَّى بالتصلية، والأصل: وثنيتُ بقولي: صلَّى اللهُ ربي، فـ « صلَّى الله » معمولٌ لقولٍ محذوفٍ هو المجرور بالباء التي يَتَعَدَّى بها « ثنَّى » ، ولا يجوزُ أن يكونَ الأصلُ: وثَنَّيتُ بصلَّى الله، ثمَّ حُذِفَ / الباءُ كما قال(٥): ٨/أ

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَم تَعُوجُوا كَلاَمُكُم عَلَيَّ إِذَنْ حَرَامُ

لأنَّ ذلك ضرورةٌ، والأوَّلُ ليس بضرورة، والحملُ على غير الضرورة أَوْلَى(٦).

و « صلَّى الله » لفظُهُ لفظُ الخبر، ومعناه الدعاء، التقدير: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ، وتقديرُه: رحِمَكَ الله وغفرَ لك .

و « ربي » بدلٌ من لفظ « الله » ، والربُّ هو المصلحُ للأشياء، يُقال: ربَّه

---

(١) قاله بكر القشيري كما في الشفا ٢/٦٠ .

(٢) قاله أبو العالية . انظر الشفا ٢/٦٠ .

(٣) لفظ الجلالة ساقط من ب .

(٤) قاله القاضي عياض كما في الشفا ٢/٦٠ .

(٥) البيت من الوافر، وهو في ديوان جرير: ٢٧٨، والخزانة ٩/١١٨ .

(٦) انظر الكتاب ١/٢٦، وصناعة الشعر: ٨٠ وما بعدها .

في هامش أ: « فإن قلت في التقدير الأول حذف الموصول وإبقاء الصلة، وهو قليل، فالجواب: أنه في القول، وحذف القول يكثر في كلامهم » وكتب في صلب ب .

يَرُبُّهُ، إذا أصلحه، والأصلُ فيه: رَبِبٌ بكسر الباء، والدليلُ على ذلك: أنه لو كان فَعْلاً لجُمعَ على أفعُل، كما قالوا: صَكٌّ وأصُكٌّ. وإنما قالوا: أرباب، وأفعال إنما يكون جمْعاً لفَعْلٍ المعتلِّ العين كأبياتٍ وأقوالٍ، أو المفتوحِ من الصحيح والمكسورِ والمضمومِ نحو: جمَل وأجمال، وكَتِف وأكتاف، وعضُد وأعضاد .

فرَبٌّ لا يجوزُ أن يكونَ (فَعَلاً)؛ لأنه لو كان كذلك لأُظهِرَ، قالُوا: فَنَنٌ وطَلَلٌ وشَرَرٌ، فلم يَبقَ إلا أن يكونَ مكسورَ العين أو مضمومَها، والمكسورُ أكثرُ في الكلام، فأصلُه إذن: رَبِبٌ بكسر العين .

وقوله: « الرِّضا » هو النبي ﷺ ، قيل: يَحتملُ أن يكون بمعنى الرضوان فيكونُ على حذفِ مضافٍ، التقدير: على ذي الرِّضى .

وقيل: لا حذفَ فيه، بل جعلَه نفْسَ الرِّضى مبالغةً في وصفه بذلك، ومن هذا قولُهم: مررتُ برجلٍ عَدْلٍ وفِطرٍ وصَومٍ[1].

وألفُ الرضا منقلبةٌ عن واو لقولهم: الرضوانُ في معناه، وأما رَضي فلا دليلَ فيه؛ لأنَّ أصلَه: رَضِوَ، ثم انقلبَت الواوُ ياءً للكسرة قبلَها، وأهلُ البصرة يكتبون الرضا بالألِف، وأهلُ الكوفة يكتبونه بالياء؛ لأنَّ أولَه مكسورٌ[2].

و « محمَّد[3]» : مُفَعَّلٌ من الحمد سُمِّي به، وصار عَلَماً .

---

(١) انظر الكتاب ١٠٢/٢ .

(٢) انظر باب الاعتلال، القول في الواو الياء لامَين من التخمير ٤١٧/٤ .

(٣) علم منقول من اسم مفعول حُمِّد بالتشديد، سمي ﷺ بذلك لكثرة خصاله المحمودة ، قال حسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ :

وشق له من اسمه ليُجِلَّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمَّدُ

انظر تصريح الأزهري ١١/١ .

فإن قلتَ: لِمَ لَمْ يقولوا فيه: المحمَّد كما قالوا: العباسُ والحارثُ، وغيرَ ذلك مما لحظُوا فيه حالَ التسمية الوصفَ، فأدخلوا عليه الألِفَ واللامَ ؟

فالجوابُ: أن القاسمَ وغيرَه لُحِظَ فيه ذلك على جهة التفاؤُلِ له بذلك الوصف، والنبيُّ ﷺ متحقِّقٌ فيه ذلك الوصفُ، فلا يحتاجُ فيه إلى ذلك، والله أعلمُ .

وخَفَضَهُ على البدلِ من « الرضا » على أنه هو النبيُّ ﷺ مبالغةً، فكأنه صار من أسمائه، فأَبْدَلْتَ اسماً من اسمٍ .

وقيل: هو بدلٌ من المضاف المحذوفِ، التقديرُ: على ذي الرضا، على أن يكونَ الرضا بمعنى الرضوان .

قلتُ: هذا فيه ضعفٌ، وأكثرُ ما يأتي في الضرورة، أعني إبدالَ الاسم من الصفة. لا يجوزُ أن تقولَ: مررتُ بالعامل زيدٌ؛ لأنه إذا اجتمعَ الاسمُ والصفةُ قُدمَ الاسمُ، ووليَ العاملُ، وتبعتهُ الصفةُ نعتاً إن أمكَنَ، وعكسُ ذلك يكونُ ضرورةً .

والمُهدَى صفةٌ لمحمَّد، وهو اسمُ مفعول من قولك: أهديتُ الشيءَ فأنا مُهديه، والشيءُ مهدىً، وأشار بذلك إلى قوله عليه السَّلامُ: « أنا رحمةٌ مهداةٌ للناس[1]».وأيُّ هديةٍ أسمى من هديةٍ عمَّ نفعُها في الدارَين[2]. / قال ﷺ [3]: «لِكُلِّ 9/أ

(١) سنن الدارمي، الباب الثالث، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ ، عن أبي صالح، ثم ذكره بلفظ: « يا أيها الناس » .

(٢) كتب في هامش ١٢/ نسخة (أ) وليس بخط المؤلف، وأظن أنه ليس من النص، بل هو تعليق، ولكنه كتب في النسخة (ب) في صلب النص:
قوله: « لأن الله تعالى أهداه إلى خلقه تحفة لهم، فأنقذ به من أسعده من النار، وأدخله الجنة =

نبيٍّ دَعْوَةٌ مُستَجَابةٌ، وأَنَا اختبَأتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأمَّتي يَومَ القِيَامَةِ » ، وقولهُ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحمَةً للعَلَمِينَ﴾[1]، وقولهُ تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[2] الآية .

و « إلى الناس » يتعلّقُ بالمُهدَى. و « مرسَلاً » حالٌ من الضمير في المُهدَى، وهو مطلَقٌ غيرُ مقيَّد، فهو مرسَلٌ إلى الإنسِ والجنِّ، ولو تعلَّقَ « إلى الناس » بـ «مرسَلاً» لكان يقتضي إرسالَه إلى الناس فقط، ولا يدخلُ تحته الجنُّ .

* * *

وَعِتْرَتِهِ ثُمَّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ   تَلاَهُمْ على الإِحسَانِ بالخَيرِ وُبَّلاَ

العِتْرَةُ: ما يَبقى من الشجرة في الأرض بعد قَطْعها فتخلُفُ فروعُها. وعِترةُ الإنسانِ: الذين فيهم نشَأَ، وإليهم يأوي[3].

وسُئلَ مالكٌ عن عِترةِ رسول الله ﷺ فقال: « هم أهلُه الأدنَونَ، وعشيرتُهُ الأقربُون »[4]، ويدلُّ على صحة ذلك ما رُويَ عن جابرٍ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في حَجَّته يومَ عرفَة، وهو على ناقته القصوى يخطُبُ، فسمعتُهُ يقولُ: « يا

مع الأبرار، وعن الأعمش عن أبي صالح قال: كان النبي ﷺ يناديهم: « يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة » . أخرجه أبو داود والدارمي في مسنده هكذا منقطعاً، وروي موصولاً بذكر أبي هريرة فيه » .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان .

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧ .

(٢) سورة التوبة: ١٢٨ .

(٣) انظر الصحاح (عتر) .

(٤) انظر الشفا ٢/٤٧ .

أيها الناسُ، إني تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُمْ به لن تَضِلّوا به؛ كتابَ الله، وعِترَتِي أهل بيتي[1]»

وقال الزُّبَيدي: وعِترةُ المِسحاة خشَبَتُها[2].

و «الصحابَةُ[3]» : جمعُ صاحب على المعنى، وفي معناه: الصِّحاب، والصُّحبان، والصُّحبة، والصَّحب، والأصحاب .

فأما الصِّحَابُ والصُّحبان فهما جمع صاحب نحو: راعٍ ورُعيان ورِعاءٍ، وهكذا حُكمُ فاعل إذا كان صفةً، واستُعمِلَ استعمالَ الأسماء، فَوَلِيَتْهُ العواملُ.

وأما الصُّحبةُ والصحابةُ فمصدران في الأصل لقولك: صحِبَ، أوقِعَا على الجمعِ .

وأما الصَّحب فهو عند سيبويه[4] مفرَدٌ يُرادُ به الجمعُ، وليس بجمع صاحِب؛ لأنَّ هذا الوزنَ عنده خاصٌّ بالمفردات، وأما أبو الحسن الأخفش[5] فهو عنده جمع صاحب. وكذلك عندهما ركبٌ من راكب، هو عند سيبويه مفرَدٌ في معنى الجمع، وعند أبي الحسن جمعُ راكب .

وأما أصحاب: فيمكنُ أن يكونَ جمعَ صاحبٍ على حذفِ الزيادة، ويمكنُ أن يكونَ جمعَ صحب كقوم وأقوامٍ .

ونظيرُه في الشُّذوذ ـ أعني جمع فَعْل على أفعال ـ قولُهم: مَرْد وأمراد وزَنْد وأزناد .

---

(١) انظره بمجمل رواياته في الجامع للسيوطي ٤/٩٠ (خير) .

(٢) نقلها في اللسان والتاج (عتر) ولم ينسباها إلى الزبيدي .

(٣) انظر الصحاح (صحب) .

(٤) انظر الكتاب ٣/٥٨٢، ٦٢٥ .

(٥) حكى المذهبين الجوهري في الصحاح (صحب) ونسبهما إلى سيبويه والأخفش .

واختُلِفَ في صاحب النبي ﷺ فقيل: هو مَن وُلِدَ في زمانه رآهُ أو لم يرَهُ، وقيل: مَن رآه سواءٌ روَى عنه وطالت إقامته معه أو لم تطُل، وقيل: مَن طالت إقامتُه معه وإن لم يروِ، وقيل: مَن طالت إقامتُه وروَى عنه .

و « تلا » بمعنى تبع .

لما صلَّى على النبي ﷺ ، صلَّى بعد ذلك على عِترتِهِ وعلى الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ومما جاء في فضل الصحابة ﷺ ما رُويَ عن عِمرانَ بنِ حُصَين قال: قال رسولُ الله ﷺ: « خيرُ أمتي قَرني، ثمَّ الذينَ يلُونهم، ثمَّ الذينَ يلُونهم، ثمَّ الذينَ يلُونهم[1] » .

وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ [2]: « أَكرِمُوا أصحابي فإنهم خيارُكم، ثمَّ الذينَ يلُونهم، ثمَّ الذينَ يلُونهم، ثمَّ يَظهرُ الكذبُ حتى إن الرجلَ يحلفُ وما يُستحلَفُ، ويشهَدُ وما يُستَشْهَدُ » .

١٠/أ ويدلُّ على جواز الصلاة على غيرِ النبي ﷺ / ما جاء في حديث أبي حُميدٍ السَّاعِديِّ: « اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وأزواجِهِ وذرِّيَّتِهِ[3] » .

وقال ﷺ [4]: « اللهمَّ صلِّ على آلِ أبي أوفى » .

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٤٢٦ بلفظ: (خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم) وبلفظ: (خير الناس قرني) وفي ٤/٤٢٧ بلفظ (خيركم قرني) .

(٢) الحديث رواية عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - انظره في الجامع للسيوطي ٢/٢٢ (أكرموا) .

(٣) كتاب الدعوات من صحيح البخاري، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ .

(٤) كتاب الدعوات من صحيح البخاري، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ، عن ابن أبي أوفى .

وكان عليه السَّلامُ إذا أتاهُ قومٌ بصَدَقَتِهم قال: اللهمَّ صلِّ على آل فلان، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِن أموالِهِم صدَقةً تُطهِّرُهُم وتُزكِّيهِم بهَا وَصَلِّ عليهِم إنَّ صَلَوتَكَ سَكَنٌ لَهُم﴾[1] الآية، وقال: ﴿أُلئِكَ عليهِم صلَوَاتٌ مِن ربِّهِم وَرَحمَةٌ﴾[2].

واختُلِفَ بعد ذلك في الصلاة فقيلَ: لا يُصلَّى إلاَّ على النبي ﷺ، وهو مذهَبُ ابن عباس[3].

وقيل: لا يُصَلَّى إلا على النبيين، وهو مذهَبُ سفيان[4].

ورُوي عن مالكٍ المذهَبان[5]، والمشهورُ عنه الثاني.

وقيل: يُصلَّى على النبي ﷺ والأنبياءِ غيرِه، وعلى غيرِ الأنبياءِ، وهو مذهَبُ يحيى بن يحيى[6]، واحتجَّ بحديث تعليم الصلاةِ عليه[7]، وقال: الأسانيدُ عن ابن عباسٍ ليِّنة[8].

والصلاةُ في لسان العرَب بمعنى الترحُّم والدعاء، وذلك على الإطلاق حتى يمنعَ منه حديثٌ صحيحٌ أو إجماعٌ، قال الله تعالى: ﴿هوَ الذِي يُصلِّي عَلَيكُمْ

---

(١) سورة التوبة: ١٠٣.
(٢) سورة البقرة: ١٥٧.
(٣) انظر الشفا ٢/٨٠.
(٤) وروي عن ابن عباس أيضاً. انظر الشفا ٢/٨١.
(٥) المرجع السابق.
(٦) قال: لست آخذ بقوله، ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم. انظر الشفا ٨١.
(٧) هو حديث ابن عمر. انظر الشفا ٢/٨١.
(٨) المصدر السابق.

وَمَلَٰئِكَتُهُۥ﴾[1] وأتى من الشواهد بما تقدَّمَ .

قال القاضي أبو الفضل عِيَاض[2]: « والذي ذهبَ إليه المحققون - وأميلُ إليه - ما قاله سفيانُ، وهو أنه لا يُصَلَّى على غير الأنبياء، وأنه شيءٌ اختصُّوا به توقيراً وتكريماً، كما يُختَصُّ الله تعالى عند ذكره بالتَّنزيهِ والتَّقديسِ، ولا يُشاركُه فيه غيرُه، وأمَّا من سوى الأنبياء فيُذكَر بالغفران والرضا، كما قال الله تعالى: ﴿ربَّنا اغفِرْ لَنَا ولإخوانِنَا الذينَ سَبَقُونَا بالإيمانِ﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿والذينَ اتَّبعُوهُم بإِحْسَنٍ رَضِيَ الله عنهُم ورَضُوا عنْهُ﴾[4].

قال[5]: « وذكرُ الصلاةِ على الآلِ والأزواجِ مع النبي ﷺ بحكمِ التَّبعِ والإضافة إليه، لا على التخصيصِ، وقال تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دعَاءَ الرَّسُولِ بينكُم كَدُعَاءِ بعضِكُمْ بَعضاً﴾[6] فكذلك يجبُ أن يكونَ الدعاءُ له مخالفاً لدعاء الناس بعضِهم لبعضٍ » .

لما صلَّى في البيت المتقدِّمِ على النبي ﷺ ، صلَّى هنا على غيره اتِّباعاً لما جاء في ظاهر الأحاديث، وأخذاً بمذهب من رأى ذلك، وهو مذهبُ يحيى بن يحيى . وبدأ أولاً بالعِترةِ؛ لأنهم أقربُ جِواراً، ولأنهم عِترةٌ وأصحابٌ، وغيرُهُم

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٣ .

(٢) الشفا ٨١/٢ . وانظر تعليق ابن حجر في الفتح على باب: (هل يصلى على غير النبي ﷺ . كتاب الدعوات)

(٣) سورة الحشر: ١٠ .

(٤) سورة التوبة: ١٠٠ .

(٥) الشفا ٨٣/٢ بتصرف .

(٦) سورة النور: ٦٣ .

أصحابٌ فقط، ثمَّ بالصَّحابة لأنهم أفضلُ من التابعين، قال الله تعالى: ﴿محمَّدٌ رَسُولُ الله والذينَ معهُ أشدَّاءُ على الكفَّارِ﴾[١] الآية، وقال تعالى: ﴿والسَّابقُونَ الأوَّلُونَ منَ المهَجِرِينَ والأنصَارِ﴾[٢]، وقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ المؤمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تحتَ الشَّجَرَةِ﴾[٣]، وقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَهَدُوا الله عَلَيهِ﴾[٤] .

وقال ﷺ[٥]: « أصحَابي كالنُّجُوم بأيِّهِمُ اقتديتُم اهتديتُم » .

وقال ﷺ [٦]: « مثَلُ أصحابي مثَلُ الملحِ[٧] في الطعامِ، لا يَصلُحُ الطعامُ إلا بهم[٨] » .

وقال ﷺ [٩]: « الله الله في أصحابي، لا تتَّخذُوهُم[١٠] غَرَضاً بعدِي، فمَن أَحَبَّهم فبحُبِّي أحبَّهم، ومَن أبغضَهُم فببُغضي أبغَضَهم، ومَن آذَاهُم فقد آذاني،

---

(١) سورة الفتح: ٢٩ .

(٢) سورة التوبة: ١٠٠ .

(٣) سورة الفتح: ١٨ .

(٤) سورة الأحزاب: ٢٣ .

(٥) قال العجلوني في كشف الخفاء برقم ٣٨١: رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس. وانظر الشفا ٥٣/٢، والسلسلة الضعيفة للألباني برقم: ١٠٨ .

(٦) رواه ابن المبارك وكذا أبو يعلى عن أنس رفعه. وأخرجه البغوي في شرح السنة، وهو ضعيف، والكشف برقم: ٢٢٦٤، والمقاصد الحسنة برقم: ٩٩٦، والشفا ٥٣/٢، والجامع عن أنس برقم: ١٩٦٩٠ .

(٧) في ب : « كالملح » .

(٨) في ب : « به » .

(٩) مسند أحمد، كتاب المناقب، باب ذكر مناقبهم على الإجمال، عن عبد الله بن مغفل المزني، وكذا الترمذي عنه، وفي الجامع برقم ٣٩٨٦، والشفا ٥٤/٢، ٣٠٧، ٣٠٨ .

(١٠) في ب : « تتخذونهم » .

ومَن آذَانِي فقد آذَى الله، ومَن آذَى الله يُوشِكُ أن يأخُذَه » .

وقال ﷺ [١]: / « لا تسبُّوا أصحابي، فلو أنفَقَ أحدُكُم مثلَ أُحُـدٍ ذهبـاً، مـا بلغَ مُدَّ أحدِهِم ولا نصيفَه » . ١١/أ

وقال ﷺ [٢]: « مَن سبَّ أصحابي فعَلَيه لَعنَةُ الله والملائكةِ والنَّـاسِ أجمعين، لا يَقبَلُ الله منه صَرْفاً ولا عَدلاً » .

وقال[٣]: « إذا ذُكِرَ أصحابي فَأَمْسِكُوا » .

وقال في حديث جابرٍ[٤]: « إنَّ الله اختارَ أصحابي على جميعِ العالمين سوى النَّبيِّين والمرسَلِين، واختارَ لي منهم أربعةً، أبا بكرٍ وعُمَرَ وعثمانَ وعلياً، فجعلَهُم خيرَ أصحابي، وفي أصحابي كلِّهم خيرٌ » .

وقال ﷺ في حديث خالدِ بنِ سعيد[٥]: « أيها النَّاسُ، إني راضٍ عن أبي بكرٍ فاعرفُوا له ذلك، أيها النَّاس، إني راضٍ عن عُمَرَ وعن عليٍّ وعن عثمانَ وطلحةَ والزُّبيرِ وسعدٍ وعبدِ الرحمن بنِ عوفٍ، فاعرفُوا لهم ذلك، أيها النَّاسُ إنَّ الله قد[٦] غفـرَ لأهـلِ بـدرٍ والحُديبِيَـةَ، أيهـا النَّـاسُ، احفظُونـي في أصحـابي وأَصهَـاري

---

(١) المسند، كتاب المناقب، باب ذكر مناقبهم على الإجمال، عن أبي سعيد الخدري، والشفا ٥٤/٢ .

(٢) ابن أبي شيبة في المسند المصنف ، عن عطاء مرسلاً، وانظر جامع الأحاديث برقم: ٢٢٠٢٦ بلفظ: « من سب أحداً » وانظر الشفا ٣٠٨/٢ .

(٣) الطبراني في الكبير، عن ابن مسعود، والشفا ٥٤/٢، والسلسلة الصحيحة للألباني برقم:٣٤.

(٤) انظر الشفا ٥٤/٢ .

(٥) انظر الشفا ٥٥/٢ .

(٦) « قد » لا يوجد في الشفا. انظر ٥٥/٢ .

وأَختاني، لا يُطالبنَّكُم أحدٌ منهم بمظلَمَةٍ، فإنها مَظلَمةٌ لا تَذهَبُ[1] في القيامةِ غداً» .

وقال رجلٌ للمعافَى بنِ عِمرانَ[2]: أينَ عُمَرُ بنُ عبد العزيز مِن معاويةَ ؟! فغَضِبَ وقالَ: « لا يُقاسُ بأصحابِ النبي ﷺ أَحَدٌ، معاويةُ صاحبُهُ وصِهرُهُ وكاتبُهُ وأمينُهُ على وحيِ الله[3] » .

وقال ﷺ[4]: « طوبى لَمن رَآني، ولَمن رَأَى مَن رَآني، ولَمن رَأَى مَن رَأَى مَن رآني » .

و « وُبَّلاً » : جمعُ وابل؛ وهو غزيرُ المطر، نظيرُهُ: شاهدٌ وشُهَّدٌ .

و « بالخير » متعلقٌ به،وهو نَصْبٌ على الحال من الضمير المرفوع في « تلاهم»، فيكون مِن وَصْفِ التابعين، وأفردَ الضميرَ المرفوعَ في « تلا » لعودته على لفظ «مَن»، وجَمَعَ « وُبَّلاً » بالحمل على المعنى، قال الله تعالى: ﴿ومِنَ النَّاسِ مَن يقُولُ آمنَّا بالله وباليَومِ الآخِرِ وَمَا هُم بمُؤمِنِينَ﴾[5] بالإفراد والجمع .

وقيلَ: هو نصبٌ على الحال من الضمير المنصوب في « تلاهم » ، فيكونُ من وَصْفِ الصحابة، والمعنى: ثمَّ مَن تلاهم على الإحسان في حالِ كونهم أمطاراً وُبَّلاً بالخير؛ أي: نازلةً به؛ أي: آتينَ بالخير[6] .

---

(١) في الشفا ٢/٥٥: « لا توهب » .

(٢) الأزدي الموصلي، أبو مسعود، أحد الثقات، له تصانيف في السنن والزهد والأدب والفتن وغيرها، توفي سنة ١٨٥. التذكرة ١/٢٦٤، الأعلام ٨/١٦٩-١٧٠ .

(٣) انظر الشفا ٢/٥٥ .

(٤) انظر الجامع للسيوطي ٤/٤٨٣ (طوبى) .

(٥) سورة البقرة: ٨ .

(٦) غير واضحة في الأصل، ورسمت قريبة من ذلك في هامش نسخة (أ) .

وقيل بجواز[1] أن يكونَ حالاً من الضميرين المرفوعِ والمنصوبِ كما تقولُ: لقيتُ زيداً مُنْحَدِرَيْنِ، ومنه قولُ الشّاعرِ[2]:

تعَلَّقْتُ ليلَى وهْيَ ذَاتُ مُؤَصَّدٍ ... ولم يَبْدُ للأَتْرَابِ مِن ثَدْيِهَا حَجْمُ

صَغِيرَين نَرْعَى البَهْمَ ياليتَ أنّنَا ... إلى الآن لم نَكبَرْ ولم تكبَرِ البَهْمُ

قلتُ: والحالُ في جميع تلك الوجوهِ مؤكِّدةٌ؛ لأن قولَه: « تلاهم على الإحسان » يُستفادُ منه ذلك .

ويجوزُ أن ينتصبَ « وُبَّلاً » على أنه مفعولٌ بفعلٍ محذوفٍ، التقديرُ: أمدحُ وُبَّلاً بالخير، ويمكنُ أن يكون أشارَ بقوله: « وُبَّلاً » إلى ما جاء في الحديث[3]: «أمّتي كالمطر، لا يُدرَى آلخيرُ في أوّلها أم في آخرِها » .

* * *

وثَلَّثتُ أَنَّ الحَمْدَ للهِ دَائِماً ... ومَا لَيسَ مَبْدوءاً بِهِ أَجْذَمُ العَلا

/ أخبرَ أنه ثلَّثَ بحمد الله تعالى، وذلك أنه بدأ بالبسملة، ثمَّ ثنّى[4] بالتَّصلِيَة[5]، ولم تتمَّ له (إلا)[6] في بيتَين، وهما قولُهُ: « وثَنَّيتُ صلَّى الله ربي...»، وقولُه: « وعِترتِهِ ... » البيتان، والهاءُ في قولِه: « مبدوءاً به » عائدٌ على « الحمد »، أي: كلُّ شيءٍ لا يُبدَأ فيه بالحمد فهو أجذمُ العَلا، أي: هو ناقصٌ، والإشارةُ في ١٢/أ

---

(١) في ب : « يجوز » .

(٢) من الطويل لمجنون ليلى، انظر الديوان : ١٨٦ ، وتثقيف اللسان للصقلي: ١١١، وفي الأصل: مرَصَّد .

(٣) الترمذي في الأدب، والجامع عن أنس وابن عمر برقم: ١٩٧٣ .

(٤) « ثنى » ساقطة من ب .

(٥) في اللسان (صلا): « يقال: صليت صلاة، ولا تقل: تصلية » .

(٦) من ب .

هذا البيت إلى ما جاء في الحديث من الحثِّ على الابتداءِ بحمد الله تعالى، وذلك أنه رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: « كلُّ كلامٍ لا يُبدأُ فيه بالحمد (لله)[1] فهو أجذمُ». أخرجه أبو داودَ وأبو عبد الله بنُ ماجه...[2]، إلا أنَّ في رواية أبي عبد الله بن ماجه: « فهو أقطع » عوض « أجذم » ، وفي رواية البغوي: « بحمد الله » ، وفي رواية أبي عَوانة: « بالحمد فهو أقطع[3]» .

قلتُ: يحتملُ هذا الحديثُ أن يكونَ المرادَ الابتداءُ بلفظ « الحمد لله » هكذا بهذه الصيغة على الحكاية، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ: الابتداءَ بمادة الحمد، وإن لم تكن على هذه الصيغة حتى لو قال:حَمِدتُ الله أو أحمدُ اللهَ لأَجْزَأَ .ولذلك قال الزمخشريُّ[4]: « اللهَ أحمدُ أن جعلني من علماء العربية » ، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ: الثناءَ، وإن لم يكن بهذا اللفظ، حتى لو قال: بِسم الله الرحمن الرحيم لأَجْزَأَ؛ لأنه ثناءٌ، والأظهَرُ (الأوَّلُ)[5]؛ لورود الرفعِ في بعضِ الروايات بـ« الحمدُ لله » .

والكلام في الحمدِ في ثلاثة فصولٍ[6]:

الفصل الأوَّلُ:

أن هذا اللفظَ لا يُقالُ على جهة التعظيم إلا في حقِّ الله سبحانه، وكذلك

---

(١) سقط من ب .

(٢) كلمة في الهامش غير واضحة ..

(٣) انظر السلسلة الضعيفة برقم: ٩٠٢، طرقه بعضها موضوع والباقي ضعيف . وانظر كشف الخفاء برقم ١٩٦٤ .

(٤) انظر فاتحة المفصل في صنعة الإعراب ، وبعدها: « وجبلني على الغضب للعرب والعصبية » انظر تعليق الخوارزمي ١/١٣٥ من التخمير .

(٥) سقط من ب .

(٦) تقدم الكلام عنها في المقدمة .

كانت العرَبُ تقولُه .

قال سيبويهِ[١] في باب ما ينتصِبُ على المدحِ والتعظيمِ: « وليس كلُّ شيءٍ من الكلام يكونُ تعظيماً لله يكونُ تعظيماً لغيره، لو قلتَ: الحمدُ لزيدٍ، تريدُ أن تعظمَه، لم يجُزْ ولو كان عظيماً » .

ونظيرُه: سُبُّوحاً قُدُّوساً، وسبحانَ الله، وأما قولُ الأعشى[٢]:

أَقُولُ لمَّا جَاءَني فَخْرُهُ   سُبْحَانَ مِن عَلْقَمَةَ الفاخِرِ

فسبحانَ فيه بمنزلة براءة، أي: أتبرَّأُ من علقمةَ الفاخرِ، وليس سبحانَ فيه على جهة التعظيم .

الفصل الثاني:

في بيان الحمدِ لغةً، وبيان الشُّكر، وما الفرقُ بينهما، قال ثعلبٌ في « الفصيح[٣] » : « تقولُ: حَمدتُ الرجلَ إذا شكرتَ له صنيعَه » .فهما مترادفان عندَه، ولذلك فسَّرَ أحدهما بالآخَر .

وقال سيبويهِ[٤] في باب افتراق فعلْتُ وأفعَلْتُ: « وقالوا: حمدتُهُ إذا جزيتَهُ

---

(١) انظر الكتاب ٢/٦٩-٧٠، قال السيرافي: « يحتاج التعظيم إلى اجتماع معنيين في المعظم: أحدهما: أن يكون الذي عظم به فيه مدح وثناء ورفعة .
والآخر: أن يكون المعظم قد عرفه المخاطب، وشُهر عنده بما عظم به، أو يتقدم من كلام المتكلم ما يتقرر به عند المخاطب حال مدح وثناء وتشريف في المذكور يصح أن يورد بعدها التعظيم. وهذا معنى ما ذكره سيبويه » انظر هامش (٦) من الكتاب ٢/٦٩ .

(٢) في ديوانه: ١٩٣، والخزانة ١/١٨٥ .

(٣) الفصيح، باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى: ٢٧٥ ، وانظر ثلاثيات الأفعال لابن مالك: ٣٢، وثلاثيات الأفعال للبعلي: ٣٠٥ .

(٤) انظر الكتاب ٤/٦٠ وفيه: فقضيته حقه .

وقضيتَ حقّهُ » ، فعلى كلام هذينِ الإمامَين الحمدُ والشكرُ بمعنى واحدٍ .

وقال ابنُ قتيبةَ[١]: « والحمدُ والشُّكرُ لا يُفرِّقُ النـاسُ بينهمـا، فـالحمد: الثنـاءُ على الرجل بما فيه من حَسَنٍ، تقـولُ: حمـدتُ الرجـلَ إذا أثنيـتَ عليـه بكـرَمٍ أو حسَبٍ، وأشباهِ ذلك. والشُّكرُ: الثناءُ عليه بمعروف أولاكَهُ .

وقد يُوضعُ الحمدُ موضعَ الشُّكرِ فيُقالُ: حمِدتُ الرجلَ على معروفٍ كما يُقالُ:شكَرتُ له.ولا يوضع الشُّكرُ موضعَ الحمد فيقالُ:شكرتُهُ على / شجاعته. ١٣/أ

فالحمدُ على هذا أعمُّ من الشُّكر؛ لأن الشُّكرَ يكـونُ علـى معروفِـهِ عنـدك، والحمدُ: الثناءُ على المحمود بما فعلَ معَكَ أو معَ غـيرك، وعلـى مـا لم ينلْـكَ منـه شيءٌ .

وقال الزمخشريُّ[٢]: « الحمدُ والمدحُ واحدٌ » وهو أن تمدحَهُ بما فيـه مـن صفـةٍ محمودةٍ نالكَ منها شيءٌ أو لم ينلْكَ، ولا يكونُ إلا باللسان، والشُّكرُ مـا يكـون في مقابلة إحسانِهِ إليك، ويكـونُ بـاللفظِ والفعـلِ والاعتقـادِ، فـالحمدُ أعـمُّ مـن الشُّكر مما تقدم، والشُّكرُ أعمُّ من الحمد من كونِ الشُّكر يكونُ بمـا[٣] يكـونُ بـه الحمدُ، وبما[٤] لا يكون به، والحمدُ يكونُ ببعضِ ما يكونُ به الشُّكرُ .

والدليلُ على أن الشُّكرَ يكونُ بالجوارح والاعتقادِ والقلب قولُ الشَّاعر[٥]:

أَفَادَتكُمُ النَّعمَاءُ مني ثَلاثَةً   يَدِي وَلَسَاني والضَّميرَ المحجَّبَا

---

(١) أدب الكاتب، (كتاب المعرفة) بتصرف ص: ٣٦ .

(٢) الكشاف ١/٧ . ولفظ ما فيه (أخوان) بدل (واحد) .

(٣) في ب: « مما » .

(٤) في ب: « مما » .

(٥) البيت في الكشاف ١/٧، وتعليق الفرائد على تسهيل الفرائد ١/٥٦، و لم أهتد إلى قائله.

يريدُ: نعماؤُكُم استعبدَتْ منِّي لكم ثلاثةَ أعضاءٍ: اليدَ واللسانَ والقلبَ، (وهو الضميرُ المحجَّبُ)، فأما استعبادُ يده فلِكَتْبِهَا مَدْحَهُ، ولا تكتُبُ غيرَه، أو لأنها تشيرُ إليه أبداً، كقول أبي العلاء[1]:

شغَلْتَ على المرْءِ منْ خَمْسِهِ — اثنتَينِ فَخَصَّهُمَا المِفْخَرُ

يُشَارُ إليكَ بسبَّابَةٍ — ويُثْني على فَضْلِكَ الخِنصَرُ

واستعبادُ اللسانِ بذكرِهِ أبداً ولزومِهِ ذلك، واستعبادُ الضميرِ بكونه لا يُخطِرُ ببالِه غيرَه .

ونظيرُ البيتِ قولُه تعالى: ﴿إن تكفُروا فَإنَّ اللهَ غنيٌّ عنكم وَ لاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ وَإنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لكم[2]﴾[3] فالشُّكرُ جاء هنا في مقابلة الكفر، والكفرُ يكونُ باللسانِ والاعتقادِ والجوارح، فضدُّه يكونُ بهذه الثلاثة أيضاً.

وقال ﷺ [4]: « أفلا أكونُ عبداً شكوراً » .

فإذا أخذنا الحمدَ بمعنى الشُّكر، فلا يجوزُ إطلاقُهُ على غير الله تعالى؛ لأنه سبحانه المحمودُ على كلِّ نعمةٍ؛ لأنَّ النِّعَمَ الواردةَ على أيدي المخلوقين هو المشكورُ عليها؛ لأنها لم تجرِ إلاَّ بإرادته وقدرته، وإذا أخذنا الحمدَ بمعنى المدح، فهو سبحانه المحمودُ على الحقيقة، لأن المخلوقَ إذا فعلَ ما يُحمَدُ عليه، إنما ذلك

---

(١) سقط الزند: ١٥٣، وروايته:

يشار إليك بدعَّاءةٍ

(٢) في أ: « يرضه له » وهو خطأ بين .

(٣) سورة الزمر: ٧ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه، عن المغيرة. ومسلم في صفات المنافقين .

لغرضٍ أُخرَويٍّ أو دنيوي، والله سبحانه هو المحمودُ على الإطلاق، فلا يَنطلقُ على غيرِه .

الفصل الثالث:

إذا قال القائلُ: الحمدُ للهِ، يجوزُ فيه الرفعُ والنصبُ، فالرفعُ بالابتداء، ولله الخبرُ، والنصبُ على أنه مصدر نابَ منابَ فعله، والرفعُ أحسنُ، ولو كان نكرةً لكان النصبُ أحسنَ، ولا يُرفَعُ إلا بالسماع كقوله[1]:

عَجَباً لتلكَ قضيةً وإقامَتي فيكُمْ علَى تلْكَ القَضِيَّةِ أعْجَبُ

وإنما جاز الابتداءُ به وإن كان نكرةً لأنها جملةٌ اسميةٌ وُضعت موضعَ الفعلية، كما قالوا: شرٌّ أهرَّ ذا نابٍ[2]، التقدير: ما أهرَّ ذا نابٍ إلا شرٌّ.

والرفعُ في الحمد / أقوى في المعنى من النصب؛ لأنك في الرفع تخبرُ عن شيءٍ ثبتَ واستقرَّ، وفي النصبِ تخبرُ أنكَ في حال حمدٍ، ومع هذا ففي الرفعِ المعنى الذي في النصبِ من إنشاءِ الحمد، وقد سُمع في « الحمدُ للهِ » ضمُّ لام الجر: الحمدُ لُلّه[3]، ووجهُهُ أنهم أَتبَعُوا لامَ الجر الضَّمَّةَ التي قبلَها للإعراب، وقد سُمِعَ بكسر الدال[4]: الحمدِ لِلّه[5]، ووجهُهُ: أنهم أَتبَعُوا الأوَّلَ الثاني . ١٤/أ

---

(١) من الكامل، وهو لهُنَيِّ بن أحمر في الكتاب ٣١٩/١، ولضَمْرة بن ضمرة بن جابر في الخزانة ٣٨/٢ . و(عجبٌ) بالرفع في جميع الروايات، خلافاً لما عند المؤلف، وقال البغدادي في الخزانة ٣٥/٢: « ورُوي (عجباً) بالنصب على أنه مصدر نائب عن أعجب » .

(٢) انظر الكتاب ٣٢٩/١، والخصائص ٣١٩/١ .

(٣) انظر المحتسب ٣٧/١ .

(٤) في ب: « اللام » .

(٥) انظر المحتسب ٣٧/١ .

واللامُ في قولك: « لله » لامُ المُلْكِ؛ أي: لا يستحقُّ أن يملِك الحمدَ حقيقةً إلا الله سبحانه .

وقوله: « أن الحمدَ لله » يجوز فيه كسر إن وفتحُها، فأما الكسرُ فعلى إضمار قول، التقديرُ: وثَلَّثْتُ فقلتُ: إنَّ الحمدَ لله .

وأما الفتحُ فعلى إعمال « ثَلَّثتُ » فيها على حذف الباءِ، أي: وثلَّثتُ بأنَّ الحمدَ لله . فإذا كُسرتْ إنَّ فيجوزُ أن تكونَ المؤكدةَ، ويجوزُ أن تكون بمعنى نَعَم، ومثالُ المؤكدة: ﴿إنَّ اللهَ غفُورٌ رَحيمٌ﴾، ومثال التي بمعنى نَعَم قولُ الشاعرِ[1]:

وَيَقُلْنَ شَيبٌ قدْ عَلاَ كَ وَقَدْ كَبِرْتَ فقُلتُ إنَّهْ

بمعنى نَعَم .

فإذا كانت إنَّ في البيت بمعنى نَعَم، جاز في « الحمدُ لله » الرفعُ والنصبُ، الرفعُ على الابتداءِ والخبرِ، والنصبُ على المصدرِ النائبِ منابَ الفعل .

وإذا كانت المؤكِّدةَ، جاز أيضاً الرفعُ والنصبُ؛ فأما النصبُ فعلى إعمالِ إنَّ، وأما الرفعُ فعلى إضمارِ اسم إنَّ بمعنى الأمر والشأن، والتقديرُ: إنه الحمدُ لله، ويكونُ موضعُ « الحمدُ لله » رفعاً؛ لكونه خبرَ إنَّ، وقد جاء في الحديث[2]: « إنَّ مِن أشدِّ الناسِ عَذاباً يومَ القيَامَةِ المصَوِّرُونَ » المعنى: إنَّه .

وانتصب « دائماً » على الحال من الضميرِ في « لله » ، والعاملُ فيه الاستقرارُ، و « ما » بمعنى الذي مبتدأ، واسمُ ليس مستترٌ فيها يعودُ على « ما » ،

(١) من مجزء الكامل، وهو في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ٦٦، وفي الخزانة ٢١٣/١١ .
(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة .

وكذلك الضمير في مبدوءاً. و « به » يتعلق بـ « مبدوءاً » وهو يعودُ على « الحمد »، وليس واسْمُها وخبرُها صلة " لـ « ما » المبتدأ، و « أجذمُ العَلا » خبرُ المبتدأ الذي هو «ما».

فإن قيل[1]: إذا كان الأمرُ كذلك أعني أنَّ كل أمرٍ لا يُبدأ فيه بالحمدِ فهو أجذمُ العَلا، فلِمَ ثلَّثَ به،وكان يجبُ أن يكون مُقدَّماً كما فعلَ أبو عليٍّ الفارسيُّ[2] ؛ حيث قال: الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ على سيِّدنا محمدٍ خاتمِ النبيين .

قلتُ: هو مبدوءٌ به باعتبار تقديمه على الخوض في القراءات وما يتعلقُ بها، وكأنَّ البسملةَ والتصليةَ والحمدلةَ مقدِّماتٌ على ما يُريدُ من الأمر المهم. واتفق أنْ كان موضعُ الحمدلةِ ثالثاً، فهو في الحقيقة مبدوءٌ به .

و « العَلاء » بالفتح والمدِّ: الرِّفعةُ والشَّرَفُ، وأصلُهُ: المدُّ وقصره ضرورةً، ويجوزُ أن يكونَ وقفَ عليه بالإبدال[3] على القياس، ثم وصَلَ بنية الوقفِ، كالوقف على ﴿جاء﴾ لحمزة[4] .

/ والعُلا ـ بالضم والقصر ـ : يُستَعمَلُ على وجهَين: ١٥/أ

أحدهما: أن يكونَ جمعَ العُلْيا (مؤنثِ الأعلى)، كالدُّنى جمعُ الدُّنيا (مؤنثُ الأدنى). قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرْ﴾[5] هو جمعُ الكُبرى (مؤنثُ الأكبَر) .

---

(١) في ب: « قلت » .

(٢) انظر الحجة، مقدمة المؤلف ١/٥ .

(٣) في ب: « بالإبدان » .

(٤) انظر كلام أبي جعفر في الإقناع ١/٤٢٢ .

(٥) سورة المدثر: ٣٥ .

والثاني: أن يكونَ العُلى بمعنى العلُو مصدراً، ولا يكونُ فُعَلُ مصدراً إلا في المعتلِّ اللام كالهُدى والتُّقى، قال امرؤُ القيس(١):

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى العُلاَ   تَضِلُّ المَدَارَى في مثّنى ومُرْسَلِ

وقيل: العُلا والعَلاء واحدٌ، وعليه قولُ الحُطيئة(٢):

إِذَا نَهَضَتْ يَوماً نِجَادٌ إلى العُلاَ   أَبَى النَّاشِئُ الموهُونُ والأَشْمَطُ الغُمْرُ

قال بعضُ الشُّرَّاح: إنما قصَدَ الناظمُ « إلى العَلاَ » بالفتح وقصَرَه، ولم يَستعمِلْ الذي هو مقصورٌ مضمومٌ وهو « العُلا »؛ لأنه قصَدَ أن يأتيَ بأبلغ اللفظَين وأفخمِهِمَا في هذا المعنى .

قال: وكأنَّ العَلاءَ بالمد أبلغُ من العُلاَ بالقَصر والضمِّ؛ لأن زيادَةَ الحروف تؤذِنُ بزيادةِ المعنى كالضُّحا والضَّحاء، هو بالقَصر: أولُ النهار، وبالمدِّ: ارتفاعُ النهار .

قلتَ: إنما قصَدَ ذلك ـ والله أعلمُ ـ ليخلُصَ من اشتراكِ اللفظ؛ لأنَّ العَلاءَ بالمد نصٌّ في مُرادِهِ، والعُلا بالضمِّ محتَمِلٌ كما قدَّمناه .

وأيضاً فالعَلاء معنويٌّ، والعُلا حسيٌّ، والذي يناسبُ الحديثَ الأوَّلُ، ولا يكونُ المقصورُ إلا بمجازٍ، والأوَّلُ حقيقةٌ .

فإن قلتَ: هذا شعرٌ، والمجازُ في الشعر أبلغُ من الحقيقة ؟

فالجوابُ: أنَّ هذا في معرِض التفسير للحديث والتبيين، والحقيقةُ فيه أَولى، والله أعلمُ .

---

(١) من الطويل، في ديوانه: ١٧ .

(٢) ديوانه: ١٠٩، وروايته:

أبى الأشمط المزهوق والناشئ الغُمُرْ

فإن قيلَ: ما فائدةُ ذِكرِ العَلاء، و لم يذكُرهُ في الحديث ؟

فالجوابُ: أنه مُشارٌ إليه فيه، وذلك في قوله: كلُّ أمرٍ ذي بالٍ، أي: شأنٍ .

ويَحتَمِلُ العَلاءُ من الإعراب ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: أن يكون مجروراً بإضافة « أجذمُ » إليه .

والثاني: أن يكون منصوباً على التشبيهِ بالمفعول به .

والثالثُ: أن يكونَ مرفوعاً، إماً فاعلٌ بـ « أجذمُ » ، والضميرُ الذي يعودُ على المبتدأ، وهو[1] ما نابت الألفُ واللامُ منابَه على مذهبِ أهلِ الكوفة، أو يكونَ محذوفاً تقديرُه: العَلاء « منه » أو « له » ، وإما أن يكونَ بدلاً من الضمير في « أجذمُ » ، ويكونَ من بدل الاشتمال، ومثلُ هذا قولُك: هذا رجلٌ أحمرُ الثوبِ وأحمرُ الثوبَ وأحمرُ الثوبُ .

* * *

وبَعْدُ فَحَبلُ اللهِ فينا كِتَابُهُ فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ العِدَا مُتَحَبِّلاَ

الحَبل: بفتح الحاء معروفٌ، وتستعيرهُ العرَبُ مثَلاً للعَهد. قال الشَّاعرُ[2]:

إنِّي بَحبلِكَ وَاصِلٌ حَبلي وبريشِ نَبْلِكَ رائِشٌ نَبْلِي

وقالَ الآخرُ[3]:

ألاَ أَضْحَتْ حِبَالُكُمُ رِمَامَا وَأَضْحَتْ مِنْكَ شَاسِعَةً أُمَامَا

لِمَا في العَهد مِن الصلة والمودَّةِ، وانقطاعُهُ نقيضُ ذلك، ونظيرُهُ قولُهُ تعالى:

---

(١) صوابه « هو » .

(٢) البيت من الكامل، وهو لامرئ القيس في ديوانه: ٢٣٩ .

(٣) من الوافر، وهو لجرير في ديوانه: ٢٢١ .

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[1] .

وعن مجاهدٍ وابنِ مسعودٍ في قولِهِ تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾[2] قالا[3]: حبلُ الله: القرآنُ، / ضربَه الله مثلاً لِما فيه من العهود إلينا، ألا ترى أنه وُصلةٌ إلى معرفةِ توحيد الله - عزَّ وجل - وشرائعِه، وغيرِ ذلك من علومه التي لا تُحصى، ووُصلةٌ إلى رضاهُ وثوابِهِ، وإلى النجاةِ من سخطِهِ وعقابِهِ. ١٦/أ

أشارَ رحمه الله في هذا البيتِ إلى الآيةِ المتقدِّمَة ، وإلى قوله ﷺ [4]: « إنَّ هذا القرآنَ هو حبلُ الله سبحانه، وهو النورُ المبينُ، والشفاءُ النافعُ، عِصمةٌ لمن تمسَّكَ به، ونجاةٌ من تبعَهُ، لا يَعْوَجُّ فيُقوَّمُ، ولا يَزيغُ فيُستَعتَبُ، ولا تَنقَضي عجائبُهُ، ولا يَخلَقُ على كثرة الردِّ، فاتلوهُ فإنَّ الله يأجُرُكُم لكلِّ حرفٍ عشر حسناتٍ » .

ونحوٌ منه قولُهُ - ﷺ - [5]: « أبْشروا أبْشروا، ألستُم تشهدونَ ألاَّ إلهَ إلاَّ الله، وأني رسولُ الله، قالوا: بلى، قال: فإنَّ هذا القرآنَ سببٌ، طرفُهُ بيد الله، وطرفُهُ بأيديكم، فتمسَّكُوا به، فإنكم لن تضلُّوا ولن تهلِكُوا بعدَه أبداً » .

وهذا إعلامٌ بحفظِهِ وحراسته . أما الطرف الذي بيدِ الله فلأن لا ينالَهُ مبطِلٌ، وأما الطرفُ الذي بيدِ أهل القرآن فتشريفاً لهم وتقويةً لاعتصامِهِم به

---

(١) سورة البقرة: ١٦٦ .

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣٩٧/١، والدر المصون ١٧٧/٢ .

(٤) البغوي في شرح السنة ٤٣٨/٤، والترمذي في فضائل القرآن ١٥٨/٥، وتفسير ابن كثير ٣٧٩/١ عن الأحوص بن عبد الله .

(٥) انظر الجامع للأحاديث برقم: ١٥٩ عن أبي شُريح الخزعي رضي الله عنه، وانظر فضائل القرآن للرازي: ٧٦ .

واعتضادِهم، وامتناعِ دخولِ الوسائطِ بينه [وبينهم][1] .

وقوله: « فجاهِدْ به حِبلَ العِدا » الهاء من « به » تعود على الكتـاب، و الحِبـل بكسر الحاء: الدَّاهية، ويُجمَعُ على حُبُول ، قال الشاعر:

وكُنتُ صَحيحَ القَلْبِ حَتَّى أَصَابَنِي
مِـنَ اللاَّمِعَاتِ المُبْرِقَاتِ حُبُولُ[2]

و « العِدا » : اسمٌ للأعداء، وهو مفرَدٌ يُرادُ به الجمعُ، وهو صفـةٌ، وليـس في الصفات فِعَلٌ إلا عِداً، وزاد أبو عليٍّ[3] ﴿مكاناً سِوىً﴾[4]، قال الشاعرُ[5]:

إِذَا كُنْتَ في قَومٍ عِداً لَسْتَ منهُمُ   فَكُلْ مَا عُلِفْتَ من خَبِيثٍ وطَيِّبِ

وأما العُداة: فهو جمعٌ، ومفرَدُهُ: عادٍ كقاضٍ وقضاة، وسـارٍ وسُـراة، قـالت الخِرنِقُ[6]:

لا يَبْعَدَنْ قومِي الذِينَ هُمُ   سُمُّ العُداةِ وآفَةُ الجُزْرِ

والأعداءُ: جمعٌ يجـوزُ أن يكـونَ واحـدُه عـدوٌّ وعـادٍ، وجُمـعَ على حـذفِ الزيادةِ، كما قالُوا: شاهِدٌ وأشْهَادٌ، وفَلُوٌّ وأفلاءٌ[7].

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) من الطويل، والبيت للأخطل في ديوانه: ٤٦١، واللسان والتاج (حبل) .

(٣) قال: « وهذا بناء يقل في الصفات - يعني فِعَلَ عند كلامه عن قوله تعـالى ﴿مكانـاً سِـوىً﴾ - ومثله: قومٌ عدىً » انظر الحجة ٥/٢٢٤ .

(٤) سورة طه: ٥٨ .

(٥) من الطويل، في اللسان (عدا) قال: « وقال ابن بري: هو لزرارة بـن سـبيع الأسـدي » وانظـر الكامل للمبرد ١/٤٠٩ .

(٦) من الكامل، وهو في ديوانها: ٤٣، وانظر الخزانة ٥/٤١، ٤٢، ٤٣ .

(٧) الفلوُّ بتشديد الواو: المهر؛ لأنه يفتلى أي: يفطم، وقد قـالوا للأنثـى: فلُـوَّة كمـا قـالوا عـدو وعدوة. انظر (فلو) في اللسان والتاج ، وفيها: فَلوٌّ وفُلُوٌّ وفِلْوٌ .

والمتحبِّلُ: آخذُ الصيدِ بالحِبالَةِ، يُقالُ: تحبَّلَ الصيدَ واحتبَلَهُ: أخذَه بالحِبالة وهي الشبكة. وجُمع على حبائل، وهو نصْبٌ على الحال من الضمير المستتر في «جاهد» .

يقولُ: انصبْ للأعداء في الدِّين وأهل البدعِ الحبائلَ بالقرآن لتهلِكَهُم بما توردُ عليهم من ذلك، كما يفعلُ الصائدُ، أو اجعلهُ حبالةً تصيد بها من تهديه، وتريهِ الحقَّ .

وفي تعلُّق « به » وجهان:

أحدهما: أن يتعلَّق بـ « جاهد » ، وهو أقرب وأقوى؛ لأنه فعلٌ، والمرادُ بالحبائل: أدلةُ القرآن اللائحة، ولا فصلَ بين المعمول والعامل .

والثاني: بـ « متحبِّلاً » . قال أبو الحسن السخاوي[1]: « وهو أحسنُ في المعنى؛ لأنه نصٌّ على التحبُّل بالقرآن » .

والفاء في قوله: « فحبلُ الله » جواب شرطٍ مقدَّرٍ، التقديرُ: أما بعد، لكن لكثرة هذا في الكلام حُذفت « أمَّا » ، واستُغنِيَ بذكر « بعدُ » . و « أمَّا » : هي العاملةُ في « بعدُ » ؛ لأنها تضمنَت معنى الفعل، وقد تُذكرُ أما، وتَسقطُ « بعدُ » كما قال أبو عليٍّ الفارسيُّ[2]: « أما على إثر ذلك فإني جمعتُ » ، والأصل أن يُقالَ: أمَّا بعدُ، / كما قال سَحبان وائل: ١٧/أ

لقَدْ علِمَ الحيُّ اليمَانُونَ أنَّني إذَا قلْتُ أمَّا بَعدُ أنِّي خطِيبُهَا

---

(١) فتح الوصيد في شرح القصيد لأبي الحسن السخاوي تلميذ الناظم، انظر كلامه عند تعليقه على هذا البيت .

(٢) البيت والخبر في جمهرة الأمثال لأبي هلال ٢٠٢/١، وانظر شرح الكافية للرضي ٣٦٥/٤.

ويُقالُ: إنه دخلَ على معاويةَ وعندَه خطباءُ القبائلِ، فلمَّا رأَوه خرَجوا؛ لعلمهم بقصورهم عنه، فأنشدَ سحبانُ إذ ذاكَ البيتَ المتقدِّمَ، وهو أوَّلُ من قالَ: أمَّا بعدُ[١].

وبعدُ كقَبلُ من ظروفِ الزمان، يُعرَبُ إذا أُضيفَ نصباً وجراً بمن، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾[٢] و﴿مِن قبلِ أنْ نَبْرَأَهَا﴾[٣] و﴿مَا أرسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرسَلِينَ﴾[٤]، وإذا لم يُضَف، وكان المضافُ إليه معلوماً، بُني على الضمِّ، قال الله تعالى: ﴿ للهِ الأمْرُ مِن قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ﴾[٥]، وإذا لم يُعلَم المضاف إليه أُعرِبَ، قال الشاعرُ[٦]:

فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وكُنتُ قَبْلاً ... أَكَادُ أَغَصُّ بالمَاءِ الفُراتِ

ولا يجوزُ أن يكونا في البناء خبرَين - اعني قبلُ وبعدُ[٧] - ، والعلةُ في البناء:

---

(١) انظر الأوائل لأبي هلال: ٦٨ .

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥ .

(٣) سورة الحديد: ٢٢ .

(٤) سورة الفرقان: ٢٠ .

(٥) سورة الروم: ٤ .

(٦) من الوافر، وهو ليزيد بن الصعق في الخزانة ١/٤٢٦، ٤٢٩، واللسان (حمم) مع اختلاف في الرواية . ونسب في التصريح ٢/٥٠ إلى عبد الله بن يعرب . ويروى (بالماء الزلال)، و(بالماء الحميم) ، وانظر شرح الشواهد للعيني ٣/٤٣٥ .

(٧) انظر الشذور، (باب ما لزم الضمة من المبنيات)، وتعليقه على بيت ابن الصعق: ١٠٤ .
قلتُ: وإلى هذا أشار ابن مالك في الكافية بقوله:

قبل كها وبعد حسبُ أولُ ... ودون والجهات هكذا علُ

أي: قبلُ مثل غير في أنه ذو إبهام يشابه الحرف، وذو إضافة تعارض الشبه، وأنه إذا قطع عن الإضافة ونويت على الوجه المذكور زال المعارض اللفظي فبني... وحين بني بني على حركة =

الخروجُ عن النظائر؛ لأنهما إذا قُطعا عن الإضافة في اللفظ، فلا ينقطعان في المعنى، وبُنيا على الحركة، إمَّا خوفاً من التقاء الساكنين، وإمَّا لأن أصلهُمَا التمكُّنَ وهو الإضافةُ، وخُصَّ بالضمِّ؛ لأنها حركةٌ لا تكونُ لهما لو أُعرِبا، وتقديرُ الإضافة هنا: وبعدَ هذه البدْأَةِ من البسملةِ والتصليةِ والحمدلةِ فحبلُ الله.

* * *

وأَخْلِقْ بِهِ إذْ لَيسَ يَخْلُقُ جِدَّةً   جَديداً مُوالِيهِ على الجِدِّ مُقْبِلاَ

يُقالُ: فلانٌ خليقٌ بكذا وجديرٌ وقمينٌ وقَمِنٌ[1] وحريٌّ وحرٍ، أي: حقيقٌ به، ويُقالُ: أنت قَمَنٌ به وحَرىً، إلا أنهما لا يُثنّيان ولا يُجمَعَان[2]؛ لأنهما من قولك: رجُلٌ زَوْرٌ وفِطْرٌ وصَوْمٌ، ويقالُ: ما أخلَقَهُ بكذا، وما أولاهُ به، وما أحقَّه به بمعنىً واحدٍ.

ليكون له مزيةٌ على مبني يلازمه البناء كـ « مَن » و « كم » وكانت الحركة ضمة؛ لأنها حركة لا يعرَب بها « قبل » حين يعرَب، إذ لا يكون إلا منصوباً أو مجروراً، والكلام على « بعد » كالكلام على « قبل ». قال ابن مالك:

وأعربوا نصباً إذا ما نكرا   قبلاً وما من بعده قد ذكرا

قال: وإنما أعربت هذه الأسماء في تنكيرها؛ لأنها في تنكيرها لم تخالف النظائر، وهي في تعريفها مقطوعة عن الإضافة، ومخالفة للنظائر، وذهب بعضهم إلى أنها معرفة بنية الإضافة، إلا أنه أعرب لأنه جعل ما لحقه من التنوين عوضاً من اللفظ بالمضاف إليه. انظر شرح الكافية الشافية ٢/٩٦٢-٩٦٦، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/٣١٩-٣٢٢، ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٧٦.

(١) « وقمينٌ » ساقطة من ب.

(٢) لأنهما مصدران، أما إذا كسرت الميم من « قمَن » فقلت: قمِن، والراء من « حَرىً » فقلت: حرٍ ثنّيتَ وجمعتَ وأنثتَ. انظر (قمن وحري) في الصحاح واللسان والتاج.

وأخلِقْ به: أحدُ لفظَي التعجب، مأخوذ من قولك: أخلَقَ الشيءُ صار خليقاً، كقولك: أغدَّ البعيرُ، صار ذا غُدَّةٍ، إلا أنه حُوِّلَ إلى لفظ الأمر لفظاً، وأُدخِلَ على الفاعل الباءُ؛ لأن صيغة الأمر لا ترفعُ الظاهرَ، ، فأُلزِمَ الباءَ ليزولَ عن كونه فاعلاً في اللفظ، وموضعُهُ رفعٌ، ونظيرُهُ قولُهم: ﴿كفَى بالله شهيداً﴾[1].

وأهلُ الكوفة[2] يرَون أنَّ موضعَه نصبٌ قياساً على سائر المجرورات .

ويُخلِق بمعنى: يَبلَى. يُقَالُ: خَلُقَ الثوبُ، وأخلَقَ، يَخلُقُ ويُخلِقُ: إذا بلِيَ .

لما قالَ:

فجَاهِدْ به حِبلَ العِدَا مُتَحَبِّلاَ

أردفَهُ بقوله: وأخلِقْ به، أي: وأخلِق به أن يجعل عُدَّةً في مجاهَدَةِ العِدَا، وهذا كما تقولُ: اجعل زيداً لمهمَّاتكَ وما أولاهُ ! أو: ما أحقه بذلك ! ثم علَّلَ ذلك فقالَ: إذ ليس يَخلُقُ جدَّةُ: إذ ليس تبلَى جدَّته، ونصَبَ جِدَّةً على التمييز، وما كان كذلك فهو جديرٌ أن يُجَاهَدَ به العدوُّ، و إذ[3]: ظرفٌ لما مضى من الزَّمان، ويجري مَجرى التعليل في بعض المواضع من غير أن يخرُجَ عن الظرفيَّةِ، وإنما جَرى مَجرى التعليل لاستواء معناهما في نحو قولك: ضربتُه لإساءَتِهِ، وضربتُه إذ أساءَ، لأنك إذا ضربتَه في وقت إساءَته، فإنما ضربتَه لإساءَته فيه[4].

---

(١) سورة النساء: ٧٩ .
(٢) انظر الإنصاف ١/١٦٧-١٦٩ .
(٣) في ب: « إذا » .
(٤) انظر نتائج الفكر: ١٣٤ .

/ وأخرجه بعضُهُم عن الظرفية وجعلـه كـ « أن » المصدريـة. وأشـار بقولـه: «إذ ليس يَخلُقُ » ، لما جـاء في الحديث المتقدِّم من قوله ﷺ : « ولا يَخلُقُ على كثرةِ الرَّدِّ » .

وجديداً: فعيلٌ من الجِدِّ، وهو الرِّفعةُ والعظَمَةُ. قال ا لله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تعَـالى جَدُّ رَبِّنَا﴾[1] ويُقالُ: جَدَّ زيدٌ في عيون الناس وفي صدورهم؛ أي: عظُمَ .

و « هـو » حـال مـن الضمـير في « يُخلِـقُ » ، وهـو ضمـير القـرآن. ومُواليـه: ملازمُهُ، وهو ضدُّ المعادي .

والجِدُّ بالكسر: ضدُّ الهزْل، وفي الحديث: « وهو الجِدُّ ليس بـالهزْل » جـاء في صفة القرآن. و « على الجِد » موضعه رفعٌ على أنه خبرُ المبتدأ وهو « مُواليه » . و « ومقبلا » : حالٌ من ضمير الاستقرار كما تقول: زيد على الحق مقبلاً عليه يعني: بالتدبُّر والعمل. يشيرُ بذلك إلى ما كان عليه الأوَّلون من الاهتمام به.

حُكي أن بعضَهم استأذنَ أميرَه في المقام عند أهله ليلةً واحدةً، فأذن لـه، فشـرَعَ في الصلاة حتى طلع الفجر مشغولٌ بالقرآن عند أهله، ثم رجـعَ ووفَّـى بوعـده. وقد روَى أبو ذرٍّ[2] أن رسول ا لله ﷺ قام الليل بهذه الآية يردِّدُها: ﴿إن تُعذِّبْهُم فإنَّهُم عِبَادُكَ﴾[3].

وبقي تميمٌ الداريُّ ـ رحمه ا لله ـ ليلةً إلى أذان الصبح في قوله تعـالى: ﴿وهُـم فيهَا فَاكِهُون﴾[4]

---

(١) سورة الجن: ٣ .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في الافتتاح، باب ترديد الآية، وابن ماجه في إقامة الصلاة، بـاب مـا جاء في القراءة في صلاة الليل، وانظر البغوي في شرح السنة ٢٦/٤ عن أبي ذر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال العراقي في المغني ٢٨٩/١: سنده صحيح .

(٣) سورة المائدة: ١١٨ .

(٤) كذا في الأصل، وليست آية من القـرآن . والـذي في السـير أنـه قـام ليلـة بهـذه الآيـة: ﴿أم =

ورَدَّدَ سعيدُ بن جُبير[1] حتى أصبحَ: ﴿وامْتَزُوا اليومَ أيُّهَا المجرِمُون﴾[2].

وعن ابن حبيب قال: كان الشعبيُّ يقـول: إذا قـرأتَ القـرآن فرتِّلْهُ لتسمعَ أذنُك، ويفهَمَ قلبُك، فإنَّ الأذنَ عِدْلٌ[3] بين اللسان والقلب .

وعن ابنِ حبيبٍ قال: سمعتْ عائشَةُ رجلاً يقرأُ يهذُّ هـذّاً، فقـالت: مـا قـرأ هذا وما سكتَ.

وعنه أيضاً عن قتادةَ قال[4]: سألتُ أنسَ بن مالك عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كان يمدُّ صوته بالقراءة مداً، ويقرأُ حرفاً حرفاً .

ويجوزُ أن يكون « مُواليه » فاعلاً بـ« جديداً » ، ويتعلق « علـى الجـد » بـه، و «مقبلاً» حال من الضمير المرفوع في « مواليه » ، ويجوز تعلُّق « على الجد » بـ«مقبلاً»، وهذا كقولك: جاء زيد ضاحكةً أمُّه قائمةً[5]، فيكون الموصوفُ بالرفعة والعظمة على هذا: مُواليه على الجد المقبل عليه. وعلى الإعراب الأوَّلِ: القرآن .

* * *

وقَارِئُهُ المرضِيُّ قَـرَّ مثَالُهُ كالأُتْرُجِّ حَالَيهِ مريحاً ومُوْكِلا

المرضي: اسم مفعول من الرضوان، كان قياسُه : المرضوّ، ولكنهم بنَوه على

حسب الذين اجترحوا السيئات﴾الآية. سورة الجاثية: ٢٠، انظر سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٢، وكذا في الإحياء ١٨٩/١. والذي في نسخة ب:﴿وهم فيها كالحون﴾ المؤمنون.

(١) سير أعلام النبلاء ٣٢٤/٤ ، وانظر الإحياء ١٨٩/١ .

(٢) سورة يس: ٥٩ .

(٣) انظر الكتاب ١٠٢/٢، قال: العِدل لا يكون إلا للمتاع، وقال ابن الأثير: « قيل: هـو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه » انظر النهاية ١٩١/٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة .

(٥) في هامش ب: في هذا المثال نظر فتأمله .

رُضِي عنه كما بنَوا المغشيَّ عليه على غُشِيَ، وكما قالوا: مَسْنِيَّة، وهو من سناها الغيثُ يسنوها.

وقرَّ واستقرَّ بمعنى. والأترجُّ والأترنج بمعنى. ومريحاً من قولك: أَرَاحَ الطِّيبُ يُريح إذا أعطى الرائحةَ، وله محاملُ غير هذا، يُقالُ: أراح الرجلُ: ماتَ / ١٩/أ وأراح: رجعَت إليه نفسُهُ بعد الإعياء[1]، وأراحَ: أخرج ريحَه من أنفه، وأراح الله عبدَه من الكرْبِ: كشفَه عنه، وأراحَ على الرجل حقَّه: ردَّه إليه، وأراحَ القومُ: صاروا في الريح .

ومؤكلا: من قولك: آكلَ الزرعُ وغيرُه، وكلُّ شيءٍ إذا أطعَمَ .

وأشار في هذا البيت إلى قوله ﷺ ـ أخرجه النَّسائيُّ[2] عن أبي موسى ـ : «مثَلُ المؤمنُ الذي يقرأُ القرآنَ مثَلُ الأترُجَّةِ طعمُهَا طيبٌ وريحُها طيبٌ، ومثَلُ المؤمنُ الذي لا يقرأُ القرآنَ مثَل التمْرة، طعمُها طيبٌ، ولا ريحَ لها، ومثل المنافقُ الذي يقرأُ القرآنَ مثلُ الريحانة، ريحها طيبٌ وطعمها مرٌّ، ومثَل المنافق الذي لا يقرأُ القرآنَ مثَلُ الحنظلة، طعمُها خبيثٌ وريحها» .

ولم يذكر الناظم من هؤلاء الأربعة المذكورين في الحديث إلا المؤمنَ القارئَ، وعبَّر عن إيمانه بقوله: «وقارئه المرضيُّ» ، ولا يُرتضى إلا المؤمنُ .

وجاء في الحديث[3]: «من آمنَ بالقرآن فهو المرضيُّ صيانةً وورعاً» .

وقال صُهيبٌ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما آمنَ بالقرآنِ مَن استحلَّ

---

(١) انظر (روح) في الصحاح والتاج .

(٢) سنن النسائي ١٢٤/٨، وانظر صحيح البخاري ٢٣٤/٦، وصحيح مسلم ١٩٤/٢ .

(٣) انظر فتح الوصيد عند شرحه لقول الناظم: «وقارئه المرضي ...» .

مَحَارِمَه »[1].

المعنى: قارئُ القرآن المرضيُّ الأحوال، ثبتَ مثالُـه في الحديث النبوي مثل الأترجّ .

فـ « قارئه » مبتدأ، و « المرضي » صفتُه، و « قرَّ مثالُهُ » جملةٌ فعليةٌ في موضع خبره، و « حالَيه » بدلٌ من الأُترجِّ بدلُ اشتمالٍ، أي: قرَّ كحالَي الأترجِّ، و «مريحاً» و « موكلاً » حالان من الأترجِّ .

* * *

هو المرتَضَى أمّاً إذا كانَ أُمَّة ويَمَّمَهُ ظلُّ الرَّزَانةَ قَنْقَلا

قوله: « أَمّاً » يعني: قصداً، قال الله تعالى: ﴿ولاَ آمِّينَ البيتَ الحرامَ﴾[2]، يقال: أمَّه يؤمُّهُ أمّاً، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَاجعَلْنا للمتَّقينَ إماماً﴾[3] هو جمعُ آمٍّ[4] نحو: صاحبٌ وصحابٌ، وراعٍ ورعاء، وقيلَ غير ذلك .

وهو نَصْبٌ على التمييز. والألفُ واللام في « المرتضى » بمعنى الذي، والضمير من « هو » عائدٌ على قارئ القرآن، التقديرُ: هو الذي يُرتضَى قصدُهُ إذا كان على الشروط الآتية، وهي قوله: « إذا كان أمةً » ... إلى آخره .

والأمَّةُ يُرادُ به هنا الإمام الجامع، قال الله تعالى: ﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً﴾[5]،

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٢٩١٨ عن أبي المبارك عن صهيب، وقال: هذا الحديث ليس إسناده بالقوي، وأبو المبارك رجل مجهول. انظر ضعيف الجامع برقم: ٤٩٧٧ .

(٢) سورة المائدة: ٢ .

(٣) سورة الفرقان: ٧٤ .

(٤) حكى هذا الاستعمال في التاج، وفيه تفصيل. انظر (أمم) .

(٥) سورة النحل: ١٢٠ ، وانظر طراز الحلة : ٩٩ وما بعدها .

وقيل: المعلم للخير المطيع لله، ويُراد به أيضاً الحين، قال الله تعالى: ﴿وادَّكَرَ بعدَ أمَّةٍ﴾[1]. والدين، قال الله تعالى: ﴿إنَّا وَجَدنَا آباءَنَا على أمَّةٍ﴾[2] أي: على دينٍ وملة، وطولُ الرجل وقامتُه، قال الأعشى[3]:

وَإنَّ معاويَةَ الأكرمِينَ   حِسَانُ الوُجُوهِ طِوالُ الأُمَم

معاوية هنا قبيلة، والأمة أيضاً: الجيل، قال الله تعالى: ﴿في أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ من قبلِهَا أُمَمٌ﴾[4].

ويمَّمه: قصدَه، قال الله تعالى: ﴿فتيَمَّمُوا صَعِيداً طَيباً﴾[5].

والرزانةُ: السكينةُ والوقارُ، والظلُّ لها مجازٌ. والقنقلُ: الكثيبُ من الرمل العظيم، ولذلك قيل لتاج كسرى: قَنقَل[6].

وهو منصوبٌ على الحال إما من «ظِلِّ الرَّزانة»، يُشير بذلك إلى جلالِه وهيبتِه، وإما أن يكون حالاً من الهاء في «يمَّمهُ».

و «هو» ضمير القارئ، و «قنقلاً» بمعنى متوَّجاً، / وهو من قولهم: جلسَ فلانٌ وعليه تاج السكينة والوقار، وجعل الرزانةَ تقصدُهُ كأنها تفخرُ به وتتزيَّنُ بأن تظلَّهُ لكثرة خلال الخير فيه، وهذا المعنى مأخوذٌ من قول الفُضيل رَضِيَ اللهُ عَنهُ: ٢٠/أ

(١) سورة يوسف: ٤٥ .

(٢) سورة الزخرف: ٢٣ .

(٣) الأعشى الكبير ميمون بن قيس في ديوانه: ١٧١، برواية:

فإن معاوية الأكرمين   عظام القباب طوال الأمم

انظر اللسان (أمم)، ويروى: (بيض الوجوه) .

(٤) سورة الرعد: ٣٠ .

(٥) سورة النساء: ٤٣ .

(٦) انظر الصحاح (قنقل) .

حاملُ القرآن حاملُ راية الإسلام[1].

وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يستشيرُ القرَّاءَ في المهمِّ من الأمر، وإن كان غيرُهم أسنَّ منهم.

وأشار بقوله: « إذا كان أمةً » إلى أنه لا ينبغي أن تكونَ حروفُ القرآن مبلغَ القارئ من العلم، فإن المقتصر على ذلك لا يعلو قدرُهُ. فقال مالك: يؤمُّ الناس أفقهُهُم، قيل: فأقرؤهم، قال: « قد يقرأ مَن لا » ففسَّرهُ أصحابُهُ بمن لا تُرضى حالُهُ. فجمع في هذا البيت شرطَين: أن يكونَ عالماً، وأن يكون ذا سكينةٍ، فبأخذه في علوم القرآن والأسباب الموصِلَةِ إليه، يحصلُ له أجْرُ الماهِرِ بالقرآن .

قالت عائشةُ رَضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ[2]: « الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَفَرةِ الكرام البَرَرَة. وفي لفظٍ آخرَ: « الماهرُ بالقرآن » .

ويجبُ أيضاً على حامل القرآن أن يُخلِصَ النيةَ فيه لله تعالى لقوله عليه السلام[3]: «إنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّات» .

* * *

هُوَ الحرُّ إن كانَ الحريَّ حوارياً لَــهُ بتحرِّيهِ إلى أنْ تنبَّلا

« هو » يعود على القارئ، وجلعه حراً؛ لأنه لم تسترقه الدنيا، ولم يستعبده الهوى، وكيفَ تستعبدُ الدنيا مَن فهِمَ قولـه تعالى: ﴿ومَا الحَيَوةُ الدُّنيَا إلاَّ مَتَعُ

(١) انظر الإحياء ١/٢٨١ فضيلة القرآن .

(٢) الترمذي، ثواب القرآن، والدارمي فضائل القرآن .

(٣) صحيح البخاري، بدء الوحي .

الغُرُورِ﴾[1] ، وقولَ رسـول الله ﷺ[2] : « لو كانت الدُّنيا تَزِنُ عِندَ الله جَنَاحَ بعُوضَةٍ ما سَقَى كافراً منها شَربَةَ ماءٍ » ، وقـولَه ﷺ [3]: «ليس منّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآن » .

قال ابنُ عُيَينةَ: يستغني به، وكذلك قال أبو عُبيد[4]، واحتجَّ بقول مَن دخلَ علـى سعدٍ وعنده متاعٌ رَثٌّ فقال: قـال رسـول الله ﷺ : « ليـسَ منّـا مَـن لم يتغـنَّ بالقرآن » قال أبو عُبيد[5]: فذِكْرُ رَثاثةِ المتاع عند هذا الحديث يدلُّ على أنـه أرادَ الاستغناءَ، وليس الصوتُ مِن هذا في شيءٍ .

قال ابنُ مسعودٍ: من قرأ سورة آل عمرانَ فهو غنيٌّ. وتقول العربُ: تغنّيـتُ تغنياً، وتغانيتُ تغانياً، بمعنى: استغنيتُ. قال الشاعر[6]:

كلانَا غَنِيٌّ عن أَخيهِ حَيَاتَهُ   ونحنُ إذَا مِتنَا أشَدُّ تغَانِيَا

والحَرِيُّ: الحقيق، والحـواريُّ: النـاصرُ المخلِصُ في نصـره، وكـلُّ مشـمر في شيء ناصرٍ فيـه فهـو حـواريٌّ، كـأن عزمَـه خـالصٌ صـافٍ مـن التقـاعُد . قـال الكُميت[7]:

فأَلْقِ فِضَالَ الوَهنِ عنكَ بوَثْبَةٍ   حوَارِيَّةٍ قد طالَ هذا التفضُّلُ

---

(١) سورة الحديد: ٢٠ .

(٢) صحيح البخاري، تفسير سورة الكهف .

(٣) صحيح البخاري في التوحيد، والدارمي في فضائل القرآن .

(٤) انظر فضائل القرآن ١/٢٩٠ .

(٥) انظر فضال القرآن ٢/٩-١٠ بتصرف .

(٦) من الطويل، وهو للمغيرة بن حنباء التميمي في اللسان (غنا) . وللأبـيرد الريـاحي في الأغـاني ١٣/١٢٧ .

(٧) من الطويل، وهو في اللسان والتاج (فضل) بغير نسبة ، مع اختلاف في الرواية .

الفِضال: الثيابُ تُلبَس في الخلوة. يريد وثبةً خالصة من الوهْن والفتور، والمتفضل: اللابسُ ثوباً واحداً لينامَ أو يعملَ عملاً، قال الشاعرُ[(١)]:

فجئتُ وقد نضَّتْ لنومٍ ثيَابَها   لدَى السِّترِ إلاَّ لِبْسَةَ المتفضِّلِ

/ وأصل الحَوَر: البياضُ، ومنه: الحُوَّارى للخبز النقي الأبيض، وقيل لنساء الأنصار: الحواريَّات، لبياضهنَّ، قال الشاعرُ[(٢)]: ٢١/أ

فقُلْ للحواريَّات يبكِينَ غيرَنَا   ولا تبكِنَا إلا الكلابُ النَوابحُ

ويقال للقصَّارين: حواريِّين لتبييض الثياب .

والكلُّ يعود إلى معنى الصفاء، قال أبو عمرو[(٣)]: الحوَرُ في العين: « شدةُ بياض البياض، وسوادِ السواد » وقيل: أن تكون كلُّها سوداء، وهذا يكون في الوحش .

والحواريُّون: صِفْوَةُ عيسى ﷺ، وكانوا اثني عشر رجلاً .

وخفَّف الناظمُ الياء من « حوارياً » ضرورةً، وقد جاء مثل ذلك في حرف الصحة، قال الشاعرُ[(٤)]:

حتَّى إذا ما لم أجِدْ غيرَ الشَّرِ

---

(١) من الطويل، وهو لامرئ القيس في ديوانه: ١٣ .

(٢) من الطويل، لأبي جلدة اليشكري يحضض أهل العراق على أهل الشام في حرب الحجاج، وهو في ديوانه: ٣٣٧، واللسان (حور) . وانظر كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي: ٤٤ الشاهد (٣٢) وفيه: « النوائح » وروايات أخرى .

(٣) انظر الصحاح (حور)، وليست في الجيم .

(٤) في المحتسب ٢/٧٧ بلا نسبة قال: وأنشدنا أبو علي » ثم ذكره، ويليه:

كنت امرأً من مالك بن جعفرِ

والتحرِّي: القصد. وتنبَّلَ البعيرُ: ماتَ[١].

وينتصب « حوارياً » على الحال من الضمير في « الحري » ، و « الحري » خبر كان، واسمُها مستترٌ فيها يعود على القارئ، و « له » متعلق بـ « حوارياً » ، و « بتحريه » متعلق بـ « الحري » . يقول: هو الحرُّ في الدار الآخرةِ عند الله تعالى إن كان حرياً بتحريه له؛ أي: بمصاحبته له وبقصدِه إياه في حال كونه مخلِصاً في قصدِهِ، وإنما يكون كذلك أعني حقيقاً بذلك بأن يؤهِّلَه الله تعالى لذلك وييسِّرَه له، فالتوفيق بيد الله تعالى .

و « إلى أن تنبَّلا » متعلق بـ « حوارياً » أو بـ « تحريه » ، يريد: بقي ذلك إلى الموت. والهاء في « تحريه » إما للقرآن، فتكون في المعنى مفعولةً، وإما للقارئ فتكون في المعنى فاعلةً، لأن المصدرَ يُضاف إلى فاعله تارةً وإلى مفعوله تارةً، وأما الهاءُ في « له » فهي عائدةٌ على القرآن .

* * *

وَإنَّ كِتَابَ الله أوثَقُ شَافِعٍ وَأغْنَى غَنَاءٍ واهِباً مُتَفَضِّلاَ

قال رسولُ الله ﷺ [٢]: « ما مِن شَفيعٍ أفضلَ[٣] منزلةً عند الله تعالى يومَ القيامة من القرآن، لا نبيٌّ ولا ملَكٌ ولا غيرُهُ » .

وقال ابنُ حبيب[٤]: بلغني أن رسولَ الله ﷺ قال: « أنا أولُ شافع إلا القرآنِ

(١) انظر تعليق صاحب التاج (نيل) على من خصه بالبعير كصاحب الفصيح .

(٢) قال العراقي في المغني ٢٧٩/١: « رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن أسلم مرسلاً، والطبراني من حديث ابن مسعود « القرآن شافع مشفع » . ولمسلم من حديث أبي أمامة: « اقرؤوا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه » .

(٣) في ب: أعظم .

(٤) في شرح غريب الموطأ، وهو مخطوط .

يشفعُ قبلي » .

وعن أبي ذرٍّ قال: إنَّ هذا القرآنَ شافعٌ مشفَّعٌ، وماحلٌ مصدَّقٌ، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومَن جعله وراءه ساقه إلى النار[1]» .

وجاء في الحديث أيضاً : « من شفَعَ له القرآنُ يومَ القيامة نجا » ، وفيه أيضاً: « أن ﴿تبَارَكَ الذي بيدِهِ المُلْكُ﴾[2] تجادِلُ عن صاحبها يومَ القيامة، وكان السلَفُ يسمونها المنجيَة والواقِيَة[3]».

وعن أبي أُمامة قال : قال رسولُ الله ﷺ [4]: « اقرءوا القرآنَ، فإنه يجيءُ يومَ القيامة شافعاً لأصحابه، اقرءوا البقرة وآل عمران، فإنهما الزَّهراوان، يأتيان يومَ كانهما غَمامتان يُحاجَّان عن صاحبهما .

وإذا كان الشافعُ بهذه المنزلة، فهو أوثَقُ شافعٍ؛ أي: أقوى. ومنه تقولُ: حَبلٌ وثيقٌ؛ أي: قويٌّ .

و « شافِع » : يُرادُ به الشفعاء، ولكنه / أفرده، وإنما قلنا ذلك؛ لأن أفعل الذي للمفاضلَة، إنما يُضافُ إلى شيءٍ هو بعضٌ منه، قال بعضُ شراحِ هذا القصيد: ما في الحديث سوى ذكرِ الشفاعة، وما يلزمُ من كونه شافعاً أن يكونَ أوثقَ؛ لأن الدالَّ على العامِّ غيرُ الدالِّ على الخاصِّ، فالدالُّ على أن الدار فيها حيوانٌ لا يدلُّ على كونه إنساناً .

٢٢/أ

قلتُ: في الجواب عن هذا شيئان:

أحدهما: أن في بعض الأحاديث ما يقتضي ذلك، منها الحديث الأول الذي أوردناه، حيث جعله أفضلَ من النبيِّين والمَلَك وغيرِهما، ومنها الحديث

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير: ١٥١ .

(٢) سورة الملك: ١ .

(٣) فضائل القرآن، باب فضل ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ ٢/٦٩ .

(٤) صحيح مسلم ٦/٨٩ عن أبي أمامة .

الثاني، وهو قوله ﷺ: « إلا القرآنَ يشفعُ قبلي » .

والجوابُ الثاني: أن نقولَ: أفعلُ هنا ليس الذي يُرادُ به المفاضلَة كقولهم: عمرُ بنُ عبد العزيز أعدلُ بني مروانَ، أي: هو فيهم عادلٌ، إذ لا يُرادُ بذلك أنه أعدلُ منهم، فإنه أعدلُ منهم ومن غيرهم، وقال بعضُهم: إنما قال: أوثقُ شافعٍ؛ لأن شفاعتَه مانعةٌ له من الوقوع في العذاب، وشفاعةُ غيره مخرجةٌ له منه بعد الوقوع فيه.

والغَنَاء بالفتح والمد الكفاية، يقال: أغنى الشيءُ: كفاه، وأغنى الرجل عنك: كفاك، والغِنى بالكسر: ضد الفقر، مقصورٌ، ويُقالُ منه: غَنِيَ غِنىً: كثُرَ مالُه، وكذلك غَنِيَ بالمكان: أقام به غِنىً، وكذلك: المرأةُ كان لها زوجٌ أو جمالٌ، ومنه الغانياتُ .

والغِناءُ: من الصوت ممدودٌ مكسورٌ، يُقال منه: تغنّى الرجلُ، والأغنيةُ: واحدةُ الأغاني، قال أبو عليٍّ: وقرِئَ على أبي إسحاقَ لِحُمَيدٍ وأنا حاضرٌ اسمعُ:

عَجبتُ لَهَا أنى يكونُ غِناؤُهَا ... فصيحاً ولم تَفْغَرْ بمَنطِقِهَا فمَا[1]

وأما قولُ الشاعر[2]:

سيُغنِيني الذي أغْنَاكَ عَنّي ... فلاَ فقرٌ يدومُ ولا غِنَاءُ

فيمكن أن يكون مدَّ المقصورَ ضرورةً على مذهب أهل الكوفة[3] في إجازتهم ذلك، ويمكن أن يُقال: الغالبُ عليه القصرُ وقد يُمدُّ، كما يُقال في

---

(١) من الطويل، لحميد بن ثور: ٢٧، واللسان (فغر- غنا)، وانظر الأمالي ١٣٩/١ .

(٢) من الوافر، وهو بغير نسبة في اللسان (غنا) والإنصاف ٧٤٧/٢، روي بالفتح والكسر، فالكسر على أنه مصدر غانيت، والفتح على أنه الغِنى نفسُه .

(٣) الإنصاف ٧٤٥/٢، مسألة رقم ١٠٩ هل يجوز مد المقصور في ضرورة الشعر .

الصحيح: السَّقم والسَّقام، والزَّمن والزَّمان .

وقوله: « أغنى » يحتمل ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: أن يكون من أغنى بمعنى كفى، ويكون من باب قولهم: ما أعطاه للدراهم، وما أولاه للمعروف، حيثُ بنَى أفعلَ الذي للمفاضلة من الرباعي، والأكثر بناؤهُ من الثلاثي كفعل التعجُّب، وكأنه قال: وأكفَى كِفايةً .

والثاني: أن يكون من غَنِيَ بالمكان إذا أقامَ به، وكأنه قال: وأبقى كفايةً .

والثالث: أن يكون من غَنِيَ إذا كثُرَ مالُه، كأنه قال: وأثرى[1] كِفايةً .

وهذا مجازٌ؛ لأن أفعلَ بعضُ ما يُضافُ إليه، ولا يقالُ: أثْرَت الكفايةُ، إنما يقال: أثرى الرجلُ، لكن لما كان مَن له كفايةٌ ما، قد يَستغني كما يَستغني المثري، جعلَ الكفايةَ كأنها أثْرَتْ أي: استَغْنَت .

وإن شئتَ قدَّرتَ في هذه الوجوه الثلاثة حذفَ مضافٍ، التقديرُ: وأغنَى ذي غَناء، وذو الغَناء هو المغني، فكأنه قال: وأغنَى مغنٍ .

وانتصبَ « واهباً متفضلاً » على الحال من ضمير « وأغنى » ، والأظهَرُ أن يكون « وأغنى » من غَنِيَ غِنىً: كثُرَ مالُهُ؛ لقوله: واهباً متفضلاً.

وأجاز السخاوي[2] أن يكون « واهباً » تمييزاً، وجعلَه كقولك: زيدٌ أكرمُ الناس أباً، وهو بعيدٌ؛ لأن التمييز في هذا الباب يكونُ تفسيراً للحقيقة، والفعلُ مسندٌ لغيره، و « أغنى » هنا مسندٌ للقرآن حقيقة، و « واهباً » هو القرآن، فكيف يكون تمييزاً ؟ وهو الذي أسند إليه « أغنَى » .

/ والإشارةُ بقوله: « واهباً متفضِّلاً » إلى الأجور التي ينالُها بسبب القرآن. ٢٣/أ

---

(١) في ب: وأبقى .

(٢) فتح الوصيد في التعليق على البيت نفسه .

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال[1] : « تعلّموا القرآنَ فإنه يُكتَبُ لكلِّ حرفٍ منه عشرُ حسنات، ويكَفَّرُ به عشرُ سيئات، أما إني لا أقولُ ﴿الم﴾ حرف، ولكنَّ الألفَ عشرٌ، واللامَ عشرٌ، والميم عشرٌ » .

وعن الحسن بن رشيق أنه قال: بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال[2]: « مَن قرأَ حرفاً مِن كتابِ الله تعالى وهو على وُضوءٍ، كان له بكلِّ حرفٍ عشرون حسنة، فإن قرأَهُ وهو على غير وضوءٍ، كان له بكلِّ حرفٍ عشرُ حسناتٍ، وإن قرأَه في صلاةٍ قائماً، كان له بكل حرفٍ مائةُ حسنةٍ، وإن قرأه في صلاةٍ جالساً، كان له بكلِّ حرفٍ خمسون حسنةً » .

* * *

وَخَيرُ جَليسٍ لا يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وتَرْدَادُهُ يَزدَادُ فيه تجَمُّلا

الجليسُ بمعنى المجالِس، كالخليط بمعنى المخالِط. يعني أن القرآنَ ينبغي أن يجالَسَ بما يليقُ به من استعمال الأدب، وتركِ الإعراض عنه، والتفهُّمِ لمعانيه، قال الله تعالى: ﴿وإِذَا قُرِئَ القرآنُ فاسْتَمِعُوا له وأَنْصِتُوا لعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾[3] . قيل: المرادُ في الصلاة .

وقال رسولُ الله ﷺ [4]: « القرآنُ أعظمُ حُرمةً من كلِّ شيءٍ دون الله تعالى،

---

(١) عند الترمذي عن ابن مسعود برقم: ٢٩١٠، وانظر الجامع للسوطي برقم: ١٠٣٦٤ عن ابن مسعود أيضاً . ومثله عن عوف بن مالك في الجامع برقم: ٢٢٧٤١ ، و: ٢٢٧٥٩ .

(٢) انظر الإحياء ٢٨٢/١ .

(٣) سورة الأعراف: ٢٠٤ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦/١، باب ما جاء في حامل القرآن، ومن هو، وفيمن عاداه . وفضائل القرآن للرازي: ١٠٦ عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

ومن حُرمة الوالد على ولده. والقرآنُ وقارُ الله، فمَن وقَّرَ القرآنَ فقد وقَّرَ الله، ومَن استخَفَّ بالقرآن فقد استخَفَّ بحقِّ الله، وحمَلَةُ القرآن العاملون به، هم المخصوصون برحمة الله، المعلَّمُون كلامَ الله، المُلبَسُونَ نورَ الله، مَن والاهم فقد والى الله، ومَن عاداهم فقد عادى الله، يُدفَعُ عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، ويُدفَعُ عن قارئ القرآن بلوى الدنيا والآخرة » .

ثم قالَ: « يا حمَلَةَ القرآن، إنَّ أهلَ السموات يُسَمُّونَكم أحبَّاء الله، فتحبَّبُوا إلى الله بتوقير كتابه يزِدْكم حبّاً، ويُحبِّبكُم إلى عباده » . ثم قال: « والذي نفْسي بيده لَمُستَمِعُ آيةٍ من كتاب الله / أفضلُ من كَنز ذهبٍ، ولَقَارئُ آيةْ من كتاب الله أفضلُ مِمَا تحت العرش إلى الأرض السُّفلى . ٢٤/أ

وقال الليثُ: يقالُ: ما الرحمــة إلى أحدٍ بأسرعَ منهـا إلى مستمعِ القرآن، لقول الله جل ذكْرُهُ: ﴿وإذَا قُرِئَ القرآنُ﴾ الآية .

وفي الحديث أيضاً[1]: « مثَلُ صاحبِ القرآن مثَلُ جِرابٍ مملوءٍ مسكاً، يفوحُ به كل مكان » .

وإذا كان القرآنُ هكذا، فأيُّ جليسٍ أفضلُ منه ؟

وعن عليٍّ الأزدي قال[2]: أردتُ الجهادَ فقال لي ابنُ عباسٍ: ألا أدلُّكَ على ما هو خيرٌ لك من الجهاد؟ تأتي مسجداً فتُقرِئُ فيه القرآنَ، وتعلِّمُ فيه الفقهَ .

---

(١) الجامع برقم: ١٠٤١٥ عن أبي هريرة .

(٢) انظر فتح الوصيد عند شرحه لقول الشاطبي « وخير جليس » ، والكنز للجعبري: (١٢ خ). وعلي بن عبد الله الأزدي الكوفي البارقي، أبو عبد الله بن الوليد، سمع أبا هريرة وابن عمر. انظر تاريخ الإسلام برقم: ٣٥٤، والتاريخ الكبير ٢٨٣/٦، وتهذيب التهذيب ٣٥٨/٧ .

وفي الحديث أيضاً[١]: « يقول الله تعالى: إني أُهمُّ بعذاب عبيدي، فأنظُرُ إلى عُمَّار المساجد، وجُلَساءِ القرآن، ووِلْدَانِ الإسلام، فيَسكُنُ غضبي. قال الله تعالى: ﴿الله نزَّلَ أحْسَنَ الحديثِ﴾[٢] .

وعن أبي ذرٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ [٣]: « يُجاءُ بالقرآن يوم القيامة [في][٤] صورة رجلٍ شاحِبٍ، فيتراءاه الناس، حتى يقفَ بين يدي الله عز وجلَّ، فيقولُ الله عز وجلَّ: كيفَ وجدتَ عبادي لك؟ فيقول: يا ربِّ منهم مَن كان يصونُني ويتلُوني آناءَ الليل وأناءَ النهار، وكنتُ أُظمِئُ نهارَه، وأُنصبُ ليلَه، ومنهم من كان مستخفّاً بي، صادّاً عني، فيقول الله: وعزَّتي وجلالي لأُكرمنَّ اليوم مَن أكرمكَ، ولأُهيننَّ مَن أهانك، قال: فيُدعَى بأهل القرآن فيأتون » .

و « خير » معطوف على خبر إنَّ الذي هو « أوثق » ، وإن شئتَ جعلتَه خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، التقديرُ: وهو خيرُ جليسٍ مبنيٍّ[٥] أفعل من، وأصله: أخيَرُ، حُذفت منه الهمزةُ لكثرة الاستعمال. ونظيره: شر في قولك: شرٌّ من عَمْرو، والأصل: أشرُّ من عمرو، وقلْ كذلك[٦] كلُّ واحدٍ منهما على الأصل، لكنه قليلٌ .

وموضعُ « لا يُملُّ حديثُه » خفضٌ على أنه صفة لجليس. المعنى: أنَّ كلَّ مَن يُجَالَس ممَّن لا يُملُّ حديثُهُ القرآنُ أفضلُ منهم، وإن شئتَ جعلتَه حالاً من

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب الزهد، عن مالك بن دينار .

(٢) سورة الزمر: ٢٣ .

(٣) مثله عند ابن ماجه في كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، وفي فضائل أبي عبيد ١/٢٦٧ .

(٤) في هامش الأصل .

(٥) كذا في الأصل في الهامش، و(لعله: مبني على أفعل من) .

(٦) كذا في ب، وهو في هامش أ غير ظاهر .

الضمير المرفوع في « خير » .

والترداد مصدرٌ على التَّفعال كالتَّقتال، يُرادُ به التَّردد في التلاوة .

و « يزداد » يفتعل من زاد، والأصل: يزتَيدُ، أبدلت التاءُ دالاً، وتحرَّكت الياءُ بعد فتحةٍ فانقَلَبت ألفاً . وهاء « ترداده » يجوزُ أن تكونَ للقارئ، فيكون المصدرُ مضافاً إلى الفاعل، أو إلى القرآن، فيكونُ مضافاً إلى المفعول. والضمير في «يَزدادُ» كذلك يجوز أن يكون للقرآن وللقارئ، فالمعنى على أنه للقرآن: أنه كلما رُدِّدَ ازداد حسناً عند مردِّدِه وسامعِه، بخلاف سائر الكلام، إذا رُدِّدَ مجَّته الطباعُ ولو كان من الفصاحة بحيث لا يُدرَك، والمعنى على أنه للقارئ: أن القارئَ يزدادُ من الثواب الجزيل، وموائد العلم الجليل ما يتجمَّلُ به في الدينا والآخرة، فيَقتبسُ عالِمُ العربية منه غرائبَ الإعراب والبلاغة والغريب، وكذلك الفقيهُ والمتكلمُ، قال الله تعالى: ﴿مَا فرَّطنَا في الكتَابِ مِن شيءٍ﴾[1].

وقال أحمدُ بن حنبل[2]: رأيتُ ربَّ العزة في النوم فقلتُ: يا ربِّ ما أفضلُ ما يتقرَّبُ به المتقربون إليك ؟ فقال: كلامي يا أحمد، فقلتُ: أبفَهْمٍ أم بغير فهم؟ قال: بفَهْمٍ وبغير فَهم .

وقد نقلَ هذه الروايةَ أكابرُ العلماء. وكيف لا يزدادُ القارئ به تجمُّلاً .

وقد جاء عن قتادةَ[3]: ما جالَسَ أحدٌ هذا القرآن إلا قامَ عنه بزيادةٍ أو

---

(١) سورة الأنعام: ١٣٠ .

(٢) انظر النشر لابن الجزري ٤/١ ذكره بروايته عن محمد بن أحمد الصالحي ، وذكره الذهبي في السير ٣٤٧/١١ بروايته عن أبي حفص بن القواس .

(٣) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٤٢/١ بتصرف عن عبد الله بن واقد عن قتادة . والآجري في أخلاق حملة: ٧٣ .

نُقصان، قال الله تعالى: ﴿ونُنزِّلُ مِنَ القرآنَ ما هو شِفَاءٌ ورَحمةٌ للمُؤْمِنِين﴾[1].

وعن النبي ﷺ أنه قال[2]: « لَدِرهمٌ ينفقهُ المرءُ في الجهاد، أفضلُ من عشرة آلاف درهمٍ ينفقها في أعمال البرِّ سواه، ولَدرهمٌ ينفقهُ المرءُ في طلب العلم، أفضلُ من عشرة آلافٍ ينفقها في الجهاد وفي سائر أعمال البر، ولَمِدادٌ جَرَى / في أقلام العلماء، أحبُّ إلى الله تعالى من إهراقِ دمِ الشهداء، ولَدِرهمٌ ينفقه المرءُ في طلب القرآن، أفضلُ من عشرة آلاف درهمٍ ينفقها في طلب علمٍ سواه، وفضلُ طالب علمه على طالب سائر العلوم كفضل الخالق على المخلوق، ولَحَرفٌ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها.

١/٢٥

وعنه ﷺ أنه قال[3]: « فضلُ القرآن على سائرِ الكلام، كفضل الله تعالى على سائر خلقه ».

* * *

وحيثُ الفتى يَرتاعُ في ظلُماتِهِ مِن القبْرِ يلقَاهُ سَناً متهلّلا

الفتى معروفٌ، وألفه منقلبةٌ عن ياء لقولهم: فَتَيَان[4]، وأما قولُهم: الفتُوَّة، فالواو فيه منقلبةٌ عن ياءٍ شذوذاً، والقياسُ فيه: فُتِيَّة، والأصلُ: فُتُويَة، كان يجب أن تُقلبَ الواوُ ياءً، وتُدغَمَ الياءُ في الياء بعد كسر ما قبلَها، وإنما شذوا فقلبوا الياءَ واواً؛ لأن هذا النوعَ من المصادر أكثرُ ما يجيءُ من ذوات الواو نحو: الأخوَّة

---

(١) سورة الإسراء: ٨٢.

(٢) فضائل القرآن للغافقي: ٦، والفوائد الجميلة للشوشاوي: ٣١٥.

(٣) انظر فضائل القرآن لابن كثير: ١٤٨.

(٤) انظر اللباب ١٠٨/١.

والبُنوَّة، فغلَّبُوه ليُوافق ذوات الواو لفظاً، هذا تعليل الكوفيين[1].

وقال البصريون[2]: وجب ذلك لأجل الهاء، وذلك أن الهاءَ إذا كان قبلَها ياءٌ، وقبل الياء ضمةٌ، فإن الياءَ تُقلَبُ واواً وإن كانت لاماً، قالوا: لو بنيتَ فُعْلُلَة من رمَيتُ لقلتَ: رُمْيُوَة، ويجري مَجرى قَلُنسُوة. وأصل: الفتُوَّة الفتُوية، الياءُ قبلها ضمة؛ لأن الواو حرفٌ زيد للمد، فلم يعتدَّ بها، فجرَت مَجرى رُمْيُوَة، أعني مَجرى الياء الواقعة بعد الضمة اللاصقة بها، والمرادُ بالفتى الفتيان[3]؛ أي: جميعَ قَرَأَةِ القرآن.

و « يرتاعُ » يفتعل من الرَّوع وهو الفزع، يُقال: راعه يروعُه، وارتاع مطاوِعٌ له نحو: شويتُهُ فاشتوَى، وغممْتُهُ فاغتمَّ.

و الظلمات: جمع ظُلمة، ويجوز أن يريدَ الحسية، ويجوز أن يريدَ ظلمات الأعمال، وإنما أضافها إلى القبر بقوله: « من القبر » لقوله ﷺ[4]: « إن هذه القبور مملوءةٌ على أهلها ظلمةً، وإن الله لَيُنورُها لهم بصلاتي عليهم. ولأنَّ القبرَ موضع الرَّوع.

وقال رسول الله ﷺ في سعد بن معاذ[5]: هذا الذي تحرَّكَ له العرشُ، وفُتحت له أبوابُ السماء، وشهِدَه سبعون ألفاً من الملائكة: لقد ضُمَّ ضَمةً ثم فُرِّجَ عنه، يعني ضمَّه القبر.

---

(١) انظر شرح الشافية ٣/٢١٤-٢١٥.

(٢) انظر سر صناعة الإعراب ٢/٥٨٨.

(٣) انظر الصحاح والتاج (فتى).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر.

(٥) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بلفظ (اهتز).

وكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقفَ على قبرٍ بكى حتى تبتلَّ لحيتُه، فقيل له: تذكُرُ الجنةَ والنار ولا تبكي، وتبكي من هذا ؟ فقال: إن رسولَ الله ﷺ قال[1]: « إن القبرَ أولُ مَنزلٍ من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعدَه أيسرُ منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدُّ منه » .

وقال: قال رسول الله ﷺ [2]: « ما رأيتُ قطُّ منظراً إلا والقبرُ أفظعُ منه » .

و « السَّنَا » : نبتٌ معروفٌ، حكى أبو زيدٍ[3] في تثنيته: سنَوَان وسنَيَان، كما قالوا: رحَيَان ورَحَوان، وكما قالوا: سنَوَات وسَانهْتُ[4]، فتعاور على لامها حرفان: الواو والهاء. والسَّناء: بالمد الرِّفعة، وهمزُه منقلبٌ عن واو؛ لقولهم: سَنِيَ الرجل وسَنُوَ سناءً في حسبه: شَرُفَ .

و « متهلِّلا[5] » : من قولك: تهلَّلَ الوجهُ: ظهرَ فيه البشرُ والبشاشةُ، وأشار في هذا البيت إلى ما جاء عن أبي منصور الخُلَنْجي قال: سمعتُ أبا عُمَر الدوري يقول: رأيتُ الكسائيَّ في المنام في بيت مظلمٍ يدخُلُ عليه فيه ضوءٌ فقال، كل ما كنا فيه هباءٌ / غير القرآن، هذا ضوءُ القرآن . ٢٦/أ

وعن عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال[6] : من قرأَ القرآنَ وعملَ به فحضَرَتْهُ الوفاةُ، جاءهُ القرآنُ عند رأسه وهم يغسلونه، فإذا فُرِغَ من غسله، دخل بين

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر .

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر عن عثمان بن عفان أيضاً .

(٣) انظر الصحاح والتاج (سني، وسنو) .

(٤) انظر سر صناعة الإعراب ٢/٥٤٧ ، ٤١٨ .

(٥) في ب : « منهلا » .

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ في مسند عبادة بن الصامت ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ .

صدره وكفَنِهِ ،فإذا وُضع في قبره فجاءه مُنكَرٌ ونكيرٌ، خرج القرآنُ فصار بينه وبينهما، فيقولان: إليك عنا فإنا نريدُ أن نسألَه، فيقول: والله ما أنا بمفارقِهِ حتى أُدخلَه الجنة، فإن كنتُما أُمِرتما فيه بشيءٍ فشأنكما، فيسألانه، ويُثبِّتُهُ الله تعالى، ويؤنسُهُ القرآنُ، فإذا فرغا من سؤاله وفتنته قال له القرآنُ: أما تعرفني ؟ فيقول له: لا، فيقول: أنا القرآن الذي كنتُ أُسهرُ ليلَك، وأُظمئُ نهارَك، وأمنعكَ شهواتِك، فستجدني اليوم من الإخوان أخا صدقٍ، ومن الأخلاء خليلَ صدقٍ، فأبْشِرْ فما عليك من بأسٍ ولا همٌّ ولا حزنٌ بعد مسألةِ منكَرٍ ونكيرٍ، فيصعدُ القرآنُ إلى الله عزَّ وجلَّ، فيسألُ له فراشاً ودِثاراً وقِنديلاً من نور الجنة، وياسميناً من ياسمين الجنة، فيؤمر له بذلك كلِّه، فيحملُه إليه ألفُ ملَكٍ من مقرَّبي الملائكة إلى الله، فيسبقهُم إليه القرآنُ فيقول: هل استوحشْتَ بعدي ؟ فإني لم أزَلْ من الساعة التي خرجتُ من عندك أسألُ لك ربي حتى أمرَ لك بفراشٍ ودِثارٍ ونورٍ من نور الجنة، فتأتي به الملائكةُ يحملونه حتى يُضجعوه على شقه الأيمن، ثم يخرجون عنه فيستلقي عليه، فلا يزالُ ينظرُ إلى الملائكة حتى يلجوا في السماء، ثم يدفع القرآنُ في قبلةِ القبر فيوسعُ عليه ما شاء الله تعالى، ثم يحملُ الياسمين من عند صدره، فيجعله عند أنفه، فيشمُّهُ غضّاً إلى يوم يُنفخُ في الصور، ثم يأتي أهلَه كلَّ يومٍ مرتين غُدوةً وعشيةً، فيخبرهم ويدعو لهم بالخير، فإن تعلَّمَ أحدٌ من ولدِهِ القرآنَ، بشَّرَه بذلك، وإن كان عقِبُهُ عقِبَ سوءٍ (أتى الدار غُدوةً وعشيةً فبكى عليه، وفي بعض الروايات: وإن كان عقبُهُ عقِبَ سوءٍ)[1] دعا لهم بالفلاح.

ونَصبَ « سناً » على الحال من الفاعل في « يلقاه » ، و « متهللاً » صفةٌ له، وبها صح أن يكون « سناً » حالاً، وهذا كقولك: جاء زيدٌ رجلاً صالحاً .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ب .

و « حيث » ظرفٌ، العامل فيه: يلقاه، وموضع الجملة من قوله « الفتى يرتاع» خفضٌ بالإضافة، أعني إضافة حيث.

و « من القبر » متعلق بـ « يرتاع » ، و « في ظلماته » حالٌ من ضمير «يرتاع» التقدير: وحيث الفتى يرتاع من القبر؛ أي: من أجله كائناً في ظلماته، فإن أراد الظلماتِ المعنوية التي هي الخطايا، كانت الهاءُ للفتى، وإن أرادَ الظلماتِ الحسيةَ، كانت الهاءُ للقبر .

* * *

هُنَالِكَ يَهنيهِ مقيلاً ورَوضَـةً ... وَمِن أجلِهِ في ذِرْوَةِ العزِّ يُجتَلا

/ « هنالك » ظرفٌ من ظِروف المكان، وهو من أسماء الإشارة، والاسمُ منه: هنا، والكاف للخطاب، واللام لبعد المشار إليه، وأيُّ بعْدٍ أبعدُ من القبر ؟! قال الشاعرُ[1]: ٢٧/أ

مَن كان بينَكَ في الترابِ وبينَهُ ... شِـــبرَانِ فهْوَ لغايةِ البُعدِ

وقال آخرُ[2]:

يقُولُون لا تَبْعَدْ وهم يَدفِنُونني ... وأينَ مكانُ البُعدِ إلا مَكَـانِيا

وينظر إلى هذا قولُ الآخر[3]:

ما كانَ ينفَعُني مقالُ نسائهِم ... وقُتِلتَ دون رجالهم لا تَبْعَدِ

والمقيل: مفعِل من قال يقيلُ من القائلة، والأصل: مَقْيِلاً، ثـم نُقلت حركـة

---

(١) من الكامل، وهو في إبراز المعاني لأبي شامة ١/١٢٩، والدر المصون للسمين الحلبي ٦/٣٨١، وكلاهما برواية: « بغاية البعد » .

(٢) من الطويل، وهو لمالك بن الريب في ديوانه ص: ٤٦، والخزانة ٢/٣٣٨ .

(٣) هو للفرار السلمي في الخزانة ٢/٣٣٨ .

الياء إلى القاف، والمرادُ مكان القائلة وهو القبر، وأشار إلى أن القبرَ يكونُ على القارئ مقيلاً وروضةً، فـ « مقيلاً » من قوله تعالى: ﴿أصحَابُ الجنَّةِ يومئذٍ خيرٌ مُستَقرّاً وأحْسَنُ مَقِيلاً﴾[1].

و « روضة » من قوله عليه السلام [2]: « القبرُ أوَّلُ منزلٍ من منازلِ الآخرة، إما روضةٌ من رياض الجنة، وإما حفرةٌ من حُفَرِ النار » . وهو على القرَّاء مقيلٌ وروضةٌ ببركة القرآن إن شاء الله تعالى .

والضميرُ المنصوب في « يَهنيه » يعود على القارئ، و « المرفوع » يعود على القبر، وينتصبُ « مقيلاً » و « روضة » على الحال من الضمير المرفوع وإن لم يكونا مشتقّين؛ لأنهما بمعنى: موسَّعاً، لأنه إذا كان القبرُ على حاله مقيلاً وورضةً فهو موسَّعٌ. وأعربه بعضهم تمييزاً من الضمير المرفوع؛ أي: يَهنيه مَقيلُهُ وروضتُهُ؛ لأن المقيلَ والروضة مآلهما منه فلذلك أُضيفا إليه، ويجوز أن يكون الضميرُ المنصوب في « يَهنيه » للقرآن، والمرفوع للقارئ، و « مقيلاً » و « روضة » تمييز، وينظرُ هذا إلى ما جاء في الحديث، وهو أن القرآن يسألُ من الله تعالى أن يُرضِّيه لقارئه، والحديث[3]: « ربِّ رضِّني لحبيبي » .

وأصلُ: « يَهنيه » يَهنِئُهُ، ثم سهَّلَ الهمزةَ بأن أبدلَها ياءً مضمومةً، ثم أجراها مُجرى « يَرميه » في أن قدَّرَ الحركة فيها، وأنشد في ذلك سيبويهِ[4] قولَ الشَّاعرِ:

---

(١) سورة الفرقان: ٢٤ .

(٢) سنن ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر القبر .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ومثله عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في صحيح الجامع ٣٢٤/٦ ، وانظر المسند الجامع برقم: ١٤٤٦٠، و ١٨٣١ ، وانظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٦٧/١.

(٤) البيت لعبد الرحمن بن حسان. انظر الكتاب ٥٥٥/٣ برواية (واجي)، قال سيبويه: « يريد: الواجئ » .

وَكُنتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ   يُشَجِّجُ رَأسَهُ بِالفِهْرِ وَاجِ

الأصل: واجئ، ثم أبدل الهمزة ياءً، وأجراها مُجرى قاضٍ في تقدير الحركة فيها .

و « الذِّروة » : أعلى الجبَل، وتُضمُّ ذالُهُ وتُكسَرُ، وجمعُها على الضم: ذُراً كغُرفَةٍ وغُرَف، ولم تُجمَع على الكسر .

و « يُجتَلَى » : يُنظَرُ إليه بارِزاً، مأخوذٌ من اجتليتُ العروسَ: نظرتَ إليها بارزةً في زينتها . و«من أجلـه» و « في ذِروة » متعلقان به، والذِّروة والعزُّ مجازٌ، والحال في ذروة العز آمنٌ من كل آفةٍ ، وأشار إلى ما جاء في الخبر عن النبي ﷺ - رواه أبو سعيدٍ الخدريُّ[1] - قال: « إذا كان يوم القيامة، وُضعت منابرُ من نورٍ، عند كل منبرٍ ناقةٌ من نُوق الجنة، ثم يُنادي مُنَادٍ: أينَ حَمَلَةُ كتابِ الله تعالى، اجلسُوا على هذه المنابر، فلا رَوعَ عليكم، فإذا فرغَ الله تعالى من حسَاب الخلق، حُمِلوا على تلك النُّوق، فيُزَفُّونَ إلى الجنة » .

وعن النبي ﷺ أيضاً أنه قال[2]: « يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْـرَأْ وَارْقَ، وَرَتِّـلْ كَمَا كُنْتَ تُرتِّلُ فِي الدُّنيَا، فَإِنَّ مَنزِلَكَ[3] عِندَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا » قال أبو عيسى: هذا حَديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

---

(١) انظر فضائل القرآن للرازي، باب في جلوس حملة كتاب الله على منابر من نور إلى أن يفرغ الله مما بين العباد، عن أبي سعيد: ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) انظر سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، والترمذي كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، وفضائل القرآن لابن كثير ١٤٧، ١٢٥ .

(٣) في ب: منزلتك .

يُناشِـدُ في إرضَائِهِ لحبيبهِ وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إليهِ مُوَصَّلا

يُناشِدُ: يكثرُ المسألةَ، ويُقالُ: نَشَدتُ الضالَّة؛ إذا طلَبْتَهَا، وأنشدتُها: عرَّفتَ بها /، والفاعل في « يُناشِدُ » : ضميرُ القرآن، وكذلك هاءُ « حبيبه » . ٢٨/أ

وفي الحديث: « أن القرآن يقولُ: يا ربِّ رضِّني لحبيبي » ؛ أي: أَنِلْهُ رضوانَكَ ومغفرَتَكَ، فذلك الذي يُرضيني .

وهذا من باب ما أُوقِعَ فيه المسبَّبُ موقعَ السَّبب؛ لأنَّ رِضَى القرآنِ مسبَّبٌ عن حُسنِ حالة[1] قارئه. ونظيره قوله تعالى: ﴿لا يَحْطِمنَّكُم سُلَيمَانُ وَجُنُودُهُ﴾[2] أي: لا تتعرضوا له فيحْطِمَكُم، وقولُ الشَّاعر[3]:

يَا تَيمَ تَيمَ عديٍّ لا أبَا لكُمُ لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سَوءَةٍ عُمَرُ

أي: لا تتعرضوا له فيُلقِيَكُم في سَوءةٍ، فكأنَّ القرآنَ إذا سأل من الله تعالى أن يُرضى لأجل قارئه، يَسأَلُ أن يُعطَى قارئه من النعيم ما لا يزالُ كلَّما تقلَّبَ فيه مسروراً .

ويجوزُ أن تكونَ الهاءُ في « إرضائه » تعودُ على الله تعالى، وإن لم يَجْرِ لفظُهُ؛ لأنَّ « يناشد » يقتضي مناشَداً، ويكون المصدرُ على هذا مضافاً إلى الفاعل، وعلى الأول مضافاً إلى المفعول، وتقديره: يناشِدُ في أن يرضيَه الله لحبيبه .

وقوله: « وأجدِرْ به » مثل قوله وأخلِقْ به .

لمَّا قال: إن القرآنَ يسألُ من الله تعالى أن يرضى لحبيبه، قال: وما أحقَّه أن

---

(١) في النسختين: حاله .

(٢) سورة النمل: ١٨ .

(٣) من البسيط، وهو لجرير في ديوانه: ٢١٢/١، والكتاب ٥٣/١، ٢٠٥/٢ .

يؤتى سؤلَه !

والهاءُ في « به » تعودُ على الإرضاء المطلوب.

و « سؤلاً » تمييزٌ، وهذا كما تقولُ: أحسِنْ بزيدٍ فارساً، و لله درُّهُ فارساً؛ أي: ما في الدينا مثلُهُ، ففسَّرت المثليَّةُ المتبَهمَةُ بما بعدها .

و « مُوَصَّلاً » : نعتٌ لـ « سؤلاً » به يتعلقُ « إليه » ، والهاءُ تعودُ على القرآن، وإن شئتَ على القارئ؛ لأن السؤال في الحقيقة لأجله، والمرادُ: شفاعةُ القرآنِ لأهله، وقد تقدَّمَ .

* * *

فَيَا أيُّهَا القَارِي بـه متَمَسِّكاً   مُجلاًّ لهُ في كلِّ حَالٍ مُبَجِّلا

« القاري » : أصله: القارئُ بالهمز، ثم أَبدَلَ الهمزةَ ياءً على غير قياس، وقد تقدَّمَ مثلُه، والهاء من « به » للقرآن[1]، ولك في الباء الداخلة عليها وجهان:

أحدهما: أن تكون زائدةً، والهاء مفعولةٌ بالقارئ، والأصلُ: يأيها القاريه، ثم زيدت الباءُ كما زيدَت في قول الشَّاعر[2]:

سُودُ المَحَاجِرِ ما يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ

وقال آخرُ[3]:

نَحنُ بنُو جَعْدَةَ أصحَابُ الفلَجْ

---

(١) في ب : « للقراء » .

(٢) من البسيط، وهو للراعي النميري في ديوانه ص: ١٢٢، وانظر النكت ١/٢٥٥، واللسان (سور)، وصدره:

هن الحرائر لا ربات أحمرة

(٣) البيتان للنابغة الجعدي في ديوانه: ٢١٦، وهما في الخزانة ٩/٥٢٠،٥٢١ وروي (بني) بالنصب على الاختصاص .

نَضْرِبُ بالسَّيفِ ونرجُو بالفَرَجْ

فعلى الزيادة لا تتعلّقُ بشيءٍ، وعلى عدم الزيادة تتعلّقُ بـ « متمسّكاً » .

ولك في نصب « متمسّكاً » وجهان:

أحدهما: أن يكونَ حالاً من الضمير في « القاري » .

والثاني: أن يكونَ خبراً لكان محذوفةً ـ على رأي من يرى ذلك من النحاة[1] ـ التقدير: فيا أيها القاري كن به متمسّكاً، فعلى هذا يكونُ المقصودُ بالنداءِ كنْ به متمسّكاً، وعلى هذا الوجه الأول يكونُ المقصودُ بالنداء قولُهُ:

« هنيئاً مريئاً ... ...

البيت.

و « المُجِلُّ[2] » : من الإجلال، و « المبجّل » من التبجيل، وهو التوقير، فقد حضَّ في هذا البيت على إجلال القرآن وتوقيره /، ومن إجلاله تركُ الجِدالِ والمِراءِ فيه، جاء في الحديث[3]: « اقرءوا القرآن ما ائتلفَتْ عليه قلوبُكُم، فإذا اختَلَفْتم فيه فقُومُوا » . ٢٩/أ

وفي الحديث أيضاً[4]: « إياكُم والاختلاف، فإنما هلَكَ مَن قَبلكُم باختلافه » ، وقال ﷺ[5]: « المراءُ في القرآن كُفرٌ » .

---

(١) انظر كنز المعاني للجعبري: ١٧ خ .

(٢) انظر الصحاح (جلل) .

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن ٦/٢٤٤، وفضائل القرآن ابن كثير ١٤٣، ١٤٤ عن جندب بن عبد الله .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

(٥) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب النهي عن الجدل في القرآن .

ومن إجلاله اجتنابُ حامِلِهِ كلَّ ما يَشينُهُ من الأفعال المستقبحة. قال ابنُ مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَفَ بليلِهِ إذ الناسُ نائمون، وبنهارِهِ إذ الناسُ مفطرون، وبورعه إذ الناس يَخلِطون، وبتواضعه إذ الناس يتكبرون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائِهِ إذِ الناسُ يضحكون، وبصمتِهِ الناسُ يخوضون[1].

وقال الفُضَيل[2]: ينبغي لحامل القرآن ألا تكونَ له حاجةٌ إلى أحدٍ من الخلق إلى الخليفة فمَن دونه، وينبغي أن تكون حوائجُ الخلق إليه. وقال: حاملُ القرآن حاملُ رايةِ الإسلام لا ينبغي أن يلغُوَ مع مَن يلغو، ولا أن يسهُوَ مع مَن يسهو، ولا أن يلهوَ مع مَن يلهو، ومن إجلاله إجلال حَمَلتِهِ، فإنهم أهلُ الله وخاصتُهُ .

وقال عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إني لأُحبُّ أن أنظرَ إلى القارئِ أبيضَ الثيابِ. يريدُ تعظيمَ شأنِهِ[3].

وقد كان مَن مَضى يعظِّمُون حَمَلَةَ القرآن، قال الشافعي رحمه الله[4]: مَن حفظ القرآن عظُمَت حُرمَتُه، ومَن طلبَ الفقه نبُلَ قدْرُهُ، ومَن كتب الحديثَ قويَتْ حُجتُهُ، ومَن نظرَ في النحو رقَّ طبعُهُ، ومَن لم يصُن نفْسَه لم يصُنهُ العلمُ .

ومما يدلُّ على تعظيم أهله قولُ الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[5] إلى آخرِ الآية .

وقولُ رسول الله ﷺ [6]: « إنَّ لله أهلِينَ من خَلقِهِ، قالوا: ومَن هم يا رسولَ

(١) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ١/٢٨٩ .

(٢) أخلاق حملة القرآن للآجري: ٤٣ .

(٣) انظر فتح الوصيد عند شرحه للبيت .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٢٤ بتصرف .

(٥) سورة فاطر: ٣٢ .

(٦) سنن ابن ماجه، باب فضل من تعلم القرآن، وفضائل القرآن لابن كثير: ١٤٨، وفضائل القرآن لأبي عبيد ١/١٦٩ .

ا لله ؟ قال: أهلُ القرآن هم أهلُ ا لله وخاصَّتُهُ.

وفي الحديث: « حَمَلَةُ القرآن هم المحفُوفـون برحمـة ا لله، الملبَسُـون بنـور ا لله، المعلِّمون كلامَ ا لله، فمَن عاداهم فقد عادى ا لله، ومَن والاهم فقد والى ا لله » .

وعن أبي أُمامةَ أنَّ رسولَ ا لله ﷺ قال[1]: « مَن قـرأَ ثُلُـثَ القـرآن، أُعطِـيَ ثُلُـثَ النبوَّة، ومَن قرأَ ثلثَيه، أُعطِيَ ثُلُثَي النبـوَّة، ومَـن قـرأَ القـرآنَ كلَّـه، أُعطِـيَ النبـوَّةَ كلَّها» .

وقال ابنُ عمر[2]: « من قرأ القرآن كأنما أُدرِجَت النبوَّةُ بين جنبَيه، إلا أنـه لا يُوحَى إليه » .

ومن إجلالِهِ: أن يوقِّرَ المتعلِّمُ مَن يقـرؤُهُ عليه، فقد قال عيسى عليه السلام : من حقِّ العالِم عليك إذا أتيتَ مجلسَه، أن تسلِّمَ على القوم وتخصَّه دونهـم بالتحيَّـة، وتجلسَ أمامه، ولا تشـــيرنَّ عنده برأيٍ، ولا تغمزنَّ بعَينك، ولا تقولنَّ له: قال فلان، خلافاً لقوله، ولا تغتابنَّ عنده أحداً /، ولا تشارَّه، ولا تـأخذَ بثوبـه، ولا تلحَّ عليه إذا كسَلَ، ولا تعرضَ عن صحبتـه، فإنمـا هـو بمنزلـة النخلـة، تنتظرُ أن يسقطَ عليك منها شيءٌ فتجتنيَه . ٣٠/أ

ومن إجلاله: حسنُ الاستماعِ له والإنصاتِ، وقد أمـرَ ا لله عبـادَه بذلـك ، قال ا لله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ القرآنُ فاسْتَمِعُوا لـهُ وأَنصِتـوا لَعلَّكُـم تُرحَمُـون﴾[3]

---

(١) الآجري في كتابه « أخلاق حملـة القـرآن » بـاب فضـل حملـة القـرآن: ١٨، ومقدمـة الجـامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨ .

(٢) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ١/٢٨٩-٢٩٠ .

(٣) سورة الأعراف: ٢٠٤ .

نزلَت مناقضةً للكفار حين قالوا: ﴿لا تسْـمَعُوا لهَـذَا القـرْآنِ والْغَـوا فيـه لعلَّكُـم تَغْلِبُون﴾[1]. قيل: نزلتْ في تـرك الجهـر بـالقراءة خلـف الإمـام، وقيـل: في تـرك الكلام في الخطبة يوم الجمعـة، وقيـل: سـببها أن الكفـارَ كـانوا إذا سمعـوا قـراءةَ رسول الله ﷺ يقرأ، رفعُوا أصواتهم وأكثروا اللغوَ، لئلا يسمعَ أتباعُهُم وأبناؤُهُم كلامَ الله فيُسْلِمُوا. فنزلتْ أدباً للمسلمين، ليخالفوا عادةَ أولئك، وقولـه تعـالى: ﴿لعلَّكُم تُرحَمُون﴾ مطابقٌ له ما جاء في الحديث عـن النبي ﷺ [2]: « مـا جلـسَ قومٌ في بيت من بيوت الله عزَّ وجـلَّ، يتلـون كتـابَ الله ويتدارسـونه بينهـم إلا حفَّتهُمُ الملائكةُ، وغشيَتْهُمُ الرحمةُ، وذكَرَهُمُ الله فيمن عنده » .

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال[3]: « مَن استَمعَ آيةً من كتاب الله كتبَ الله له حسنةً مضاعفَة، ومَن تلا آيةً من كتاب الله، كـانت لـه نـوراً يومَ القيامة » .

* * *

هَنيئاً مَـريئاً والدَاكَ عليهِمَا مَلابسُ أنوَارٍ من التَّاجِ والحُلا

هنيئاً مريئاً من قولك: هنَأني الطعامُ[4] ومرَأني، والهـنيءُ: الـذي لا آفـةَ فيـه، والمريءُ: هو المأمونُ الغائلةِ، ويجـوز الجمـعُ بـين الفعلَـين المذكورَيـن، ويجـوزُ أن يُفرَدَا، فإن جمع بينهما تأخر « مرأني » ولم يكن إلا ثلاثياً، فإن أُفرِدا قيل: أمرَأني.

---

(١) سورة فصلت: ٢٦ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب ذكر الدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .

(٣) ضعيف الجامع برقم: ٥٤٠٨ .

(٤) قال الفيروز أبادي: هنأني الطعام: ساغ لي. انظر الغرر المثلثة: ٥٣٦ (الهناء) .

و « الملابس » : جمع ملبَس، يرادُ به اللُّبس، الذي يُرادُ به الملبوس، و«الحُلى»: جمع حِلية على غير قياس[1]، وأشار في هذا البيت إلى ما جاء عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن، أن رسُولَ الله ﷺ قال[2]: « يأتي القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب المسافر فيقولُ لصاحبه: أتعرفُني، فيقول: لا، فمَن أنت ؟ فيقولُ: أنا الذي أسهرتُ ليلَكَ، وأنصبْتُ نهارَكَ، وأظمأْتُ هواجرَكَ، وحُلتُ بينك وبين شهواتِكَ، وزُلتُ معك حيث زُلتَ، فيقول: أنت القرآن، فيقول: نعم، ثم يقول: إن كلَّ تاجرٍ من وراء تجارته، وأنا لك / اليوم من وراءِ كل تجارةٍ، ٣١/أ فينطلق به حتى يأتي به الجبارَ تعالى فيقولُ: أي ربِّ ؟ إن كلَّ صانعٍ كان يعود على أهله من صنعته، وكلَّ تاجرٍ كان يعود على أهله من تجاريته، وإني كنتُ شَغلتُ فلاناً في الدنيا عن الضيعة والتجارة، بي كان يغدو، وبي كان يروح، فاجْزِهِ عني اليوم، فيقول له الجبارُ: فما تسألُ له ؟ فيقول: الرضوان والمغفرة، فيُعطَى الخلدَ بيمينه والنعمةَ بشماله، ويُلبَسَ تاج الوقار، ويُكسَى حلةَ الكرامة، إذا نشرها كانت سبعين ذراعاً، وإذا طواها كانت بين أَصبُعَيه، ويُكسَى والداه حُلّتَين لا تقوم لهما الدينا، فيقولان: ربنا بمَ كسوتَناهما، فما بلغت هذا أعمالُنا ؟ فيقولُ الجبارُ تعالى: بأخْذِ ولدكما القرآنَ، ثم يقالُ: اقرأْ وارقَ، فإن كان يهذُّهُ أُعطِيَ بقدر هذِّهِ، وإن كان يرتِّلُهُ أُعطِيَ بقدر ترتيله حتى يتناهى به المنزلُ حيث يتناهى به القرآنُ » .

(١) يعني بالضم، أما الكسر فعلى القياس . انظر التاج (حلا) .
(٢) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ١/٢٦٧ .

وفي الحديث الصحيح أيضاً[١]: « مَنْ قَرَأَ القُرآنَ وَعَمِلَ بما فِيهِ، أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجاً يَومَ القِيَامَةِ، ضَوءُهُ أَحسَنُ مِن ضَوءِ الشَّمسِ في بُيُوتِ الدُّنيَا لو كَانت فيه، فَمَا ظَنُّكَ بِالَّذي عَمِل بِهَذَا » .

وقوله في الحديث: « وعمل بما فيه » هو الذي يتضمنُهُ البيتُ الذي قبل هذا.

وانتصب « هنيئاً مريئاً » على ما انتصبا عليه في قول كثيِّر عزَّةَ[٢]:

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِن أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ

وذلك أنَّ الأصلَ: اهْنَأْ، ثمَّ يُوضَعُ المصدرُ موضعَ الفعل فيُقال: هَنَأً، ثم يُوضَعُ هنيئاً موضعَ المصدر، وقد استدلَّ سيبويهِ[٣] على أنَّ الفعلَ هو الأصلُ . بقول الأخطَلِ[٤]:

إلى إمَامٍ تُغَادِينَا فَوَاضِلُهُ أَظْفَرَهُ اللهُ فَلْيَهْنِئْ لَهُ الظَّفَرُ

فتصريحه بالفعل يدل على أن معنى هنيئاً له الظفر بمعنى: ليهنِئ له الظفرُ، وأنه موضوعٌ موضع مصدره، فلذلك أُلزِمَ النصبَ .

وكذلك قولُ الآخَرِ[٥]:

هَنِيئاً لأَربَابِ البُيُوتِ بُيُوتُهُم وَلِلْعَزَبِ المسكِينِ مَا يُتَلَمَّسُ

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ثواب قراءة القرآن، وأخلاق حملة القرآن للآجري: ٣٠، وضعيف أبي داود برقم: ٢٣٩ .

(٢) انظر الخزانة ٥/٢١٤ .

(٣) انظر باب ما أجري مجرى المصادر المدعو بها من الصفات في الكتاب ١/٣١٦-٣١٧ .

(٤) في ديوانه: ١٠١، والكتاب ١/٣١٧ .

(٥) قال عبد السلام هارون: لم يعرف قائله، انظر الكتاب ١/٣١٨ . قلت: وهو لأبي الغطريف الهدادي في شرح أبيات سيبويه، وهو من الطويل .

وأماً قولُهُ تعالى: ﴿فكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾[1] فليس من هذا، بل هو منصوبٌ على الحال من هاء « كلوه »، فهي صفةٌ على بابها .

وارتفاعُ « والداك » بالابتداء. « وعليهما ملابسُ أنوار » مبتدأ وخبر في موضع الخبر، ولك أن تجعلَ « عليهما » خبر « والداك »، و « ملابسُ أنوارٍ » فاعلاً به لاعتماده، و « من التاج » بيانٌ للملابس، وليس في الحديث « الحلا » ولكن المعنى يتضمنه، وأضاف « الملابس » إلى « الأنوار » لملابستها لها .

* * *

فما ظنُّكُم بالنَّجْلِ عندَ جَزَائِهِ أولَئِكَ أهلُ ا لله والصَّفْوَةُ المَلا

٣٢/أ / النجلُ: الولد، مأخوذٌ من نجلتُ الشيءَ: أخرجتُه، ومنه[2]:

أنجبُ أيامِ والديهِ به إذ نجلاهُ فَنِعْمَ ما نَجَلا

و « الصَّفوة » : بالفتح والكسر لغتان: الخالصُ من كل شيءٍ، و « الملا » : الأشرافُ والرؤساءُ، ومنه: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى المَلأِ﴾[3]، ﴿وَقَالَ الملأُ﴾[4]، سُمُّوا بذلك لأنهم ممتلئون شرفاً، أو بما يحتاج إليه منهم، أو بكفايات الأمور، أو لأنهم يتمالؤون؛ أي: يتظاهرون، وفي الأثر: وا لله ما قتلْتُ عثمانَ ولا مالأْتُ في قتلِهِ، أو لأنهم يملأون القلوبَ هيبةً، والمجالسَ أبَّهةً. والملأُ أيضاً: الجماعةُ، وقد فُسِّرَ به قوله تعالى: ﴿إلى المَلأِ﴾، ﴿وَقَالَ الملأُ﴾ وأصله الهمز، فإما أن يكونَ أبدلهُ على

---

(١) سورة النساء: ٤ .

(٢) البيت من المنسرح، وهو للأعشى في ديوانه: ٢٨٥، واللسان (نجل) ولم ينسبه، وهو برواية أخرى .

(٣) سورة البقرة: ٢٤٦ .

(٤) سورة الأعراف: ٨٨ .

لغة[1]:

سَالَتْ هُذَيلٌ رسولَ الله فاحشةً

وإما أن يكون وقفَ بالسكون، ثم أبدلها بعد الوقف عليها بالسكون ألفاً نحو همزة كأس .

وأشار بقوله: « فما ظنُّكُم بالنجل عند جزائه » إلى بعض ما في الحديث المتقدم، وهو قولُهُ ﷺ: « فمَا ظَنُّكَ بالذي عَمِلَ بهذا » و « ما » فيه استفهامٌ مبتدأٌ، و « ظنكم » خبره، وهو استفهامٌ في معنى الأمر، نظيرُه قولُه تعالى: ﴿فَهَلْ أنتم منتَهُون﴾[2] أي: انتهوا، المعنى: ظُنُّوا ما شئتم من الجزاء لهذا الولد الذي أُكرِمَ أبواه من أجله، و« ظننتُ » فعلٌ يتعدى إلى مفعولَين، لا يجوزُ أن يُقتَصَرَ على أحدهما دون الآخَر، ولكن يجوزُ أن لا يُذكَرا معاً، ومنه قولُه تعالى: ﴿وظَنَنتُم ظنَّ السَّوءِ﴾[3] ﴿وتظُنُّونَ با لله الظُّنونَا﴾[4]، وتقولُ: ظننتُ به؛ إذا جعلتَه موضع ظنِّكَ، كما تقولُ: ظننتُ في الدار، ومِن هذا القبيل: « فما ظنُّكُم بالنَّجل » ؛ أي: اجعلوه محلاً لظنكم، ثم استأنفَ الثناء على النَّجل القارئ بقوله: « أولئك أهل الله » وأراد ما تقدَّمَ من قوله ﷺ:[5] « إن لله أهلِينَ من خلقه، قالوا: ومَن هم يا رسولَ الله ؟ قال: أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصَّتُهُ » ، وفي

---

(١) البيت من البسيط، وهو لحسان بن ثابت في ملحق ديوانه: ٣٧٣، وتكملة البيت:
ضلّتْ هذيلٌ بما قالت ولم تُصِبِ

(٢) سورة المائدة: ٩١ .

(٣) سورة الفتح: ١٢ .

(٤) سورة الأحزاب: ١٠ .

(٥) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٦٩/١، وفضائل ابن كثير: ١٤٨ .

الحديث[١]: « أشرافُ أمتي حمَلَةُ القرآن » .

* * *

أولُو البرِّ والإحسَانِ والصبرِ والتقى
حُـلاهُم بها جاء القُرَانُ مفَـصَّلا

« أولو » بمعنى أصحاب، ولم يُنطَق له بواحدٍ، والقياسُ فيـه لـو نطقـوا بـه أن يكون: أُلٍ، والأصل: أُلُيٌ[٢] بوزن عُنُق، ثم تُقلَبُ ضمةُ العين كسرةً فيصير: أُلِيٌ، ثم يعتلُّ كقاضٍ، ثم يأتي علامةُ الجمع، فتُحذفُ الياءُ للساكنَين، ويُضَمُّ ما قبلَهـا في الـــرفع، وتلزمُ إضافتُهُ فيقالُ: أولو البرِّ، وإنما قلنا: أصلُهُ أُلُيٌ؛ لأنه لا يخلو أن يكونَ بوزن عُنُق أو جَمَل أو بوزن رُئِم، فلا يجوز أن يكون بوزن جَمَل؛ / لأنه كان يلزمُ أن يقالَ في جمعه: أُلَون، بفتح اللام؛ لأنه كـانت اليـاءُ تتحـرَّكُ وقبلها فتحة، فتنقلبُ ألفاً، ثـم تـأتي علامـةُ الجمـع فتُحـذَفُ الألـفُ، ويبقـى مـا قبلها مفتوحاً كما تقولُ: المصطفَون[٣]، ولا يجوز أن يكون من باب رُئِم؛ لقلَّتِـهِ، ولأن سيبويهِ[٤] لم يعتدَّ به ولم يحسبْهُ في أبنية الأسماء، فتعيَّنَ أن يكون بوزن عُنُق، وفُعِلَ به ما تقدمَ، أعني: قلبَ الضمة كسرةً .

٣٣/أ

والبرُّ: الصلاح، وقيل: الخيرُ، والـبرُّ أيضـاً : العطـفُ والإحسـانُ، ومنـه بـرَّ والديه، والبرُّ: الصدقُ، ومنه: برَّ في يمينه، والحج المبرور الذي لا يخالطهُ شيءٌ من

---

(١) جامع الأحاديث عن ابن عباس برقم: ٣٠٨٧ . والسلسلة الضعيفة برقم: ٢٤١٦ .

(٢) انظر (ألو وألي) الصحاح والتاج .

(٣) في ب : « المصطفَين » .

(٤) قال سيبويه: « واعلم أنه ليس في الأسمـاء والصفـات (فُعِـل) ... بـاب مـا بنـت العـرب مـن الأسماء ... الكتاب ٢٤٤/٤ .

المآثم،والبيعُ المبرور: الـذي لا يخالطُـه كـذبٌ ولا خيانـةٌ، والإحسـانُ: إتيـانُ مـا يَحْسُنُ من الأفعال .

والصبرُ: أصلُهُ في اللغة الحبْسُ، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾[1]، قال الشَّاعرُ[2]:

فصَبَرْنا النُّفُوسَ للطَّعنِ حتَّى ... جَرَتِ الخيلُ بيننَا في الدِّمَاءِ

وقهرُ النفسِ على الطاعات ومنعُها مـن المعـاصي حبْسٌ، والتقـى: اجتنـابُ جميع ما نهى الله عنه، وهو مأخوذٌ من: وَقَيتُ، فكأن مـن اتقـى الله جعـلَ بينـه وبين عذابِ الله وقاءً، وأصلُ التقى: وُقَيٌ، قُلبت الياء ألفاً لتحركها[3] وانفتاح ما قبلها، وقلبت الواوُ تاءً، وأصل التقوى: وَقْيَا، أبدلت الياءُ واواً فصار وَقْوَى، ثـم أبدلت الواو الأولى تاءً، فقيل: تقوى .

وحُلاهُم: صفاتُهم، وهو ما تحلَّوا به .

يقولُ: حَمَلَةُ القرآن العاملون به هم أولـوا الـبر والإحسـان والصـبر والتقـى، وقوله: « حُلاهم بها جاء القُرَانُ » إشارةٌ إلى مثل قولـه تعـالى: ﴿ولكـنَّ الـبرَّ مَـن آمنَ با لله واليومِ الآخرِ﴾[4] الآية، ولقوله تعالى: ﴿ومَا عندَ الله خـيرٌ للأبـرارِ﴾[5] و﴿ إنَّ الأبرارَ لفي نعِيمٍ﴾[6] و﴿أحسِـنُوا إنَّ الله يحـبُّ المحسِنينَ﴾[7]، ﴿وإن الله

---

(١) سورة الكهف: ٢٨ .
(٢) لم أقف عليه .
(٣) في ب : « لتحريكها » .
(٤) سورة البقرة: ١٧٧ .
(٥) سورة آل عمران: ١٩٨ .
(٦) سورة الإنفطار: ١٣ .
(٧) سورة البقرة: ١٥٩ .

لمعَ المحسِنين﴾[1]، ﴿إنَّهم كـانُوا قبـلَ ذلـكَ محسِـنين﴾[2]، ﴿واصْـبِرُوا إنَّ الله مـعَ الصَّبرين﴾[3]، ﴿والله يُحِبُّ الصَّابرين﴾[4]، ﴿إنَّما يُوَفَّى الصَّـابِرُونَ أجرَهـم بغَـير حِسَابٍ﴾[5]، ﴿واتَّقُوا الله إنْ كُنتُم مُؤمِنين﴾[6]، و﴿الله معَ المُتَّقِين﴾[7]، و﴿إنَّمَا يتقبَّلُ الله مِنَ المتَّقِينَ﴾[8].

ومعنى مفصَّلاً: أي: مبيَّناً من قوله تعالى: ﴿فُصِّلَتْ آياتُـهُ﴾[9] وهـاءُ « بهـا » تعود على « حُلاهم »، ونقَلَ همزة القرآن للوزن، ولو قال: حُلاهم بهـا القـرءان جاء مفصَّلا لخرج عن الضرورة .

* * *

علَيكَ بها ما عِشْتَ فيها مُنَافِساً وَ بِعْ نَفْسَكَ الدُّنيا بأنْفَاسِهَا العُلا

« عليك » مجرورٌ، سُمي به الفعل، المعنى: الْزَمْ، والكاف فيـه اسـمٌ موضعهـا جرٌّ، كما كانت قبلَ التسمية، وفيه ضميرٌ مرفوعٌ مسـتترٌ، فـإن أردْتَ أن تؤكـدَ الضميرَ المرفـوعَ قلتَ: عليك أنتَ نفسُكَ، وعليكما أنتما أنفُسُكما، وعليكم أنتم أنفُسُكم، فإن أكَّـدتَ / الضمـيرَ المجـرورَ قلـتَ: عليـكَ نفسِـك، و لم يَـلزَم ٣٤/أ

(١) سورة العنكبوت: ٦٩ .
(٢) سورة الذاريات: ١٦ .
(٣) سورة الأنفال: ٤٦ .
(٤) سورة آل عمران: ١٤٦ .
(٥) سورة الزمر: ١٠ .
(٦) سورة المائدة: ٥٧ .
(٧) كذا في الأصل، والصحيح: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ البقرة: ١٩٤ وغيرها .
(٨) سورة المائدة: ٢٧ .
(٩) سورة فصلت: ٤ .

الفصلُ بالضمير المنفصل، ويتعدى بنفْسِه تارةً، قال الله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنُوا عليكُم أنْفُسَكُمْ﴾[1] ويتعدى بحرف الجرِّ تارةً .

وفي الحديث[2]: « يا معشرَ الشَّبابِ، مَن استَطَاعَ منكم البَاءَةَ فلْيَتزوَّجْ، فإنَّهُ أَحصَنُ للفَرْجِ، وأَغَضُّ للطَّرْف، ومَن لم يستطِعْ، فعلَيهِ بالصَّومِ، فإنَّه له وِجَاءٌ » وهو على زيادة الباء نحو: قرأتُ بالسُّورة؛ لأنه أكثر؛ أعني تعديه بنفْسِهِ .

وهاء « بها » تعود على « حُلاهم » ؛ أي: عليك بصفة أهل القرآن مدةَ عَيشك، وهاء « فيها » يعود على الدنيا، وإن لم يجرِ لها ذكْرٌ، ويجوزُ أن يعود على « حُلاهم » على أن يكون المعنى: عليك بها منافِساً فيها ما عشتَ .

ومنافِساً: من قولك: نافسْتُ في الشيء؛ إذا بذلتَ فيه ما نفُسَ وغلا، ويقال: نفِسَتُ في الشيء نَفاسةً: رغبتُهُ، ويقال: أنفسني الشيءُ؛ صار نفيساً عندي .

و« ما » في قوله: « ما عشتَ » موصولةٌ بـ « عشتَ » ، وتتقدَّرُ في المصدر الذي يُرادُ به الزمان كقولهم: جئتكَ خُفوقَ النجم؛ أي: زمانَ خُفُوقِه، وأشار بقوله: « منافِساً » إلى قوله تعالى: ﴿وفي ذلك فليَتنافَسِ المتَنافِسُون﴾[3]، وإلى ما جاء في الحديث[4]: « قال رجلٌ يا رسولَ الله، أيُّ الناس خير ؟ قال: مَن طالَ عمرُهُ وحَسُنَ عملُهُ، قال: فأيُّ الناس شرٌّ ؟ قال: مَن طالَ عمرُهُ وساءَ عملُهُ ».

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه، وكتاب النكاح، باب قوله ﷺ « من استطاع .. » .

(٣) سورة المطففون: ٢٦ .

(٤) شرح السنة للبغوي برقم: ١٢٤٥ .

وقال بعضُ الصحابة: اللهمَّ إني لم أكن أريدُ البقاءَ في الدنيا لغرسِ الأشجار، ولا لجرْيِ الأنهار، وإنما كنتُ أريدُ البقاء فيها للظمأ في الهواجرِ، ومزاحمةِ العلماء في حَلَق[1] الذكرِ بالرُّكَب .

ورغَّبَ النبيُّ ﷺ رجلاً في الجهاد وفي يده تمَرَاتٌ يأكل منها، فقال: إني لحريصٌ على الدنيا إن جلستُ حتى أفرغَ منهنَّ،ورمى ما في يده،وقاتلَ حتى قُتل.

وروى جابرُ بنُ عبد الله أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال[2]: « لا تمنّوا الموتَ فإنَّ هولَ المطلَعِ شَديدٌ، وإنَّ مِنَ السَّعادةِ أنْ يَطُولَ عُمُرُ العبدِ حتّى يَرزُقَهُ الله الإنابةَ » .

وقال الطَّيِّلاً [3]: « بَقيَّةُ عُمُرِ المؤمِنِ لا ثمنَ لها، يدركُ بها ما فاتَ، ويحْيِي ما أَمَاتَ » ونظمَهُ بعضُهُم فقال[4]:

بقيَّةُ العُمْرِ عندي ما لها ثَمَنُ   وإنْ غدَا غيرَ محمودٍ من الزَّمَنِ
يستدرِكُ المرءُ فيها ما أفاتَ ويُحْـ   ـيي ما أماتَ ويمحو السوءَ بالحسَنِ

و « الدُّنيا » صفةٌ لـ « نفسك » بمعنى الدُّونيَّة، والأصل: الدُّنوَى، وكلُّ فُعْلَى لامُها واوٌ، إذا كانت صفةً، تُقلَبُ لامُها ياءً نحو: العُلْيَا والدُّنْيَا، وشذَّ من ذلك: القُصوَى تنبيهاً على الأصل في غيره، كما شذَّ القَوَد تنبيهاً على أن أصلَ بابٍ

---

(١) ضبطها المؤلف بفتحتين. انظر كلام سيبويه في باب ما كان واحداً يقع للجميع. الكتاب ٥٨٣/٣-٥٨٤، وانظر تعليق السيرافي في الهامش رقم (٤) من الجزء والصفحة .

(٢) انظر التاريخ الكبير للبخاري ، الترجمة رقم: ٢٤٨٧، وأحمد في المسند ٣٣٢/٣ .

(٣) الخبر منسوب لعلي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ انظر فتح الوصيد عند شرح البيت، والازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار للسيوطي: ٨٨-٨٩ .

(٤) لأبي الفتح البستي في ديوانه: ٣١٢ عقد فيهما الأثر السابق، وانظر الازدهار: ٨٩-٩٠ .

ودارٍ: بَوَبٌ ودَوَرٌ، ووصْفُ النفسِ بالدنيا من حيث هانت مبدأً ومآلاً، قال أبو العتاهية[(١)]:

عَجِبْتُ للإنسانِ في فخرِهِ وهو غداً في قَبرِهِ يقبر
مَا بالُ مَن أوَّلُهُ نطفَةٌ وجيفَةٌ آخرُهُ يَفخَرُ[(٢)]
/ أَصبَحَ لا يملِكُ تقديمَ مَا يرجُو ولا تأخيرَ ما يحذَرُ ٣٥/أ

و « الأنفاس » : الأرواح، جمع نفَس، وهو معروفٌ بمعنى التنفس، ويُستعارُ لماله خطرٌ وبالٌ، يقالُ: له نَفَسٌ وماله نفَسٌ؛ أي[(٣)]: لا روحَ فيه، والهاءُ تعود على « حُلاهم »، يقول: ابذُلْ نفسَك الدنيةَ في أنفاسِ تلك الصفات الشريفة. والباءُ بمعنى في. وبذلُ النفْسِ كنايةٌ عن بلوغِ الجَهد والطاقة في الأمر، ومنه تقول: لأبذُلنَّ نفْسي في هذا. فـ « بِعْ » على هذا المعنى بمعنى: ابذُلْ، وهو المعروف فيه، ويحتملُ أن يكونَ المعنى: اكتسِبْ نفسَكَ بأنفاسِ تلك الصفات الشريفة. وفي الكلام حذفُ مضاف تقديره[(٤)]: بِعْ خلاصَ نفسِكَ ونجاتَها بأنفاسِهَا؛ أي: استعمِلْ نفسَكَ بهذه الأنفاس لتخلُصَ، فيكون «بع » على هذا من البَيع الذي هو الشراءُ، لا ضدُّهُ؛ أي: اشترِ نفسَك بأنفاسِهَا، ويَحتملُ أن يكونَ

---

(١) ديوانه: ١٧٨، وانظر الكامل ٥٢١/٢، ٥٢٢، ٥٢٤ .

(٢) البيت من شواهد العقد كما في معاهد التنصيص ١٨٢/٤، والازدهار: ٨٨ عقد فيه قول علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « ما لابن آدم والفخر: أوله نطفة وآخره جيفة، ولا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه » نهج البلاغة ٧٨٣ فقرة: ٤٥٤ .

(٣) (أي) سقطت من ب .

(٤) في ب: « تفسيره » .

واحدُ الأنفاس: نفْس، يقال: رجلٌ له نفْسٌ وجَلادةٌ، والهاء تعود على « نفْسَكَ »؛ أي: بِعْ نفسَكَ الدنيةَ على ما فيها من الجلادة والنِّفَارِ من الطاعة .

وفي الحديث[1]: « ليس عَـدُوُّكَ الـذي إنْ قتلْتَـهُ كـان لـك نـوراً، وإن قتلَـكَ دخَلْتَ الجنة، ولكنَّ أعْدَى عَدُوِّكَ: نفسُكَ التي بين جنْبَيكَ » .

وقال الأصمعيُّ[2]: كنا في طريق مكة - شرَّفها الله تعالى - في بعض المنـازل، إذْ وقفَتْ علينا أعرابيةٌ فقالت: أطعِمُونا مما أطعَمَكـم الله، فناولَهـا بعـضُ القـوم شيئاً، فقالتْ: كَبَتَ الله كلَّ عدوٍّ لك إلا نفسَكَ .

و « العُلا » : صفة لـ « أنفاسها » ، فإن كان مفرَداً فهو كقولك: قومٌ رضىً، وإن كان جمعاً فمفردُهُ العُليا مضموماً مقصوراً .

* * *

جَزَى الله بالخَيراتِ عنَّا أئـمَّةً لَنَا نقَلُوا القرآنَ عذباً وسَلْسَلا

أخذَ - رحمه الله - في الدعاء للسَّلَف الصالح، ودرَجَ في ذلك على ما يَنبَغـي للخَلَف، ففي إظهارِ الدعاء لهم إظهارُ الحبِّ لهم، فإن الدعـاءَ ثمـرةُ الحـبِّ. وقـد سألَ سائلٌ رسولَ الله ﷺ عن الساعة فقال: « ما أعدَدْتَ لها » ؟ فقال: لَمْ أُعِدَّ لها كبيرَ صلاةٍ ولا صيـامٍ ولا صدقـةٍ، ولكـني أحـبُّ الله ورسـولَه، فقـال: «المؤمِنُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ[3]» .

---

(١) انظر جامع الأحاديث ٥/٤٥٢ برقم: ١٨٠٠٧ ، والسلسلة الضعيفة : ٤٣٧٥ .

(٢) ذكره الشريشي في شرح المقامة الصنعانية ، عند قوله: « وقذعت نفسك فهي أكبر أعدائك » انظر شرح مقامات الحريري للشريشي ١/٩٥-٦٠ .

(٣) البخاري في الأدب، باب علامة الحب في الله، ومسلم في البر والصلـة، بـاب المرء مـع مـن أحب .

وكيف لا يجبُ الدعاءُ لهم وبهم وَصَلَ إلينا خيرُ الدنيا والآخِرَة، وهو كتابُ الله وسنةُ نبيه .

وقال الرسولُ ﷺ [(١)]: « مَن أولَى إليكم مَعرُوفاً فكَافِئوه، فَإِنْ لَمْ تجدُوا فَادْعُوا له».

وفي الحديث[(٢)]: « إذا قال الرجُلُ لأخيه: جزاك الله خيراً، فقد أبلَغَ في الثَّناء».

وقد أثنى الله سبحانه على من فَعَلَ / ذلك، قال الله سبحانه: ﴿والذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ﴾[(٣)] . ٣٦/أ

وقد شَهِدَ النبي ﷺ بعدالَتِهم حيث يقولُ[(٤)]: « يحمِلُ هذا العِلْمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ، يَنفُونَ عنه تحريفَ الغالِينَ، وانتحالَ المبطِلِينَ » وإلى هذا الإشارةُ بقوله: « عذباً وسلسلاً » ؛ أي: نَقَلُوه إلينا من غير زيادةٍ ولا نُقصَانٍ، ولا مَيلٍ إلى اختيارٍ كما زَعَمَت الرافضةُ[(٥)] أنه غُيِّرَ وبُدِّلَ .

قِيلَ للقاضي إسماعيلَ بنِ إسحاقَ[(٦)]: لِمَ سَلِمَ القرآنُ مِنَ التَّبديل دون الكتبِ المنزلة قبلَه ؟

---

(١) أبو داود، كتاب الزكاة، باب عطية مَن سأل بالله .

(٢) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطَ .

(٣) سورة الحشر: الآية: ١٠ .

(٤) الديلمي في فردوس الأخبار برقم: ٨٥٢٨ عن ابن عمر، وله طرق كثيرة ضعيفة، وصححه أحمد .

(٥) انظر الفِصَل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٦٧/٢ وما بعدها، والسنَّة لابن الخلال: ٤٩٢ . والرافضة: فرقة من الشيعة سمُّوا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي. قال الأصمعي: كانوا بايعوه ثم قالوا له: ابرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبى... فرفضوه . وفي الصحاح واللسان (رفض): « وارفضوا عنه فسموا رافضة، وقالوا: الروافض، ولم يقولوا: الرفَّاض؛ لأنهم عَنُوا الجماعاتِ » .

(٦) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد الجهضمي الأزدي، فقيه مالكي جليل التصانيف، ولد بالبصرة، كان من نظراء المبرد، ولي قضاء بغداد، وقضاء القضاة. ولد سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٢ هـ. انظر الديباج: ٩٢، وتاريخ بغداد ٢٨٤/٦ .

فقال: لأن الكتبَ التي قبلَه وُكِلَتْ إلى حفّاظها، قال الله تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾(1) وهذا الكتابُ تولى الله تعالى حفظَه، ولم يكِلْهُ إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾(2) .

فإن كانت الهاءُ عائدةً على الرسول ﷺ كما قيل، فمِن حِفْظِهِ حِفظُ ما أُنزلَ عليه، إذ فيه من الغيوب ما يجدِّدُ براهين نبوته في كل أوَان، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾(3) . وإن كانت الهاءُ للقرآن، فالدليلُ أقرَبُ .

ولم يزَلِ العلماءُ ـ رضِي الله عنهم ـ ينقلون الروايةَ عن القراء السَّبعة؛ فهذا مالكٌ ـ رحمه الله ـ تعالى أخذَ عن نافِعٍ، وكان يقولُ: قراءةُ نافِعٍ هي السُّنَّةُ(4).

وهذا الشافعيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: أخذ عن ابن كثير .

وقرأ سفيانُ الثوري على حمزةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال محمَّد بنُ المتكَدِرِ(5): القراءةُ سنَّةٌ يأخُذُها الآخِرُ عن الأوَّل(6).

و « العذْبُ » : الحلو ، و « السلسَلُ » : السهلُ السَّلِسُ حالَ الابتلاع، وانتصبَ

---

(1) سورة المائدة: الآية: ٤٤ .

(2) سورة الحجر: الآية: ٩ .

(3) سورة النور: الآية: ٥٥ .

(4) انظر السَّبعة لابن مجاهد: ٦٢ ساقها بروايات مختلفة .

(5) هو محمَّد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي المدني، زاهد من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة، قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق. ولد سنة ٥٤ هـ، وتوفي سنة ١٣٠هـ. انظر تاريخ الإسلام للذهبي ١٥٥/٥، والأعلام ٣٣٣/٧ .

(6) انظر السَّبعة: ٥١ .

على الحال إما من مصدرِ « نقلوا » ، وإما من « القرآن » ؛ أي: نقلوه نقلاً صحيحاً، أو نقلوه على ما هو عليه، والمعنَيان متقاربان، و « لنا » متعلِّقٌ بـ «نقلوا»، ويُريدُ بالأئمَّةِ القَرَأَة مِن زمن الرسول ﷺ إلى زمان قراءتِهِ هو، ولذلك بعَّضَ بعدُ فقالَ: فمنهم بُدورٌ سَبعةٌ .

* * *

فمنهُم بدورٌ سبعةٌ قَد توسَّطَتْ سماءَ العُلا والعدلِ زُهْراً وكُمَّلا

الضميرُ في « فمنهم » عائدٌ على الأئمة في البيت قبلَه، وهذا يدلُّ على ما قلناه من أنه أراد القرَأَة كلَّهم السَّبعة وغيرَهم، ولذلك بعَّضَ السَّبعة منهم .

و البُدورُ: جمعُ بدْرٍ وهو القمرُ ليلةَ كَمَاله، سُمي بذلك إما لمبادرته الشمسَ بالطلوع[1]؛ لأنه إذ ذاك معها على خطٍّ واحد، وإما لامتلائه بالضياء وسَعَته، ومنه قيل: عينٌ بَدْرَةٌ؛ أي: واسعةٌ، قال امرؤُ القيس[2]:

وَعَينٌ لها حـدْرَةٌ بدْرَةٌ شُقَّتْ مآقيهمَا من أُخُرْ

وإما لكماله، ومنه البَدْرَةُ لِكِيسٍ فيه عشرةُ آلافِ درهَم[3]، وكَنى بالبدور عن القرَّاء السَّبعة، ولما استعارَ لهم بدوراً، استعار لها سَمَاءً يتوسطون فيها، وأضافها إلى العُلا والعَدْلِ، وإنما جعلهم في سماءِ العدل في مكان التوسط / إما لأنه أعلَى مكانٍ فيها للناظر، وإما لأن البدرَ في التوسط أظهرُ وأشهرُ منه في أطرافِ السَّمَاء . ٣٧/أ

---

(١) الصحاح (بدر) .

(٢) ديوانه: ٧٧، من قصيدة مطلِعُها:

أحارِ بنَ عَمْرو كَأنِّي خَمِرْ ويعدُو على المرْءِ ما يَأْتَمِرْ

(٣) الصحاح (بدر) .

و « الزُّهْرُ » جمع أزهَر من قولك: زَهَرَت النارُ[1]: إذا كثُرَ ضوؤُها .

و « كُمَّلا » : جمعُ كامِلٍ، وهما حالان من الضمير في « توسَّطَت » ، ولما كَمُلُوا فَهْماً وعِلْماً وديناً، وَصَفَهم بذلك، وفيه إشارةٌ إلى مَن لم يتوسَّطْ من القراء مثلَهم من بُدُور القُرَّاء .

* * *

لها شُهُبٌ عنها استَنَارت فَنَوَّرَتْ سَوَادَ الدُّجى حتَّى تفرَّقَ وانجَلا

« الشُّهُب » : جمعُ شِهَاب، وهو في الأصل الشُّعلةُ الساطعةُ من النار، قال الله تعالى: ﴿ءاتِيكُمْ بِشِهَاب قبس﴾[2] وسُمي الكوكبُ المضيء شهاباً لذلك، ثم يُستعارُ للرجل العالم؛ لأنه يُستَضَاءُ به من ظلمة الجهل، و « استنارت » : اكتسبت النورَ من قولك: نارَ الشيءُ واستنارَ: أضاء، ونوَّرَ غيرَه: أضاءه. و «الدجى» : الظُّلَم، واحدُه: دُجيَة، ويقال: دجا الليلُ يدجو دَجْواً، فقولهم: دُجْيَةٌ شاذٌ[3]، أعني قلبَ الواو ياءً لغير موجِب، والقياسُ: دُجوَة، و « انجلى الشيء » : انكشف، والضمير من قوله: « لها » و « عنها » عائدٌ على البدور السَّبعة، ولما عبَّرَ عن الأئمة بالبدور، عبَّرَ عن رواتهم بالشُّهُب، وجعلها عنهم تستنير؛ لأنها تكتسب عنها العلم، والضميرُ في « فنوَّرَت » عائدٌ على الشُّهُب، وهكذا دأبُ الشُّهُب إذا أفَلَت البدورُ، تضيء الظلامَ، ويُهتَدَى بها حتى يتفرَّقَ سوادُ الجهل وينجلي .

* * *

---

(١) الصحاح (زهر) .

(٢) سورة النمل: ٧ .

(٣) انظر التاج (دجي) ذكر أنها يائية واوية .

وسوفَ تَرَاهُم واحداً بعدَ واحدٍ مع اثنَين مــن أصحَابِهِ مُتَمثّلا

الضـميرُ (المنصـوب)[1] في « تراهـم » عـائدٌ علـى البُـدُور؛ أي: سـأذكُرُ لـك البدورَ في النظم واحداً بعد واحدٍ، وأذكرُ مع كل واحد منهم اثنين من أصحابه، وقد اصطلَحَ الناس على تسمية الأتباع أصحاباً كما تقـول: أصحـابُ الشـافعي، وأصحابُ أبي حنيفة، وإطلاقُ هذا اللفظ حقيـقٌ في بعضهـم، مَجَـازٌ في بعـضٍ. والأصحابُ جمع صَحب، وصَحب: اسمُ جمعٍ على قول سيبويهِ[2]، وجمـعٌ علـى قول الأخفش[3]، والرؤيةُ هنا هي المتعدية لاثنين؛ أي: سوف تعلَمُهُم، فينتصـبُ « واحداً » على أنه مفعولٌ ثانٍ، و « بعد واحدٍ » صفةٌ له، و « متمثلاً » صفةٌ أخـرى، وهو من قولك: تمثّل بين يديَّ قائماً ومَثَلَ .

* * *

تخَيَّرَهم نقّادُهُم كـلُّ بارعٍ وليس على قرآنِهِ متأكِّـلا

النُّقّادُ: جمعُ ناقد، وهو من قولك: نقَدتُ الدينارَ نقداً: نقرتَه لتختَبرَ جودتَه، ثـم يُستَعَارُ لمن له جودةُ نظرٍ ورأيٍ فيميزُ الجيِّدَ من الرديء. والبارعُ: الذي فاق أضرابَه / يقال: برُ َعَ[4] براعةً فهو بارعٌ، يقول: أجمعَ على تفضيل هؤلاء القـراءِ السَّبعة ورواتِهم أهلُ المعرفة والبراعةِ، يشيرُ بذلك إلى الإجماع الذي كان بسـبب القرَّاءِ في دولة بني العباس . ٣٨/أ

ثم قال:

---

(١) سقط من ب .

(٢) انظر الكتاب ٣/٤٩٤ .

(٣) انظر الصحاح (صحب) .

(٤) بابه خضَعَ وظرُفَ

« وليس على قُرآنِهِ مُتَأَكِّلاَ »

يُقال: تأكَّلَ البرقُ والسيف إذا بدا لمعانُهُمَا، والضميرُ في « ليس » و « قرآنِهِ » عائدٌ على موصوفِ بارعٍ، وهو في المعنى كلٌّ. المعنى: أن الذين اختاروا السَّبعة وانعقدَ الإجماعُ بهم، لم ينصبُوا ظاهرَهم لأكل الدنيا، كلَمَعَان السيف والبرق. ويجوز أن يكون « متأكِّلاً[1] » من قولك: تأكَّلتِ النارُ إذا هاجَت، وأكل بعضُها بعضاً؛ أي: لم يكثِرُوا الحرصَ والهيجانَ على الدنيا .

ويجوز أن يكون من قولك: تأكَّل بكذا: جعله سبباً للأكل .

وارتفع « كلُّ بارِع » على البدل من « نُقَّادُهم » بدلُ شيءٍ من شيءٍ؛ أي: تخيَّرَهم كلُّ بارع ليس على قرآنه متأكِّلاً .

* * *

فَأَمَّا الكريمُ السِّرِّ في الطِّيب نافِعٌ فذاكَ الذي اختارَ المدينةَ منزِلاَ

شرَع في بيان السَّبعة مع رواتهم، فبدأ بنافعٍ ـ رحمه الله ـ تفضيلاً له عِلماً ومَحَلاًّ، وبه بدأ ابنُ مجاهد[2] ـ رحمه الله تعالى ـ وقال[3]: إنما بَدَأنا بقارئ المدينة؛ لأنها إليها هاجرَ رسولُ الله ﷺ، ولأنها معدِنُ الأكابر من أصحابه، وبها حُفِظَ عنه الآخِرُ من أمره .

---

(١) في ب : « متأكدا » .

(٢) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التيميمي الحافظ الأستاذ. أبو بكر البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبع السَّبعة، ولد ٢٤٥ هـ ببغداد، وتوفي ٣٢٤ هـ. قرأ على عبد الله بن عبدوس وقنبل وخلق، وقرأ عليه خلق كثير. الغاية ١/١٣٩، ١٤٧ بتصرف .

(٣) انظر السَّبعة: ٥٣ .

أما أحدُ السَّبعة فهو **نافعُ بنُ عبد الرَّحمن**[١] بنِ أبي نُعيمٍ، مولى جَعْوَنةَ بنِ شَعُوبٍ الليثيُّ، ويُقال: الشِّجْعي، وبنو شِجْعٍ من بني عامرِ بنِ ليثٍ، وجَعْونَةَ حليفُ حمزةَ بنِ عبد المطلب، وقيل: حليفُ العباس بن عبد المطلب، وقيل: حليفُ بني هاشم .

وهو اسمٌ مرتَجَلٌ، واوه زائدة .

قلتُ: ورأيتُ في « شَعُوب » الصرفَ وعدمَ الصرف بضبطٍ صحيح، والقياسُ عدمُ الصَّرفِ؛ لأنه (اسمٌ)[٢] مؤنثٌ على أربعة أحرف، سُمي به مذكَّرٌ كزينَب اسمُ رجلٍ، فإنه لا ينصرف .

و « شَعُوبٌ » اسمٌ للمنيَّة[٣]، وأما الصرفُ فوجهُهُ ـ والله أعلم ـ أنه يُرادُ به الموتُ، فيكون شَعُوب اسماً لمذكَّر، والموتُ مذكَّر، قال الله تعالى: ﴿قلْ إنَّ الموتَ الذي تَفِرُّونَ مِنهُ﴾[٤] ، وقال الشَّاعر[٥]:

مَتى يأْتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حاجَةً ... لنفْسِي إلاَّ قد قَضَيتُ قَضاءَها

وأنشد معاويةُ بنُ أبي سفيان عند الموت[٦]:

هوَ الموتُ لا منجَى مِنَ الموتِ والَّذِي ... أحَاذِرُ بعدَ الموتِ أَدْهَى وَأَفظَعُ

(١) لقد ترجم المؤلف بإسهاب، وسأكتفي بالعزو إلى المظان.

(٢) سقط من ب .

(٣) انظر التاج (شعب) ، وانظر معجم مقيدات ابن خليكان: ١٨٧ .

(٤) سورة الجمعة: الآية: ٨ .

(٥) من الطويل، وهو في ديوان قيس بن الخطيم: ٤٩ .

(٦) العقد الفريد ١٣٩/٣ . وفيه: « نحاذر » بدل « أحاذر » و « أنكى » بدل « أدهى » ، وانظر مروج الذهب ٦٢/٣ .

ونافعٌ هذا هو إمامُ أهلِ المدينة، والذي صاروا إلى قراءته، ورَجَعُوا إلى اختياره[1].

قال ابنُ أبي أُويس:[2] قال لي مالكٌ: قرأتُ على نافعٍ .

وقال الأصمعيُّ[3]: قال لي نافعٌ: أصلي من أصبهان .

ويُكنى أبا رُوَيم، وقيل: أبا الحسن، وقيل: أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا نُعيم.

وهو من الطبقة الثَّالثة بعد الصحابة، وكان محتَسِباً فيه دُعابةٌ، وكان أسودَ شديدَ السَّواد .

ورُوِيَ عنه أنه كان إذا تكلَّمَ تُوجدُ من فيه رائحةُ المسك، فقال له بعضُ أصحابه: أتتطيَّبُ كلما قعدتَ[4] تُقرئُ الناسَ ؟ فقال: ما أمسُّ طيباً، / ولكني رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام يقرأُ في فيَّ ، فمن ذلك الوقتِ توجدُ فيه هذه الرائحةُ. وفي بعض الروايات: « يتفُلُ » مكان « يقرأُ » . ٣٩/أ

وعن علي بن بشر أنه بلَغه أن رجلاً جاء إلى نافعٍ فقال: تأخُذُ عليَّ الحَدْرَ، فقال نافعٌ: الحدْرُ ما أعرفُهُ، أسمِعْنا، قال: فقرأ الرجُلُ، فقال نافعٌ: الحدْر؟!، وقال: حدْرُنَا أن لا نُسقِطَ الإعرابَ، ولا نُوهِنَ الحروفَ، ولا نُخفِّفَ مشَدَّداً، ولا نُشَدِّدَ مخففاً، ولا نَقصُرَ ممدوداً، ولا نَمُدَّ مقصوراً، قراءتُنَا قراءةُ أكابرِ

---

(١) الاختيار يكون داخل المروي المقروء به، قال ابن الجزري في النشر ٥٢/١: « إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد » .

(٢) انظر الإقناع ٥٥/١ .

(٣) الإقناع ٥٥/١، ومعرفة القراء الكبار ٩٠/١ .

(٤) في الأصل: « قعتَّ » .

أصحاب رسول الله ﷺ ، سهلٌ جزلٌ، لا نمضُغُ ولا نلوكُ، نَنْبرُ ولا ننتَهِرُ، نُسهِّلُ ولا نُشدِّدُ، / نقرأُ على أفصح اللغات وأمضاها، ولا نلتفتُ إلى أقاويل الشعراء وأصحاب اللغات، أصاغرُ عن أكابرَ، مَليٌّ عن وَفِيٍّ، ديننا دينُ العجائز، وقراءتنا قراءة المشايخ ، نسمعُ في القرآن ولا نستعملُ فيه بالرأي، ثم تلا نافعٌ: ﴿قلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يَأْتُوا بمثْلِ هذا القُرآنِ لا يأتُونَ بمثلِهِ وَلَو كَانَ بعضُهُم لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1]، ثم قال له الحِكْميُّ: ﴿تبشِّرُون﴾[2] و﴿تشاقُّون﴾[3] عمَّن أخذتَها ؟ فقال نافعٌ: عمَّن لم يتخلَّفْ عنكَ، ثم قال: ﴿أتحاجُّونِّي﴾[4] و﴿تأمرونِّي﴾[5] عمَّن أخذتَها ؟ فقال نافعٌ: عمَّن لم ترهُ، ثم قال الحِكْميُّ: ﴿هَلْ عَسَيتُمْ﴾[6] في الموضعَين عمَّن أخذتَها؟ فقال نافعٌ:عمَّن كان أفصحَ منك وأعلمَ.

وحدَّثَ محمَّد بن إسحاق[7] عن أبيه قال: لما حضَرَتْ نافعاً الوفاةُ قال له بنوهُ: أَوصِنَا، قال: ﴿اتَّقُوا الله وأصْلِحُوا ذاتَ بينِكُم وأطِيعُوا الله ورسُولَهُ إنْ كُنتُم مُؤمِنينَ﴾[8] .

وتُوفِّيَ نافعٌ بالمدينة سنة تسعٍ وستين ومائة، في خلافة الهادي، قاله إسحاق

(١) سورة الإسراء: ٨٨ .
(٢) سورة الحجر: ٥٤ .
(٣) سورة النحل: ٢٧ .
(٤) سورة الأنعام: ٨٠ .
(٥) سورة الزمر: ٦٤ .
(٦) سورة البقرة: ٢٤٦، وسورة محمَّد ﷺ : ٢٢ .
(٧) معرفة القراء الكبار ١/٩٣ .
(٨) سورة الأنفال: الآية: ١ .

المسيبيُّ[١] وغيرُه، وقيل غيرُ ذلك، والأوَّلُ أصحُّ .

وقال غيرُ واحد عن نافع، أنه قرأ على سبعين من التابعين سمَّى منهم خمسةً، وهم: أبو جعفر يزيدُ بنُ القعقاع[٢]، وأبو داود عبدُ الرحمن بنُ هُرْمُز الأعرجُ[٣]، وأبو رَوح يزيدُ بنُ رُومان[٤] مولى الزبيرِ بنِ العوام، وأبو عبد الله مسلمُ بنُ جُندُبٍ الهُذليُّ[٥] قاصُّ الجماعة بالمدينة، وشيبةُ بنُ نِصَاحٍ[٦] بنِ سَرجِس بنِ يعقوبَ مولى أم سلَمَةَ زوج النبي ﷺ ، ويقال: إن كنيَتَه أبو ميمونة .

قال أبو جعفر[٧]: وحُكي عن أبي يعقوب الأزرقِ زيادةُ تسميةِ سادسٍ وهو: صالحُ بنُ خَوَّات بنِ جُبير بنِ النُّعمَان الأنصاريُّ .

وقرأ هؤلاء على أبي هريرةَ، وابنِ عبَّاس، وعبدِ الله بن عياش بن أبي ربيعةَ، وقرأ هؤلاء الثلاثةُ على أبي الطُّفيلِ أُبيٍّ بنِ كعبٍ، وقرأ أبيٌّ على النبي ﷺ .

ورُوي عن أبيٍّ أنه قال: عرَضَ عليَّ النبيُّ ﷺ وقال : « أمرني جبريلُ أن أعرِضَ عليك القرآنَ[٨] » .

---

(١) انظر السَّبعة: ٦٣ .

(٢) الإمام أحد القراء العشرة، قرأ على أبي هريرة وابن عباس. توفي سنة ١٣٠ هـ. معرفة القراء الكبار ١/٥٨ .

(٣) المدني،قرأ على أبي هريرة عرضاً وابن عباس،توفي سنة ١١٧هـ.معرفة القراء الكبار ١/٦٣.

(٤) سمع من عروة بن الزبير، وقيل: روى عن أبي هريرة، توفي سنة: ١٣٢. معرفة القراء الكبار ٦٢/١ .

(٥) قرأ على عبد الله بن عياش، توفي بعد سنة ١١٠ هـ. معرفة القراء الكبار ٦٧/١ .

(٦) مولى أم سلمة،قرأ على عبد الله بن عياش، توفي سنة ١٣٩ هـ. معرفة القراء الكبار ٦٥/١.

(٧) الإقناع ١/٧٣-٧٤ .

(٨) انظر السَّبعة: ٥٥ .

وقوله: « فأما الكريمُ السرِّ (في الطِّيب » فالمرادُ به الإشارةُ إلى ما قلناه عن نافعٍ من طِيبِ رائحتِهِ إذا تكلَّمَ. و « نافعٌ » بدلٌ من « الكريم السرِّ »)، وفاءُ «فذلك» جوابُ ما في « أمَّا » من معنى الشرط، و « منزلاً » مفعولٌ بـ « اختار » على إسقاط الخافض، التقدير: اختارَ المدينة من المنازل، ثم حَذَف « من » ، وأوقع الواحدَ موقعَ الجمع، ومثله في حذف الخافض قولُه تعالى/: ﴿وَاختارَ موسَى قَومَه﴾[1] ؛ أي: اختار مِن قومه، وأنشَدَ سيبويهِ[2]: ٤٠/أ

مِنَّا الَّذي اختَيَرَ الرِّجَالَ سَماحَةً وجُوداً إذا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

أي: اختيَرَ من الرجال، ويجوزُ أن يكون « المدينة » و « منزلاً » مفعولَين بـ«اختار» دون تقدير حَذفِ حرفٍ على أن يُضمَّنَ اختارَ معنى جعَلَ، كأنه قال: جعلَ المدينةَ منزِلاً له؛ أي: صيَّرَها كذلك، ويَبعُدُ أن يكون المقدَّرُ معه حذْفَ الحرفِ المدينةَ،على أن يكون التقدير: اختار من المدينة منزلاً؛ لُبعدِ معناه، إلا أن يعني بالمنزل مسجدَ النبي ﷺ ؛ لأنه به كان إقراؤُهُ فيَظهَرُ ، ويجوزُ على هذا أن يكونَ «منزلاً» بدلاً من « المدينة » بدلَ بعضٍ من كلٍّ؛ أي: اختارَ من البلاد المدينةَ منزلاً منها، ويكونُ قد حذَفَ المفعولَ الذي يَصِلُ إليه الفعلُ بحرف الجر .

* * *

وقالونُ عِيسى ثمَّ عثمَانُ وَرْشُهُم بصُحبَتِه المَجْدَ الـرَّفِيعَ تأثَّلا

راويا نافع: قالونُ ووَرْشٌ، وهما اللذان وعدَ بهما في قوله: مع اثنين من

---

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٥٥ .

(٢) الكتاب ١/٣٩، وهو في ديوان الفرزدق: ٥١٦ .

أصحابه، ولكل واحد من الأئمة السَّبعة نقَلَةٌ غيرُ مَن ذُكِرَ[1]، ولكنَّ الإجماعَ الذي انعقدَ إنما كان على مَن ذُكِرَ .

فأما قالون[2]: فهو أبو موسى عيسى بنُ مِيناء، أو مينىً بنِ وَردانَ بنِ عيسى بنِ عبد الصمد بنِ عَمْرو بن عبد الله المدني، وجدُّهُ عبد الله سُبِيَ من الروم في أيام عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، وبيعَ في المدينة، فاشتراه بعضُ الأنصار ، فأعتقه، فهو مولىً للأنصار. ذكرَ هذا الأهوازيُّ[3]، وعن غيرِه أنه مولى الزُّهريِّين .

ويقال في اسم والد قالون: مِيناءٌ بالمد والصرف، ومينىً بالقصر والصرف، وهو مُشتَقٌّ من الوَنى[4] وهو الفُتُور .

فأصل الممدود: مِوْنَاي، بوزن مِفْعَال، فقُلِبَت الواوُ ياءً؛ لسكونها وانكسارِ ما قبلَها كمِيزَان، ثم قُلِبَت الياءُ المتطرفةُ الواقعةُ بعد ألفٍ زائدة همزةً .

وأصلُ المقصور:مِونَيٌ، قُلِبَت الواوُ ياءً،وقلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتحة.

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ[5]: وهو اسمٌ للموضع الذي تُرفأُ فيه السُّفُنُ؛ أي: تُرسَى .

قال أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ: ويُقالُ: إنَّ قالونَ كان ربيبَ نافِعٍ، وإنه هو الذي لقَّبَه به؛ لجودَةِ قراءتِهِ، لأنَّ قالونَ بلسان الرُّوم: جيِّد[6].

---

(١) انظر السَّبعة: ٦٣-٦٤ .

(٢) انظر الغاية لابن الجزري ١/٦٦، والإقناع ١/٥٨ .

(٣) انظر الإقناع ١/٥٨ .

(٤) انظر الصحاح (ونى) .

(٥) انظر التهذيب للأزهري (ونى) .

(٦) قال ابن الجزري في الغاية ١/٦١٥: « سألت الروم عن ذلك فقالوا: نعم » .

وذكَر عُمرُ بنُ شَبَّةَ عن مالكِ بنِ أنس، أن عبد الله بنَ عمرَ كانت له جاريةٌ روميةٌ، وكانت تقول له: أنت قالون؛ أي: رجلٌ صالحٌ .

وقال أبو عَمْرو[1]: قال ابنُ أبي حاتم: كان قالونُ أصمَّ يُقرئُ القرآنَ الناسَ، ويَفهمُ خطأهم ولحنَهم بالشفة، قال: وسمعتُ علي بن الحسن يقول: كان قالون يُقرأُ عليه القرآنُ، وكان ينظرُ إلى شفتَي القارئ، ويردُّ عليه اللحنَ والخطأَ، وقال: إني أفهمُ تحركَ الشفة .

قلتُ: ومن هذا المعنى ما كان يفعلُهُ الشَّيخُ الفاضلُ أبو زكريا يحيى، ابنُ / الشَّيخِ الفاضلِ الوَرِعِ الناسِكِ أبي عِمرانِ موسى الجنياريِّ[2]، وذلك أنه كان أصمَّ شديدَ الصَّمَم، وكان يُكتَبُ إليه في الهواء بالإصبع وغيرِها فيَفهَمُ المرادَ، وكانت زوجتُهُ إذا أرادت أن تحدثَهُ ليلاً، كَتَبَتْ له على جنبه بأُصْبُعِهَا، فيَفهَمُ مُرادَها ويُجيبها .

١٤/أ

وقيل: كان قالونُ يعلِّمُ العربية .

قال الأهوازيُّ[3]: وُلد سنة عشرين ومائةٍ، في أيام هشام بن عبد الملك .

وقرأ على نافعٍ سنة خمسين ومائة، ومات سنة خمس ومائتين، في أيام المأمون، وله خمسٌ وثمانون سنةً .

قال أبو عَمْرو[4]: حكى محمَّد بنُ الحسن النقَّاشُ، قيل لقالونَ: كم قرأتَ على نافع ؟ قال: ما لا أُحصِيه كثرةً، إلا أَني جالستُهُ بعد الفراغ عشرين سنةً.

---

(١) الغاية ١/٦١٦ .

(٢) لم أقف على ترجمته، مع كثرة تتبعي .

(٣) انظر الإقناع ١/٥٩، والغاية ١/٦١٦ .

(٤) انظر الغاية ١/٦١٦ .

وأما ورْشٌ[١] فهو: عثمانُ بنُ سعيد بنِ عَدي بن غَزْوان بنِ داودَ بنِ سابقٍ المصريُّ، مولى آل الزُّبير بنِ العوَّام، يُكنى أبا سعيد، وقيل: أبا عَمْرو، وقيل: أبا القاسم، وورْشٌ لقَبٌ له، قالوا: لشدة بياضه. ويقال: هو شيءٌ يكون في اللبن

والورْشُ: مصدرٌ لقولك: ورَشَ على الآكلين ورْشاً: دخلَ عليهم من غير إذنٍ[٢]، وورَشَ من الطعامِ ورشاً: تناول منه شيئاً .

قال أبو جعفر[٣]: ولعله كان يُكثِرُ هذه الكلمة فعُرِفَ بها .

قلتُ: وهكذا الأصلُ في الألقاب التي تَغلبُ وتصيرُ أشهرَ من الاسم، ألا ترى أن تأبَّط شراً اسمُه ثابتٌ[٤]، وإنما قيل: تأبط شراً على جهة اللقب، وأصلُ ذلك أنه جاء يوماً أُمَّهُ بجرابٍ قد ملأه حيَّاتٍ وأفاعيَ، فحلَّ الجرابَ، فخرَجَت الحياتُ والأفاعي، فخرجت أمُّهُ من البيت فارَّةً، وكان قد جاء بالجراب تحت إبطه، فقال لها نساءُ الحيِّ: ما تأبَّطَ ثابتٌ ؟ أي: ما جاء به تحت إبطه ؟ فقالت لهن: تأبطَ شراً، فنُسِيَ بذلك اسمُهُ، حتى صار ثابتٌ كأنه لم يكُن، وغلَبَ عليه تأبَّطَ شراً .

ووُلِدَ ورْشٌ بمصر سنة عشرٍ ومائة، وقرأ على نافع سنة خمسٍ وخمسين ومائة، رَوَى القراءة عنه عامةُ أهل بلده، منهم: أبو يعقوب الأزرقُ، وعبد الصمد بنُ عبد الرحمن، وأحمدُ بنُ صالح، وداودُ بنُ أبي طيبة، وغيرُهم[٥]، وقال

---

(١) الإقناع ١/٥٧ .
(٢) الصحاح (ورش) .
(٣) الإقناع ١/٥٧، والغاية ١/٥٠٢ .
(٤) انظر الأمالي لابن الشجري ٢/٢٨٨ .
(٥) معرفة القراء الكبار ١/١٢٦ .

أبو يعقوب الأزرقُ[1] عنه: إن ورشاً لما تعمَّقَ في النحو وأحكَمَه، اتخذَ لنفسه مَقْرَأً يُسمَّى مَقرَأَ ورشٍ، فلما جئتُ لأقرأ عليه قلتُ: يا أبا سعيد، إني أحبُّ أن تُقرئني مَقْرأ نافع، وتَدَعني مما استحسنْتَهُ لنفسك، فقلدتُهُ مَقْرَأَ نافع .

وعن محمَّد بن سلمة العثماني قال: قلتُ لأبي سلَمَةَ: أكان بينك وبين ورشٍ مودَّةٌ ؟

قال: نعم .

قال: كيف كان مقرأُ ورشٍ على نافع؟

قال: قال لي ورْشٌ[2]: خرجتُ من مصر إلى المدينة لأَقرَأ على نافع، فلما وصلتُ إلى المدينة، صرتُ إلى مسجد نافعٍ، فإذا هو لا تُطاقُ القراءةُ عليه من كثرة أبناء المهاجرين والأنصار، وإنما هو يُقرئُ ثلاثين، فجلستُ خلف الحلْقَةِ، فقلتُ لإنسان إلى جانبي: / مَن أكبَرُ الناس عند نافع؟ فقال لي: كبيرُ الجعفريين، ٤٢/أ قال: فقلت: كيف به؟ فقال: أنا أجيءُ معك إلى منزله، فقام الرجلُ معي حتى أتى منزلَ كبير الجعفريِّين، فَدَقَّ البابَ، فخرَجَ إلينا شيخٌ تامٌّ من الرجال، فقلتُ: أصلحَكَ الله، أنا رجلٌ من مصرَ، جئتُ لأقرأ على نافع، فلم أصِلْ إليه، وأُخبرْتُ أنك من أصدق الناس له، وأنا أريدُ أن تكون الوسيلةَ إليه، قال: فقال: نعَمْ وكرامةً، فأخذ طيلَسَانه، ومضى معنا إلى منزل نافع، وكان نافعٌ له كنيتان: كان يُكنى أبا رُوَيم، وأبا عبد الله، فبأيهما نودِيَ أجابَ، فقال له الجعفريُّ: إنَّ هذا وسيلتي إليك، جاء من مصرَ ليقرأ عليك، ليس معه تجارةٌ، ولا جاء للحج،

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/١٢٦ .

(٢) معرفة القراء الكبار ١/١٢٧-١٢٨ .

وإنما جاء للقراءة خاصةً، فقال نافعٌ لصديقه الجعفري: ترى ما أَلْقَى من أبناء المهاجرين والأنصار؟! قال: فقال صديقه: تَحْتالُ له! قال: فقال لي نافعٌ: أيمكنُكَ أن تبيت في المسجد؟ قال: قلتُ: نعَم، إنما أنا إنسانٌ غريبٌ، قال: فبِتْ في المسجد، فلما كان الفجرُ، تقاطرَ[1] الناسُ ثم قالوا: قد جاء[2] نافعٌ، فلما أن قعد قال: ما فعل الغريب؟ قال: قلتُ: ها أنا ذا يرحمُكَ الله، قال: أَبِتَّ في المسجد؟ قلتُ: نعَم، قال: فأنت أولى بالقراءة، قال: وكنتُ مع ذلك حسنَ الصوت مَدَّاداً به، قال: فاستفتَحْتُ، فَعَلاَ صوتي مسجدَ رسولِ الله ﷺ، فقرأتُ ثلاثين آيةً، فقال بيدِه: أن اسكُتْ، فسَكَتُّ، فقام إليه شابٌّ من الحلْقة فقال: يا مُعَلِّمُ: أعزكَ الله، نحن معك، وهذا رجلٌ غريبٌ، وإنما وصل[3] للقراءة عليك، وأنت تُقرئ ثلاثين آيةً، وأنا أحبُّ أعزك الله أن تجعلَ لي فيه نصيباً، وقد وهبْتُ له عشراً، وأقتصرُ أنا على عشرين، وكان ذلك الفتى ابنُ كبير المهاجرين، فقال: نعَم وكرامةً، ثم قال: اقرأ، فقرأتُ عشراً، ثمَّ أومأ إليَّ بيده أن اسكُتْ، فسَكَتُّ، فقام إليه فتىً آخرُ فقال: يا مُعَلِّمُ: أعزَّكَ الله، إني أحبُّ أن أهب لهذا الرجل الغريب عشراً، وأقتصر أنا على عشرين، فقد تفضل عليه ابنُ كبير المهاجرين، وأنت تعلم أني ابنُ كبير الأنصار، فأحببتُ أيضاً أن يكون لي أنا أيضاً مثل ما له من الثواب، فلما أن قرأتُ خمسين آيةً، حتى لم يبقَ أحدٌ ممن له قراءةٌ، قال لي: اقرأ، فأقرأني خمسين، فما زلتُ أقرأُ عليه خمسين في خمسين، حتى قرأتُ عليه

---

(١) في ب : « تناظر » .

(٢) في ب : « جاءنا » .

(٣) في معرفة القراء الكبار ١٢٨/١: « رحل » .

ختَمات قبل أن أخرجَ من المدينة .

وتوفي ورشٌ بمصر سنة سبعٍ وتسعين ومائةٍ في أيام المأمون، وله سبعٌ وثمانون سنةً[١] .

وارتفاعُ « قالون » في البيت بالابتداء، و « عيسى » بدلٌ منه، و « عثمان » معطوفٌ على المبتدأ، و « ورشٌ » بدلٌ منه، و « تأثلا » « المجد الرفيع » خبر عنهما، وتأثلا من قولك: تأثل المالَ إذا جمعه واتخذه لنفسه أثْلةً، ويقال: أثَلَ يأثِلُ أثولاً: إذا تأثل، وأثَّلَ الله مُلْكَه[٢]؛ أي: عظَّمه، وأثْلةُ كلِّ شيءٍ: أصله .

ولم يُصرَف « عثمان » للزيادتين والعلمية .

وأمَّا / « قالون » فاختَلَف فيه النحاةُ، فمنهم مَن يصرفُه وإن كان أعجمياً؛ ٤٣/أ لأنه لم يكُنْ في كلام العجم إلا جنساً، فصار كـ « لِجَام » ، ينصرفُ إذا سُمي به رجلٌ إجماعاً، لأنه لم يكن في لسان العجم عَلَماً، وما كان هكذا فلا يُمنَع الصرفَ عند العرب، ومنهم من لا يصرفُه ويُفرِّقُ بينه وبين لجام، بأن قالونَ وإن كان عند العجم جنساً، فإنَّ العرَبَ لم تتكلَّمْ به إلا علَماً، فصار لذلك كـإبراهيم الذي لم يتكلموا به إلا علَماً، كما هو عند العجم .

وأما لجام فنقَلَتْهُ العربُ جنساً على حدِّ ما تكلمَت به العجمُ، ثمَّ إن نُقِلَ بعد ذلك وسُمي به رجلٌ فلا تأثير له في منع الصرف .

وفي جمعِ الشاطبي بين اللقبِ والاسمِ المفردَين، وإتباعِ أحدِهما للآخَرِ

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/١٢٨ .

(٢) التاج (أثل) .

إشكالٌ، يتبيَّنُ بما نوردُه من تمهيدِ هذا الفصل، فنقولُ[١]:

إذا كان للمسمَّى لَقَبٌ، واسمٌ مفرَدٌ فجمَعْتَ بينهما، فإنك تضيفُ الاسمَ إلى اللقب فتقول: هذا سعيدُ قفَّةَ، (فيمَن سميتَه بسعيد، ولقَّبْتَه بقُفَّةَ، ولا تقولُ: هذا سعيدٌ قُفَّةٌ، أو هذا قفَّةُ سعيدٌ[٢])، فتُتبِعُ أحدَهما الآخرَ لاتتكلمُ العربُ به إلا مضافاً، أعني تضيفُ الاسمَ إلى اللقب، فلو كان الاسمان مضافَين، أو أحدُهما مضافاً والآخَرُ مفرَداً، لأتبَعْتَ أحدَهما الآخَر، فتقول: جاءني أبو عبد الله محمَّد، وجاءني محمَّد أبو عبد الله، وجاءني أبو بكرٍ أبو يحيى، وجاءني أبو يحيى أبو بكرٍ، فكان يجب على هذا أن يقولَ أبو القاسمِ الشَّاطبي: وعيسى قالونَ، وعثمانُ ورشٍ، علىالإضافة فيهما، على أنَّ إجراءَ ورشٍ على عثمانَ أشبهُ من إجراء عيسى على قالونَ؛ لأنه أضاف وَرْشاً إلى ضمير القرَّاء، فصار كأنه ليس بمفرَدْ، ويجوز أن يكون عيسى خبرَ مبتدأ محذوفٍ، وكذلك « ورشُهم » على جهة التبيين، كأنه لما قال: وقالون، قَدَّرَ قائلاً يقول: مَن قالون ؟ فقال: هو عيسى، وكذلك « ثم عثمان ورشُهُم » ويجوز أن يكون قولُه: « وقالونُ عيسى » مبتدأ

---

(١) قال الشاطبي في المقاصد الشافية ١/٢٦٢-٢٦٣: ويكون قول أبي القاسم:

وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم

يجب فيه إضافة عثمان إلى ورشهم بناء على ماقاله الناظم، فإن قلت: وكيف يكون هذا وورشٌ مضافاً ؟ فليسا إذاً بمفردَين - أعني الاسم واللقب - ؟

فالجواب: أن هذه مغالطة، إذ لم يلقب بالمضاف والمضاف إليه، فيجب الإتباع، وإنما إضافة ورشٍ هنا كإضافة زيد في قوله:

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم

فليس الاسم إلا زيداً، لا (زيدكم)، فكذلك اللقب هنا (ورش) لا (ورشهم) .

(٢) ما بين القوسين سقط من ب .

وخبراً، وكذلك « عثمانُ ورشُهم » ، والإعراب الأولُ أظهَـرُ؛ لأنـه لم يقصـد إلى هذا الإخبار، وإنما قصد أن يخبر بقراءتهما على نافع .

* * *

ومكّةُ عبدُ الله فيـهـا مُقَامُهُ هو ابنُ كثيرٍ كاثِرُ القومِ معتَلا

هذا أحد السَّبعة، وهـو **عبـد الله بـنُ كثـير**[1] بـن المطلِـب المكـيُّ الـداريُّ، والدارُ: بطنٌ من لخم، منهم تميمٌ الداريُّ صـاحبُ رسـول الله ﷺ ، وقيـل: إنما نُسِبَ إلى دارِين؛ لأنه كان عطاراً، ودارِين: موضعٌ بالبحرين يُجلَبُ منه الطيبُ، قال أبو جعفر[2]: هذا هو الصحيح. وقال البخـاري[3]: هـو مِـن بـني عبـد الـدار قُرَشيٌّ .

قلتُ: والنَّسَبُ إلى عبد الدَّارِ: دَاريٌّ، علـى القيـاس، وقولهـم فيـه: عَبـدَرِيٌّ شاذٌّ لا يُقاس عليه[4]، وقال الأصمعيُّ[5]: الداريُّ: هو الـذي لا يـبرَحُ ولا يطلـبُ معاشاً .

وهو مولى عَمْرو بنِ علقمةَ الكناني[6]، وهو من / أبناء فارسَ الذيـن بعثهـم كسرى بالسفن إلى اليمن حين طرَدَ الحبشةَ عنها . ٤٤/أ

---

(١) انظر تعليق ابن الجزري على رفع نسبه في الغاية ٤٤٣/١ .
(٢) الإقناع ٧٧/١ .
(٣) معرفة القراء الكبار ٧١/١، والبخاري في التاريخ الكبير ١٨١/٥ .
(٤) قال سيبويه في الكتاب ٣٧٦/٣: وليس هذا بالقياس .
(٥) انظر معرفة القراء الكبار ٧١/١ .
(٦) الإقناع ٧٧/١-٧٨ .

وكنيته أبو مَعْبد. قال الأهوازيُّ[١]: وقيل: أبو بكرٍ، وقيل: أبو عبَّادٍ .

وكان يَخضِبُ بالحنَّاء، وكان قاصَّ الجماعة بمكة، وهو من الطبقة الثانية من التابعين .

وفي كتاب أبي معشر الطبري[٢]: كان ابنُ كثيرٍ شيخاً كبيراً، أبيضَ الرأس[٣] واللحية، طويلاً جسيماً، أسمرَ أشهلَ العينَين، يُغيِّرُ شيبتَه بالحنَّاء أو بالصُّفرة، وكان حسنَ السكِينة .

وقال محمَّد بنُ الحسن[٤]: كان ابنُ كثير إماماً قارئاً خيِّراً فاضلاً ورِعاً، أقرأَ الناسَ في حياة مجاهدٍ وسعيدِ بنِ جبير، وكان في اختياره يتْبَعُ الأثَرَ، ويُؤثِرُ ذلك على القياس والنظرِ .

وقال فيه يحيى بنُ مَعين[٥]: هو ثقةٌ وإليه انتهت الإمامةُ بمكة في القراءة .

وحكى معروفٌ عن ابن كثير أنه قرأ ميكائِيلَ، فرأى في منامه أنْ قرَأَ ميكالَ، فلا أدري أقرأَهَا أم لا .

وقال شبلٌ: كان ابنُ محيصِنٍ وابنُ كثيرٍ يقرءان: ﴿وَأَنُ احْكُمْ﴾[٦]، و﴿أَنُ

---

(١) الإقناع ١/٧٨ ، وهذا الكلام لا يوجد في ب .

(٢) انظر الإقناع ١/٧٨ .

(٣) وفيات الأعيان ٣/٤١ .

(٤) هو أبو بكر النقاش، كان عالي السند في قراءة ابن كثير، مقرئ مفسر، قرأ عرضاً على أبي ربيعة، توفي سنة ٣٥١ هـ. الغاية ٢/٣١٩ .

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٢ .

(٦) سورة المائدة: ٤٩ .

اعبُدُوا اللهَ﴾[١]، و﴿قُلْ رَبُّ احْكُمْ﴾[٢]، و﴿رَبُّ أَنظِرْني﴾[٣]، ونحوه، فقال شبلٌ لهما: إن العربَ لا تفعل هذا ولا أصحابُ النحو، فقالا: إن النحـو لا يدخـلُ في هذا، هكذا سمعنا أئمتَنا ومَن مضَى من السلف .

وقال جريرُ بن حازم[٤]: رأيتُ عبدَ الله بنَ كثير فرأيتُه رجلاً فصيحاً .

وقال الأصمعيُّ[٥]: قلتُ لأبي عَمْرو: أقَـرَأتَ علـى ابـن كثير؟ قـال: نعَـم، ختمتُ على ابن كثير بعدما ختمتُ على مجاهد.

وكان ابنُ كثير أعلمَ بالعربية من مجاهد .

ووُلِدَ ابنُ كثير بمكة سنة خمس وأربعـين في أيـام معاويـة، ومـات بهـا سـنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، وله يومئذ خمسٌ وسبعون سنة .

وقال أبو جعفر[٦]: ما ذُكِرَ من تاريخ وفاته هـو كالإجمـاع مـن القـراء، ولا يصحُّ عندي؛ لأن عبدَ الله بن إدريس الأودي قرأ عليه، ومولدُ ابنِ إدريـسَ سـنة خمسَ عشرة ومائة، فكيف تصحُّ قراءتُهُ عليه لولا أن ابنَ كثير تجاوز سنة عشرين ومائة، وإنما الذي مات بها عبد الله بن كثير القرشي، وهـو آخَـرُ غـيرُ القـارئ، وأصلُ الغلط في هذا من أبي بكر بنِ مجاهد[٧] والله أعلم .

---

(١) سورة النحل: ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء: ١١٢ .

(٣) حيث وقعت .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٢ ، والغاية ١/٤٤٤ .

(٥) الغاية ١/٤٤٤-٤٤٥ .

(٦) الإقناع ١/٧٨-٧٩، والغاية ١/٤٤٤ .

(٧) انظر السَّبعة: ٦٦، وانظر تعليق ابن الجزري في الغاية ١/٤٤٣ .

وقرأ ابنُ كثير ـ فيما حكاه قُنْبُل والبَزِّي عنه ـ على: أبي الحجاج مجاهد ابن جبّر مولى قيس بن السائب، وقرأ مجاهدٌ على ابن عباس، وقرأ ابنُ عباس على أبيٍّ، وقرأ أبيٌّ على النبي ﷺ .

قال أبو جعفر[1]: ورَوَينا عن محمَّد بنِ إدريس الشَّافعي الفقيه، عن القُسْطِ، عن شبلٍ، عن ابن كثيرٍ أنه قرأ على عبد الله بن السَّائب بن أبي السَّائب صاحبِ النبي ﷺ ، وقارئِ أهل مكة، وقرأ عبدُ الله بنُ السائب على أبيٍّ بنِ كعب نفسِه، وجاء من طريق ابن فُلَيح وغيره أن ابنَ كثير قرأ أيضاً على دِربَاسٍ مولى ابن عباس، وقرأ درباسٌ على مولاه كالأوَّل، وقرأ ابنُ عباس أيضاً على عليٍّ بن أبي طالب وزيدِ بنِ ثابتٍ، وقرآ على النبي ﷺ .

وارتفاعُ قوله: « مكةُ » بالابتداء، و « عبدُ الله » مبتدأ ثان، و« مُقامُه » ثالثٌ، / و« فيها » خبره، والجملة[2]) خبرُ « عبد الله » ، والضميرُ العائد إليه هاءُ «مُقامه»، والجملةُ خبر « مكة » ، وضميرُه هاءُ « فيها »، و « مُقامه » يُراد بها هنا: إما المكان، وإما الإقامة، و « كاثِرُ القوم » هو من قولك: كاثَرَني الرجلُ فكثَرْتُهُ[3]؛ أي: فكنتُ أكثرَ منه. قال الشَّاعر[4]:

وَلَسْتُ بالأكثَرِ منهُم حَصىً وإنَّما العِزَّةُ للكَاثِرِ

ونحوه: خاصَمَني فخصَمْتُهُ، وفاخَرَني فَفَخَرْتُهُ؛ أي: غلبتُهُ في هذه الأشياء،

٤٥/أ

---

(١) الإقناع ١/٩١-٩٢ .

(٢) في ب: وفيها خبر .

(٣) قال سيبويه في الكتاب ٤/٦٨: باب دخول الزيادة في فعلت للمعاني: اعلم أنك إذا قلتَ: فاعلتُهُ، فقد كان من غيرك إليك مثلُ ما كان منكَ إليه حين قلتَ: فاعلتُهُ .

(٤) في ديوان الأعشى : ١٠٦ .

قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾[1] وهو من عازَّني فعزَزْتُهُ[2].

و « معتلىً » مفتَعَل من العلو، أصله: معتلَوٌ، فقُلبت واوُه ياءً؛ لأنها خامسةٌ بعد فتحة، ثم قُلبت الياءُ ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، ويُراد به هنا: الاعتلاءُ، كقوله تعالى: ﴿ومَزَّقْنَهُمْ كلَّ مُمَزَّق﴾[3] يراد به التمزيق .

ونصبه على التمييز؛ لأن الذي كاثَرَ به القومَ: الاعتلاءُ، فلمَّا نَسَبَ كاثِر إلى ابن كَثير، أتى بالمكاثر حقيقةً تمييزاً نحو: تفقَّأَ زيدٌ شحماً[4].

وإنما جَعَلَ ابنَ كثير أكثرَ القوم اعتلاءً لوجهَين:

أحدهما: أنه لزمَ مكة، وهي أفضلُ البقاع عند أكثر أهل العلم .

والثاني: أنه قرأ على عبد الله بن السائب صاحبِ النبي ﷺ ، (ويَرد على هذا أن ابنَ عامر أخذ عن أبي الدرداء صاحبِ النبي ﷺ [5])، ولكن في جمع أبي الدرداء القراءةَ في حياة النبي ﷺ اختلافٌ[6] .

* * *

روَى أحمدُ البزِّي لـهُ ومحمَّد   على سَنَدٍ وهوَ المُلَقَّبُ قُنبُلا

راويا ابن كثير: البزِّي وقُنبُل .

---

(١) سورة ص: ٢٣ .

(٢) انظر الكتاب ٤/٦٨ .

(٣) سورة سبأ: الآية: ١٩ ، وانظر التبيان ٢/١٠٦٧ .

(٤) تقدم .

(٥) ما بين القوسين سقط من ب .

(٦) انظر معرفة القراء الكبار ١/٣٩ حيث يرى الذهبي أن أبا الدرداء حفظ القرآن في حياة النبي ﷺ .

فأما البَزِّي فهو: أحمدُ بنُ محمَّد بنِ عبدِ الله بنِ القاسمِ بنِ نافع بنِ أبي بَـزَّةَ المؤذِّنُ، ويُكنى أبا الحسن، وكان مؤذِّنَ الحرم، قيل: هو مولًى لبني مخزوم .

قال أبو عَمْرو[1]: قال البزي: سمعتُ المؤمَّلَ بنَ إسماعيل يقول: القرآنُ كـلام الله، وليس بمخلوقٍ .

وقال ابنُ أبي بزَّةَ[2]: من قال مخلـوقٌ أو وقَـفَ، ومـن قـال: لفظـي بـالقرآن مخلوقٌ أو شيءٌ من هذا، فهو على غير دين الله عز وجلَّ وديـنِ رسـولِ الله ﷺ حتى يتوبَ .

وقال أحمدُ بنُ حنبل وقد سُئل عن القائلين: ألفاظنا بالقرآن مخلوقـة، فقـال: هذا شيءٌ من قول الجهميَّـةِ، مَـن زَعَـمَ هـذا، فقـد زعَـمَ أن جـبريلَ عليه السلام جـاء بمخلوقٍ، وأن النبيَّ عليه الصلاة والسلام تكلم بمخلوقٍ[3].

قال الأهوازيُّ[4]: توفي البزِّي سنة سبعين ومائتين، وله ثمانون سنة، قال أبـو جعفر[5]: وفيما قاله نَظرٌ، وما أظنُّ موتَه إلا أقدمَ مما ذَكَر، والله أعلم .

وقرأ البزِّي على عكرمةَ بنِ سليمان، وقال: قرأتُ على إسماعيلَ بنِ عبد الله القِسط وقال: قرأتُ (على شبل[6]) على ابن كثير .

وأما قُنْبُلٌ فهو: محمَّد بنُ عبد / الرحمن بنِ محمَّـد بـنِ خـالدِ بـنِ سـعيدِ بـنِ ٤٦/أ

(١) معرفة القراء الكبار ١/١٤٧ .

(٢) معرفة القراء الكبار ١/١٤٨ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ١١/٢٩٠ .

(٤) انظر الإقناع ١/٨٠، وقد ذكر الذهبي وابن الجزري وفاته سنة خمسين ومائتين .

(٥) الإقناع ١/٨٠ .

(٦) سقط من ب .

جُرجَةَ المكيُّ المخزوميُّ، كذا نسبَه ابنُ مجاهد[1].

وقال ابنُ عبد الرزاق[2]: مُخلِدُ بنُ خالد، مكان محمَّد، ويُكنَى أبا عُمر[3]، ويُلقَّبُ قُنْبُلاً، ويُقال: هم أهلُ بيت يُعرَفون بالقنابلَة .

توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين، وله ست وتسعون سنة، ذكره الأهوازيُّ.

وكان قد قطع الإقراء قبل أن يموت بعشر سنين، قاله أبو الطيب عن ابن عبد الرزاق[4].

وقرأ قُنْبُلٌ على أبي الحسن أحمدَ بنِ محمَّد بنِ عَون القوَّاس، ويُقال: النبَّال، وقال: قرأتُ على أبي الإخريط وهبِ بنِ واضح. قال: قرأتُ على إسماعيلَ بنِ عبد الله القُسْط قال: قرأتُ على شِبلِ بنِ عبَّاد ومعروفِ بنِ مِشْكان، وقالا: قرأنا على ابن كثير، وقد تقدم إسناد قراءة ابن كثير .

ويمكن أن يكون الناظمُ قدَّمَ البزِّيَ على قُنْبُلٍ في النظم للوزن، ويمكن أن يكونَ قدَّمَهُ لأنه أقربُ سنداً منه .

والهاءُ من « له » تعودُ على ابن كثير .

وأصلُ البَزِّي:البزِّيُّ، بياء مشددة فخفَّفَها بأن حُذِفَت الياءُ الساكنةُ إحدى ياءَي النسب، وأَجرَى الباقيةَ وهي المتحركةُ مُجرَى ياءِ القاضي؛ لأنها صارت مثلَهَا، أعني: أنها قبلَها كسرةٌ، وإنما عَدَّى « روى » باللام، وحقه أن يُعديه بعن

---

(١) انظر السَّبعة : ٩٢ .

(٢) انظر الإقناع ١/٨٩ .

(٣) في ب : « عَمْرو » .

(٤) انظر الإقناع ١/٨٠ ، ومعرفة القراء الكبار ١/١٨٧، والغاية ٢/١٦٦ .

فيقول: رَوَى عنه؛ لأنه أشرَبَ رَوَى معنى أوصَلَ، ويجوز أن يكون الضميرُ عائداً على ابن كثير، ويكون دخولُ اللام مثلَ دخولها في قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾[1] لأجل الضرورة، وقال الشَّاعر[2]:

فَلَمَّا أَنْ تَوَافينَا قليلاً أَنَخْنا للكَلاكِلِ فارتَمَينَا

التقدير: رَدِفَكُم، و« أنخنا الكلاكلَ » ، والضميرُ من قوله: « وهو » يعود على محمَّد .

و « قُنْبُلاً » مفعولٌ بعد إسقاط حرف الجر بالملقَّب، التقدير: وهو الملقَّبُ بقُنْبُلٍ .

وقوله: « على سندٍ » يريد ما قلناه في آخرِ قراءة البَزِّي وقُنبُلٍ على ابن كثير، وأنها بإسناد، وقد بيَّنّاه. ورواةُ السَّبعة فى هذا الاعتبار على ثلاثة أقسام:

قسمٌ رَوَى القراءةَ مباشرةً، وهم رُوَاةُ: نافعٍ وعاصمٍ والكسائيِّ، وقسمٌ رواها بإسناد وهم رُوَاةُ: ابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ، وقسمٌ رواها بواسطة وهم رُوَاةُ: أبي عَمْرو وحمزةَ .

* * *

وأمَّا الإمـــامُ المـازنيُّ صريحُهُم أبو عَمْرو البصري فوالِدُهُ العَلا

هذا الثَّالث من السَّبعة، وهو **أبو عَمْرو بنِ العلاءِ** بنِ عمارِ بنِ العريانِ بنِ عبدِ الله بن الحصينِ بنِ الحارثِ بنِ جُلهُمِ بنِ خُزَاعِي بنِ مازنِ بنِ مالكِ بنِ

(١) سورة النمل: ٧٢ .

(٢) من الوافر، وهو في المقرب ١/١١٥، والرصف: ١٩٧، ٢٩٧ من غير نسبة، ويروى: (تواقفنا) بدل (توافينا) .

عَمْرو بنِ تميمٍ. واسمُ العُريانِ بنِ عبدِ الله بنِ الحُصَين: عَمْرو، والعُريانُ لَقبٌ، قاله أبو عُبيدة .

واختُلفَ في اسم أبي عَمْرو / فقيل: زَبَّان، وقيل: العُريان، وقيل: يحيى، ٤٧/أ وقيل: عُيينة، وقيل: سفيان، وقيل: محمَّد، وقيل: جَبْر، وقيل: فائِد، وقيل: حُميد، وقيل: حمَّاد، وقيل: عثمان، وقيل: محبوب، وقيل: جَزْء، وقيل: رَبَّان بالراء المهملة والباء الموحدة، وقيل عمَّار، وقيل: اسمُه كنيتُهُ[١].

وكان أبو عَمْرو أعلمَ الناس بالغريب والعربية والقرآن والشعر، وبأيام العرب وأيام الناس، وتتبَّعَ حروفَ القرآن تتبعاً استحقَّ به الإمامةَ، وشهدَ له بها أئمةُ وقته، كأبي بِسطامٍ شعبةَ بنِ الحجاج .

وحدَّثَ أحمدُ بنُ موسى[٢]، قال: سمعتُ أبا عَمْرو يقول: ما قرأتُ حرفاً من القرآن إلا بسماعٍ واجتماعٍ من الفقهاء، وما قلتُ برأيٍ إلا حرفاً واحداً، فوجدتُ الناسَ قد سبقوني إليه ﴿وأُملِيَ لَهُمْ﴾[٣] .

وحكى أبو حاتمٍ عن أبي عُبيدٍ[٤] قال: قال أبو عَمْرو: وأنا زدتُ هذا البيتَ في أول قصيدة الأعشى، وأستغفر الله منه:

وأَنكَرَتْني ومَّا كانَ الذي نَكِرَتْ مِنَ الحوادثِ إلا الشَّيبَ والصَّلَعَا[٥]

---

(١) انظر الإقناع ٩٢/١ ، ومعرفة القراء الكبار ٨٣/١ حيث أنكر الذهبي على ابن الباذش تسميته بـ « ربان » بالراء المهملة، والباء بواحدة، وانظر المبهج لسبط الخياط ١١٥/١ .

(٢) هو أحمد بن موسى اللؤلؤي، تلميذ أبي عَمْرو . انظر الغاية ٢٨٩/١ .

(٣) سورة الأعراف: الآية: ١٨٣ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ٨٧/١ .

(٥) معرفة القراء الكبار ٨٧/١ .

قلتُ: وقصيدةُ الأعشى هي قوله منها[1]:

بانَت سُعَادُ وأمسَى حبلُهَا انقطَعَا
واحتلَّتِ الغَمْرَ فالجُدَّين فالفَرَعَا

قَد يَترُكُ الدَّهرُ في خَلْقَاءَ راسيةٍ
وَهيًا ويُنزِلُ منها الأعصَمَ الصَّدَعَا

بَانَتْ وقد أسْأَرَتْ في النفسِ حاجَتَهَا
بعدَ ائتلافٍ وخيرُ الوُدِّ ما نَفَعَا

قال أبو علي البغداديُّ[2]: وأخبرني ابنُ دُريدٍ أنه أنشدَ بشَّاراً هذا البيتَ يعني قولَه:

وأنكَرَتْني ... ...

وهو لم يسمعْه، وقيل له: إنه للأعشى ، فقال: ليس هذا من كلامه، فقلت: يا سيدي، ولا عرف القصيدة، ثم قال: أعمى شيطان .

وحدث ابنُ أخي الأصمعي عن عمِّهِ[3]، قال: كنتُ إذا سمعتُ أبا عَمْرو يتكلَّمُ ظننتُ أنه لا يُحسِنُ شيئاً، ولا يَلحَنُ، يتكلمُ كلاماً سهلاً .

وأخبر اليزيديُّ[4] قال: كان أبو عَمْرو قد عرف القراءات، فقرأ من كل قراءة بأحسنها، وبما تختار العربُ، وبما بلغه من لغة النبي ﷺ ، وجاء تصديقُه في كتاب الله عز وجل .

---

(١) في ديوان الأعشى: ١٠٤، والأبيات من البسيط .

(٢) النوادر ٣/١٩٨ .

(٣) انظر كتاب السَّبعة: ٨٣ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/٨٤ .

وأخبر محمَّد بن بشيرٍ[١] قال: حدثَنَا سفيانُ بنُ عُيينة قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام فقلتُ: يا رسولَ الله، قد اختلفَتْ عليَّ القراءاتُ، فبقراءة مَن تأمرني أن أقرأ؟ فقال: اقرأ بقراءة أبي عَمْرو بنِ العلاء .

وأبو عَمْرو من الطَّبقة الثَّالثة بعد الصَّحابة، حُكي عنه أنه قال: كُنتُ رَأساً والحسَنُ حيٌّ[٢].

قال الأصمعيُّ[٣]: مات سنة أربعٍ وخمسين ومائةٍ، وقيل: سنة سبعٍ وخمسين، وقيل غيرُ ذلك[٤]. ولم يُختلَف أنه مات بالكوفة، قيل: وله ست وثمانون سنة. وكان موتُه قبل موت أبي جعفرٍ المنصورِ بسنتين .

قيل: وكان وَلَدُ العَلاء أربعةُ نفرٍ منهم: أبو سفيانَ واسمُه سُنسُنُ بنُ العلاء، (ومعاذُ بنُ العلاء، وأبو حفص عُمَرُ بنُ العلاء، وأبو عَمْرو زَبَّانُ بنُ العلاء[٥])، وكان آخرَهم موتاً .

وممَّن رَوَى القراءةَ عن أبي عَمْرو بنِ العلاء بَنُونَ له ثلاثةٌ: أبو زيدٍ بشرٌ ومعاويةُ وعَمْرو / ، وروى عنه يونسُ بنُ حبيبَ، وغيرُهم خلقٌ كثيرٌ من أهل البصرة والكوفة وخراسان . ٤٨/أ

وقال وكيعٌ: قدِمَ أبو عَمْرو بنُ العلاء الكوفةَ، فاجتمعوا إليه كما اجتمعوا على هشامِ بنِ عروةَ .

---

(١) انظر السَّبعة: ٨١ .
(٢) انظر الإقناع ١/٩٣ .
(٣) انظر السَّبعة: ٨٣، والإقناع ١/٩٤، ومعرفة القراء الكبار ١/٨٣، وغاية النهاية ١/٢٩٢ .
(٤) معرفة القراء الكبار ١/٨٧ .
(٥) ما بين القوسين سقط من ب .

وحكى الأصمعيُّ[١] قال: كان لأبي عَمْرو من غلّته كلَّ يوم فَلسَان، يشتري بفَلسٍ رَيحاناً، وكُوزاً جديداً بفَلسٍ، فيشرَبُ فيه يومَه، فإذا أمسى تصدَّقَ به، وشمَّ الريحانَ يومَه، فإذا أمسى قال للجارية: جفِّفِيهِ ودقِّيهِ في الأشنان .

وقرأ أبو عَمْرو على جماعة: فمن أهل مكة أبو الحجاج مجاهدُ بنُ جبر، وأبو عبد الله سعيدُ بنُ جُبير، وأبو خالد عكرمةُ بنُ خالد القرشي، وأخوه الحارثُ بنُ خالد الشّاعر أميرُ مكة، وأبو محمَّد عطاءُ بنُ أبي رباح، وأبو معبد عبدُ الله بنُ كثير، وأبو عبد الله محمَّد بنُ مُحَيصن، ، وأبو صفوان حُمَيدُ بنُ قيس الأعرجُ .

ومن أهل المدينة: أبو جعفر يزيدُ بنُ القعقاع، وأبو رَوْحٍ يزيدُ بنُ رُومَان، وأبو ميمونة شيبةُ بن نِصاح، .

ومن أهل البصرة: أبو سعيد الحسنُ بنُ أبي الحسن، وأبو سعيد وقيل: أبو سليمان يحيى بن يَعمَر، وغيرُهما .

وقد تقدم اتصالُ قراءة المكيِّين والمدنيِّين؛ لأن عطاءً وعكرمةَ وأخاه وسعيداً قرأوا على ابنِ عباس، وابنُ محيصن وحُمَيدٌ قرآ على مجاهد، وأما الحسنُ فأخذ عن حَطَّانِ بنِ عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ ، وأما يحيى بن يَعمَر فعن أبي الأسود الدؤلي، عن علي، عن النبي ﷺ .

قال أبو عَمْرو[٢] فيما حكاه عنه الأصمعيُّ: نظرتُ في هذا العلم قبل أن أُختَنَ، وهو يومئذ ابنُ أربع وثمانين سنة. وقال أبو عَمْرو بنُ العلاء: ناظرْتُ

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/٨٦ .

(٢) السَّبعة: ٨٣ .

عَمْرو بن عُبيدٍ في الوعيد فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يُوعِد شيئاً فيُخلفه، فقلتُ له: يا أبا عثمان: ليس لك علمٌ باللغة، إن خُلفَ الوعيد عند العرب ليس بخُلفٍ، ثم أنشدته[1]:

وإنِّي وإنْ أَوْعَدْتُهُ أو وعَدْتُهُ لَيَكْذِبُ إيعادي ويصدُقُ مَوعِدي

وقال الأصمعيُّ: كُنّا عند أبي عَمْرو بنِ العلاء، فجاءه عَمْرو بن عُبيد فقال: يا أبا عَمْرو: هل يُخلِفُ الله الميعادَ ؟ قال: لا، قال: أرأيتَ إذا وَعدَكَ على عَمَلٍ ثواباً، أفينجزُهُ؟ قال: نعم، قال: فكذلك إذا أوعَدَ على عَملٍ عذاباً، قال: فقال أبو عَمْرو: إنَّ الوعدَ غيرُ الوعيد، إنَّ العربَ لا تَعُدُّ خُلْفاً أن توعِدَ شراً ولا تفي به، وإنما الخُلفُ أن تعِدَ خيراً فلا تفي به، ثم أنشد[2]:

ولا يَرهَبُ ابنُ العمِّ والجارُ صولتي

ولا أنثني من خشيَةِ المتهدِّدِ

وإنِّي وإن أَوعَدتُهُ أو وَعَدتُهُ

لأخلِفُ إيعادِي وأنجِزُ مَوعِدِي

وقوله: « صريحهم » بمعنى صريحٌ فيهم؛ أي: صريحُ النسب لم يجرِ عليه ولاءٌ لأحد، هذا هو الأشهر / في نسبه، وسنبينُ ما في ذلك بعدُ إن شاء الله تعالى . ٤٩/أ

وارتفاعُ « الإمام » بالابتداء، و « المازنيُّ » صفتُه، نسبةً إلى جده، و « صريحُهُم » بدلٌ أو عطفُ بيان، ولا يجوز أن يكون نعتاً؛ لأنه أعرفُ من المنعوت، و « أبو عَمْرو » بدلٌ من « صريحهم » ، والجملةُ من قوله: « فوالده العَلا » خبرُ المبتدأ،

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/٨٥-٨٦ .

(٢) المصدر السابق ١/٨٦ ، والبيتان لعامر بن الطفيل في ديوانه: ٥٨ .

والفاءُ جوابٌ لـ « أما » لما فيها من معنى الشرط، وأصلُ العَلا: المد، وقصرَهُ ضرورةً .

* * *

أفاضَ على يحيى اليزيديِّ سَيبَهُ   فأصبحَ بالعذْبِ الفُراتِ معَلَّلا

ذكر هنا ما لم يعِدْ به، إنما قال:

وسوفَ تَرَاهم واحداً بعدَ واحِدِ

البيت، ولم يلتزمْ أن يذكرَ زائداً على ذلك، ولكنه ذكَرَ غيرَ ما وعد به؛ لأنه من تمام ما وعد به. والمذكورُ في هذا البيت مَن نقَلَ القراءةَ عن أبي عَمْرو إلى رَاوِيَيْهِ الدُّورِي والسُّوسي. وهو:

أبو محمَّد يحيى بنُ المباركِ[1] بنِ المغيرةَ العَدَوي، والمغيرةُ كان مولىً لامرأة من بني عَدي، وإنما قيل له: اليزيديُّ من أجل تأديبه ولدَ يزيدَ بنِ منصورِ بن عبد الله بنِ يزيدَ الحميريِّ، خالِ المهدي، وقال اليزيديُّ: قال لي المأمونُ: يا أبا محمَّد: كيف نُسبْتَ إلى يزيدَ فما تُعرفُ إلا باليزيدي؟ فقلت: يا سيِّدِي نكِرَةٌ نُسِبْتُ إليها فصارت معرفتي، قال: فتبسَّمَ المأمونُ .

وقال ابنُ المنادَى[2]: أكثرتُ السؤالَ عن اليزيدي ومحلِّهِ من الصدق، ومنزلتِهِ من الثقة لعدَّةٍ من شيوخنا بعضُهُم أهلُ عربيةٍ، وبعضُهُم أهلُ قرآنٍ وحديثٍ، فقالوا: ثقةٌ صدوقٌ، وقد رَوَى عنه الغريبَ أبو عُبيدٍ وكفى به، وما ذاك إلا عن

(١) الإقناع ١/٩٥، والغاية ٢/٣٧٦-٣٧٧، وانظر المبهج /١٠٥، ١٠٦ .

(٢) أبو الحسن أحمد بن جعفر، الإمام المشهور، حافظ ثقة، محقق ضابط، قرأ على اليزيدي وغيره. وعليه أحمد بن نصر الشذائي، وعبد الواحد بن أبي هاشم. توفي سنة ٣٣٦ هـ. الغاية ١/٤٤ .

معرفته به[١] .

ولليزيديِّ شِعرٌ أوصى عند موته ألا يخرجَ منه شيءٌ إلا ما فيه موعظةٌ، وكان المباركُ أبوه صديقَ أبي عَمْرو بن العلاء، فخرج المباركُ إلى مكة، وذهب أبو عَمْرو يشيِّعُهُ، فأوصاه بولده يحيى وهو معه يشيعه، فلم يسرْ يحيى إلى أبي عَمْرو مدة مغيب أبيه. فلما قدِمَ استقبَلَه أبو عَمْرو، وخرج يحيى للقائه، فقال له: يا أبا عَمْرو، كيف رِضَاكَ عن يحيى؟ فقال: ما رأيتُهُ منذ فارقتُك إلى هذا الوقت، فحلَفَ المباركُ ألاَّ يَدخُلَ البيتَ حتى يقرأَ يحيى على أبي عَمْرو القرآن كلَّه قائماً، فقعد أبو عَمْرو، وقام يحيى يقرأ عليه، فلم يجلس حتى أكمَلَ القرآنَ على أبي عَمْرو .

وأخبر عُبيد الله بنُ محمَّد عن أخيه[٢] عن يحيى بن المبارك، قال: أحسب أنه كانت اليمين بالطلاق .

وقال أحمد بن أبي علي النحوي[٣]: كان اليزيديُّ يؤدِّبُ المأمون، وخرج معه إلى خراسان، وتوفي بها، وهو القائلُ للمأمون معتذراً:

أَنَا المذنِبُ الخطَّاءُ والعَفْوُ وَاسِعٌ
وَلَو لم يَكُنْ ذَنْبٌ لَمَا عُرِفَ العَفْوُ

/سَكِرْتُ فَأَبدَتْ مني الكَاسُ بَعْضَ مَا ٥٠/أ
كَرِهْتُ وَمَا إنْ يَسْتَوِي السُّكْرُ والصَّحْوُ

(١) الغاية ٢/٣٧٦ .
(٢) الغاية ٢/٣٧٧ .
(٣) انظر الغاية ٢/٣٧٦-٣٧٧ .

ولاسِـيَّمَا إذْ كُنْتُ عِندَ خَلِيفَةٍ
وفي مجلِسٍ مَـا إنْ يجُـوزُ بِهِ اللَّـغْـوُ
تَنَصَّـلتُ مِـن ذَنْبي تَـنَـصُّلَ ضَارِعٍ
إلى مَـن لَديهِ يُغفَرُ العَمْـدُ وَالسَّهْـوُ
فَـإنْ تَعْفُ عَنِي أُلْفِ خَطْـوِيَ وَاسِعاً
وَإنْ لم يَكُنْ عَفْوٌ فَقَد قَصُـرَ الخَطْـوُ

وتوفي يحيى بالبصرة، ودفن بها سنة اثنتين ومائتين في أيام المأمون، وقد قارب المائة، وقيل: توفي بخراسان[1] .

والسَّيْبُ: العطاءُ، وهو هنا يُرادُ به العِلم. وفي الحديث[2]: « وفي السُّيُوب الخُمُس » . والمراد: الرِّكاز[3]؛ لأنه من عطاء الله سبحانه. ويُقال: سابت الدابة سَيباً: ذهبت حيث شاءت، والفراتُ: الماء الشديدُ العذوبة. والشُّربُ الأول يُسمى النَّهَل[4]، وما بعده: العَلَل[5]، والمعلل الذي سُقى مرة بعد مرة، وهو أبلغ في الرِّيِّ، والضمير في « أفاض » يعود على أبي عَمْرو، وكذلك هاء « سيبه » . والضمير (في « أصبح » [6]) يعود على يحيى اليزيدي .

---

(١) الإقناع ١/٩٥-٩٦، والغاية ٢/٣٧٧ ، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠-٦٣ .

(٢) من كتاب النبي ﷺ لوائل بن حُجر، وانظر باب زكاة الركاز في الموطأ ١/٢٥٦ .

(٣) قاله أبو عبيد. انظر التاج (سيب) .

(٤) من باب طرِبَ .

(٥) يقال: علَلٌ بعد نهَل، وعلّه: سقاه السَّقيةَ الثانية. (الصحاح علل) .

(٦) ما بين القوسين سقط من ب .

أبُو عمَرَ الدوري وصالِحُهُم أبو   شُعَيبٍ هو السُّوسيُّ عنه تقَبَّلا

راويا أبي عَمْرو: الدوريُّ والسوسيُّ .

فأما الدوريُّ فهو: أبو عمر حفص بن عمر بنِ عبد العزيز بن صُهبانَ الأزدي النحوي، نُسب إلى الدُّور موضعٌ ببغداد[١]، وسُئل عنه أبو حاتم الرازيُّ فقال: صدوقٌ[٢].

وتُوفي فيما نُقل عن أبي عليٍّ الصوَّاف[٣] سنة ست وأربعين ومائتين[٤].

وقال أبو عَمْرو الداني[٥]: في حدود خمسين ومائتين .

وأما السُّوسيُّ فهو: أبو شُعيبٍ صالحُ بنُ زياد بنِ عبد الله بنِ إسماعيل بنِ إبراهيم بنِ الجارود بنِ مِسرح الرُّستُبي السوسي، تُوفي سنة إحدى وستين ومائتين، ذكرَه عبدُ الله بنُ محمَّد بنِ أبي دُليم[٦]، روى القراءةَ الدوريُّ والسوسيُّ المذكوران عن يحيى اليزيديِّ المذكورِ في البيت قبله، وهما آخِرُ[٧] مَن أَخَذَ عنه، والذين أخذوا عنه جماعةٌ منهم[٨]:

---

(١) الإقناع ٩٤/١ .

(٢) الجرح والتعديل للرازي ١٨٣/٣-١٨٤ .

(٣) الحسن بن الحسين أبو علي البغدادي، شيخ متصدر، ماهر قرأ على أبي حمدون الطيب، وأبي عمر الدوري، ولم يختم عليه، وعليه أبو بكر النقاش، وخلق، توفي سنة ٣٢٠ هـ. الغاية ٢١٠/١-٢١١ .

(٤) الإقناع ٩٤/١ ، ومعرفة القراء ٥٨/١ .

(٥) الغاية ٣٧٥/٢-٣٧٦ .

(٦) الإقناع ٩٥/١، والغاية ٣٣١/١-٣٣٢، ومعرفة القراء الكبار ١٥٩/١-١٦٠ .

(٧) في ب : « أخذ » .

(٨) الغاية ٣٧٥/٢-٣٧٦ .

أولادُه: عبدُ الله وإبراهيمُ وإسماعيلُ، وأبو عُمَرَ الدوريُّ، وأبو شُعيبٍ السوسيُّ، وعامرٌ المَوصلي، وأبو خلادٍ المؤدِّبُ، وابنُ سَعدانَ، وأبو حمدونَ، وجماعةٌ غيرُهم . والمختارُ من هؤلاء: الدوريُّ والسوسيُّ .

قال أبو عَمْرو[1]: قال ابنُ شَنَبُوذَ عن موسى بن جُمهور عن أبي شُعيب، أنه حدَّثه أنه إنما قرأ على اليزيدي وهو صبيٌّ إلى سورة الأنفال، وقرأ من الأنفال إلى خاتمة القرآن على أبي سليمانَ الخِرَقيِّ. وخالَفَه في حكايته هذه مَن يوثَق بعدَالته، فقرأتُ على فارسِ بنِ أحمدَ القرآنَ كلَّه، وقال: قرأتُ على عبد الباقي بنِ الحسنَ القرآنَ كلَّه. قال: وأخبرني أنه قرأ القرآنَ كلَّه / على أبي بكرٍ محمَّد بنِ عليٍّ بنِ الجُلَندى. قال: وقال لي: قرأتُ القرآنَ كلَّه على أبي بكرِ بنِ محمَّد بنِ إسماعيلَ القرشيِّ. قال: وأخبرني أنه قرأ القرآنَ كلَّه على أبي شعيبٍ صالحِ بنِ زيادٍ بالرقَّة، قال: وأخبرني أنه قرأ القرآنَ كلَّه على أبي محمَّد يحيى بنِ المبارك اليزيدي . ٥١/أ

وهاء « عنه » تعود على اليزيدي، وألف « تقبلا » تثنية تعود على الدوري والسوسي .

* * *

وأمَّا دِمَشقُ الشَّامِ دارُ ابنِ عَامِرٍ فتلكَ بِعَبدِ الله طابَتْ مُحَلَّلا

هذا الرابعُ من السَّبعة وهو: **عبدُ الله بن عامرٍ**[2] **اليَحصُبيُّ**، قاضي دمشقَ في أيام الوليد بنِ عبد الملك، وإمامُ مسجدها، ورئيسُ أهلها، يُكنَى: أبا عمران،

---

(١) انظر جامع البيان للداني، الفقرة ٧٧٤، السفر الأول صفحة: ٢٧٠ . وانظر الغاية ٣٣٣/١.
(٢) الإقناع ١٠٣/١-١٠٥ .

كذا كنّاه مُسلِم، وقيل: كنيتُهُ أبو نُعيم، وقيل: أبو عُليم، وقيل: أبو عثمان، وقيل: أبو موسى، وقيل: أبو عبد الله .

ويحصُبُ من حِمْيَر، وهو : يحصُب - بالصاد غير معجَمَة وتُكسَر وتُضَمُّ، ابن دُهمان بنِ مالك بنِ سعدان بن عدي بن مالك بن زيد بنِ سَدَد بنِ زُرعة وهو حِمْيَر الأصغر، بنِ سَبَأ الأصغر بنِ كعب كهف الظُّلم بنِ سهل بنِ زيد الجَمَهْوَر - بزنَةِ السَّمَوْأَل - بنِ عَمْرو بنِ قيس بنِ معاويةَ بنِ جُشَمٍ - العظمَى مِن جميع العرب -، بنِ عبد شمسِ بنِ وائل بنِ الغوث بنِ جَيدان - بالجيم - بنِ قطَن بنِ عَريب بنِ زهير بنِ أيمن بنِ الهمَيْسَع بنِ حِمْيَر. هكذا صحة نسب يحصُبَ[1].

وعبد الله بن عامر من التّابعين، سمع أبا الدرداء، وفُضَالَةَ بنَ عُبيد، وواثلة بنَ الأسقع، ومعاويةَ بنَ أبي سفيان وغيرَهم .

وكان رجلاً طُوالاً طويل اللحية، خفيف العارض، يخنَعُ[2] بإحدى رجلَيه، ذكره بعضهم[3].

وحكى أبو عَمْرو[4] أنه وليَ القضاءَ بعد بلالِ بنِ أبي الدرداء[5]، ثم كان على مسجد دمشقَ لا يرى فيه بدعةً إلا غيَّرها، وكان رئيسَ أهل المسجد[6]،

---

(١) انظر جمهرة أنساب العرب ٣٢٣-٣٢٧ ، والإقناع ١/١٠٤ .

(٢) لعلها يخمع بالميم. انظر التاج (خمع، خنع) .

(٣) الإقناع ١/١٠٤-١٠٥ .

(٤) انظر جامع البيان ، السفر الأول ص: ١٣٠، الفقرة ٢٥١، وانظر معرفة القراء الكبار ١/١٦٨، والغاية ١/١٢٥ .

(٥) إنما ولي القضاء بعد أبي إدريس الخولاني. معرفة القراء الكبار ١/٦٨، والغاية ١/٤٢٥ .

(٦) معرفة القراء الكبار ١/٦٨، والغاية ١/٤٢٥ .

وكان عالماً خيِّراً فاضلاً صدوقاً، اتخذه أهلُ الشام إماماً في قراءته واختيارِه، ولم يَعْدُ في اختياره الأثرَ، ولا خالف فيه النَّقلَ والخبرَ.

وقال أبو عُبيد[1]: كان من أقرأ أهل الشام عبد الله بن عامر، وهو إمام أهل دمشق في دهره، وإليه صَارَتْ قراءتُهُم.

وأخبر سعيدُ بنُ عبد العزيز: أنَّ عبدَ الله بنَ عامرٍ ضَرَبَ خالدَ بنَ الجُلاَحِ والعَلاءَ بنَ الزبير حين ارتفعت أصواتُهما في العِلم في المسجد.

قال ابنُ ذَكْوَانَ وهشامٌ: قال أيوب بنُ تميم[2]: قرأ ابنُ عامر على رجل قرأ على عثمانَ بنِ عفَّان، وقرأ عثمانُ على النبي ﷺ.

وذكر هشامٌ عن عِراك وعن سُويد هذا الرجل فقال عنهما: إنه المغيرةُ بنُ أبي شهاب المخزوميُّ، وقرأ المغيرةُ على عثمانَ.

قال هشامٌ: وحدَّثنا الوليدُ بنُ مُسلِمٍ، عن يحيى بنِ الحارث، عن ابنِ عامرٍ: أنه قرأ على عثمانَ نفسِه، ليس بينه وبينه أحدٌ.

قال هشامٌ: وحديثُ عِراك /، عندنا أصحُّ. ٥٢/أ

قال أبو جعفر: والوليد بن مسلم ثبتٌ، وقد روى هشامٌ عن مدرك بن أبي سعيد الفَزَاريِّ، عن ابنِ عامر أنه سمع عثمانَ يقولُ: ﴿إلاَّ مَن اغترَفَ غُرفَةً بِيَدِهِ﴾[3] بضم الغين[4]، على أنه قد رَوَى غيرُ هشام عن الوليد بنِ مسلم عن

---

(١) انظر جامع البيان، السفر الأول: ١٣٠، الفقرة ٢٥٤ بسندها.

(٢) في الإقناع: «قال يحيى بن الحارث الذماري» ١١٣/١، وانظر الهامش رقم (٢).

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٤٩.

(٤) يقرؤها بضم الغين الكوفيون والشامي، قال الشاطبي:

غرفة ضَمَّ (ذ) ووِلا

=

يحيى بن الحارث أنَّ ابنَ عامر قرأ على المغيرة، والمغيرةُ على عثمانَ .

والصحيحُ عن الوليد: أنَّ ابنَ عامرٍ قرأ على عثمانَ نفسِهِ .

وقال محمَّد بن شُعيب عن يحيى بنِ الحارث عنِ ابنِ عامر أنه قرأَ على أبي الدرداء صاحبِ النبي ﷺ (واسمه عُويمرُ بنُ عامرٍ الأنصاريُّ، وأخذ أبو الدرداء عن النبي ﷺ [1]) .

وتوفي ابنُ عامرٍ بدمشقَ سنة ثماني عشرة ومائة، في أيام هشام بنِ عبد الملك[2].

قوله: « دمشقُ الشامِ » : مبتدأٌ، وأضاف دمشقَ إلى الشام؛ لأنها منها، و«دارُ ابن عامرٍ» : بدل من دمشق على أن الدار يراد بها البلد، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَصبَحُوا فِي دارِهِم جَثِمِينَ﴾[3] .

وفاء « فتلك » جواب أما، و « تلك » : مبتدأ، و « طابت » خبره، و «مُحَلَّلا»: تمييز، والمراد بالمحلل: مكان الحلول منها، ويجوز أن يكون المراد به الحلول؛ أي: طاب للناس الحلولُ بها من أجله، والعائد على دمشق اسم الإشارة وهو تلك ، مثل قوله تعالى: ﴿إنَّ السَّمعَ والبصَرَ والفؤَادَ كلُّ أولئكَ كانَ عنهُ مسئولاً﴾[4].

* * *

والذال رمز للمذكورين كما هو مقرر .

(١) ما بين القوسين سقط من ب . وانظر الإقناع ١/١١٣-١١٥ .

(٢) الإقناع ١/١٠٥ .

(٣) سورة الأعراف: الآية: ٧٨ .

(٤) سورة الإسراء: الآية: ٣٤ .

هشامٌ وعبدُ الله وهو انتسَابُهُ لذَكْوَانَ بالإسنَادِ عنهُ تَنَقَّلا

راويا ابنِ عامر: هشامٌ وابنُ ذكوان.

فأما هشامٌ(١) فهو: هشامُ بنُ عمَّارِ بنِ نصير بنِ أبان بنِ ميسَرةَ السلمي الدمشقي القاضي الخطيب، يكنى أبا الوليد .

ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، وتوفي بدمشق سنة خمس وأربعين ومائتين، [وله اثنتان وتسعون سنة، وقيل: إنه توفي في سنة ست وأربعين ومائتين](٢) وله تسع وثمانون سنة .

قال فيه أحمدُ بنُ عبد الله بنِ صالح وأبو حاتم: صدوقٌ، وقال فيه يحيى بن مَعين: ثقةٌ(٣).

وأمَّا ابنُ ذَكْوَانَ(٤) فهو: عبد الله بنُ أحمدَ بنِ بشيرِ بنِ ذَكوَان القرشيُّ الفِهريُّ الدِّمَشقيُّ. يُكنَى أبا عَمْرو. وُلِدَ يومَ عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة، ومات بدمشق صبيحة الاثنين لسبعٍ خلَونَ من شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين، عاش سبعاً وستين سنة .

ووقع لأبي محمَّد مكي: « بشر » مكان « بشير » وهو وهم(٥).

---

(١) الإقناع ١/١٠٦، والغاية ٢/٣٥٤-٣٥٦ .

(٢) بهذا تتم الفائدة، ويستقيم الكلام؛ لأن المؤلف قد نقل عن نسخة سقط منها هذا الجزء، ولعلها نسخة (غ) التي أشار إليها محقق الإقناع والتي قال بأن السقط قد وقع فيها. انظر: هامش (٢) ١/١٠٦ .

(٣) انظر الغاية ٢/٣٥٥ .

(٤) انظر الإقناع ١/١٠٥-١٠٦، ١١٢-١١٣ .

(٥) ذكر في التبصرة (بشر) ص: ١٩٣، وجاء في الغاية (بشر وبشير) ١/٤٠٤ .

وقرأ هشامٌ وابنُ ذكوان على أبي سليمان أيوب بن تميم التميمي[1].

وقرأ أيوبُ على أبي عمرَ يحيى بنِ الحارث الذَّماري - بفتح الذال - منسوب إلى ذَمار كحَذام، تابعي لقي واثلة بن الأسقع، وقرأ يحيى على عبد الله بن عامر[2]، وقرأ أيضاً ابنُ ذكوانَ على الكسائي حين قدم الشامَ، وروَى الحروفَ سماعاً عن إسحاقَ المسيبي عن نافعٍ، وسمع أنسَ بنَ عياضٍ وبقيَّةَ والوليدَ بنَ مُسلم.

وقرأ أيضاً هشامٌ على أبي الضَّحَّاك عِراكِ بنِ خالدِ بنِ يَزيدَ بنِ صالحِ بنِ صُبَيحِ بنِ جُشَمٍ المُرِّيِّ، وأبي الوليدِ بنِ مُسلِمٍ / القرشيِّ، وسُوَيدِ بنِ عبد العزيز، وعَمَرَ بنِ عبد الواحد السُّلَميِّ، وقرأ هؤلاء على الذِّماريِّ المذكور[3]. ٥٣/أ

وارتفاعُ « هشام » في البيت بالابتداء، و « عبدُ الله » عطفٌ عليه، وهو مبتدأٌ عائدٌ على عبد الله، و « انتسابُه » مبتدأٌ، و « لذكوان » خبرُه، والجملةُ خبرٌ «وهو»، و« تنقلا » خبرٌ عن هشامٍ وعبدِ الله، والألفُ ضميرٌ تعودُ عليهما، و « به » يتعلقُ بالإسناد .

* * *

وبالكُوفَةِ الغَرَّاءِ منهم ثَلاثَةٌ أذَاعُوا فقَدْ ضَاعَتْ شذاً وقَرَنفُلا

« الكوفة » بلدٌ معروفٌ، بينه وبين بغدادَ ثلاثون فرسخاً، وسُمِّيَت كوفةً

---

(١) الإقناع ١١٢/١ .

(٢) الإقناع ١١٣/١ .

(٣) الإقناع ١١٢/١-١١٣

لاستدارتها، أُخِذَت من الكُوفَان[1]؛ (وهي الرَّملَةُ المستديرة)، أو لاجتماع النـاس فيها، مِن تَكَوَّفَ الرملُ إذا ركبَ بعضُهُ بعضاً، وقيـل: لأنهـا قطعـةٌ مـن البـلاد، أُخذت من قولك: كِفتُ الشيءَ أَكيفُهُ كيفاً: قطعتَه، والأصل على هذا: كُيْفَـة، فقُلِبت الياءُ واواً لسـكونها وانضمـامِ مـا قبلهـا، وهـذا جـارٍ علـى مذهـب أبـي الحسن[2]، أعني قلبَ اليـاء واواً في مثـل قُفْـل مـن البَيـع يقـول فيـه: بُـوعَ، وأمـا سيبويهِ[3] فيقولُ فيه: بِيعَ، فيَقلِبُ الضَّمَّةَ كسرةً لتصحَّ اليـاءُ، فـلا تكـونُ الكوفـةُ على مذهب سيبويهِ إلا من تكوَّفَ الرَّملُ، أو من الكُوفان .

ويرى سيبويهِ[4] أنَّ قِيراً يجوز أن يكون فُعْلاً وفِعْلاً، وأبو الحسن لا يُجيزُ فيـه إلا فِعْـلاً، لأنَّ تغيـيرَ الضمـة عنـده لا يجـوز، وبَسْـطُ الكـلام في هـذه المسـألة في موضِعِه من العربية .

و « الغرَّاءُ » : صفةٌ للكوفة بمعنى المشهورة، من الغُرَّة: وهو بياضٌ في الجبهة، أو بمعنى الفُضلَى؛ لحلول القرَّاءِ فيها، من غُرَّة المتاع وهو أفضله[5].

و « أذاعوا » : أفشَوا، يقال: ذاع الشيءُ يَذيعُ ذُيُوعاً: انتشرَ، ورجُلٌ مِذيَاعٌ: لا يكتُمُ السِّرَّ، وضاع الطيبُ وتَضَوَّعَ: إذا تحركَت ريحُهُ، والشـذا: ذكـاءُ ريـحِ

---

(١) الصحاح (كوف) .

(٢) انظر هامش (٢) من الكتاب ٤/٣٦٠ وفيـه: « فـإذا كـان (فُعْل) يعني الواحـد لم يقـل أبـو الحسن إلا (بوض) »

(٣) الكتاب ٤/٣٦٠ .

(٤) انظر الكتاب ٣/٥٩٥ .

(٥) الصحاح (غرر) .

العُود، قال الشَّاعر[1]:

إذَا ما مَشَتْ نادَى بما في ثيابِهَا رياحُ الشَّـذا والمندَليُّ المُطَيَّرُ

أخبر أنَّ بالكوفة ثلاثةً من الأئمة السَّبعة، أفشَوا بهـا العلـمَ، وتعطَّـرَت هـي بسبب ذلك، فـ ثلاثةٌ « مبتدأ، و « بالكوفة » خبرُه، و « منهم » صفةٌ لثلاثـة، قدَّمَـه فنصَبَه على الحال كقوله[2]:

فَهلاَّ أَعَدُّوني لمثلي تَفَاقَدُوا وفي الأرض مَبثُوثاً شُجَاعٌ وعَقْرَبُ

ومفعولُ « أذاعوا » محذوفٌ، أي: أذاعوا العلم بهـا، وينتصـب « شـذاً » علـى التمييز؛ أي: ضاع شذاها وقرنفلها، وهما كنايتان عن العلم . ويجوز أن ينتصب على حدِّ ما انتصَبَ قولُ امرئ القيس[3]:

إذا التَفَتَتْ نحوي تَضَوَّعَ ريحُهَا نسيمَ الصَّبَا جاءَت بِريَّا القَرَنفُلِ/ ٥٤/أ

* * *

فـأمَّا أبـو بكـرٍ وعاصمٌ اسْمُهُ فشـعبةُ راويه المبرِّزُ أفضَـلا

وذاكَ ابنُ عيَّاشٍ أبو بكرٍ الرِّضا وحفصٌ وبالإتقان كانَ مُفَضَّلا

ذكر في هذين البيتين الخامس من السَّبعة، وهو الأول من الثلاثـة الكوفيـين، وذكر أيضاً راوِيَيه.

فأمَّا الإمامُ فهو **عاصمُ بـنُ أبي النَّجُـود**[4]، الضريـرُ الكـوفيُّ، ويُقـال: ابـنُ

(١) منسوب في اللسان والصحاح (شذا) إلى ابن الإطنابة ، وقـال ابـن بـري: للعُجير السـلولي، ويروى (ذكي الشذا) .

(٢) من الطويل، وهو في الجيم لأبي عَمْرو الشيباني بلا نسبة، في باب الضاد ١٩٣/٢ .

(٣) ديوانه: ١٥ .

(٤) الإقناع ١/١١٥ .

بَهدَلَة، وقيل: أبو النَّجُود هو بَهدَلة، وقيل اسم أبي النَّجُود: عبدٌ[١]، وبهدلة اسم أمه، وهو مولى بني جَذِيمة بن مالك بن نصير بن قُعين بن أسد، ويكنى أبابكر.

وهو من التابعين[٢]؛ لأنه روى عن أبي رِمْثة صاحبِ رسول الله ﷺ، وسمع الحارثَ بنَ حسَّان، وافد بني بكر .

روى عنه القراءةَ والحديثَ خلقٌ كثير، وتصدر للإقراء عند موت أبي عبد الرحمن السُّلَمي[٣].

قال أبو بكر[٤]: كان أبو عبد الرحمن يُقرِئ الناس في المسجد، فلما هلك، جلَسَ عاصمٌ، وذلك سنة ثلاث وسبعين إلى أن توفي بالكوفة، وقيل بطريق الشام سنة سبع وقيل: سنة ثمان، وقيل: سنة تسع وعشرين ومائة في أيام مروانَ بنِ محمَّد الجَعدي، آخرُ خلفاء بني أمية[٥].

قال أبو إسحاق السَّبيعي[٦]: كان عاصمٌ من أئمة الحديث في زمانه وفي الفقه وعلمِ العربية، وما رأيتُ أحداً أقرأَ من عاصم، وكان حسن الصوت، يُحِبُّ الناسُ قراءته والاستماعَ إليه، وكان عابداً خيِّراً كثيرَ الصلوات، وكان لا يزال في المسجد يومَ الجمعة حتى يصلي العصر .

---

(١) في الغاية ١/٣٤٧ (عبد الله) .

(٢) في هامش ب كتب: « من الطبقة الثَّالثة » .

(٣) عبد الله بن حبيب بن ربيعة، مقرئ الكوفة، قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم، وحدث عن عمر وعثمان ـ رَضي الله عنهما ـ ، توفي سنة ٧٣، أو ٧٤ هـ. معرفة القراء الكبار ١/٤٥ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٣ .

(٥) كتب في هامش ب : « وقيل بقرية بالري » .

(٦) انظر الغاية ١/٣٤٧ .

وقال أبو بكر بنُ عياش[١]: سمعتُ أبا إسحاق[٢] يقول: ما رأيتُ أقرأَ من عاصم، فقلتُ: هذا رجلٌ لقي أصحاب عبدِ الله، فدخلتُ المسجد من أبواب كندَةَ، فإذا رجلٌ عليه جماعة، وعليه كِسَاءٌ، فقلتُ: مَن هذا؟ فقالوا: هذا عاصمٌ، فأتيتُهُ فدنوتُ منه، فلما تكلَّمَ قلتُ لأبي إسحاق: ...[٣]

وقال [أبو كريب]:[٤] كان الأعمشُ وعاصم وأبو حُصَين سواءٌ كلُّهم لا يُبصرون، وجاء رجلٌ يوماً يقود عاصماً قال: فوقع وقعةً شديدةً، فما انتهره ولا قال له شيئاً[٥].

وعن أبي بكرٍ بن عيَّاشٍ قال: رأيت مِسْعَراً يقرَأُ على عاصم، فمرَّ بحرفٍ فَلَحَنَ فيه، فقال له عاصمٌ: أَرْغَلْتَ يا أبا مَسلمة، قال: فسألتُ عن الإرغال، فقال: هو الحَمَلُ تَفطِمُهُ أمه، ثم يَعودُ في اللبن بعدَ الكِبر[٦]، فكأنَّ عاصماً أرادَ: عُدْتَ إلى لحنِ الصِّبا .

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٤ .

(٢) عَمْرو بن عبد الله بن علي، أبو إسحاق السَّبيعي الكوفي، الإمام الكبير، قرأ عرضاً على عاضم بن ضَمُرَة وأبي عبد الرحمن السُّلمي وزر بن حبيش، وعليه حمزة الزيات، توفي سنة ١٣٢ هـ. انظر الغاية ١/٦٠٢ .

(٣) بياض في الأصل . وفي هامش (أ) ص: ٤٨ بخط غير خط المؤلف: « في المبيضة بخطه: قلت: (ثم كلمة غير واضحة) لأبي إسحاق (ثم كلمة غير واضحة) يقول ما قال » ولعل صوابها: (قلت: حقَّ لأبي إسحاق أن يقول ما قال) والله أعلم .

(٤) « أبو كُريب » هو محمَّد بن العلاء الهمداني، روى عن ابن المبارك وأبي بكر بن عياش. الجرح والتعديل للرازي ٨/٥٢ .

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٥ .

(٦) انظر (رغل) في الصحاح، ومنه قول الشَّاعر:

يسبق فيها الحملَ العجيَّا

رغلاً إذا ما آنس العشيَّا

وقال أبو بكر: قال عاصمٌ: من لم يُحسِنْ من العربية إلا وَجهاً واحداً لم يحسِن شيئاً[١].

وقال: كان عاصمٌ يبدأ بأهل السوق في القراءة[٢].

وقال عاصمٌ: كنا نأتي أبا عبد الرحمن ونحنُ غِلْمَةٌ أيفاعٌ[٣].

وقال أبو بكر[٤]: كان عاصمٌ ربما أتى حاجةً، فإذا رأى مسجداً قال: مِل بنا فإنَّ / حاجتنا لا تفوتُ، فيدخُلُ فيُصلِّي . ٥٥/أ

وقال عنه: سمعتُ الحجَّاجَ بنَ يوسُفَ يقرأُ على المنبر: ﴿قُلْ هِيَ للذينَ ءامنُوا في الحياةِ الدُّنيا خَالِصَةٌ يَومَ القِيَامَةِ﴾[٥]رفعاً[٦]، فقال عاصمٌ: لَمْ يُبصِرْ الحجَّاجُ إعرابَهَا .

وقرأ عاصمٌ على أبي عبد الرحمن عبدِ الله بنِ حبيبٍ السُّلَميِّ، وقرأ أبو عبد الرحمن على عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ومنه تعلَّمَ القرآنَ، ثم قرأ بعد ذلك على عثمانَ بنِ عفَّان، وأبيِّ بنِ كعب، وعبدِ الله بنِ مسعود، وزيدِ بنِ ثابت رَضي الله عنهم، وقرأوا على النبي ﷺ .

وقرأ عاصمٌ أيضاً على أبي مريمَ زِرِّ بنِ حُبيشٍ الأسديِّ، وقرأ زِرٌّ على ابن مسعود، ثم قرأ بعد ذلك على عثمانَ، وقيل عنه: إنه قرأ أيضاً على أُبيٍّ وزيدٍ

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٥/٢٥٨، ومعرفة القراء الكبار ١/٧٥ .

(٢) انظر الغاية ١/٣٤٧ .

(٣) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٥ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٦ .

(٥) سورة الأعراف: ٣٢ .

(٦) وهي قراءة نافع .

على النبي ﷺ [١].

وراويا عاصم: أبو بكرٍ وحفصٌ:

فأما أبو بكر [٢] فهو: أبو بكر بنُ عياشِ بنِ سالمٍ الخيَّاطِ [٣] الكوفيٌّ الأسديٌّ الكاهليٌّ مولىً لهم. وكاهلُ بنُ أسد بن خُزَيمة، وقال ابنُ قتيبة [٤]: هو مولىَ واصلِ بنِ حيَّانَ الأحدبِ، وقيل: إنه مولَىً لبني [٥] نهشَلِ بنِ دارمٍ [٦] بنِ مالكِ بنِ حنظلةَ.

واختُلِفَ في اسمه، فقيل: شُعبة، وقيل: سالم، وقيل: عَنترة، وقيل: محمَّد، وقيل: أحمد، وقيل: حمَّاد، وقيل: مُطَرِّف، وقيل: عبد الله، وقيل: رؤبة، وقيل: عَتيق، وقيل: حسين، وقيل: عطاء، وقيل: اسمُهُ كنيتُهُ [٧].

تعلَّمَ القراءةَ من عاصمٍ خمساً خمساً كما يتعلم الصبي من المعلِّم، وذلك في نحو من ثلاث سنين، وكان يأتيه في الحَرِّ والبرْدِ، وربما خاضَ المطر فيبلُغ ساقَيْهِ، فيرفَعُ سراويلَه، وكان يقومُ الليل، ويقال: إنه لم يُفتَرَش له فراشٌ خمسين سنة [٨].

وحكى صالح بنُ أحمدَ عن أبيه قال: كان أبو بكر بنُ عيَّاشٍ ثقةً صدوقاً،

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٣-٧٧، والغاية ١/٣٤٦-٣٤٧ .

(٢) الإقناع ١/١١٦، ومعرفة القراء الكبار ١/١١٠-١١٤، والغاية ١/٣٢٥-٣٢٧ .

(٣) (الحنَّاط) في معرفة القراء الكبار ١/١١٠، والإقناع ١/١١٦ ، وقيدها ابن الجزري بالنون في الغاية ١/٣٢٥ . وانظر تبصير المشتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ٥١٦ .

(٤) الإقناع ١/١١٦ .

(٥) في ب: «أبي» .

(٦) انظر المعارف لابن قتيبة : ٤٩٠ .

(٧) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٣-١١٤ .

(٨) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٢ .

كبيرَ السِّنِّ، وكان له فقهٌ، وكـان يُخطِئُ بعضَ الخطأ[1]، وتعبَّدَ سبعين سنة، وكان يقول: أنا نصفُ الإسلام[2].

ولما حضرتْهُ الوفاةُ بكت ابنتُهُ، فقال: يا بُنيَّةُ لا تبكي، أتخافين أن يعذبني ا لله عزَّ وجلَّ، وقد ختمتُ في هذه الزاوية أربعةً وعشرين ألفَ خَتمة[3].

وحُكي عن أبي بكر أنه قال: ذهبَتِ الصلاةُ مني، وضَعُفتُ، ورَقَّ عظمـي، إني اليوم لأصلي فما أقْوَى إلا بالبقرة وآلِ عمران وأنا قائِمٌ .

وقال حمزةُ[4]. سعيد المروزي ـ وكان ثقةً مأموناً: سألتُ أبا بكر بـنَ عياش فقلتُ: يا أبا بكر قد بلَغك ما كان من أمر ابنِ عُليَّةَ في القرآن، فما تقولُ فيه ؟ فقال: استَمِعْ إليَّ، ويلَكَ، مَن زَعَمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو عندنا كافرٌ زِنديقٌ، عدوُّ ا لله، لا تجالِسْهُ ولا تكلِّمْهُ .

وقال يحيى بنُ سعيد[5]: زامَلْتُ أبا بكر بنَ عيَّاش إلى مكَّةَ، فما رأيتُ أورعَ منه، ولقد أهدى إليه رجلٌ من أهل الكوفة رُطباً، فبلغه أنه من البستان الذي قُبِضَ عن خالد بن سَلَمةَ المخزوميِّ، فأتى آل خالِدٍ، فاستحلَّهم، وتصدَّق بثمنه .

وقال يحيى بن آدم[6]: قال لي أبو بكرِ بنْ عيَّاش: إنك لتسألُني عن شيء من

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١١٢/١ .

(٢) الغاية ٣٢٦/١ .

(٣) في معرفة القراء الكبار ١١٤/١، والغاية ٣٢٧/١ « ثماني عشرة ألف ختمة » .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١١٢/١، والغاية ٣٢٦/١ ، وفيها: حمزة بن سعيد المروزي.

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ١١٣/١ .

(٦) صاحب طريق شعبة، قال الإمام الإفراني في مقصورته:

يحيى بن آدم طريق شعبة

هذه الحروف قد أعمَلْتُ نفسي فيه زماناً سنةً بعد سنة / في الصَّيف والشِّتاء، ٥٦/أ
والأمطار، وذكرَ من اهتمامه بهذه الحروف وطلبه لها من عاصم اهتماماً وطلباً شديداً، وقال: إنما تعلَّمتُ من عاصمٍ القرآنَ، كما يتعلَّمُ الصبيُّ من المعلم، فما أُحسِنُ غيرَ قراءةِ عاصم[1].

وقال عُبيدُ بنُ يعيشَ: سمعتُ أبابكرِ بنَ عيَّاش يقول: ما رأيتُ أفقهَ من مغيرةَ، فلزِمْتُهُ، وما رأيتُ أقرأَ مِن عاصمٍ، فقرأتُ عليه[2].

وقال عبدُ الباقي بنُ الحسن: لما توفي عاصم، قيل لأبي بكر بنِ عيَّاش: اجمع الناسَ على قراءة عاصم، وانصِبْ نفسَكَ للأخذ عليهم، فامتنع من ذلك، فرجع الناسُ إلى قراءة حمزة إلى أن توفي، ثم سُئِلَ أبو بكر للانتصاب للأخذ على الناس، فامتَنَعَ، فصارت الإمامةُ بالكوفة بعد وفاة حمزةَ إلى الكسائي إلى أن توفي، ثم سُئِلَ أبو بكر الأخذَ على الناس فامتنع، ولم يأخذ على أحدٍ من الناس .

وتوفي أبو بكر بالكوفة في جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وتسعين ومائةٍ، في خلافة الأمين . وفي هذا الشهر مات هارونُ الرشيد بِطُوس .

وكان مولد أبي بكر سنة أربع وتسعين، فعاش تسعاً وتسعين سنة، وقيل: توفي سنة أربعٍ وتسعين ومائةٍ .

وأما حفص[3] فهو: أبو عمَرَ حفصُ بنُ أبي داودَ سليمانَ بنُ المغيرة الأسديُّ الغاضريُّ مولاهم الكوفي. وكان يُلقَّبُ بحُفيص، وهو ثقةٌ في القراءة،

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٤ .

(٢) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٤ .

(٣) الإقناع ١/١١٧ .

ثَبتٌ في نقلها عن عاصم، وإن كان ضعيفاً في الحديث .

قال ابنُ مَعين[١]: الروايةُ الصحيحة المروية عن عاصم هي قراءةُ حفص، وكان أعلَمَهم بقراءة عاصم .

قال أبو عَمْرو[٢]: وهو الذي أخذها تلاوةً على الناس بعد عاصم .

ونزلَ بغدادَ فأقرأ، وجاور بمكة فأقرأ بها، وكان يحيى بن معين يقول: كان حفص بن سليمان وأبو بكر بن عياش من أعلم الناس بقراءة عاصم، وكان حفص أقرأ من أبي بكر[٣]. وقال محمَّد بن الحسن النقاش: حفص بن سليمان صاحب القراءة كوفي، يقال: تزوَّجَ عاصمٌ أمَّه .

وقال حفصٌ: قال لي عاصم، ما كان من القراءة التي أقرأْتُكَ، فهي القراءةُ التي قرأتُ بها على أبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب، وما كان من القراءة التي أقرأْتُهَا أبا بكرِ بنَ عيَّاش، فهي القراءةُ التي كنتُ أَعرضها على زِرِّ بنِ حُبيشٍ عن عبدِ الله بنِ مسعود[٤].

قال الأهوازيُّ: توفي سنة سبعين ومائة، وله ثلاث وسبعون سنة[٥].

قوله:

« فأما أبو بكر وعاصمٌ اسمه »

ذكَرَ اسمَ عاصم وكنيتَه، و« أبو بكر » : مبتدأٌ خبرُهُ قولُه: « فشعبةُ راويه » ،

---

(١) الغاية ١/٢٥٤ .

(٢) الغاية ١/٢٥٤ .

(٣) الغاية ١/٢٥٤ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/٧٦ .

(٥) الإقناع ١/١١٧، ومعرفة القراء الكبار ١/١١٦-١١٧، والغاية ١/٢٥٤-٢٥٥ .

وهي الجملة من المبتدأ والخبر، وقوله: « وعاصمٌ اسمه » : جملة اعتراضية بين لمبتدأ وخبره، و « المبرز » : صفةٌ لشُعبةَ، وهو من قولك: برَّز الفرسُ على الخيل: سبَقَ[1]. و « أفضلا » : حال من الضمير في المبرز، بمعنى فاضلاً. يشير إلى ما رُوي عنه من التقدم في العلم والعمل، و « ذلك » : مبتدأ، و « هو » إشارة إلى شعبة، أخبر باسم أبيه وبكنيته .

واقتصر الناظم - رحمه الله - من أسمائه على شعبةَ لشهرتها، و « الرضا » : صفة / نحو: رجلٌ عدلٌ، و « حفص » : مبتدأ محذوف الخبر، التقدير: وحفصٌ راويه، وهذا كقولك: زيدٌ قائمٌ وعَمْرو؛ أي: وعَمْرو قائم، ومنه قوله تعالى: ﴿واللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ المحيضِ مِنْ نسَائِكُم إِنِ ارْتَبْتُم فعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ واللائي لم يَحِضْنَ﴾[2] . قال أبو علي[3]: التقدير: واللائي لم يحضن فعدتُهنَّ ثلاثةُ أشهر . ٥٧/أ

ويتعلق « بالإتقان[4] » بـ(مفضَّلا)، يشير إلى ما رُوي عن ابن مَعين .

* * *

وحَمزَةُ ما أزْكَاهُ مِن مَتَوَرِّعٍ ... إماماً صبُوراً للقُرانِ مُرتِّلا

هذا السَّادسُ من السَّبعة، وهو الثَّاني من الثَّلاثة الكوفيين، وهو **أبو عُمارة حمزةُ بنُ حبيبٍ**[5] بنِ عُمَارةَ بنِ إسماعيلَ الكوفيُّ الزَّيَّاتُ الفَرَضيُّ التَّيميُّ، مولىً لهم، ويقال: هو مولًى لآل عكرمةَ بن رِبعيٍّ التَّيميِّ، وقيل: هو مولىً لبني عجل،

(١) انظر الصحاح واللسان والتاج (برز) .

(٢) سورة الطلاق: الآية: ٤ .

(٣) انظر الإيضاح العضدي ص: ٨٩ .

(٤) في ب: « بالاتفاق » .

(٥) الإقناع ١/١٢٥ .

وقيل: هو من ولد أكتمَ بنِ صَيفيٍّ حكيمِ العرب، وأكتَمُ من بني شُريف، وبنو شُريف من قبائل بني أُسيد بنِ عَمْرو بن تميم، قاله ابنُ دريد[١].

وكان حمزةُ يجلُبُ الزيت من العراق إلى حُلوان، وقال أبو حنيفة وسفيان الثوري ويحيى بن آدم: غلب حمزةُ الناسَ على القرآن والفرائض، وكان صالحاً ورعاً ثقة في الحديث[٢] .

وكان الأعمشُ إذا رآه يقول: هذا حَبْرُ[٣] القرآن.

وقال فيه شُريك: ما علمتُ أحداً بالكوفة أقرَأَ منه، ولا أفضلَ .

وكان محمَّدُ بنُ فُضَيل يقول: ما أحسَبُ أنَّ الله عزَّ وجلَّ يَرفعُ البلاءَ عن أهل الكوفة إلا بحمزَةَ[٤] .

وكان إذا لقِيَهُ أحدٌ لم يلقَهُ إلا وهو يقرأُ، وكان يختم في كل شهر خمساً وعشرين ختَمة، وكان إذا فرغ من إقراء القرآن صلَّى أربعَ ركَعَاتٍ، وكان يُصلِّي ما بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، وكان لا ينام الليل، وكان جيرانُهُ يسمعون ترتيلَه القرآنَ .

وقال حمزة رحمه الله: رَويتُ ألفَ حديثٍ بإسنادٍ عن رسول الله ﷺ فرأيتُ رسولَ الله ﷺ في منامي، (فقلتُ)[٥]: يا رسولَ الله بأبي أنتَ وأمِّي، قد رَويتُ ألفَ حديث بإسناد عنكَ أَفَأَقرَأُهَا عليكَ؟ قال: نعم، فقرأتُها عليه كلَّها

---

(١) الاشتقاق لابن دريد: ٢٠٧ .

(٢) الإقناع ١/١٢٥، ومعرفة القراء الكبار ١/٩٥ .

(٣) معرفة القراء الكبار ١/٩٤ .

(٤) معرفة القراء الكبار ١/٩٦ ، والغاية ١/٢٦٣ .

(٥) سقط من ب .

بإسنادها عنه، فزَوَّرَها كلَّها إلا أربعةَ أحاديثَ، وقال: لم أتكلَّمْ بها، فقلتُ: يا رسولَ الله بأبي أنتَ وأمي، إني قرأتُ القرآنَ أفَأَقرأُهُ عليك، فقرأتُهُ عليه من أوله إلى آخرِه، فقال: كذا أُنزِلَ عليَّ، كذا أُنزِلَ عليَّ[1].

وحكى أبو الحسن عليُّ بنُ سعيدٍ[2]، العابدُ المعروفُ بابن أبي طالب القيروانيِّ بسنده إلى سليمانَ بنِ عيسى قال: دخلتُ على حمزةَ بنِ حبيب الزيات فوجدته يمرغ خديه في الأرض ويبكي، فقلتُ: أعيذك بالله، فقال: بهذا استعذتُ، قلتُ: فماذا؟ قال: أُريت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت، وقد دُعي بقراء القرآن فكنتُ فيمن حضر، فسمعتُ قائلاً يقول بكلامٍ عذب: لايدخل عليَّ إلا من عملِ بالقرآن، فرجعت القهقرى، فهتف باسمي: أين حمزة ابن حبيب الزيات؟ فقلتُ: لبَّيكَ داعي الله لبَّيكَ، فبدرني ملَكٌ، فقال: قل: لبيك اللهم لبيك، فقلتُ كما قال، فأدخلني داراً سمعتُ فيها ضجيجَ القرآن، فوقفتُ أَرْعَدُ، فسمعتُ قائلاً يقول: لا بأس عليك، ارقَ واقرأ، فأدرتُ وجهي فإذا أنا بمنبر من درٍّ / أبيض، دفَّتاه من ياقوتٍ أصفر، مراقيه من زَبَرْجَد أخضر، ٥٨/أ فقال لي: ارقَ واقرأ، فقرأتُ، فقيل لي: اقرأ سورة الأنعام، فقرأت وأنا لا أدري على مَن أقرأ حتى بلغتُ رأسَ ستين آية، فلما بلغتُ: ﴿وهُوَ القاهِرُ فوقَ

(١) قال ابن غلبون: فدل هذا على صحة قراءة حمزة، وجهل من يلحنه فيها، ويرد عليه بأنه كان متبعاً لمن أخذ عنه. انظر التذكرة ١/١٦٧ ، والدرة الفريدة ٤٧/ أ .

(٢) ذكر الخبر بسنده المنتجب الهمداني في الدرة الفريدة عند شرحه للبيت قال: وأخبر الشيخ أبو الجود رحمه الله بالإسناد المذكور عن أبي الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون المقرئ ... إلى سليمان بن عيسى، ثم ذكره . انظر الدرة الفريدة لوحة ٤٦ رقم المخطوط: ١١٢٩.

عِبَادِهِ﴾[1] قال لي: يا حمزةُ ألستُ القاهرَ فوق عبادي؟ قال: فقلتُ: بلى، قال: صدقتَ اقرأ، فقرأتُ حتى أتممتُها، ثم قال لي: اقرأ فقرأتُ الأعراف حتى بلغتُ آخرها، فأوميتُ بالسجود، فقال لي: حسبك ما مضى، لا تسجد يا حمزة، مَن أقرأكَ هذه القراءة؟ فقلتُ: سليمان، قال: صدقتَ، فمن أقرأ سليمان؟ فقلتُ: يحيى، قال: صدق يحيى، على من قرأ يحيى؟ قلتُ: (على أبي عبد الرحمن السلمي، قال: صدق أبو عبد الرحمن السلمي، فمن أقرأ أبا عبد الرحمن؟ قلتُ[2]): ابنُ عمِّ نبيك عليٌّ، قال: صدقَ عليٌّ، فمن أقرأ علياً؟ قلتُ: نبيك، قال: ومن أقرأ نبيي، قال: قلتُ:جبريل، قال: ومن أقرأ جبريل، قال: فسكتُّ، فقال لي: يا حمزةُ قل: أنتَ، قال: فقلتُ: ما أحسنُ أن أقول: أنتَ، قال لي: قل: أنتَ، فقلتُ: أنت، فقال لي: صدقتَ يا حمزة، وحقِّ القرآن لأكرمنَّ أهلَ القرآن لا سيما إن عملوا بالقرآن يا حمزة . القرآن كلامي، وما أحببتُ أحداً كحبي لأهل القرآن، أدْنُ يا حمزةُ، فدنوتُ، فغمر يده في الغالية[3]، ثم ضمخني بها، وقال لي[4]: لستُ أفعلُ بكَ وحدَكَ، قد فعلتُ ذلك بنظرائك، مَن فوقك، ومَن دونك، ومَن أقرأ القرآنَ كما أقرأتَه ولم يرد به غيري، وما خبأتُ لك يا حمزةُ أكثَرُ، فأَعلِمْ أصحابَكَ بمكاني من حبي لأهل القرآن وفعلي بهم، فهم المصطَفَونَ الأخيار، يا حمزةُ: وعزتي وجلالي لا عذَّبتُ لساناً تلا القرآن بالنار، ولا قلباً وعاه، ولا أذناً سمِعَتْهُ، ولا عيناً نظَرَتْهُ. أفَتَلُومُني أن أبكيَ وأتمرغَ في التراب ؟!

---

(١) سورة الأنعام: الآية: ١٨ .

(٢) ما بين القوسين سقط من ب.

(٣) نوع من الطيب .

(٤) « لي » من ب .

وكان حمزةُ ـ رحمه الله ـ من الطبقة الثَّالثة، ولد سنة ثمانين[1]، وأحكمَ القراءَةَ وله خمسَ عشرةَ سنةً، وأمَّ الناس سنةَ مائة[2]، وتوفي بحُلوان بموضع يقال له: باغ يوسُف[3]، في خلافة أبي جعفر، سنة ستٍّ وخمسين ومائة، وله ست وسبعون سنة[4].

قال[5] غيرُ واحد عنه: إنه أخذ على أبي محمَّد سليمانَ بنِ مِهرانَ الأعمشِ، قيل: عَرْضاً، وقيل: سماعاً للحروف حرفاً حرفاً[6]. وقرأ الأعمشُ على يحيى بن وثَّابٍ الأسديِّ مولاهم، وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبدِ الله أبي مريم زرٍّ بن حُبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي مسلم عُبيدة بن عَمْرو بن قيس السلماني قاضي البصرة، وأبي شبل علقمةَ بنِ قيسٍ بنِ عبد الله النَّخَعِي، وأبي عبد الرحمن الأسودِ بنِ يزيدَ النَّخَعي، وأبي عائشةَ مسروقُ بنِ الأجدعِ الهمْداني الوادعي، وأبي معاويةَ عُبيدِ بنِ نُضَيلَةَ الخُزَاعي، وقرأوا على عبد الله بن مسعود، وقرأ على النبي ﷺ .

وقرأ أيضاً حمزةُ على حُمْرانَ بنِ أعْيَنَ مولى بني شيبانَ، الكوفي، وقرأ على يحيى بن وثَّابٍ كالأول .

وقيل: بل قرأ على عُبيدِ بنِ نُضَيلَةَ نفسِهِ، ويمكنُ أن يقرأَ عليهما جميعاً، وقرأ

---

(١) الإقناع ١/١٢٥، ومعرفة القراء الكبار ١/٩٣ .

(٢) الإقناع ١/١٢٥ .

(٣) انظر معجم البلدان ١/٣٢٥ .

(٤) المعارف: ٩٢٥، والإقناع ١/١٢٦ .

(٥) الإقناع ١/١٣٤-١٣٧ .

(٦) الإقناع ١/١٣٤ قال: « وهذا والعرض سواء » .

أيضاً حُمرانُ على أبي حرب بنِ أبي الأسود الدِّيليِّ، وقيل: بل قرأ على أبي الأسود نفسِهِ. وقرأ أبو حرب على أبيه، وقرأ أبوه على عليٍّ / بن أبي طالب، وقرأ عليٌّ على النبي ﷺ. ٥٩/أ

وقرأ أيضاً حمزةُ على [أبي عبد الرحمن محمَّد بنِ عبد الرحمن بنِ أبي ليلى][1].

وكان ابنُ أبي ليلى ضابطاً للقراءة، ويقال: إن حمزة عنه أخذ التحقيق.

وقرأ على المنهال بنِ عَمْرو، وسعيد بنِ جُبير، وقرآ على ابن عباس، وقد تقدم إسناده.

وقرأ أيضاً محمَّد على أخيه عيسى، وقرأ أخوه على أبيه، وقرأ أبوه على عليٍّ ابنِ أبي طالب.

وقرأ أيضاً حمزةُ على أبي عبد الله جعفرِ بنِ محمَّد الصادق عن آبائه، وعلى أبي إسحاق عَمْرو بن عبد الله السَّبِيعي عن أصحاب عبد الله، ولم يقرأ حمزةُ حرفاً من كتاب الله إلا بأثر[2].

قوله: « ما أزكاه من متورِّعٍ » : أزكاه من قولهم: رجلٌ زكيٌّ تقيٌّ، وقومٌ أزكياءُ.

ويقال منه: زكا الرجل زَكَاءً؛ صار عدلاً مرضياً، والمتورع: من قولك: تورع الرجل تحرَّج؛ أي: كفَّ عن الإثم، ومنه صدرٌ حرَجٌ وحرِجٌ: ضيِّقٌ لا يحتمل شيئاً. ويقال: ورَّعتُ الرجل: كففتُهُ، وورِعَ الرجلُ ورَعاً فهو ورِعٌ

---

(١) في ب مكان ما بين المعقوفين: « أبي عبد الله جعفر بن محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ».
(٢) معرفة القراء الكبار ١/٩٣-٩٩، والغاية ١/٢٦١-٢٦٣، والإقناع ١/١٣٧.

منه[١].

وكان حمزةُ ـ رحمه الله تعالى ـ كما وصفه الناظم زكياً متورعاً، لم يصف أحداً من السَّبعة بما وصفه به من الزهد والتحرز، وكان من جملة ورعه تركُ أخذ الأجرة على القرآن .

قال أبو الحسن[٢] علي بن محمَّد المعافري الشهير بابن القابسي: كان مالكٌ[٣] يقول: كل مَن أدركتُ من أهل العلم لا يَرَون بأجرِ معلِّمِي الكتاب بأساً[٤].

وقال ابنُ وهبٍ[٥] في موطَّئِهِ: سمعت مالكاً يقول: لا بأس بأخذ الأجرة عن تعلم القرآن في الكتاب .

ويُحكَى عن ابن وهب[٦] أنه قال: كنتُ جالساً عند مالك ـ رحمه الله ـ ، فأقبل إليه معلِّمُ الكُتَّاب، فقال: يا أبا عبد الله، إني رجلٌ معلِّمُ الصبيان، وإنه بلغني شيءٌ فكرهتُ أن أشارِطَ، وقد امتَنَعَ الناسُ عليَّ، وليس يُعطُوني كما كان يُعطَى، وقد أضررتُ بعيالي، وليس لي حيلةٌ إلا التعليمُ، فقال مالكٌ: اذهَبْ فشَارِطْ، فانصرفَ الرجُلُ، فقال له بعضُ جلسائه: يا أبا عبد الله تأمرُه أن

---

(١) انظر الصحاح (ورع) .

(٢) علي بن محمَّد بن خلف المعافري القيرواني، أبو الحسن ين القابسي، عالم المالكية في عصره، فقيه أصولي، حافظ للحديث وعلله، له ملخص الموطأ وغيره. انظر نكت الهميان ٢١٧ .

(٣) انظر المدونة، إجارة المعلم ٤/٤١٩-٤٢٠ ، والمقدمة لابن رشد ٢/٦٣٠-٦٣١ .

(٤) انظر حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل ٧/١٤، الإجارة .

(٥) انظر الزرقاني على خليل، باب في الجعل ٧/٨١ .

(٦) عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمَّد الفهري، أحد الأئمة، ثقة كبير، أخذ القراءة عرضاً عن نافع، وروى أحمد بن صالح أبو طاهر وغيره، وهو من أصحاب مالك، له كتب منها: الموطأ في الحديث كتابان صغير وكبير، وله شرح على موطأ مالك. توفي سنة ١٩٧ هـ. الوفيات ١/٢٤٩، والمدارك ٢/٨٣ .

يشترِطَ على التعليم، فقال لهم مالكٌ: نعَم، فمَن يحفَظُ لنـا صِبيانَنَـا ويؤدِّبُهـم لنـا لولا المعلِّمُون؟ أيَّ شيءٍ كنَّا نَكونُ ؟

قال: وقد احتج كثير من علمائنا في جواز أخـذ الإجـارة بشـرطٍ كـانت أو بغير شرطٍ أنَّ الناسَ قد عملوا به، وأجازوه، وذكروا ذلـك عـن عطـاءِ بـنِ أبـي رَبَاح، وعن الحسنِ البصري، وعن غير واحد من أئمة الصالحين، وقد كَرِهَ بعضُ العلماء الشرطَ فيه، وأجازه من غير شرطٍ[1].

قال الشعبيُّ[2]: لا يَشترطُ المعلمُ إلا أن يُعطَى شيئاً فيقبلُه .

قال ابنُ القابسيِّ[3]: وذُكرَ في الصحيح[4] من طريق أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: انطَلَقَ نفرٌ من الصحابـة في سَفْرَةٍ سـافروها، حتـى نزلنـا علـى حـيٍّ مـن أحيـاء العرب، فاستضافوهم، فأَبَوا أن يُضيِّفُوهُم، فلُدِغَ سيِّدُ ذلك الحي، فَسَعَوا له بكل شيءٍ، ثم لم يَنفعْهُ شيءٌ[5]، فقال بعضُهم: لـو أتيتـم هـؤلاء الرَّهـطَ الذيـن نزلـوا لـديكم[6]، لعله أن يكونَ عند بعضهم شيءٌ، فَأَتَوهم فقالوا: يا أيها الرهطُ، إن سيِّدَنا لُدِغَ، فسَعَينا[7] له بكل شيءٍ، ثم لم[8] ينفعْهُ شيءٌ، فهل / عند أحد منكم ٦٠/أ

---

(١) انظر الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر ٧٥٥/٢، وأسهل المدارك شرح إرشاد السالك للكشناوي ٣٤٧/٢ .

(٢) انظر المعيار المعرب ٢٥٢/٨ .

(٣) في ب : « قال القابسي » .

(٤) انظر فتح الباري، كتاب الإجارة، باب ما يعطى بالرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، وكتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، وكتاب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب بلفظ آخر .

(٥) في الصحيح: « لا ينفعه شيءٌ » .

(٦) (لديكم) ليس في الرواية المطبوعة من الصحيح .

(٧) في الصحيح « وسعينا » .

(٨) في الصحيح: « لا ينفعه شيءٌ » .

شيءٌ ؟ فقال بعضُهُم: نعم وا لله إني لأَرقِي، ولكن[(١)] استضفناكم فلم تضيفونـا! فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطيعٍ من الغنم، فـانطلَقَ فدخل عليه، فقرأ عليه[(٢)]: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَلَمِينَ﴾، فكأنما أُنشَط[(٣)] من عِقَال، فانطلق يمشي وما به من علّةٍ[(٤)]، قال: فدفعوا لهم[(٥)] جُعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضُهم: اقسموا، فقال الذي رَقَى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر لـه الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقَدِمُوا على رسـول ا لله ﷺ، فذكـروا ذلـك[(٦)] لـه، فقال: وما يدريك[(٧)] أنها رُقيـة ؟ ثـم قـال: قـد أصَبتُـم، فاقسِمُوا[(٨)] واضربـوا لي بسهم معكم منها[(٩)]، وضَحِكَ[(١٠)] النبي ﷺ .

وقال البخاريُّ[(١١)]: قال ابنُ عباس عن النبي ﷺ : أحَقُّ ما أخذتم عليـه أجـراً كتابُ ا لله .

---

(١) في الصحيح: « ولكن وا لله لقد استضفناكم » .

(٢) في الصحيح: « فانطلق يتفل عليه ويقرأ » .

(٣) في الصحيح: « نُشِطَ » وأنشط: رواية أبي داود ، باب كسب الأطباء، كتاب الإجارة .

(٤) في الصحيح: « وما به من قَلَبَة » . وفي اللغة هي العلة ، وقيل للعة قلَبَة؛ لأن المصـاب يُقلـب من جنب إلى جنب؛ ليعلم موضع الداء .

(٥) في الصحيح: « فأوفوهم » .

(٦) « ذلك » لا توجد في رواية الصحيح .

(٧) في ب: « يدريكم » .

(٨) في الصحيح: « اقسموا » .

(٩) في الصحيح: « معكم سهماً » .

(١٠) في الصحيح: « فضحك » .

(١١) ساقه البخاري في ترجمة باب ما يعطى في الرقية على أحيـاء العرب بفاتحـة الكتـاب/ كتـاب الإجارة .

وخرَّج أبو داود[١] عن عبادةَ بنِ الصَّامِتِ: قال: علَّمْتُ ناساً من أهل الصُّفَّةِ الكتابَ والقرآن، فأهدى إليَّ رجلٌ منهم قوساً، فقلتُ: ليست بمال وأرمي عليها في سبيل الله ؟ ولآتينَّ رسولَ الله ﷺ فلأسألنَّه، فأتيتُهُ فقلتُ: يا رسولَ الله، رجلٌ أهدَى إليَّ قوساً ممن كنتُ أعلِّمُهُ الكتاب والقرآن، وليست بمالٍ، وأرمي عليها في سبيل الله، فقال: إن كنتَ تحبُّ أن تُطَوَّقَ طوقاً من نارٍ فاقْبَلْهَا .

وفي روايةٍ أخرى قال[٢]: جمرةٌ بين كَتفيك[٣] تقلَّدْتَهَا أو عُلِّقْتَها .

قلتُ: مذهبُ أبي حنيفة وأصحابِهِ[٤]: مَنْعُ أخذِ الإجارة، فيُمكِنُ أن يكونَ ذلك مذهباً لحمزةَ، ويمكن أن لا يكون مذهبَه، ولكن تَركَه لاختلاف الأحاديث، ولاختلاف العلماء في ذلك .

وقد قال أبو محمَّدِ بنُ حَزم[٥] في حديث القوس: لا يصحُّ به الاستدلالُ؛ لأن في سنده الأسودَ بنَ ثعلبة، وهو مجهولٌ، قال ذلك عليُّ بنُ المَديني وغيرُهُ، ويُروَى أيضاً من طريق بقيَّةَ، وهو ضعيفٌ، ومنقطعٌ أيضاً .

وقال فيه عبد الحق[٦]: لا يُعارَض ما خرَّجه الشَّيخان بما خرَّجه أبو داود .

وقال فيه أبو الحسن القابسيّ: ويمكن أن يكونَ هذا المتعلم ممن لا يصحُّ أن يقبَلَ منه تطوع عطائه، ورأى هذا المعلم أن القوس ليست مالاً، ورأى أن أخذه

---

(١) انظر السنن، كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم برقم (٣٤١٦) .

(٢) سنن أبي دواد، كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم برقم: (٣٤١٧) .

(٣) في ب: « كتفيه » .

(٤) انظر بداية المجتهد، كتاب الجعل ٢/٢٣٥، وانظر تعليق ابن حجر على مذهب الحنفية في الفتح ٤/٤٥٣-٤٥٤ .

(٥) انظر المحلى، كتاب الإجارات، المسألة (١٣٠٦) ٨/١٩٣-١٩٦ .

(٦) انظر الأحكام الشرعية الصغرى لعبد الحق الإشبيلي ٢/٤٨٠ .

إياها من الظلم إذا فعله، إذ ليس ذلك واجباً عليه، إذ كان تعليمه من وجه الصدقة عنه، وهو ممن لا يصح له أن يُعطى .

وقال فيه ابنُ حبيب[١]: يمكن أن يكون ذلك في أول الإسلام حين كان القرآن في صدور الرجال غير فاشٍ ولا مستفيضٍ في الناس، فكان الأخذُ في تعليمه يومئذ في تلك الحال إنما كان ثمناً للقرآن، فأما بعد إذ صار فاشياً، والناس قد أثبتوه في المصاحف، وصارت المصاحف وما فيها مباحة للعالم والجاهل، والقارئ وغير القارئ، فإنما الإجارة على تعليمه إجارة البدن المستعمل في ذلك، وليس ثمناً للقرآن[٢]، كما أنَّ بيعَ المصاحف إنما بَيعٌ للرُّقوق / والخطِّ والصَّنعة، وليس بيعاً لما فيها موجوداً غيرَ مطلوب إلى أجل، ولا محجوبٍ عن أحد، ولا مخصوصٍ به بائعُ المصحف دون مشتريه، وكذلك تعليمُ ما في المصاحف إنما هو ثمنٌ وإجارةٌ للمعلِّمِ واشتغالِهِ بمن يعلِّمُهُ، وانفرادِهِ بالقعود لتعليمه، وشَغْلِ نفسِه به. ٦١/أ

ومن ورع حمزةَ ـ رحمه الله ـ ما حكاه خَلَفُ بنُ تميم، قال: مات أبي وعليه دَينٌ، فأتيتُ حمزةَ الزيَّاتَ، فسألتُهُ أن يكلِّمَ صاحبَ الدَّين أن يضَعَ عن أبي من دَينِهِ شيئاً، فقال لي حمزةُ: ويحكَ إنه يقرأُ عليَّ القرآنَ، وأنا أكرَهُ أن أشرَبَ في بيتِ مَن يقرأ عليَّ القرآنَ الماءَ .

ورُوي عنه أيضاً من طريق أحمدَ بنِ عبد الله بنِ صالح عن أبيه قال: كان

---

(١) انظر حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل ١٤/٧ باب الإجارة ، وانظر المعيار المعرب ٢٥٢/٨ الإجارة على تعليم القرآن . وابن حبيب هو: عبد الملك بن سليمان الأندلسي، فقيه، روى عنه بقي وابن وضاح. انظر تهذيب التهذيب ٣٩٠/٦ .

(٢) في ب: « في القرآن » .

حمزةُ سَنَةً يكون بالكوفة، وسَنَةً بحُلوان، فختم عليه رجلٌ من أهل حُلوان من مشاهيرهم، فبعث إليه بألف درهمٍ، فقال لأبيه: قد كنتُ أظنُّ أنَّ لك عقلاً! أنا آخُذُ على القرآن أجْراً؟ أرجو على هذا الفِردَوس[1].

قال أبو حامدٍ[2]: والورَعُ على أربع طبقات:

الأولى: وَرَعُ العدول، وهو الذي يجبُ الفسقُ باقتحامه، وتسقُطُ العدالة به، وهو الورَعُ عن كل ما تحرِّمُهُ فتاوي الفقهاء .

الثانية: وَرَعُ الصالحين، وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمالُ التحريم، ولكن المفتي يُرخِّصُ في التناول بناءً على الظَّاهِرِ .

قال: ويُحكَى عن ابن سيرينَ - رحمه الله تعالى - أنه ترَكَ لشَرِيكٍ له أربعةَ آلاف درهم؛ لأنه حاك في قلبه شيءٌ، مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به .

الثَّالثة: تركُ ما لا بأسَ به مخافةَ ما به بأسٌ، وهو وَرَعُ المتقين، وهو ما لا تحرِّمُهُ الفتوى، ولا شبهةَ في حِلِّيَتِه، ولكن يُخاف منه أداؤه إلى محرَّمٍ، ويشهد له قوله ﷺ[3]: «لا يبلغ العبدُ درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس» .

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4]: كنا ندَعُ تسعةَ أعشار الحلال مخافةَ أن نقع في الحرام.

وكان لبعضهم مائةُ درهم على إنسان فحمَلَهَا إليه، فأخذ تسعةً وتسعين، وتورَّع في استيفاء الكلِّ خيفةَ الزيادة .

الرابعة: ما لا بأس به أصلاً، ولا يُخاف منه أن يؤدِّيَ إلى ما به بأس،

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/٩٤ .

(٢) انظر الإحياء ٢/٩٥-٩٨ كتاب الحلال والحرام .

(٣) انظر الإحياء ٢/٩٥ .

(٤) الإحياء ٢/٩٥ .

والامتناع منه ورع الصديقين، ويحكى عن سَرِيٍّ أنه قال[1]: انتهيتُ إلى حشيشٍ في جبلٍ، وماءٌ يخرج منه، فتناولتُ من ذلك الحشيش، وشربتُ الماءَ، وقلتُ في نفسي: إن كنتُ قد أكلتُ يوماً حلالاً طيباً، فهو اليوم هذا، فهتف بي هاتفٌ: إن القوة التي أوصلتكَ إلى هذا الموضع من أين هيَ ؟ فرجعتُ وندمتُ .

و « ما » في قوله: « ما أزكاه » تعجُّبٌ، وهي اسمٌ تامٌّ عند سيبويهِ[2] والخليل، وهو مبتدأ، خبره: أزكاه، وهو فعلٌ عندهما، و « من متورِّعٍ » : « مِن » فيه زائدة،وهو في الأصل تمييزٌ لما انبَهَمَ في قوله: « ما أزكاه » ؛ لأن معنى ذلك: / ما في الدنيا مثله، وهذا كقولهم: لله درُّهُ مِن فارسٍ وفارساً؛ أي: ما في الدنيا مثله. و « إماماً » : يجوز أن يكون منصوباً على المدح، كأنه قال: أَمدَحُ إماماً، أو أعني إماماً . ٦٢/أ

و « للقرآن » : متعلِّقٌ بـ « مرتلا » ، ولامُـه[3] زائدةٌ؛ لدخولها على المفعول المتقدِّمِ، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[4] .

* * *

رَوَى خَلَفٌ عنه وخَلاَّدٌ الذي رَوَاهُ سُليمٌ مُتقَناً ومُحَصَّلا

راوِيَا حمزةَ: خَلَفٌ وخلاَّدٌ .

فأمَّا خَلَفٌ[5] فهو: أبو محمَّدٍ خَلَفُ بنُ هشَامِ بنِ طالبِ بنِ غُرابِ بنِ تَغلِبَ

---

(١) الإحياء ٩٧/٢ .

(٢) الكتاب ٧٢/١-٧٣، و٣٢٦/٢ . وانظر معاني الحروف للرماني ٨٧، والأزهية للهروي ٧٥، والمغني ٢٩٧/١ .

(٣) في ب: « أو لامه » .

(٤) سورة المزمل: ٤ .

(٥) الإقناع ١٢٦/١ .

البزَّارُ الصِّلْحِي، من أهل فَمِ الصِّلْح[1]، إمامٌ في القراءة، ثبتٌ عند أهل الحديث، حدَّث عنه أحمدُ بنُ حَنبَل والأئمَّةُ .

وُلد في رجبٍ سنة خمسين ومائة، حكاه النقَّاشُ عن أبي الحسن بنِ البراء .

قال أبو عمرو[2]: وله اختيارٌ أخذَ به وحُمِلَ عنه، متقدِّمٌ في رواية الحديث، صاحبُ سنَّةٍ .

وقال يحيى الفحَّام: رأيتُ خلفَ بنَ هشَامٍ البزَّارَ في المنام فقلتُ له: يا أبا محمَّدٍ ما فعَلَ بكَ ربُّكَ ؟ قال: غفَرَ لي، وقال لي: اقرَأْ عليَّ، فقرأتُ عليه القرآنَ، فما غيَّر عليَّ إلا حرفاً واحداً: ﴿وما أنتم بمُصرِخيِّ﴾[3].

وقال خَلَفٌ[4]: كنتُ أحضُرُ بين يدَي الكِسَائيِّ وهو يقرَأُ على الناس ويُنَقِّطُون مصاحفَهم بقراءته عليهم .

وقال خَلَفٌ البزَّارُ: أشكَلَ عليَّ بابٌ من النحو فأنفقتُ ثمانين ألفَ درهمٍ حتى حذقتُهُ .

وتُوفيَ ببغداد وهو مختفٍ أيامَ الجهميَّةِ، يوم السبت لِسَبعٍ خلَون من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين في خلافة الواثِقِ بالله، قالَهُ غيرُ واحد من أئمةِ أهل الحديث .

وقال ابنُ مجاهِدٍ[5]: ماتَ خلَفٌ وله ثمانيةٌ وستُّونَ عاماً وستةُ أشهر، فعلى هذا مَولدُه بعد سنة خمسين، والله أعلم .

---

(١) نهر كبير فوق واسط ، وانظر معجم مقيدات ابن خلكان: ٢٥٠ .

(٢) انظر معرفة القراء الكبار ١/١٧١ .

(٣) سورة إبراهيم: ٢٢ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/١٠١ .

(٥) انظر الإقناع ١/١٢٧-١٢٨ ولا يوجد النص في كتاب السبعة .

وأما خلاَّدٌ[١] فهو: أبو عيسى خلاَّدُ بنُ خالد، قاله الحُلواني، وقال مُسلِمٌ: خلاَّدُ بنُ عيسى، وقال غيرُهما: خلاَّدُ بنُ خُلَيد الشَّيباني الصيرفي الكوفي .

قال ابنُ مجاهد[٢]: كان ممَّن رَوَى القراءةَ عن حمزةَ، وخَلَفَهُ في القيام بها خَلْفَهُ: خلاَّدٌ الأحوَلُ .

وأخبر هارونُ بنُ يوسُفَ عن أبي هشام قال: كان أقرَأَ مَن قرَأَ على حمزةَ أربعةٌ: إبراهيمُ الأزرقُ، وخالدٌ الطَّيبُ، وخلاَّدٌ الأحوَلُ، وكان عبدُ الرحمن بنُ أبي حمَّادٍ أكبرَهم وأعلَمَهم بعلل القرآن .

وتُوفي خلاَّدٌ بالكوفةِ، قال البخاريُّ[٣]: سنة عشرين ومائتين .

وقرأ خَلَفٌ وخلاَّدٌ كلاهما على أبي عيسى أو أبي محمَّدٍ سُليمُ بنُ عيسى الحنفيُّ الكوفيُّ، وقرأ سُليمٌ على حمزةَ، وكان سُليمٌ من أضبط أصحابه لقراءته، وهو الذي خلَفَه في القيام خَلْفَه .

وقال يحيى بنُ عبد الملك[٤]: كنا نقرأ على حمزةَ ونحنُ شَباب، فإذا جاء سُليمٌ يقول لنا حمزةُ: تحفَّظوا وتثبَّتُوا فقد جاء سُليمٌ /. ٦٣/أ

وقال الكِسَائيُّ[٥]: كنتُ أقرَأُ على حمزةَ، فجاء سُليم فتَلَكَّأتُ[٦]، فقال لي حمزةُ: تَهابُ سُليماً، ولا تهابُني؟ فقلتُ: يا أستاذُ، أنتَ إن أخطأتُ قوَّمتَني،

---

(١) الإقناع ١/١٢٧-١٢٨ .

(٢) انظر السبعة: ٧٥ بتصرف .

(٣) انظر الإقناع ١/١٢٧ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٥ .

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٥ .

(٦) من ب : وفي الأصل « فتلكيتُ » .

وهذا إن أخطأتُ عيَّرَني .

وقال ضِرارُ بنُ صُرَدٍ[١]: عَمَّن سمِعَ سُليم بنَ عيسى، وأتاه رجلٌ فقال: يا أبا عيسى جئتُكَ لأقرأ بالتحقيق! فقال: يا ابنَ أخي، شهدتُ حمزةَ، وأتاه رجلٌ في مثل هذا فبكى، وقال: يا ابن أخي إنما التَّحقيقُ صونُ القرآن، فإنْ صُنْتَه فقد حقَّقتَه، هذا هو التَّشديق[٢]، فمضى الرجلُ ولم يَقرَأ عليه .

قال سُليم: قرأتُ القرآنَ على حمزةَ عشرَ مرات. ولم يخالفْه في شيء من قراءته، وتوفي سُليمٌ بالكوفة سنة ثمان، وقيل: سنة تسع وثمانين ومائة، ووُلد سنةَ ثماني عَشْرَةَ ومائةٍ[٣].

قولُه: « الذي رواه » : مفعولٌ بـ« رَوَى » ، ويتعلقُ « عنه » بـ« رَوَى » ، ولا يجوزُ تعلُّقُه بـ« رواه » لأنه إذا كان متعلقاً به من تمام الصلة، وما هو من الصلة لا يتقدم على الموصول . و« متقَناً » حالٌ من هاء« رواه » ، أو من « الذي » .

يقول: أخذ خلفٌ وخلاَّدٌ القراءةَ عن سُليمٍ عن حمزةَ .

* * *

وَأَمّـــــا عَلِيٌّ فَالكِسَائيُّ نَعْتُـهُ لِمَا كَانَ في الإحرَامِ فيهِ تَسَرْبَلا

هذا آخِرُ السَّبعة والثلاثةِ منهم، وهو : **أبو الحسن عليُّ بن حمزةَ**[٤] بنِ عبد الله بنِ بُهمانَ بن فيروز الكوفيُّ النحويُّ، مولىً لبني أسد .

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٦ .

(٢) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٦ ، وفيه (التحقيق) بدل (التشديق) .

(٣) انظر معرفة القراء الكبار ١/١١٥-١١٦ .

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/١٠٧، والغاية ١/٥٣٥-٥٤٠ ، والإقناع ١/١٣٨-١٤٠ .

واختُلِفَ في تسمية الكِسَائيِّ، فرَوَى عبدُ الرحيم بنُ موسى أنه سأله فقال[1]: لم سُمِّيتَ الكِسَائي ؟ قال: لأني أَحرَمْتُ في كِسَاء، وقيل: سُمي بذلك لأنه كان من باكُسَايا، قرية من السواد. فإن صحَّ هذا فيكونُ قولهم فيه «كِسَائي» من شاذ النسب، والقياس أن يُقال: باكُسَائي أو باكُسَاوي؛ لأن ألفَه زائدةٌ على أكثرَ من أربعة[2] أحرف فتحذف، ثم تقع الياءُ طرفاً فتنقلب همزةً ثم تُقلب واواً في النسب، أو تبقى على حالها همزةً، ونظيرُه النَّسَبُ إلى بَرْدَرَايا، تقول فيه: برْدَرَائي وبَرْدَرَاوي، وأما على القول الأول فقولهم فيه: كِسَائي جارٍ على القياس، لكنه يجوزُ أن يُقالَ فيه: كِسَاوي .

وقد قال بعضُهم: إنما قيل له ذلك لأنه كان يتّشحُ بكِسَاء، ويجلسُ في مجلس حمزةَ، فإذا أراد أن يقرَأَ يقولُ حمزةُ: اعرضُوا على صاحب الكِسَاء .

وكان ـ رحمه الله ـ صادقَ اللهجة، متسِعَ العلم بالقرآن والعربية واللغة، وهو مادَّةُ نحويِّي الكوفة وعمدتُهُم .

وقيل لأبي عمر الدُّوريِّ: كيف صحبتم الكسائيَّ على الدُّعابة التي كانت فيه ؟ قال: لصدق لسَانه .

وإليه انتهت الإمامة في القراءة ببغدادَ بعد وفاة حمزةَ .

وقد كان نظر في وجوه القراءات، وكانت العربيةُ علمَه وصناعتَهُ، واختارَ من قراءة حمزةَ وقراءة غيرِه قراءةً متوسطة غيرَ خارجة عن أثرِ مَن تقدَّمَ من الأئمة .

---

(١) جمال القراء ٢/٤٤١، والغاية ١/٥٣٩ .

(٢) التصحيح من ب، وهو في هامش أ غير بين إلى حد ما .

توفي برَنْبَوْيه، قريةٍ من قرى الرَّيِّ حين توجه مع هارون إلى خراسان / . ٦٤/أ

قال البخاريُّ: سنة تسع وثمانين ومائة، وقيل سنة إحدى وثمانين، وقيل: سنة اثنتين وثمانين، وقيل: سنة ثلاث وثمانين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين .

قرأ على حمزةَ بنِ حبيبٍ الزَّيَّاتِ، وعليه اعتمادُه، وقرأ عليه القرآنَ كلَّه أربعَ مراتٍ، وقرأ أيضاً على محمد بنِ عبد الرحمن بنِ أبي ليلى، وعلى أبي عبد الرحمن عيسى بنِ عمَرَ الهمْدَانيِّ، وقرأ عيسى على عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ والأعمشِ، وقد تقدَّمَت أسانيدهم .

وقرأ عيسى أيضاً على أبي عبد الله طلحة بن مصرف بنِ عمرو بنِ كعب اليامي، وقرأ طلحةُ على يحيى بنِ وثَّاب، وقرأ أيضاً على أبي عمرانَ إبراهيمَ بنِ يَزيدَ النَّخعيِّ، وقرأ إبراهيمُ على علقمةَ والأسودِ، وقرآ على عبد الله بنِ مسعود عن النبي ﷺ [١].

وأخذ أيضاً الكِسَائيُّ الحروفَ عن جماعة من الكوفيين وغيرِهم منهم: أبو بكر بنُ عيَّاشٍ عن عاصم، وإسماعيلُ بنُ جعفر عن نافعٍ، وزائِدةُ بنُ قدامة عن الأعمشِ، وسمع من الأعمش حرفاً واحداً وهو: ﴿مِن بُطُونِ إِمِّهَاتُكُم﴾[٢] بكسر الهمزة والميم، وقال: لا أحفظ عنه غيره، يعني من الحروف .

وقال الكِسَائيُّ: قرَأَ عليَّ المأمونُ، فلما بلغ سورة الأنبياء قال: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾[٣] فقلت: ﴿وحِرْمٌ[٤]على قَرْيَةٍ﴾ فقال لي: مَن قرأ هذا ؟ قلتُ: ابنُ

(١) الإقناع ١/١٤٦-١٤٧ .

(٢) سورة النحل: ٧٨ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية: ٩٥ . وقوله: « على قرية » سقط من ب .

(٤) وهي قراءة الكسائي .

عمِّكَ ابنُ عبَّاس، فقال لو كنتُ زمَنَه ما وَدَعْتُـهُ[١] يقـرأُ كذلـك، أفلَـهُ مخـرَجٌ في كلام العرب؟ قلتُ: نعم، فأنشدتُهُ[٢]:

إنْ تَدْعُ مَيْتاً لا يُجِبْكَ بحِيلَةٍ وَحِرْمٌ علَى مَنْ مَاتَ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وقال الفراءُ يحيى بنُ زيادٍ[٣]: مدَحَني رجلٌ من النحويين، وقال لي: ما اختلافُكَ إلى الكِسَائي، أنت مثله في العلم؟ فأعجبتْني نفسي، قال[٤]: فناظرتُهُ وسألتُهُ، فكأنِّي كنتُ طائراً يغرِفُ من البحر بمنقاره .

وقال الفراءُ[٥] أيضاً: لقيتُ الكسائيَّ يوماً فرأيتُهُ كالباكي، فقلتُ: ما يُبكيك؟ فقال: هذا الملكُ يحيى بنُ خالد، يوجِّه إليَّ فيسألني عن الشيء، فإن أبطأت في الجواب، لحقني منه عيبٌ، وإن بادرتُ لم آمنْ من الزَّلَل، قال: فقلتُ ممتحناً: يا أبا الحسن، مَن يعترض عليك، قل ما شئتَ، فأنت الكِسَائيُّ، فأخَذَ

---

(١) ماضي (يدع)، قال أبو الفتح في المحتسب ٣٦٤/٢ في قراءة « ما ودَعَك » بالتخفيف المنسوبة إلى عروة بن الزبير : « هذه قليلة الاستعمال، قال سيبويه: استغنوا عن وذَرَ ووَدَع بقولهم: ترك، وعلى أنها قد جاءت في شعر أبي الأسود، قال: وأنشدناه أبو علي:

ليت شِعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودَعَهْ

إلا أنهم قد استعملوا مضارعه فقالوا: يدع، ويروى بيت الفرزدق:

وعض زمان يا ابنَ مروان لم يدع من المـال إلا مسـحتاً أو مجلَّفُ »

وسيبويه على أنه لم يستعمل، قال: « كما أن يدع ويذر على ودعتُ ووذرتُ وإن لم يستعمل » الكتاب ١٠٩/٤ .

(٢) انظر فتح الوصيد للسخاوي عند شرح البيت ، و لم أقف لهذا البيت على قائل .

(٣) انظر معرفة القراء الكبار ١٠٤/١ .

(٤) « قال » سقط من ب .

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ١٠٥/١ .

لسانَه بيده وقال: قطَعَه الله إن قلتُ ما لا أعلم .

وعن عليٍّ الأثرَم[1] قال: كنتُ أتكلمُ في الكِسَائيِّ وأقَعُ فيه، فرأيتُه في النوم وعليه ثيابٌ بيضٌ ووجهُهُ كالقمر، فقلتُ: يا أبا الحسن ما فعل الله بك؟ قال: غَفَرَ لي بالقرآن .

وحكى أبو سعيدٍ الحسنُ بنُ عبد الله السِّيرافيُّ قال: رثَى اليزيديُّ الكِسَائيَّ ومحمَّدَ بنَ الحسن الفقيه صاحبَ أبي حنيفة، وكانا قد خرجا مع الرشيد إلى خراسان، فماتا في الطريق، فقال فيهما[2]:

تَصَرَّمَتِ الدُّنيا فلَيسَ خُلُودُ ... وَمَا قَد تَرَى مِن بَهْجَةٍ سَيَبِيدُ
لِكلِّ امْرِئٍ كَأسٌ مِنَ الموتِ مَنهَلٌ ... ومَا إنْ لَنَا إلاَّ عَلَيهِ وُرُودُ
ألم تَرَ شَيباً شَامِلاً يُنذِرُ البِلَى ... وَأنَّ الشَّبَابَ الغَضَّ لَيسَ يَعُودُ
/سَيَأتِيكَ مَا أَفنَى القُرونَ التِي مَضَت ... فَكُنْ مُستَعِدّاً فَالفَنَاءُ عَتِيدُ
أَسِيتُ علَى قاضي القُضَاةِ محمَّدٍ ... فَأَذْرَيتُ دَمعِي وَالفُؤَادُ عَمِيدُ
وقُلْتُ إذَا مَا الخطْبُ أَشكَلَ مَنْ لَنَا ... بإيضَاحِهِ يَوماً وَأَنتَ فَقِيدُ
وأَفْجَعَنِي مَوتُ الكِسَائيِّ بَعْدَه ... وَكَادَتْ بِيَ الأرضُ الفَضَاءُ تَمِيدُ
وأَذْهَلَنِي عَن كُلِّ عَيشٍ ولَذَّةٍ ... وَأَرَّقَ عَينِي والعُيونُ هُجُودُ
هُمَا عَالِمَانَا أَودَيَا وَتُخُرِّمَا ... فَمَا لَهُمَا في العَالَمِين نَدِيدُ
فَحُزْنِيَ أَنْ يَخْطُرْ على القَلْبِ خَطْرَةً ... بِذِكْرِهِمَا حَتَّى المَمَاتِ جَدِيدُ

---

(١) انظر فتح الوصيد عند شرح البيت .

(٢) انظر معرفة القراء الكبار ١٠٦/١، والغاية ٥٤٠/١ .

قولـه: « فالكسـائي نعتُـهُ » يُريـدُ: صفتُـهُ؛ أي: نُعِـتَ بذلـك لإحرامـه فيـه، وتسربَلَ الرجلُ: اتخذ سِربالاً، والضمير من قولـه: « فيـه » يجـوز أن يكـون عـائداً على ما يفهم من الكسائي من لفظ الكسـاء، وعُـدي إليـه بـ « في » لأنـه أشـربه معنى: حلَّ، وإنما عدى الفعل بفي إلى اسمين: أحدهما: الإحرام، والآخر: ضمـير الكسائي لاختلاف معناهما؛ لأن أحدهما زمان والآخر مكان، ونحـوٌ منـه قـول امرئ القيس[1]:

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ ... بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذبُلِ

فعلق بـ «يذبل»،وبـ«كل» بـشدت لاختلاف معناهما، ونحوٌ منه قوله أيضاً[2]:

وَيَوماً على ظَهْرِ الكَثِيبِ تَعَذَّرَتْ ... عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَـةً لَمْ تَحَـلَّلِ

ويجوز أن يكونَ هذا الضمير من قوله: « فيه » عائداً على الإحـرام علـى أنـه بدلٌ منه بدل المضمر من الظاهر، ويكون معمول « تسربل » محذوفاً كأنه قال: لَّما كان في الإحرام تسربل به، و « ما » في قوله: « لمـا » مصدريـة كأنـه قـال: لكونـه تسربل في الإحرام بالكساء .

* * *

رَوَى لـيثُهُم عنه أبو الحـارث الرِّضَى
وحفصٌ هو الدوري وفي الذِّكْرِ قد خلا

رَاوِيَا الكِسَائيِّ: أبو الحـارثِ والـدُّوريُّ المذكـورُ في روايـة أبـي عمـرو بـنِ العلاء .

---

(١) ديوانه: ١٩، وهو من معلقته .

(٢) ديوانه أيضاً: ١٢ .

فأما أبو الحارثِ[(١)] فهو: الليثُ بنُ خالدٍ المروَزِيُّ البغداديُّ، ويُقالُ: أبو الحارث المرْوَزِيُّ آخَرُ، وهذا بغداديٌّ[(٢)]، وذكرَ الأهوازيُّ أنه تُوفي سنة أربعين ومائتين[(٣)].

وأما الدُّوريُّ[(٤)]، فقد تقدَّمَ نَسَبُهُ، وكان قد قرأ سائرَ حروف السَّبعة، وكتبَ الحديثَ، وسمع كثيراً، وصنَّفَ كتاباً في القراءات[(٥)]، وعُمِّرَ، وعَمِيَ في آخر عُمُره .

قوله: « الرِّضَى » : يُريدُ: ذو الرضى[(٦)]، وقوله: « هو الدُّوريُّ » : بيانٌ لحفص مَن هو، وقوله: « وفي الذِّكر قد خلا » : يعني هو المتقدم الذِّكْرِ، لئلا يُتوهم أنه غير المتقدم الذِّكْرِ .

* * *

---

(١) الإقناع ١٤٠/١ .

(٢) قال أبو عمرو الداني: « وقد غلِطَ أحمد بن نصر في نسبته، فقال: الليث بن خالد المروزي، وذاك رجل آخر من أصحاب الحديث، سمع من مالك بن أنس، وجماعة، يكنى أبا بكر » انظر معرفة القراء الكبار ٧٣/١ .

(٣) الإقناع ١٤٠/١ .

(٤) الإقناع ٩٤/١، ومعرفة القراء الكبار ٥٧/١ .

(٥) قال ابن الجزري في النشر ١٣٤/١: « إنه أول مَن جمع القراءات » .

(٦) انظر الكنز للجعبري في شرح البيت .

أَبُو عَمْرِهِمْ وَاليَحْصُبِيُّ بنُ عَامِرٍ صَرِيحٌ وبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِـهِ الوَلاَ

الصريح: الخالصُ النسب[1]، وقد يكون أنْفَسَ القوم. قال الحارثيُّ[2]:

جَزَى ا للهُ قوماً بالكُلاب مَلاَمَةً صَرِيحَهُم وَالأَقْـرَبِينَ الموَالِيَا

وأراد الناظمُ الأولَ، وقد بيَّنا ذلك في ذكرِ أنسابِهِم، ونَسَبُ ابنِ عامرٍ إلى يحصُب؛ لأنهم من حِمْيَر، فأبو عمرو بنُ العلاء مازنيٌّ، وابنُ عامرٍ يحصُبيٌّ، فهما إذن صريحان .

قـال أبو عمرو الدانيُّ[3]: حَدَّثَ ابنُ مجاهد قال: حدَّثُوني عن محمَّدِ بن بِسطامٍ[4] قال: مرَّ / أبو عمرِو بنُ العلاء بمجلسِ قومٍ، فقال رجلٌ من القوم: ليتَ شِعري مَن هذا؟ أعربيٌّ هو أم مولىً؟ ـ وهو على بغلته ـ فقال: النَّسبُ في مازن، والولاءُ للعنبر[5]، وقال للبغلة: عَدَسْ[6] ومضى . ٦٥/أ

(١) وقد يقال: الصميم. قال المتنبي:

تشابهت البهائم والعِبِدَّى علينا والموالي والصميمُ

وفي الشرح المنسوب إلى العكبري ٤/١٥١: «الصميم: الصريح الخالص النسب» وانظر شرح الواحدي على الديوان ٦٨٩ .

(٢) هذا البيت من قصيدة عدتها عشرون بيتاً لعبد يغوث الحارثي اليمني، قالها بعد أن أسر في يوم الكلاب الثاني (كلاب تيم اليمن)، وقتل أسيراً .

(٣) انظر الكامل في القراءات الخمسين للهذلي، ورقة (١١) مخطوط، وانظر معرفة القراء الكبار ١/٨٧ .

(٤) في معرفة القراء الكبار ١/٨٧ : «ابن سلاّم» .

(٥) في الكامل للهذلي: «النسب لتميم والولاء لمازن» ورقة (١١) .

(٦) عدَسْ لزجر البغال، ويقال: حدَسْ بالحاء. انظر الصحاح واللسان والتاج (عدس، حدس) .

وحدَّث ابنُ مجاهد[1] قال: حدثني بعضُ أصحابنا عن أبي بكر بنِ خلاَّدٍ، عن وكيعِ بنِ الجرَّاحِ قال: قرأتُ على قبرِ أبي عمرو بن العلاء بالكوفة: هذا قبرُ أبي عمرو بن العلاء مولى بني حنيفةَ .

قال أبو عمرو الدانيُّ: فأخبرنا عبدُ العزيز بنُ محمَدٍ قال: حدثنا عبدُ الواحد بنُ عمَرَ قال: وإنما قيل هذا؛ لأنَّ أمَّه من بني حنيفةَ، واسمها: عائشةُ بنتُ عبد الرحمن بنُ ربيعةَ بنِ بكر من بني حنيفةَ، حكى ذلك بعضُ النسَّابين .

قلتُ: لم يَعتبر النَّاظمُ هذه الحكايةَ، وإنما اعتمَد على ما ذكَرَ أبو عمرو في التيسير[2]، قال: وليس في القرّاءِ السَّبعةِ من العرَبِ غيرَه وغيرَ أبي عمرو، والباقون مَوالٍ، يعني غيرَ ابنَ عامر .

ويحصُبُ فيه لغتان: ضمُّ الصَّاد وكسرُها، فمَن ضَمَّها ضمَّها في النسب لا غير، ومَن كَسَرَها جاز له في النَسَب وجهان: الكسرُ والفتحُ، فالكسرُ على الاعتداد بالسَّاكن، فكأنه بمنزلة نَمِر، وكلُّ ما كان كذلك يُفتَحُ في النسب خوفاً من غلَبَةِ الكسَرَات على الكِلْمَةِ، إذ لم يبقَ فيها غيرَ مكسورٍ إلا حرفٌ واحدٌ .

و « صريحٌ » : خبر ابتداء مضمَر تقديره: نسبُهما صريح، والجملة خبر المبتدأين المعطوف والمعطوف عليه .

ويجوز أن يكون « أبو عمرو » محذوف الخبر؛ لدلالة الثاني عليه، كأنه قال: أبو عمرهم صريح، واليحصِّبي بن عامر صريح، ونظيره ما أنشده سيبويه لقيس

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/٨٧ .

(٢) التسير: ٥-٦ .

ابن الخطيم[1]:

نحنُ بما عندَنَا وأنتَ بما عندَكَ رَاضٍ والرأيُ مختلفُ

التقدير: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض، ومثله قوله تعالى على بعض التأويلات: ﴿والله ورسُولُهُ أحقُّ أن يُرضُوهُ﴾[2] التقدير: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه .

ومعنى إحاطةُ الولاء بالباقين: اجتماعُهُم فيه، وأفردَ الضميرَ العائدَ على «باقيهم» لأنه مفرَدُ اللفظ، وإن كان جمعاً في المعنى .

* * *

لَهُم طُرُقٌ يَهدِي بهَا كُلُّ طَارِقٍ ولا طَارِقٌ يُخْشَى بِهَا مُتَمَحِّلاَ

الطُّرُقُ: جمعُ طريق، ويُذكَّر ويُؤنَّثُ، قال يعقوب[3]: يقال: الطريقُ الأعظم، والطريقُ العظمى، والمراد بالطريق هنا: المذاهبُ المنسوبةُ إليهم؛ لأنها مختلفة، لأن منهم أهلَ الحذْرِ، وأهلَ المد، وأهلَ التحقيق، وأهلَ التسهيل، وأهلَ الإظهار، وأهلَ الإدغام، على ما سيأتي بيانُه بعدُ إن شاء الله تعالى .

ويَهدي بمعنى: يُرشَد، وإذا استُعمِلَ في الدين فمصدره: هُدىً، وإذا استُعمل

---

(١) ديوانه: ١٧٣، وينسب إلى حسان بن ثابت في ديوانه: ١٧٢، والصواب نسبته إلى عمرو ابن امرئ القيس كما في الخزانة ١٠/٢٩٥، ٤٧٦ ، وانظر جمهرة أشعار العرب ١/١١٣ ، ونسب إلى درهم بن أبي زيد الأنصاري في الإنصاف مسألة (٦٥). انظر تعليق الطناحي في أمالي ابن الشجري ٢/٢٠ . والبيت من شواهد الكتاب، وقد نسبه سيبويه إلى قيس بن الخطيم، وانظر تعليق عبد السلام هارون في الهامش (١) من الكتاب ١/٧٥ .

(٢) سورة التوبة: ٦٢ .

(٣) انظر الصحاح واللسان (طرق) .

في الطريق فمصدره: الهداية، والطارِقُ الأول يُراد به النَّجْمُ، وأصلـه للـذي يـأتي ليلاً، ثم سُمي النَّجمُ طارقاً لذلك، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾[1] ثـم يُستعارُ للرجُلِ العـالِمِ؛ لأنه يُهتَدَى به كما يهتـدَى بـالنجم. قـال الله تعـالى: ﴿وَبِـالنَّجْمِ هُـمْ يَهْتَـدُونَ﴾[2]، وقـالﷺ[3]: « أَصْحَـابِي كَـالنُّجُومِ بِـأَيِّهِمُ اقتَدَيْتُـمُ اهتَدَيْتُم[4] » .

والطَّارِقُ الثاني: المدلِّـسُ، وفي الحديـث[5]: « أَعُـوذُ بِـكَ مِـن طَـوَارِقِ اللَّيـلِ والنَّهَارِ إلاَّ طَارِقاً يَطرُقُ بخير » . وأصلُه أيضاً للذي يأتي ليلاً؛ لأنه محلُّ الآفاتِ .

و« مُتَمِحِّلاً » : متفعِّلاً من قولك: مَحَلَ به؛ أي: مَكَرَ، يقول: هؤلاء الأئمـة السَّبعةِ مذاهبُ يَهدِي بها العلماءُ كلَّ مَن استهداهم بها؛ لأنَّ القرآنَ نورٌ يَهـدِي به الله مَن يشاء. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَـا إِلَيْكُـمْ نُـوْراً مُبِينـاً﴾[6] و﴿فيـهِ هُـدىً للمُتَّقِينَ﴾[7] .

« ولا طارقٌ يُخشَى » / : أي لا يُخافُ بسبب تلك المذاهـبِ مدلِّسٌ، وقـد قال أولاً: ٦٧/أ

---

(١) سورة الطارق: ١ .

(٢) سورة النحل: ١٦ .

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع العلم٢/٩١، وتتبع الألباني سنده في السلسلة، وحكم بوضعه، انظره برقم: ٥٨ .

(٤) « اهتديتم » سقط من ب.

(٥) انظر ضعيف الجامع رقم: ٤٩٥٢ .

(٦) سورة النساء: ١٧٤ .

(٧) سورة البقرة: ٢ .

... ... فَجَاهِدْ به حبلَ العِدا متحَبِّلا

وأخلِقْ بهِ ... ...

وكيف يخافُ من المتمحِّلِ مَن بيده البرهانُ القاطِعُ، والضِّياءُ اللامِعُ ؟!

وارتفاعُ « ولا طارقٌ » على أنه اسمُ لا، أعمَلَها إعمالَ ليس، ولا يجوزُ رفعُهُ بالابتداء؛ لعدم تكرُّرِهَا. و « يُخشَى » في موضع نَصْبٍ على أنه خبرُ لا، ونَصْبُ «متمحِّلاً» على الحال من الضمير في « يُخشى » .

* * *

وهُـــــــنَّ اللوَاتي للمُــوَاتي نَصَبْتُهَا

مَناصِبَ فانصَب في نصَابكَ مُفضِلا

« هن » عائدٌ على الطُرُق، و « اللواتي » جمع التي، و « المُواتي » : المُوافـقُ مـن قولك: واتاه الأمـرُ: وافَقَـهُ، و « نصَبْتُهَـا » : أبرزْتُهـا ورفعتُهـا، و « المَنـاصِبُ » : أعلام العزِّ والشَّرف، و « النَّصَبُ » : التعبُ، يقالُ منه: نَصِـبَ ينصَـب نصَبـاً[1]؛ والأمر منه: انصَب، إذا أقمتَهُ ورفعْتَـهُ، ونصـابُ الشـيءُ: أصلُـهُ، ومنـه نصـابُ الحال، والمرادُ هنا بقوله « نصابك » النيَّةُ؛ لأنها أصـلٌ في جميـع الأعمـال؛ لقولـه ﷺ[2]: « إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ » .

و« مُفْضِّلا » : اسمُ فاعل من قولك: أفضـلَ الرجـلُ في الحسَـب والشَّـرف: حازَهُمَا، قال الشَّاعرُ[3]:

لاَهِ ابْنُ عَمِّكَ لاَ أَفضَلْتَ في حَسَبٍ عَنِّي وَلاَ أَنتَ دَيَّـــانِي فَتَخزُوني

---

(١) بابه طَرِبَ. انظر الصحاح (نصب) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي .

(٣) لذي الاصبغ العدواني في الخزانة ١٠/١٢٤، ٣٤٤ ، والمفضليات: ١٦٠ .

يقولُ: هذه الطُّرُق التي أَودَعْتُها هذا النظمَ إنما أردتُ بها مَـن يوافقـني على ما اصطلحتُ عليه في حال كونها منـاصبَ للعزِّ والشرف، فـاتعَبْ في تحصيـل ذلـك في حـال كونـك مفضـلاً في نصابك بـالإخلاص فيهـا لله تعـالى، وقصـد التقرب إليه بذلك.

وَهَـا أنَا ذَا أَسْعَى لَعَلَّ حُرُوفَهُمْ   يَطُوعُ بهَا نَظْمُ القَوافِي مُسَهَّلا

طَاعَ الشيءُ يَطُوعُ: إذا انقادَ طوعاً .

وحكى ابن القوطيـة[1]: طـاع طَيعـاً، ويقـال فيـه: أطـاع وتطـوَّعَ: تكلَّـفَ الاستطاعة، والتَّطوُّعُ: التبرُّعُ، وأسعى: أحرِصُ وأجتهـدُ، وحروفُهُـم: قراءاتهـم، ومنه قولهم: في حرف أبيٍّ كذا، وفي حرف عبد الله كذا .

أَخبرَ أنَّه يَذكُرُ في هذا النظم قراءاتِ السَّبعة .

والقوافي: جمعُ قافية، واختُلِفَ في مسمَّاها، فقيل: القافيـةُ: آخِـرُ الكلمـة في البيت، وهو مذهبُ الأخفش[2]؛ قال: لأنها تقفُو الكلامَ .

وقيل: هي كلمتان من آخرِ البيت[3] .

وقيل: هي النصفُ الآخر[4].

---

(١) الأفعال: ١١٧، ١٧٠ ، والأفعال لابن القطاع (طوع) ٣٠٩/٢ .

(٢) انظر القوافي للأخفش: ٦ ، وانظر صنعة الشعر للسيرافي ٢٧٠ ، وانظر كـلام الدكتـور البنـا في مفهوم تعريف القافية عند الأخفش والخليل من خلال كتابه (ابن كيسان النحوي) ٨١- ٨٣ .

(٣) انظر صنعة الشعر للسيرافي: ٢٧٠ .

(٤) المصدر نفسه .

وقيل: هو البيتُ بكماله[١] .

وقيل: ما بين آخرِ حرفٍ في البيت إلى أوَّلِ ساكنٍ يليهِ من قبلِهِ مع المتحرك الذي قبلَ السَّاكن نحو:

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ[٢]

فالحرفُ الأخير هو / الرَّويُّ، وهو اللامُ، والنُّون هو الحرف الساكن، والحرف الذي قبله هو الميم، فالقافية على مذهب هذا هي من الميمُ إلى اللام، وهو مذهبُ الخليل[٣] . ٦٨/أ

ولها خمسةُ أسماء[٤] وهي: المتكَاوِسُ، والمتراكِبُ، والمتدارَكُ، والمتواتِرُ، والمترادِفُ.

فأما المتكاوِسُ[٥]: فكلُّ قافيةٍ تَوَالَت فيها أربعةُ أحرُفٍ متحرِّكَاتٌ بينَ ساكنين، وأكثرُ ما يقَعُ ذلك من الشِّعرِ في الرجز نحو (فَعَلَتُنْ) نحو قوله[٦]:

وَزَعَمُوا وَكَذَبُوا بِأَنَّهُمْ لَقِيَهُم عُلَبِطٌ فَشَرِبُوا

وأمَّا المتراكِب[٧]: فهو كلُّ قافية توالت فيها ثلاثةُ أحرف متحركات بين

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) مطلع معلقة امرئ القيس في ديوانه: ٨ .

(٣) انظر صنعة الشعر للسيرافي: ٢٧٠-٢٧١ .

(٤) لها اثنان وثلاثون اسماً، شرحها السيرافي في صنعة الشعر . انظر من ص: ٢٦٩ إلى ٣٠٦ .

(٥) انظر صنعة الشعر: ٢٧٢ .

(٦) البيت في صنعة الشعر للسيرافي: ١٣١، وتقطيعه:

(فَعَلَتُن فَعَلَتُنْ مَفَاعِلُنْ فَعَلَتُنْ فَعَلَتُنْ فَعَلَتُنْ)

(٧) صنعة الشعر للسيرافي: ٢٧٢، وتقطيعه:

(مستفعِلُن فاعلُن مستفعِلُن فَعِلُن مستفعِلُن فاعلُن مستفعِلُن فَعِلُنْ)

ساكنين نحو: مفاعَلَتن، نحو قوله[1]:

يَا حَارِ لا أُرْمَيَنْ منكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي وَلاَ مَلِكُ

وأمَّا المتدارَك[2]: فكلُّ قافية توالت فيها حركتان بين ساكنين نحو: متَفَاعِلُن نحو قوله:

قِفَا نبكِ من ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ

وأمَّا المتواتِرُ[3]: فكلُّ قافية وقع فيها حرفٌ متحرِّكٌ بين ساكنين نحو: مفاعيلن، نحو قوله[4]:

أَلاَ عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالي

وأمَّا المترادِفُ[5]: فكلُّ قافية اجتمع في آخرها ساكنان نحو: متفاعلان نحو قوله[6]:

لَيسَ بما لَيسَ بَأْسٌ بَاسْ
وَلاَ يَضُرُّ المرْءَ مَا قَالَ النَّاسْ

قوله: « ها أنا ذا أسعى »: أنا: مبتدأ، وذا: خبره، وأسعى: في موضع نصب

---

(١) من البسيط، وهو في ديوان زهير بن أبي سُلمى: ١٨٠ .

(٢) صنعة الشعر: ٢٧٢ .

(٣) المصدر السابق ٢٧٢ .

(٤) مطلع قصدية لامرئ القيس في ديوانه: ٢٧، وعجزه:

وهل يعِمَن من كان في العصر الخالي

(٥) صنعة الشعر: ٢٧٢ .

(٦) الرجز في اللسان (أنس) وفيه: « ولا يضر البر » وبعدهما:

وإنَّ بعدَ اطِّلاعٍ إيناسْ

على الحال، والعامل فيه معنى الإشارة، كأنه قال: ها أنا ذا ساعياً .

فإن قلتَ: ليسَ المقصودُ الإخبارَ عن[1] أنا بذا، إنما المقصودُ الإخبارُ بقوله: أسعى ؟

فالجوابُ: أن الحال هنا هو الذي يجب أن يكون خبراً، لكن ترتيب الكلام أوجب أن ينتصب حالاً، ويلزم الإتيان به وإن كان فضلةً . نظيرُه قولهم: مررتُ بمَن معجبٍ لكَ، وقولهم: يا أيها الرجل، ألا ترى أن الصفةَ هنا لازمةٌ وإن لم تكن جزءَ كلامٍ، ولكنها لزمت لأنها المقصودة / .

ومذهبُ أهلِ الكوفة[2] أنَّ موضِعَ « أسعى » نصبٌ على أنه خبرُ التقريب[3]؛ لأنهم يُجيزُون: هذا زيدٌ قائماً، بمعنى: كان زيدٌ قائماً، ولا يجوزُ أن يكونَ « ذا » منصوباً بإضمار فعلٍ من باب الاختصاص كقوله[4]:

إنَّا بَنِي مِنْقَرٍ قومٌ ذَوُو حَسَبٍ فِينَا سَرَاةُ بَنِي سَعْدٍ وَنَادِيهَا

لأنه اسمٌ مبهَمٌ، والأسماء المبهمة لا تنتصب هذا النصب .

قال سيبويهِ[5]: « واعلَمْ أنه لا يحسُنُ لك أن تُبْهِمَ في هذا الباب فتقول: إني هذا أفعلُ، ولا يجوز أن تذكرَ إلا اسماً معروفاً؛ لأن الأسماءَ إنما تذكرُها توكيداً

(١) في ب : « على » .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢٣١/١، والحجة للفارسي ٤٥/٣ .

(٣) التقريب: كونُ محط الخبر هو مفيد الحدث من فعل أو وصف . انظر الهمع ١١٣/١، وقال الزجاج: « معنى التقريب: أنك لا تقصد الخبر عن هذا الاسم فتقول: هذا زيد » انظر معاني القرآن ٤٦٣/١ .

(٤) من البسيط، وهو لعمرو بن الأهتم في الكتاب ٢٣٣/٢ .

(٥) انظر الكتاب ٢٣٦/٢ هذا باب من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء .

وتوضيحاً هنا للمضمر، وإذا أبهَمْتَ فقد جئتَ بما هو أشكَلُ من المضمر، ولو جاز هذا لجازَت النكرةُ فقلت: إنَّا قوماً، فليس هذا من موضع النكرة والمبهم[1]، ولكنَّ هذا موضع بَيَان كما كانت النُّدبةُ موضعَ بَيَان » .

وأمَّا « ها » فيجوزُ أن تكون (ها) التنبيهِ المصاحبةِ لـ « ذا » ، والأصلُ: أنَا هذا، لكنه فَصَلَ[2] بأنا بين (ها) و(ذا)، وأنشدَ سيبويه في ذلك[3]:

وَنَحْنُ اقْتَسَمْنَا المالَ نِصْفَينِ بَيْنَنَا فَقُلْتُ لَهَا هَذا لَهَا هَا وَذَا لِيَا

المرادُ: وهذا لي، ففصل بالواو بين ها وذا .

ويجوزُ أن تكونَ « ها » غيرَ التي تكونُ مع ذا / ، وتكونُ في محلها غيرَ مقدَّمة، وكذلك قولُه تعالى: ﴿هَأَنتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾[4] يحتمل الوجهين[5]. ٦٩/أ

واستدل سيبويهِ[6] على هذا الاحتمال بقوله تعالى: ﴿هَا أَنتُم هَـؤُلاَءِ﴾[7] قال: « فلو كانت (ها) ههنا هي التي تكونُ أولاً إذا قلتَ: هؤلاء، لم تُعَدْ ههنا[8] بعدَ أنتم » .

---

(١) في ب: « والبهم » .

(٢) « فصلَ » سقط من ب .

(٣) الكتاب ٣٥٤/٢، والخزانة ٤٦١/٥، وملحقات ديوان لبيد: ٣٦٠ .

(٤) سورة آل عمران: ١١٩ .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢٣١/١، ومعاني الزجاج ٤٦٢/١-٤٦٣، والدر المصون ٢٣٥/٣.

(٦) انظر الكتاب ٣٥٤/٢-٣٥٥ هذا باب استعمالهم علامة الإضمار الذي لا يقع موقع ما يضمر في الفعل إذا لم يقع موقعه .

(٧) سورة النساء: ١٠٩ .

(٨) في الكتاب: « لم تُعد (ها) هاهنا » انظر الكتاب ٣٥٤/٢-٣٥٥ .

وانتصَب « مسهَّلاً » على الحال من « نَظْمُ » .

* * *

جَعَلْتُ أَبَا جَادٍ عَلَى كُلِّ قَارِئٍ دَلِيــلاً عَلَى المنظُومِ أَوَّلَ أَوَّلا

جَعَلَ النَّاظِمُ ـ رحمه الله ـ حروفَ (أبي جادٍ) كنايةً عـن القـرَّاء، بـأن جعـل لكل قارئ منهم حرفاً يُعبَّر عنه به، وذلك الحرف محلُّه من الكلمة أولُهـا. وهـذه الكنايات عنده على قسمَين :

أحدهما: يَكْنِي به عن القارئ بانفراده .

والثاني: يَكْنِي به عنه إذا اجتمَعَ مع غيره .

فالموضوعُ للانفراد أحدٌ وعشرون حرفاً، عددَ الأئمة ورُوَاتِهم على حسـب ما رتَّبَهم في النَّظم .

فلنافعٍ وراوِيَيْهِ: (أَبَجْ) .

ولابنِ كثير ورَاوِيَيْهِ: (دَهَزْ) .

ولأبي عَمرو ورَاوِيَيْهِ: حُطِّي .

ولابن عامرٍ وراوِيَيْهِ: كَلَم .

ولعاصمٍ ورَاوِيَيْهِ: نَصَعْ .

ولحمزةَ ورَاوِيَيْهِ: فَضَقْ .

وللكِسَائيِّ ورَاوِيَيْهِ: رَسَتْ .

وهذا القسمُ هو الذي أشار إليه في هذا البيت .

وقولُه: « أَوَّلَ أَوَّلَ » يُريدُ: الأوَّلَ في النَّظم تجعَـلُ لـه الحـرفَ الأوَّلَ، والثـاني للثاني، والثالث للثالث، هكذا .

فالألِفُ لنافع، والباءُ لقالونَ، والجيمُ لوَرشٍ، إلى آخِـرِ القـرَّاء، حتـى تنتهـيَ

إلى التاء من الحروف، وإلى الدُّوريِّ في رواية الكِسَائيِّ، ولا تُجعَلُ الواوُ كنايةً عن أحد من القرّاء؛ لأنّها يُعطَفُ بها، فيَلتَبِسَ ما هو كنايةٌ بما ليس كذلك، وسيأتي بيانُ القِسْمِ الثّاني من الكنايات؛ وهي كناياتُ الاجتماع .

وبَنَى النّاظِمُ - رحمه الله - هذا الاصطلاحَ على اصطلاحِ الحُسّاب الذين يجعلون الحروفَ كنايةً عن الأعداد، ولم يبن اصطلاحَه على ما جاءت عليه في الأصل .

قال أبو عبد الله حمزة[1] بن الحسن الأصبهاني: إنَّ أوَّلَ مَن وضعَ الكتابة العربية قومٌ من الأوائل، استعرَبوا ووضعوا هذه الكتابةَ على عدد حروف أسمائهم، وكانوا ستّةَ نَفَر: أبجَدْ، هَوَّزْ، حطِّي، كَلَمُنْ، صَعْفَض، قُرِسَت، وهم ملوكُ مَديَن، ورئيسُهم: كَلَمُنْ، هلكوا يومَ الظُّلّة مع قوم شُعيب، فقالت ابنة كَلَمُن ترثِيهِ[2]:

كَلَمُنْ قَدْ هَدَّ رُكْني هُلكُهُ وسطَ المحلَّهْ
سَـيِّدُ القَومِ أتَاهُ الحتْفُ نَاراً وَسْطَ ظُلَّهْ

ثمَّ وَجدَ مَن جاء من بعدهم حروفاً ليست من أسمائهم، وهي ستةٌ: الثّاء والخاء والذال والظاء والغين والشين، فَسَمَّوها الروادف .

قال سيبويه[3]: « أبو جاد، وهوَّزٌ، وحُطِّي، كعمرو في جميع ما ذكرنا، وحالُ هذه الأسماء حالُ عمرو، وهي / أسماءٌ عربيةٌ. وأما كَلَمُون، وصَعْفَضٌ، ٧٠/أ

(١) انظر عقد الخلاص لابن الحنبلي: ١٨٦، والأوائل للعسكري ١/١٣٣، ١٣٦، والعقد الفريد ٤/١٤٣، واللسان (مرر)، والتاج والقاموس (بجد) .

(٢) انظر التاج (بجد) على اختلاف في الرواية ، وألف باء للبلوي ١/٦٧ .

(٣) انظر الكتاب ٣/٢٦٧ باب تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الأسماء .

وقُرَيسيات فإنهن أعجمية لا ينصرفن، ولكنهن يقعن مواقع عمرو فيما ذكرتُ، إلا أن قُريسيات بمنزلة عرفات وأذرعات » .

وقال في موضع آخَر[١]: « وتقول: هذه قُريسيات كما ترى، شبهوها بهاء التأنيث؛ لأن الهاء تجيء للتأنيث، ولا تُلحِقُ بناتَ الثلاثة بالأربعة، ولا الأربعةَ بالخمسة » .

قال قطرُبٌ[٢]: هو أبو جاد، وإنما حذفوا واوَه وألفه؛ لأنه وُضع لدلالة المتعلم، فكُرِهَ التطويل والتكرار وإعادة المثال مرتين، فكتبوه من غير واو ولا ألف؛ لأن الألف في أبجد، والواو في هوَّاز قد عرفتْ صورتُهما، وإنما كررت الياءُ في حُطِّي وقُريسيَات؛ لاختلاف صورتهما في الظرف وغيره .

قلتُ: فظاهر ما حكاه قُطرب أنه يقال: قُريسات، ولا يقال: قُريسيات، وسيبويه إنما ذكر قُريسيات بيائين، ولم يذكر أصحاب الحساب إلا قُرِسَت، وأسقطوا الياءين؛ لأن المعتبر الحرفُ فقط لا صورته، وعلى هذا بنى الناظم. (ورأيت من يضبطها هكذا: أبجاد هاوز، حاطي، كَلمَّان)[٣] .

ورَوَى ميمونُ بنُ مَهرَانَ عن ابن عباس ــ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ــ أنه قال[٤]: إنَّ لكلِّ شيءٍ تفسيراً، عِلِمَه مَن عَلِمَه، وجَهِلَه مَن جَهِلَه، ثم فسَّر هذه الكلمَ فقال:

أبو جاد: أبى آدمُ الطاعةَ، وجَدَّ في أكل الشجرة .

---

(١) انظر الكتاب ٣/٢٣٤ باب تسمية المذكر بلفظ الاثنين والجميع الذي تُلحِقُ له الواحدَ واواً ونوناً ، وفيه قريشيات بالشين .

(٢) انظر التاج (بجد) ، وألف با للبلوي ١/٦٧ .

(٣) سقط من ب ..

(٤) انظر ألف باء للبلوي ١/٦٨ .

هوَّاز: زلَّ فهوى من السماء إلى الأرض .

حُطِّي: حُطَّت عنه خطاياه .

كَلَمُون: أكلَ من الشجرة، ومُنَّ عليه بالتوبة .

صَعفَضْ: فأُخرج من النعيم إلى النكد .

قُريسَات: أقرَّ بالذنب فأمِنَ العقوبةَ .

وقوله: « جعلت » هي هنا بمعنى صيَّرت. تتعدى إلى مفعولين، الثاني هو الأول في المعنى، تقول: جعلت حسني قبيحاً؛ أي: صيرتَه كذلك. وأبا جاد الأول بمعنى حروف (أبي جاد)، ودليلاً الثاني، والدليلُ والأمارةُ والعلامةُ بمعنى، و « على كل قارئ » متعلقٌ بدليلاً، و «على المنطوم»: بدل من كل على إعادة العامل .

و « أوَّلَ أوَّلَ » : منصوبٌ على الحال من « أبي جاد » بمعنى : مرتبة، كقولهم: علَّمتُهُ الحسابَ باباً باباً؛ أي: مبوباً . والأصل: أولاً لأوَّلٍ، فحَذَفَ الجارَّ ورَكَّبَ وبَنَى كقولهم: هو جاريَ بَيْتَ بَيْتَ؛ أي: لصيقاً، ويجوز أن يكونَ منصوباً بفعل محذوف، كأنه قال: أعطيتُ أول أولاً؛ أي: أعطيتُ أوَّلَ الحروف أوَّلَ القُرَّاء، وهذا أقلُّ تكلفاً من الأول، وأظهرُ معنىً .

ويعني بالمنظوم: القارئَ[1] المنظومَ في الترتيب المتقدم .

* * *

---

(١) في ب : « المقارئ » .

وَمِن بَعدِ ذِكْرِي الحرْفَ أُسْمِي رِجَالَه
مَتَى تنقَضِي آتِيْكَ بِالـوَاوِ فَيـــصَلاً

الحرفُ له في الاصطلاح محامِلُ: يُرادُ به حرفُ التَّهجِّي كالزاي من (زيـد)، ويُرادُ به حرفُ المعنى كـ (مِن) و(عن) و(في)، ويُرادُ به الكلمـةُ علـى الإطـلاق اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً، وكثيراً ما يُطلِقُ سيبويهِ[1] هذا الإطلاقَ، وهو الذي أرادَ الناظمُ ـ رحمه الله تعالى ـ / فإنه أرادَ بالحرف الكلمةَ التي يختلفُ القرَّاءُ فيها بالإظهار والإدغامِ والفتحِ والكسرِ والضمِ والرفعِ وغيرِ ذلك من الأحكام . ٧١/أ

فنقولُ: إنَّ النَّاظمَ أعطى بهذا البيت ثلاثَ قواعِدَ:

الأولى: أنه يَذكُرُ الحرفَ المختَلَفَ فيه، ويحكُمُ عليه بحكمٍ من الأحكام .

الثانية: أنه يَذكُرُ رجالَ ذلك الحكم المذكـور في الحـرف علـى مـا اصطَلَـحَ عليه في حروف (أبي جاد)، وذلك أنه يَذكُرُ كَلمَةً ليست من الألفاظ التي تُقيَّدُ بها أحكامَ القراءةِ، ويكون المرادَ من تلك الكلمة الحرفُ الكائنُ أوَّلَهـا، وسـواءٌ أكان جزءاً منها، أو داخلاً عليها. إذا كان على حرف واحد كقوله:

وَبَسْـــــــمَلَ بَينَ السُّورَتَينِ (بِـ)[2]سُنَّةٍ
(ر)[3]جَالٌ (نَـ)[4]مَوهَا (دِ)[5]رْيَةً ... ...[6]

فقوله: «بسمَلَ بين السُّورَتين» هو الحرفُ المختلف فيه وأحكامُه،وهي قيدُه.

---

(١) انظر الكتاب ١٢/١، باب علم ما الكلم من العربية، وشرح السيرافي ٤٩/١-٥٠ .
(٢) الباء رمز لقالون .
(٣) الراء رمز للكسائي .
(٤) النون رمز لعاصم .
(٥) الدال رمز لابن كثير .
(٦) والبيت أول باب البسملة، وتتمته:
... ... وتحمُّلا

وقوله: « بسنة رجالٌ نَموهَا دِرْيَةً » . هي رجالُ ذلـك الحكـم أعـني: أوائـلَ الكَلِمِ الأربَعِ: الباءُ من (بسُنَّةٍ) وإن لم تكن من أجزائها، وراءُ[1] (رجالٌ)، ونونُ (نَموهَا)، ودالُ (دِرْيَةً) .

الثالثة: أنه يَذكُرُ بعد انقضاء الرجال كلمةً أولها الواوُ، وهي تؤذِنُ بانقضاء الرجال المسمَّين للحرف المتقدم الحكـم، وسـواءٌ أكـانت هـذه الـواو جـزءاً مـن الكلمة، أو عاطفةً نحو قوله:

وَكَســـرُ بُيُوتٍ والبيوتَ يُضَمُّ (عَـ)[2]نْ

(حِـ)[3]مًى (جِـ)[4]لَّةٍ وَجهاً على الأصل أقبَلا[5]

ونحو قوله: « وتحمُّلا » في البيت الذي أنشدناه أولاً .

وهذه القواعدُ الثَّلاثُ يأتي بها مرتبةً بـالحرف المختلـف فيـه وقيـودِه، ثـم برموز رجاله، ثم بالواو الفاصلة، ولهذا المعنى لم يجعل الواوَ كنايةً عن أحـد مـن القراء للحاجـة إليهـا، واختصهـا مـن بـين سـائر الحـروف؛ لأنهـا في العطـف لا تقتضي ترتيباً، وربما اضطرَّهُ النَّظمُ إلى أن لا يُرتِّبَ .

فإن قيل: قد عكس هذا الترتيب في قوله[6]:

---

(١) « راء » ساقطة من ب .

(٢) العين رمز لحفص .

(٣) الحاء رمز لأبي عمرو البصري .

(٤) الجيم رمز لورش .

(٥) البيت من فرش سورة البقرة، وقبله:

ونقلُ قرانٍ والقرانُ دواؤنا

(٦) البيتان في باب مذاهبهم في ياءات الإضافة، وأول البيت الأول:

... وأربعٌ (إِ)[1]ذ (حَـ)[2]مَت هُداها ولكنِّي بها اثنان وُكِّلا

وَتحـتي وَقُلْ في هُودَ إنِّيْ أَرَاكُمْ ... ...

لأنَّ الرموزَ المذكورةَ في « إذ حمت هُدَاهـا » منسوبٌ إليها الياءاتُ الأربع المذكورةُ بعدَها، وهي: ﴿ولكِنِّي﴾[3] في الموضعين، و ﴿تحتِي﴾[4] في الزخرف، و« في هود » ﴿إني أراكم﴾[5] فكان حقُّهُ على ما قعَّدَ هنا أن يَذكُرَ هذه الياءاتِ، ويأتيَ بعدها برجالها ؟

فالجواب: أن قاعدته لم تنعكس؛ لأنه ذكر قوله: « وأربع » ، وذكر بعده الرجال، ثم أتى بقوله: « ولكني » و « تحتي » تفسيراً لقوله: « وأربع » ، فكأنه قدر قائلاً يقول له: ما الأربع التي حكمتَ لهن بالفتح لهؤلاء الرجال، فقال: ولكني وكذا .

ونصب قوله: « الحرفَ » بالمصدر الذ هو « ذكري » ؛ لأنه أضافه[6] إلى الياء، وهو الفاعل .

وياءانِ في اجعلْ لي ... ...

وتتمة البيت الثاني:

وقل فطَرنْ في هودَ (هـَ)اديه (أَ)وْصَلا

(١) الهمزة رمز لنافع .

(٢) الحاء رمز لأبي عمرو .

(٣) سورة الأعراف: ٦١، ٦٧ .

(٤) سورة الزخرف: ٥١ .

(٥) سورة هود: ٨٤ .

(٦) في ب: لأنه إضافة إلى الياء . .

و « أُسْمِي » و « أُسَمِّي » بمعنى: ذَكَرْتُ الاسمَ. قال ابنُ القوطية[1]: « أسميتُ الشيء؛ جعلتَ له اسماً » .

و « متى » ظرفُ زمان فيه معنى الشرط .

و « تنقضي » مجزومٌ بسكون الياء، وكان في الرفع بالضمة ظاهرةً، وهذا على لغة من يُجري الياءَ والواوَ مُجرَى حروفِ الصِّحَّة، فيَرفَعُ بالضمة ظاهرةً، وبالفتحةِ كذلك، ويُسكِّنُ في الجزم[2] / . وعلى هذا قراءةُ قُنبُل[3]: ﴿إنه مَنْ يتّقي ويَصبرْ﴾[4]، وقول الشاعر[5]: ٧٢/أ

أَلَمْ يَأتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لاَقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ

وقولُ الآخَرِ[6]:

هَجَوْتَ زَبَّانَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِراً مِنَ هَجْوِ زَبَّانَ لم تَهْجُو وَلم تَدَعِ

وكذلك قوله: « آتيك » ، الكلام فيه كما تقدم . و « الفيصل » والفاصل بمعنى، وهو حال من الواو؛ أي: آتيك بها فاصلة بين الكلم، التي تكون كناية

---

(١) الأفعال: ٧٥ (سما) .
(٢) انظر البحر المحيط ٣٤٢/٥-٣٤٣ .
(٣) انظر السبعة: ٣٥١، وفي هذه القراءة يقول الشاطبي في باب ياءات الزوائد:
... ... ومَن يتّقي (ز)كا بيوسُفَ وَافَى كالصحيح مُعَلَّلا
فالزاي من « زكا » يُرمَزُ به لقنبل راوي ابن كثير .
(٤) سورة يوسف: ٩٠ .
(٥) البيت من الوافر، نسبه في الخزانة لقيس بن زهير العبسي ٣٥٩/٨، ٥٢٤/٩، وفي أ: وقوله.
(٦) البيت من البسيط بلا نسبة في سر الصناعة ٦٣٠/٢، والخزانة ٣٥٩/٨ ، وهو لأبي عمرو بن العلاء (زبّان) قاله للفرزدق عندما اعتذر إليه من هجائه إياه. انظر معجم الأدباء ١٥٨/١١ .

عن الرجل، وما لا يكون كناية.

ومثال ما أراده الناظمُ قولُه[١]:

وَمَا يَخدَعُونَ الفَتْحُ مِنْ قَبلِ سَاكِنٍ وَبَعْدُ (ذَ)[٢]كَا وَالغَيرُ ... ...

فالحرفُ المختَلَفُ فيه ﴿يَخدَعُونَ﴾[٣] . وأحكامُه: هي قيودُه التي حَكَمَ عليه بها .

و « الرجالُ » : هو ذالُ « ذَكَا » ، والواوُ الفاصلة: واوُ « والغير » ، ونحو قوله[٤]:

... ... وَعَدْنَا جميعاً دُونَ مَا أَلِفٍ (حَـ)[٥]لا

وإسكانُ[٦] ... ...

* * *

(١) البيت أول فرش سورة البقرة، وتتمته:

... ... كالحرف أوَّلا

(٢) الذال رمز للكوفيين الثلاثةِ مع ابن عامر الشامي .

(٣) سورة البقرة: ٩ .

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

وَيُقبَلُ الأولى أنثوا (د)ونَ (حَـ)اجزٍ ... ...

(٥) الحاء رمز لأبي عمرو، أي: قرأ أبو عمرو البصري: « واعدنا » حيث وردت في القرآن بغير ألف .

(٦) وتتمة الشطر:

... يرضَهُ يُمْنُهُ (لـ)بسُ (طَـ)يِّبٍ

سِـــوَى أحرُفٍ لا رِيبَةٌ في اتِّصَالِهَا

وَباللَّفْظِ أَستَغْنِي عَنِ القَيْدِ إنْ جَلاَ

لما التزَمَ أن يأتيَ بالحرف المختَلَفِ فيه مع تقييده ثم برجاله، ثـم بـالواو بعـد انقضاء الرجال؛ ليؤذن بالفراغ منها. أخبر أن هنالك مواضعَ لا يأتي بعد انقضاء الرجال فيها بالواو، فتتصل بذلك التراجمُ المختلَـفُ فيهـا، فلذلـك استثناها مـن الكلية المتقدمة كقوله[1]:

وَطَس عِنْدَ الميمِ (فَـ)[2]ازَ اتَّخَذتُمُ أَخَذتُم ... ...

وحقُّه أن يقولَ: واتخذتُم. وكقوله[3]:

ويَـــدْعُونَ خَاطِبْ (إ)[4]ذْ (لَـ)[5]وَى هاءُ مِنــهُمُ

وحقُّهُ: وهاءُ . وكقوله[6]:

وَقِرْنَ افتَح (إ)ذْ (نَـ)صُّوا يكُونُ (لَـ)ـه (ثَـ)[7]ـوَى

---

(١) البيت من باب حروف قربت مخارجها، وتتمته:

... وفي الإفرادِ (عَـ)اشَرَ دَ(غْـ)ـفَلا

(٢) الفاء رمز لحمزة .

(٣) البيت أول فرش سورة غافر، وتتمته:

بكَافٍ (كَـ)فَى أو أنَّ زِدِ الهمزَ ثُمَّلا

(٤) الألف رمز لنافع .

(٥) اللام رمز لهشام .

(٦) البيت من فرش سورة الأحزاب، وتتمته:

... ... وخاتِمَ وُكِّلا

(٧) الثاء رمز للكوفيين الثلاثة، وفي النسختين معاً:ثرى بدل ثوى،وهي كذلك في النسخ الخطية.

يَحِلُّ سِوَى البَصريْ ... ...

وحقُّهُ أن يقولَ: ويكونَ، ويَحِلُّ. وارتفعَ اللبس في هـذه المواضع وإن لم تكن واوٌ؛ لأن حرفَ القرآن أو تقييدَه لا يضمُّنُهُ رمزاً، فلم يكن في ذلـك لَبسٌ، وأشكَلُ ما في ذلك قولُه[1]:

وقُلْ قال موسى واحذِفِ الواوَ (دُ)خلُلا

ثم قال متصلاً به[2]:

(نَـ)مَا (نفَرٌ)[3] بالضمِّ والفتحِ يَرجِعُو نَ ... ...

فلم يأت بعد دال « دُخللا » بواو، ووصَلَ به رموزَ الترجمة الثانية، لكنه علـم ذلك؛ لأن الأصل في البيت ألا يكون مضمناً على أنه كثيراً ما يستعمل التضمـين في هذه القصيدة، لكنه حيث يدل عليه المعنى، وأما في هذا البيت فلا لبـس فيـه؛ لأنه لو كان مضمناً مثلاً لكان « نَمَى ونَفَرٌ » راجعَين إلى ترجمة: « قال موسى » ، وكانت تبقى ترجمةُ: « ترجعونَ » من غير رموز .

ونصَبَ قولَه: « سوى أحرُفٍ » على الاستثناء نَصْبَ غير .

ومذهبُ سيبويهِ[4] أنه ظرفُ مكانٍ، فيه معنى الاستثناءِ ، وإنما حمَلَهُ على

---

(١) البيت من فرش سورة القصص، وأوله:

يُصدِّقُني ارفعْ جزْمَهُ في نصوصِهِ ... ...

(٢) البيت من فرش سورة القصص، وتتمته:

... ... سِحرانِ (ثِـ)قْ في ساحِرَانِ فتُقْبَلا

(٣) (نفر) من الرمز الكلمي يقصد به: حمزة والكسائي وابن عامر . أُخذ من قوله:

وقُلْ فيهما واليَحصُبي نفرٌ حَلا

(٤) الكتاب ٢/٣٥٠ .

ذلك قولُ العرَب: مررتُ بمَن سِوَاك، فوقوعُهُ بعد « من » يدل على أنه ظرف، ولا بد؛ لأن مَن الموصولة، إنما توصل بالجملة، أو بما هو في تقدير الجملة وهو المجرور والظرف، وهذا ليس بمجرور، فتعين أن يكون ظرفاً .

و « ريبة » اسم لا، أعملها عمل ليس، وقد تقدم مثله له. و « في اتصالها » : خبرها، والريبة: الشك / .

١/٧٣

وفي الحديث[1]: « دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى مَا لاَ يَرِيبُكَ » ؛ أي: ما يُشكِّكُكَ، ويحصِّلُ فيه الريبة إلى غيره، وهي في الأصل: قلَقُ النفس واضطرابُهَا . ألا ترى كيف قابلها بالطُّمَأنينة في قوله: « فإنَّ الكَذِبَ ريبَةٌ، والصِّدقَ طُمَأنِينَةٌ[2] » وذلك أن النفس إذا شكَّت في أمر لا تستقرُّ .

ومعنى « لا ريبة » : لا شكَّ يعرضُ للناظر بسبب اتصالها؛ لأنه اتصالٌ غيرُ مُلبس؛ لأنه في المعنى منفصل، فلا ريبةَ في اتصاله .

و « اتصالها » : مصدرٌ من قولك: اتصل الشيء، وأصله (اوتصل) وللعرب في مثل هذا مذهبان:

أحدهما: أن تقلبَ الواوَ بحسب ما قبلها من الحركات، فتقول: ايتصَلَ ياتَصِلُ، وإذا بنيتَه للمفعول قلتَ: اُوتُصِلَ، فتصحُّ الواوُ؛ لانضمام ما قبلها .

والثاني: أن تقلبَ الواوَ تاءً، وتُدغِمَ التاءَ في التاء خوفاً من تلاعب الحركات بحرف العلة، وهكذا كل (افتعل) مما فاؤه واوٌ أو ياءٌ نحو: ايتَسَرَ من

(١) انظر الجامع الصغير للسيوطي برقم: (١٢٠٤٧) ، و(١٢٠٤٨) .

(٢) الجامع الصغير برقم: (١٢٠٤٨) .

اليُسْر، تقول فيه: اتَّسَرَ وايتَسَرَ[١].

قوله: « وباللفظ أَستغنِي عن القَيد » : يقـول: قـد لا أُقيِّـدُ الحـرفَ المختَلَـفَ فيه، بل آتي به على لفظه لو قُيِّدَ، وذلك أنه التَزَمَ أنه يذكُـرُ الحـرفَ ثـمَّ يُقيِّـدُه، كقوله[٢]:

وصيَّةً ارفَعْ (صَـ)[٣]فْوَ حِـ)رميِّهِ (رِ)ضاً ... ...

فالحرفُ لفظُ: « وصية » ، وتقييدُه: قوله: « ارفَعْ » . والرموز ما بعد ذلـك. ثم أخبرَ هنا أنه في بعض المواضع لا يُقيِّدُ الحرفَ، ويستغني بلفظه عن تقييده، وذلك في الغالب يكون عنده على وجهين:

أحدهما: أن يكونَ الوزنُ يقتضي ذلك نحو قوله:[٤]

وحمزةُ أسْرَى في أُسَارَى ... ...

فلم يُقيِّدْ قراءةَ حمزةَ ولا قـراءةَ البـاقين، بـل لفَـظَ بـالحرف كمـا يُقـرَأُ؛ لأنَّ الوزنَ يبيِّنُ ذلك .

والثاني: أن يكون الرسمُ يقتضي ذلك نحو قوله[٥]:

---

(١) وفيه يقول ابنُ مالك من باب الإبدال:

ذو اللينِ فاتا في افتعالٍ أُبدِلا وشذَّ في ذي الهمز نحو ائتَكَلا

طـا تا افتعال رُدَّ إثرَ مطبَقٍ في آدانَ وازدَدْ وادكِرْ دالاً بَقِي

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وتتمته:

... ... ويبصُطُ عنهم غيرَ قُنبُلٍ اعتَلاَ

(٣) رمز لشعبة .

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وتتمته:

... ... وضمُّهُم تُفَادوهُمْ والمدُّ (إ)ذْ (رَ)اقَ (نَـ)فَّلاَ

... ... وعند سِرَاطٍ والسِّراطَ لقُنْبُلاَ

فقيَّد القراءةَ في السراط بلفظِهَا اتكالاً على الرسم، وإذا قيَّدَ القراءة بـاللفظ، فقد يُقيِّدُ القراءتين، أعني المذكورَ راويها، والمسكوتَ عن راويها، كقوله[1]:

وَحَمْزَةُ أَسْرَى في أُسَارَى ... ...

وكقوله[2]:

... ... أَوصَى بِوَصَّى ... ...

وقد يُقيِّدُ إحداهما باللفظ، ولا يذكرُ الأخرى كقوله[3]:

ومالكِ يومِ الدِّينِ (ر)اويهِ (نَـ)اصِرٌ ... ...

وكقوله[4]:

... ... وبالتَّاء آتَينَا وبالضَّمِّ (خُـ)[5]ـوِّلا

---

(٥) البيت من فرش سورة الفاتحة . وأوله:

ومالكِ يومِ (ر)اويهِ (نَـ)اصرٌ ... ...

(١) البيت من فرش سورة البقرة، وتتمته:

... ... وضمُّهُم تُفَادوهُمْ والمدُّ (إ)ذْ (رَ)اقَ (نُـ)فَّلاَ

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وتتمته:

وأخفاهما (طَـ)لقٌ وخفٌ بنُ عامرٍ فأُمتِعُهُ أوصَى بوصَّى (كَـ)ما (ا)عتلا

(٣) البيت أول سورة الفاتحة، وآخره:

... ... وعند سراطٍ والسِّراطَ لقنبُلا

(٤) البيت من فرش سورة آل عمران، وأوله:

ورفعُ ولا يأمرْكُمُو (رُ)وحُهُ (سما) ... ...

(٥) الخاء رمز للقراء السبعة جميعهم عدا نافع ، أُخِذَ من قوله:

وستَّهُم بالخاء ليس بأغفَلا

وقد يكونُ الحرفُ بعضُهُ ملفوظٌ بتقييده، وبعضُهُ باللفظ كقوله[١]:

تُمَارونه تَمْرُونَهُ وافتَحُوا (شَـ)[٢]ـذاً

وهذا كلُّه إنما يفعلُه حيث يكــون الأمـرُ جليـاً لا لَبْـسَ فيـه علـى النـاظر في الكتاب، وهذا هو معنى قوله: « إن جلا » ؛ أي: إن كَشَـفَ اللفـظُ بـالحرف مـا (أدرتُهُ وبيَّنَهُ)[٣]، هو من قولك: جلوتُ الأمرَ: كشفتَهُ .

وجوابُ قوله: « إن جلا » محذوفٌ، يدلُّ عليــه قولُـه: « وبـاللفظ أستغني » ، ولا يكون الجوابُ متقدِّماً .

* * *

وَرُبَّ مَكَانٍ كَــرَّرَ الحرْفَ قبلَهَا   لِمَا عَارِضٍ والأمرُ ليسَ مُهوِّلا

/ لما التزَمَ أن يذكُرَ القرَّاءَ معبِّراً عنهم بحـروف (أبـي جـاد) لزِمَـه ألا يذكُـرَ القارئ في البيت إلا مرَّةً واحدةً، ولا يكرِّرُهُ إلا إن ذكره في ترجمة ثانية، ويكون ذلك بعد ذكر الواو الفاصلة كقوله[٤]: ٧٤/أ

وعُذتُ على إدغامه ونبذتُها   (شَـ)واهِدُ (حَـ)مَّادٍ وأورثُتُمُ (حَـ)لاَ

فقد كرَّرَ الحاءَ في البيت مرتين لكن بعد الواو، فعلـم بذلـك أنـه لقراءتـه في

---

(١) البيت من وزن سورة الذاريات، وتتمته:

... ...   ومَنَاءَةَ للمكيِّ زدِ الهمزَ واحفِلاَ

(٢) الشين رمز للكسائي وحمزة ، أخذ من قوله:

وذو النقطِ شينٌ للكسائي وحمزةٍ

(٣) كذا في الأصل .

(٤) البيت من باب حروف قربت مخارجها .

حرف ثانٍ، ولكن قد يضطره النظم لإقامة الوزن أو القافية، أو تتميم المعنى، فيكرر الحرف في الترجمة الواحدة دون أن يأتي بواو نحو قوله:

... ... عُلاً عَلاً

... ... وذا أُسوَةٍ تَلا

وكقوله:

... ... صُحبَةٌ تلا

و:

... ... نَفَرٌ حَلا

و:

... ...سَمَا العُلا

و:

... ...حُلاً حَلا

ثم إذا وقع هذا التكرار فقد يأتي بعده بواو الفصل، وهو الأكثر، وقد لا يأتي به نحو:

... ... عُلاً عَلا

سلاسِلَ نَوِّنْ ... ...

ولأجل كثرة الأول بنى عليه فقال: « كرِّرَ الحرفَ قبلها » ، يريد بالحرف: حرفَ الرمز. و « هاء قبلها » : تعود على الواو، ونصب « الحرفَ » بـ « كرر » ، وفيه ضمير يعود إلى المكان على جهة المجاز، كأن المكان لما أتى فيه الحرفُ مكرراً، فقد كرره ويحتملُ أن يعود إلى الناظم، والأولُ أقربُ .

واختلف النحاةُ في (رُبَّ)[1]:

فقالت طائفةٌ: لا تتعلق بشيء .

وقالت طائفةٌ: تتعلق. وإذا قلنا بالتعلق، فاعلم أنه على ثلاثة أضرُبٍ:

أحدها: أن يكونَ ظاهراً نحو قولك: رُبَّ رجلٍ عالمٍ لَقِيتُ، أو أدركْتُ .

والثاني: أن يكونَ مقدَّراً غيرَ ملفوظٍ به، مثل أن يُقالَ لك: هل أدركْتَ مِن العلماء أحداً؟ فتقولُ: رُبَّ رجُلٍ عالمٍ ، ولا تَذكُرُ أدركتُ ولا لَقِيتُ، ولكنك تريدُه، وحذفتَه استغناءً بعلْمِ السَّامعِ.

والثالث: أن تنوبَ منابَه الجملةُ التي هي صفةٌ للمعمول، وذلك نحو: رُبَّ رجلٍ قَامَ، ورُبَّ رجلٍ لقيتُهُ، فلا يجوز أن يعمَلَ « قامَ » ولا « لقيتُهُ » في « رُبَّ » ، أما « قام » فلا يجوز أن يعمَلَ؛ لأنه لا يعمَلُ فِعلُ الفاعلِ المتصلِ في ظاهرِه، لا تقولُ: زيداً ضَرَبَ، بنصب زيد، تعني ضَرَبَ نفسَه. ولا فرق بين تعديه بنفسِهِ وبحرف الجر، وأما ضربتُهُ فلا يجوزُ أن يعمَلَ؛ لأنَّ الفعلَ إذا طَلَبَ معنىً فلا يتقضَّى منه إلا لفظاً واحداً، إما مضمَراً وإما ظاهراً، وقد عمِلَ الفعلُ الذي هو « ضربتُهُ » في الهاء، فلا يعمَلُ في ظاهره، ولهذا قال النحويون[2] في قول الشاعر[3]:

هَذَا سُرَاقَةُ للقُرْآنِ يَدْرُسُهُ وَالمرْءُ عِنْدَ الرُّشَا إنْ يَلْقَهَا ذِيْبُ

---

(١) انظر الأزهية: ٢٦٨، ورصف المباني: ٢٦٦، وأمالي ابن الشجري ٣٠٠/٢، والمغني ١٣٤/١.

(٢) انظر أمالي ابن الشجري ٩١/٢-٩٢ . فالهاء ضمير للمصدر الذي هو الدرس، التقدير: للقرآن الذي يدرُسُ درساً .

(٣) من البسيط، ولم يعرف قائله، انظر الكتاب ٦٧/٣، والخزانة ٣/٢، والرصف ٢٤٧، واللسان (سرق) . وانظر هامش (٤) من أمالي ابن الشجري ٩١/٢ .

إن الهاء في « يدرُسُهُ » تعود على الدرس، ولا تعود على القرآن؛ لأن الفعلَ قد تعدَّى إليه باللام ظاهراً، فلا يتعدَّى إليه مضمَراً .

فإذا ثبتَ ذلك فنقولُ: إن « رُبَّ » في البيت من القسم الثالث مما نابت الصفةُ فيه مَنابَ العامل، وأجزأَتْ عنه في الاستقلال، وذلك أن الضميرَ في « كرَّرَ » إن أعدتَه على مكان، كان هو العائدُ على الموصوف، وكان كقولك / : رُبَّ رجلٍ قامَ، وقد تقدمَ بيانُهُ، وإن أعدتَ الضميرَ على الناظم، كان في الكلام ضميرٌ محذوفٌ، يعود على الموصوف التقدير: ورُبَّ مكانٍ كرَّرَ الناظمُ الحرفَ فيه، وكان كقولك[1]: رُبَّ رجلٍ ضربتُهُ. وقد قدرَ بعضُ الشُّرَّاح[2] العاملَ محذوفاً فقال: والعاملُ في « رُبَّ » ومجرورِها محذوفٌ تقديره: وُجِدَ أو عُثِرَ عليه. انتهى كلامُه . وقد بيَّنَّا ما في هذا الكلام . ٧٥/أ

و « ما » في قوله: « لما عارضٍ » زائدةٌ[3] كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾[4] .

وقوله: « والأمرُ ليس مهوِّلا » ؛ أي: ليس مُفزِعاً، ومنه المهوِّل للذي يُحلِّفُ على النار، وذلك لأنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا أن يُحلِفُوا الرجلَ، أوقدوا ناراً، وألقوا فيها مِلحاً، ويُسَمُّونه التهويل[5]؛ أي[6]: إنَّ تكرارَ الحرفِ لا يُفزِعُ،

---

(١) في الأصل: « قولك » . المبين

(٢) انظر فتح الوصيد ، واللآلي الفريدة، وكنز المعاني للجعبري في شرح الإيضاح . وإبراز المعاني ١٧٣/١ .

(٣) والقول الثاني أنها نكرة تامة، انظر الدر المصون ١٤٢/٤ .

(٤) سورة النساء: ١٥٥ .

(٥) انظر (هول) في الصحاح واللسان .

(٦) « أي » سقط من ب .

إذ لا يؤدِّي إلى الإشكال وإلى الالتباس .

* * *

وَمِنْهُنَّ للكوفيِّ ثَاءٌ مثلَّثٌ وَسِتَّتُهُمْ بِالخَاءِ لَيس بِأَغْفَلا
عَنَيتُ الأُلى أَثْبَتُّهُمْ بَعْدَ نَافعٍ وَكُوفٍ وَشَامٍ ذَالُهُم لَيسَ مُغْفَلاَ

هذا هو النَّوعُ الثَّاني من الكنايات، وذلك أنه جَعَلَ باقيَ حروف «أبي جَاد» كنايةً عن القرَّاء إذا اجتَمَعُوا على قراءةٍ مَا، وهي الحروفُ الرَّوَادفُ، وهي: ثخذٌ ظغشٌ .

فالثاءُ منهنَّ للكوفيين الثلاثـة، والخـاءُ للجميـع إلا نافعـاً، والـذالُ للكوفيـين وابنِ عامر، وهذه الحروفُ الثلاثةُ مقتضَى هذَين البيتَين .

فقوله: « ومنهم » يعني من حروف (أبي جـاد)، ويُـرَادُ بـالكوفي الثلاثـةُ وإن أفرَدَهُ، وإنما وَصَفَ الثاءَ ليتحرز من التاء ذات اثنتَين، إذ لم يَجْرِ لها ذِكرٌ بالنص .

وقوله: « وستّتُهُم » يعـني بالسـتة الأئمـةَ المذكوريـن في نَظْمِـهِ بعـد نـافع، لا ستتهم على الإطلاق، وهذا معنى قوله:

عَنيتُ الألى أثبتُهُم بعد نافعٍ

الألى: بمعنى الذين. يُريد الذين أثبتُّهُم في النظم بعد نافع ، وهـم: ابـنُ كثـيرٍ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ، والكوفيونَ الثلاثةُ .

وقوله: « وكوفٍ وشامٍ » يُريد وكوفيٌّ وشاميٌّ ، لكنه حـذَفَ اليـاءَ السـاكنةَ من ياءَي النَّسَب، ثم أَجرَى الياءَ الباقيةَ مُجـرَى يـاءِ (قـاضٍ)، وقـد تقـدَّمَ التنبيـهُ عليه. وهكذا حكمُ ما يأتي من هذا النوع .

والأغفلُ من الحروف[1]: ما لم يُنْقَط، وكذلك المغفَل، وموضع « ليس بأغفلا » نصبٌ على الحال من الخاء، وصلةُ الألى قولُه: « أثبتُّهُم » ، ونظيرُه قولُ الشاعر[2]:

رَأيتُ بني عَمِّي الأُلى يَخذُلُونَني على حَدَثَانِ الدَّهْرِ إذ يتقَلَّبُ

و « كوفٍ وشامٍ » : مبتدأ، و « ذالُهم » : ابتداءٌ ثانٍ خبرُهُ « ليس مغفَلا » ، والجملةُ خبرُ الأول .

ولو قال عوضَ قوله:

« عَنَيتُ الأُلى أَثبتُّهُم بعد نافِعٍ » :

عَنيتُ البُدُورَ منهمُ[3] غيرَ نَافِعٍ

لكان أبْيَنَ / . ٧٦/أ

* * *

وكُوفٍ مـعَ المكيِّ بالظَّاء مُعجَماً وكوفٍ وبَصرٍ غينُهُم ليس مُهمَلا

يتضمَّنُ هذا البيتُ حرفَين من الروادف وهما: الظاءُ والغين، فالظاءُ للكوفيين وابنِ كثير، والغينُ للكوفيين وأبي عَمرو، والمعجَمُ من الحروف ما نُقِطَ من قولك: أعجمْتُ الكتابَ: أَزلْتَ عجمَتَهُ[4]؛ لأنَّ النقطَ يُزيلُ عجْمَتَها، وهو

---

(١) انظر تعليق الفاسي والجعبري على البيت، والسراج لابن القاصح : ٢٠ .

(٢) من الطويل، لبعض بني فقعس في الخزانة ٣/٣٠ .

(٣) « منهم » غير واضح في الأصل .

(٤) الصحاح (عجم) .

التباسُهَا، والمهمَلُ أيضاً: ما لم يُنْقَط؛ أي: تُرِكَ غيرَ منقوط[1] .

* * *

وَذُو النَّقْطِ (شِينٌ) للكِسَائِي وَحمزَةٍ
وَقُلْ فيهمَا مَعْ شُعبةٍ (صُحبةٌ) تَلاَ
(صِحَابٌ) هُمَا مَعْ حَفْصِهِم (عَمَّ) نَافِعٌ
وَشَامٍ (سَمَا) في نَافِعٍ وَفتى العَلاَ
وَمَكٍّ وَ(حَقٌّ) فِيهِ وابنِ العَلاَءِ قُلْ
وَقُلْ فِيهمَا وَاليَحْصُبي (نَفَرٌ) حَلاَ
وَ(حِرْمِيٌّ) المكيُّ فِيهِ وَنَافِعٌ
وَ(حِصْنٌ) عَنَ الكوفي وَنَافِعِهُم عَلاَ

أخبرَ أنَّ الشِّينَ ذا النقط للكِسَائي وحمزةَ، وهذا آخِرُ الحروف الروادف، وبه انقضى الكلامُ في كنايات الاجتماع[2]، ثم أراد أن يجعلَ لاجتماعِ القرَّاءِ كناياتٍ أُخَرَ، فاخترعَ ثمانيَ كَلِمٍ، جعَلَهَا كناياتٍ، وهي: صُحبَةٌ، وصِحَابٌ، وعَمَّ، وسَمَا، وحَقٌّ، ونَفَرٌ، وحِرْمِيٌّ، وحِصْنٌ، و لم يقصِد استيفاءَ صُورِ الاجتماع، وإنما اعتبرَ الأكثرَ .

فأما « صُحبة » فكنايةٌ عن حمزةَ والكسائيِّ وأبي بكر، وأما « صِحَابٌ » فكنايةٌ عن حمزةَ والكسائيِّ وحفصٍ، وعبَّرَ بهذين اللفظين لأصحابهم في المذهب الكوفي. وأما « عَمَّ » فكنايةٌ عن نافعٍ وابنِ عامر؛ لعموم روايتِهمَا، وأما « سَمَا » فكنايةٌ عن نافعٍ وأبي عَمرو وابنِ كثير، بمعنى السُّموِّ والشُّهرَة، و « حَقٌّ » لابن

(١) انظر معنى حروف المعجم في سر صناعة الإعراب ١/١٣٣-١٤٠ .

(٢) انظر الفتح واللآلي والكنز للجعبري في التعليق على المحل .

كثيرٍ وأبي عَمرو بمعنى القمَّة، و « نَفَرٌ » لابن كثيرٍ وأبي عَمرو وابن عامرٍ؛ لأنهم ثلاثةٌ، والثلاثةُ نَفَرٌ، وهو دليلُ كثرة النَّقَلَة، و « حِرْمِيٌّ » لنافعٍ وابنِ كثيرٍ؛ لأنهما إماما الحرَمَين، فنافعٌ إمام حرَم المدينة، وابنُ كثير إمام حرَم مكةَ، شرفهما الله تعالى .

والنَّسَبُ إليه: حَرَميٌّ على القياس[1]، ويقال: حِرْميٌّ على غير قياس[2]، كما قالوا في الدَّهر: دُهْريٌّ، وقيل: يُقال في الحرَم: حِرْمٌ، قال الشاعر[3]:

وَأَمْسَتْ بِلاَدُ الحِرْمِ وَحْشاً بِقَاعُهَا لِغَيبَةِ مَنْ كَانَت مِنَ الوَحْيِ تَعْهَدُ

فقولهم على هذا: حِرميٌّ قياسٌ .

وأمَّا « حِصْنٌ » فللكوفيِّين ونافعٍ؛ لما فيها من التحصُّنِ بكثرة الرُّواة، وصحَّةِ النَّقْلِ، وغيرِ ذلك .

وارتفاعُ / قوله: « شِينٌ » على البدل من « ذو » ، و « فيهما » متعلقٌ بـ «قُلْ»، ٧٦/أ و « مَعْ شعبةٍ » حالٌ من ها فيها، و « صحبةٌ تَلا » : مبتدأ وخبرٌ، منصوب بالقول، وأفردَ الضمير في « تلا » ؛ لأنَّ « صحبَةٌ » صار عنده علَماً، فهو كالمفرَد، وليس من الاصطلاح في شيء، وربما أتى به في بعض الأبيات كذلك، والضميرُ في قوله: « فيهما » يعودُ على حمزةَ والكسائيِّ؛ أي: قُل في حمزةَ والكسائيِّ إذا اجتمَعَا مع شعبة صحبَةٌ، و « صِحَابٌ » مبتدأ، وهما خبره، و « مَعْ حفصِهِم » حالٌ، و « هما » يعودُ على حمزَةَ والكسائي. « عمَّ نافعٌ وشامٍ » ابتداءٌ وخبرٌ، «سما»

---

(١) انظر عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (حرم) ١/٤٥٧-٤٥٩، والصحاح (حرم) .

(٢) انظر التاج (حرم) .

(٣) هو حسان بن ثابت في ديوانه: ١/٤٥٦، وفيه (الحُرم) بالضم .

مبتدأٌ، و « في نافع » خبرُهُ، و « فتى العلا » و « ملكٌ » معطوفان على « نافع » ، و «حق» مبتدأ، و « فيه » خبره، والهاءُ تعودُ على « ملكٌ » ، و « ابنُ العلا » معطوفٌ على الهاء المجرورة في « فيه » ، عَطَفَ عليه من غير إعادةِ الخافض كقوله[1]:

فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ

و « نَفَرٌ حَلاَ » : مبتدأٌ وخبرٌ، و « اليحصبيُّ » معطوفٌ على المضمَر المجرور، وباقي الأبيات بيِّنُ الإعراب .

* * *

وَمَهْمَا أَتَتْ مِنْ قَبْلُ أو بَعْدُ كِلْمَةٌ

فكُن عندَ شَرطِي واقضِ بالواو فَيصَلا

اعلَمْ أَنَّ الرُّمُوزَ تأتي في هذا القصيد على ثلاثة أضرُبٍ: فضَرْبٌ تنفردُ فيه حروفُ (أبي جاد)، فيكون محلُّهَا بعد الحرف المختَلَف فيه وبعدَ تقييده كقوله[2]:

وَرفعُكَ ليسَ البرُّ يُنصَبُ (فـ)ـي (عُـ)ـلا

---

(١) الشاهد فيه عطف « الأيام » على المضمر المجرور . وهذا البيت بلا نسبة في الكتاب ٣٨٣/٢، (هذا باب ما يحسن أن يشرَكَ المظهرُ المضمرَ فيما عملَ، وما يقبُحُ أن يشرَكَ المضمرُ المظهرَ فيما عملَ فيه) ، وقال الشنتمري: هذا البيت غير معروف في الكتاب عند كثير من حملته . انظر تحصيل عين الذهب ص: ٣٨٢ ، برقم: (٥٦٨) ، والمقرب ٢٣٤/١، وشرح أبيات سيبويه ٢٠٧/٢ . وأوله:

فاليوم قرَّبتَ تهجونا وتشتمنا

وهو من البسيط .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

بخُلفٍ له في رحمةٍ وخَبيثةٍ ... ...

وقد تقدَّمَ هذا الضربُ في قوله: « ومِن بعدِ ذِكري الحرفَ » .

وضربٌ تنفرِدُ فيه الكلِمُ الثماني الموضوعَةُ للجمع، ولا يَلتَزِمُ فيها ترتيباً، بل يأتي بها بعدَ الحرف المختَلَف فيه وقبلَه، فمثالها بعدَه قولُه[1]:

وَقُرْحٌ بضَمِّ القَافِ وَالقُرْحُ (صُحْبَةٌ)[2]

ومثالها قبلَه[3] قوله:

(صُحبَةٌ) يُصْرَفُ فَتحُ ضَمٍّ وَرَاؤُهُ بكَسْرٍ ... ...

وسيأتي الكلامُ عن هذا الضرب عند قوله[4]:

وَقَبلَ وبَعْدَ الحرْفِ آتِي بِكُلِّ مَا رَمَزْتُ بِهِ فِي الجمْعِ ... .

وضربٌ تجتمعُ فيه حروفُ (أبي جاد) وكَلِمُ الجمع، فيكون الحكْمُ للكَلِمِ، فتصير حروفُ (أبي جاد) لا يَلتَزِمُ فيها ما كان يَلتزِمُهُ لو انفرَدَت بالذِّكْرِ من إتيانه بها بعد الحرف المختَلَفِ فيه، بل يأتي بهن قبلَ الحرف المختَلَف فيه وبعدَه، فمثالُهما قبلَ الحرف المختَلَف فيه قولُه[5]:

---

(١) البيت من فرش سورة آل عمران، وآخره:

... ... ومع مد كائنْ كسرُ همزَتِهِ (د)لا

(٢) (صحبة) رمز للكسائي وحمزة وشعبة ، أخذت من قوله:

وقل فيهما معْ شعبةٍ صحبةٌ تلا

(٣) البيت أول فرش سورة الأنعام، وتتمته:

... ... وذكّرْ لم تكنْ (شـ)اعَ وانجلا

(٤) البيت في مقدمة النظم، وتتمته:

... ... إذ ليس مشكِلا

(٥) البيت من فرش سورة الزخرف، وآخره:

=

وحُكمُ (صِحابٍ)[1] قَصرُ هَمزةِ جاءَنا

و[2]:

(عـ)ـمَّ (فـ)ـتىً قصرُ السلامِ مؤخّرا

ومثالُهما متأخرةً قولُه[3]:

مَعاً قَدْرُ حَـــرِّكْ مِن صِحَابٍ ...

و[4]:

... رءوفٌ قصرُ (صُحبتِـ)ـهِ (حَـ)لا

وقد تأتي كلمةُ الجمع وقد اكْتَنَفَهَا حرفان من (أبي جاد) كقوله[5]:

... (صَـ)فْوَ (حِـ)رمِيِّهِ (ر)ضاً ....

وهذا الضربُ الثالث هو المرادُ هنا بالذِّكر، فقولُه: « كِلمــةٌ » يجـوزُ أن يريـدَ بها كِلمةً من الثماني، ويجوزُ أن يريدَ بها كلمةً ضُمِّنَ أولها كنايةً، يعني حروفَ

وأسْورَةٌ سكِّنْ وبالقصر (عُـ)دِّلا

(١) صحاب رمز لحمزة والكسائي وحفص، من قوله:

صحاب هما معْ حفصهم

(٢) البيت من فرش سورة النساء، وآخره:

وغير أولي بالرفع (فـ)ـي (حَقِّ) (نـ)هشَلا

(٣) البيت من فرش سورة البقرة، وتتمته:

... ... وحيث جا بضمٍّ تمسُّوهنَّ وامددْهُ (شُـ)ـلْشُلا

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

وفي أن تقولون الخطابُ (كـ)ما (عـ)لا (شـ)فَا ... ...

(٥) البيت من فرش سورة البقرة، وتتمته:

وصيةٌ ارفعْ (صَـ)فوَ (حـ)ـرمِيِّه (ر)ضاً ويبصُــطُ عنهم غيرَ قنبـلٍ اعتلا

(أبي جاد)، يقولُ: مهما جاءتك كلمـةُ جَمـعٍ قبـل حـرف (أبـي جـادٍ) / أو ٧٨/أ
بعدَه، أو مهما أتتكَ كِلْمَةٌ ضُمِّنَ أولُها حرفٌ من حروف (أبي جادٍ) قبل كلمـة الجمع أو بعدَها، فكن عندما شرطتُه لك من الدِّلالـة بكـلا النَّوعَـين؛ أي: احمِـلْ كلَّ نوعٍ على ما تقدَّم، وإنمـا قـال هـذا؛ ليُعلِمَـكَ أنـه يَجمَـعُ بـين النوعَـين مـن الرُّموز، فيُقدِّمُ بعضَهَا على بعضٍ؛ لئلا يُتوهَّمَ أنه لا يأتي إلا بحروف (أبـي جـادٍ) على انفرادها، أو بالكلِمِ الثماني على انفرادها .

وموضعُ « مهما » رفعٌ بالابتداء، وهـي كنايةٌ عـن الموضـع الـذي يَقَـعُ هـذا الحكمُ المذكورُ فيـه، وخـبره « أتَـتْ كلمـةٌ » ، والضمـيرُ العـائدُ عليـه مـن خـبره محذوفٌ التقدير: ومهما أتت فيه، وإنما قلنا ذلك؛ لأن مهما مـن أسمـاء الشَّـرط، والأصلُ فيها: « ما » ، ثـم زِيـدَت عليهـا « مـا » ، وأُبدِلَـت الألـفُ هـاءً كراهيـةً لاجتماع الأمثال .

و « كِلْمة[١] » أتى بها على لغة بني تميمٍ، وذلك أنهم يقولـون: كِلْمـةٌ وكِلْـمٌ، نحو: سِدْرةٌ وسِدْرٌ، وكِسْرةٌ وكِسْرٌ، وأهلُ الحجاز يقولون: كَلِمَةٌ، والجمْعُ كَلِـمٌ بحذف التاء نحو: نَبِقَةٌ ونَبِقٌ .

و « فيصَلا » حالٌ من الـواو، ولا يجـوز نصبُه علـى التمييـز؛ لأن التمييـزَ في مثل: تفقَّأَ زيدٌ شَحماً أكثرُ ما يكون من الفاعل، ولا يكونُ إلا اسماً لا صفةً .

---

(١) حكى الفراء فيها ثلاث لغات: كَلِمةٌ، وكِلْمـةٌ، وكَلْمَـةٌ . انظـر الصحـاح (كلـم) ، وانظـر التصريح على التوضيح وحاشية العليمـي ١/١١٧ ومـا بعدهـا ، وانظـر : مـن تـراث لغـوي مفقود للفراء صنعة علم الديـن الجنـدي: ٢١، والمذكـر والمؤنـث لابـن الأنبـاري ١/٣٥٩ ، والمذكر والمؤنث لابن التستري: ١٠٠ .

وما كان ذا ضدٍّ فإني بضدِّهِ　　غنيٌّ فزاحِمْ بالذَّكاءِ لتفضُلا

اعلَمْ أنَّ القراءةَ إذا قيَّدَهَا فلا تخلو تلك القُيُودُ إما أن تكونَ أضداداً أو غيرَ أضدادٍ، فإن كانت أضداداً ذَكَرَ أحدَ الضدَّين ونَسبَه لراويه، ويَسكُتُ عن الضد الآخَرِ وراويهِ نحو: ﴿وَلاَ تُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾[1] قُرِئَ: يُقبَلُ بالياء والتاء، فالتاء للخِطاب، والياء للغَيب، فيَذكُرُ إحداهما وراويها، ولا يذكرُ الأخرى ولا راويَها.

وإن كانت القيود ليست بأضداد، فإنه يذكرُ القيدَين معاً، ولكنه يَنسُبُ أحدَهما لراوٍ يَذكُرُه، ولا يَذكُرُ راويَ القيد الآخَر نحو قولِه[2]:

وَأَرْنَا وَأَرْنِي سَاكِنَ الكَسْرِ (دُ)مْ (يَـ)داً

فلفظُه بالسكونِ والكسرِ قيدٌ للراء المختَلَف فيها، إلا أنَّ السُّكُونَ لِمَن ذَكَرَ، والباقون على الكسر، وهذا كلُّهُ منه طلبَ الاختصار.

وهكذا يَفعل أبداً يَنظُرُ إلى القراءة التي يُريدُ أن يسكُتَ عنها، فيَذكُرُ ضدها وراويَها ويَسكُتُ، وربما أتى بالقراءتَين جميعاً وإن كانتا ضدَّين كقوله[3]:

وَخَفَّفَ (كُوفٍ)[4] يُكَذِّبُونَ وَيَاؤُه　　بِفَتْحٍ وَلِلباقِين ضُمَّ وَثُقِّلا

---

(١) سورة البقرة: ٤٨ .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

وفي فصلت (يُـ)روَى (صَـ)فَا (دُ)رِّهِ (كِـ)لا

(٣) البيت من فرش سورة البقرة .

(٤) كوف رمز للكوفيين الثلاثة: عاصم وحمزة والكسائي .

فقوله: « ضُمَّ[١] » :ذِكرُهُ واجبٌ؛ لأنَّ الفتحَ المنصوصَ عليه في الياء لا يتضمَّنُ عنده الضمَّ، وقولُه: « ثُقِّلا[٢] » : حَشوٌ لتمام الوَزْن .

ومعنى « غَنِيٌّ » : مُستغنٍ، ومعنى « فزاحِم بالذَّكاء » : زاحِم نُظَراءَكَ لتفضُلَهُم، أي لتصيرَ أفضَلَهم، من قولك: فاضَلَني ففضَلْتُهُ، صِرْتَ أفضلَ منه .

و« ما » في قوله: « وما كان » يجوزُ أن تكون شرطاً، والجوابُ: فإني، وهي مبتدأٌ، وخبرها عند البصريين الشَّرْطُ، ويجوز أن تكونَ موصولةً، و « كان ذا ضدٍّ صلَتُهَا، و « فإني بضدِّهِ غَنِيٌّ » : خبرُها، ودخلت الفاءُ عليه، كقوله تعالى: ﴿الذينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم﴾[٣] ثم قال: ﴿فلَهُم أجرُهُمْ عِنْدَ ربِّهِم﴾[٤] / . ٧٩/أ

* * *

كَمَدٌّ وَإِثْبَاتٍ وَفَتْحٍ وَمُدْغَمٍ وَهَمْزٍ وَنَقْلٍ وَاخْتِلَاسٍ تَحَصَّلَا

وَجَزْمٍ وَتَذْكِيرٍ وَغَيبٍ وَخِفَّةٍ وَجَمْعٍ وَتَنوِينٍ وَتَحرِيكٍ أُعْمِلَا

هذان البيتان وما بعدَهما تفسيرٌ للقُيُود التي يُستَغنى بضدها، فالمدُّ ضدُّه القَصرُ، يُستَغنى بأحدهما عن الآخَر. مثالُ المد قولُه[٥]:

وفي حَذِرُونَ المدُّ (مَـ)ـاثِلٌ ...

---

(١) انظر اللآلي الفريدة عند شرح البيت .

(٢) اللآلي الفريدة عند شرح البيت .

(٣) سورة البقرة: ٢٤٧ .

(٤) سورة البقرة: ٢٤٧ .

(٥) البيت من فرش سورة الشعراء، وتتمته:

... ... فارهينَ (ذ)اعَ وخلقُ اضمُمْ وحرِّكْ به (ا)لعُلا

ومثالُ القَصر قولُه(١):

وَحُكمُ صِحَابٍ قَصرُ هَمْزَةِ جَاءَنَا

والإثباتُ ضدُّه الحذفُ كقوله(٢):

وَتَثْبُتُ في الحالَين (دُ)رًّا لَـوَامعاً

ومثالُ الحذف قولُه(٣):

.... واحذِفِ الوَاوَ (دُ)خْلُلاَ

وقد لا ينصُّ على لفظ الحذف والإثبات؛ بل يأتي بما يَدلُّ عليهما كقوله(٤):

... ... وزِدْ أَلِفاً مِنْ قبلِهِ ....

وكقولِه(٥):

وَبَسْـمَلَ بين السُّورَتَين ...

وَقَبْلَ يقولُ الواوُ غُصْنٌ...(٦)

---

(١) تقدم .

(٢) البيت من باب ياءات الزوائد، وعجزه:

بِخُلْفٍ وأُولى النمل حمزةُ كمَّلا

(٣) البيت من فرش سورة القصص، وأوله:

يصدِّقنِ ارفَعْ جزمَهُ (فـ)ـي (نُـ)ـصُوصِهِ وقل قال موسى ... ...

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

وفي فأزلَّ اللامَ خفِّفْ لحمزةٍ وزدْ ألفاً من قبله فتكمِّلا

(٥) تقدم .

(٦) البيت من فرش سورة المائدة، وتتمته:

... ... ورافعٌ سوى ابن العَلا من يرتَدِدْ (عمَّ) مُرسَلا

وكقوله في الحذف[1]:

... قالوا الواوُ الأولى سُقُوطُهَـا

ولم يصِلُوا ها مضمَرٍ قبلَ سَاكِنٍ[2]

والفتح هنا المرادُ به الذي يُضادُّ الإمالةَ وبين اللفظين، ولم يُرَدْ به الفتحُ الذي هو أحدُ ألقابِ الحركات الثلاث، ولذلك التزَمَ أن يذكُرَ ضدَّيـه ولا يذكُـرَه هـو كقوله[3]:

وإضجاعُكَ التوراةَ (مـ)[4]ـا رُدَّ (حُـ)سنُهُ

وقُلِّلَ (فـ)ـي (جَـ)ـودٍ وبالخُلفِ (بَـ)[5]ـلِّلا

والمدغَمُ ضدُّهُ المظهَرُ كقوله[6]:

وإدغامُ باءِ الجزْمِ في الفاءِ (قَـ)[7]ـد (رَ)[8]سَا

---

(١) البيت من فرش سورة البقرة، وتتمته:

عليمٌ ... ... وكن فيكونُ النصبُ في الرفعِ كُفِّلا

(٢) البيت من باب هاء الكناية، وعجزه:

وما قبله التحريكُ للكلِّ وُصِّلا

(٣) البيت أول فرش سورة آل عمران .

(٤) الميم رمز لابن ذكوان .

(٥) الباء رمز لقالون .

(٦) البيت من باب حروف قربت مخارجها، وتتمته:

(حـ)ـميداً وخيِّرْهُ في يتب (قـ)ـاصداً وَلا

(٧) القاف رمز لخلاد .

(٨) الراء رمز للكسائي .

والمظهَرُ كقوله[1]:

ومن حَيِيَ اكسِرْ مُظهراً (إ)ذ (صـ)ـفَى (هُـ)[2]ـدىً

والهمزُ ضدُّه تركُ الهمـز، وتركُـه إمَّـا إلى البـدَل، وإمَّـا إلى العـدَم، وإمَّـا إلى التسهيل .

فمثال الهمز قولُه[3]:

ويهمِزُ ضِـــــــيزَى ... ...

وبـــادِيَ بعدَ الدالِ بالهمز (حُـ)ـلِّلا[4]

وفي الصابئين الهمزُ والصابئون (خُـ)ـذْ[5]

وحقِّقَها في فُصِّلَت (صُحبةٌ) أأعجميٌّ[6]

ومثالُ ترك الهمز قولُه[7]:

---

(١) البيت من فرش سورة الأنفال، وعجزه:

وإذ يتوفَّى أنَّثوهُ (لـ)ـه (مُـ)ـلا

(٢) الهاء رمز للبزي .

(٣) البيت من فرش سورة الذاريات، وتتمته:

... ... خشَّعاً خاشِعاً (شـ)ـفا (حـ)ـميداً وخاطب تعمَلُون (فَـ)ـطِبْ (كِـ)ـلا

(٤) البيت من فرش سورة هود، وأوله:

وإني لكم بالفتح(حقٌّ) (ر)واته

(٥) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

وهُزؤاً وكُفْؤاً في السَّواكنِ (فُـ)ـصِّلا

(٦) البيت من باب الهمزتين من كلمة، وعجزه:

... والأولى أسقِطَنَّ (لتـ)ـسْهُلا

(٧) البيت من فرش سورة البقرة، وصدره:

لأعتَتَكُم بالخُلفِ أحمدُ[1] سَــهَّلا

ووَرْشٌ لِـيَـــلاً والنَّسيءُ بِيَائِهُ[2]

....ونُـنْـ سِهَا مثلُه من غير همزٍ (ذَ)كَت (إ)لا[3]

والنَّقلُ ضده عدمُ النَّقلِ، وهو تركُ الحركة في محلِّهَا، وتحقيقُ الهمـزة، ولكنـه لم يُقيِّد في القصيد إلا بالنَّقل كقوله[4]:

ونَقْلُ قُرانٍ والقُرانُ (دَ)واؤُنَا

وكقوله[5]:

... ... الآنَ بالنَّقْلِ نُقِّلا

وإنما لم يُقيِّد بضدِّه؛ لئلا يَلتَبِسَ بغير النَّقْلِ؛ لأنه لو قال مثلاً: حَقِّقْ، لم يُفهَم منه للباقين إلا تَركُ الهمز، ولا يتعيَّنُ أنه بالنَّقلِ .

والاختلاسُ ضدُّهُ إشباعُ الحركة، ويُرادِفُ الاختلاسَ الإخفاءُ كقوله[6]:

قل العفوَ لبصري رفعٌ وبعده

(١) أي: البزي .

(٢) البيت من باب الهمز المفرد، وعجزه:

وأدغَمَ في ياء النسيء فَثَقّلا

(٣) البيت من فرش سورة البقرة، وصدره:

وننسخْ به ضمٌّ وكسرٌ (كـ)ـفا ونُـنْـ سِهَا... ... ...

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

وفي تكملوا قلْ شعبةُ الميمَ ثقّلا

(٥) البيت من باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وأوله:

وشيءٌ وشيئاً لم ولنافعٍ لَدَى يونسٍ ... ...

(٦) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

=

وإخفاءُ كسرِ العين (صِـ)[1]ـيغَ (بـ)ـه (حُـ)ـلا

ومثالُه بمرادفه[2]:

وكـــــــم/جليلٍ عن الدُّوريِّ مختلِساً جَلا

ولم يعبِّرْ في الكتاب بالإشباع؛ لقلّةِ دَورِ هذا النوع .

و « تحصَّلا » جملةٌ صفةٌ لاختلاس، أي: ثبتَ في النَّقْلِ ورُوِي .

وموضعُ الكاف رفعٌ على أنه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، كأنَّ قائلاً قالَ: ما مثالُ ذلك؟ فقال: هو كمدٍّ وكذَا إلى آخرِ البيت .

والجـــزمُ ضدُّهُ عنده: الرفعُ، إما لأن الجزمَ يقتضي حذفَ الحركةِ أو حذفَ الحرفِ، والرفعُ يقتضي / إثباتَ ذلك . ٨٠/أ

وإما لأن الجزمَ إنما يَردُ على الرفع، هكذا ذكرَ أبو الحسن السخاوي[3] وغيرُه، وهذا غيرُ بيِّنٍ؛ لأن الجزمَ صدَرَ عن الجازم، والنصبَ عن الناصب، والرفعَ عن الرافع، فكما لا يكونُ الجزمُ ضداً للنصب؛ لأنه لا يجتمِعُ معه، كذلك لا يكون ضداً للرفع، إذ لا يلتقي على الكلمة عاملان، ولا يَرِدُ عاملٌ على عامل، إنما يَرِدُ العاملُ على الكلمة عاريةً عن العامل، وإذا كانت كذلك لم

نِعِمَّا معاً في النون فتحٌ (كـ)ـما (شـ)ـفا

(١) الصاد رمز لشعبة .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وأوله:

ويَنصُرُكم أيضاً ويُشعِرُكم وكَم

(٣) انظر فتح الوصيد عند قوله:

وجزم وتذكير وغيبٍ وخفةٍ

بتصرف .

يكن الجزمُ وارداً على الرفع، وا لله أعلم .

ومثال ذلك في القصيد قولُه[1]:

... ... وجزمُهُم يَذَرْهُم (شـ)ـفا ... ...

ولا يذكُرُ الرفعَ مستغنياً به عن الجزم؛ لأنه جعلَ الرفعَ ضداً للنصب على ما يأتي بعدُ .

والتذكيرُ ضده التأنيث، يُكتَفَى بأحدهما عن الآخَرِ، مثالُ ذلك قولُه[2]:

وذَكَّرَ تُسقى عاصمٌ وابنُ عامرٍ

وعكسُه قولُه[3]:

وإنْ يَكُنَ اَنِّثْ (كُـ)ـفْـؤَ (صـ)ـدقٍ ...

والغيبُ ضده الخطابُ، يُكتَفَى بأحدهما عن الآخَرِ، مثالُ ذلك قولُه[4]:

وبالغيب عمَّا تعمَلُون (هـ)ـُنا (دَ)نَا

وعكسُه قولُه[5]:

---

(١) البيت من فرش سورة الأعراف، وأوله:

وفي النحلِ والاهُ الكِسائي ... ... والياءُ (غـ)ـصنٌ تهدَّلا

(٢) البيت من فرش سورة الرعد، وعجزه:

وقل بعده باليا يفضِّلُ (شـ)ـلشُلا

(٣) البيت من فرش سورة الأنعام، وتكملته:

... ... ومَيتةٍ (د)نا (كـ)ـافياً وافتحْ حِصَادِ (كـ)ـذي (حُـ)ـلا

(٤) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

وغيبُكَ في الثاني (إ)لى (صـ)ـفوه (دَ)لا

(٥) البيت من فرش سورة الأعراف، وعجزه:

=

وخاطِبْ تَرحَمْنَا وتغفِرْ لنا (شَـ)ـذاً

والخفةُ ضدُّ التثقيل، يُكتَفَى بأحدهما عن الآخَر، مثالُ ذلك قولُه[1]:

وخَفَّفَ نُونَا قبلَ فِي الله (مَـ)ـن (لَـ)ـه

وعكسُه قولُه[2]:

وثُقِّلَ للمكِّيِّ نونُ تُبشِّرُون

والجمعُ ضدُّهُ التوحيد، يُكتَفَى بأحدهما عن الآخَر كقوله[3]:

... واجمَعُوا آثارِ (كَـ)ـمْ (شَـ)ـرَفاً (عَـ)ـلاَ

وعكسُه قولُه[4]:

وَوَحَّدَ (حَقٌّ)[5] مَسجدَ الله الاوَّلاَ

ولا تكونُ التثنيةُ ضداً للجمْعِ، فإن جاءَ ما يتردَّدُ بين الإفراد والتثنية، لم يعبِّر بلفظ التثنية كقوله[6]:

وبا ربَّنا رفعٌ لغيرهما جَلا

(١) البيت من فرش سورة الأنعام، وعجزه:

بخُلْفٍ (أ)تى والحذفُ لم يكُ أوَّلا

(٢) البيت من فرش سورة الحجر، وعجزه:

واكسرْهُ (حِرمياً) وما الحذفُ أوَّلا

(٣) البيت من فرش سورة الروم، وأوله:

ليَربُو خِطابٌ ضُمَّ والواوُ ساكنٌ أتى ... ...

(٤) البيت من فرش سورة التوبة، وصدره:

ويُكسَرُ لا أيمانَ عند ابنِ عامرٍ

(٥) حق رمز لابن كثير وأبي عمرو البصري .

(٦) تقدم .

وَحُكْمُ (صِحَابٍ) قَصرُ همزةِ جَاءَنَا

والباقون بالمد، فردَّ القراءتَين إلى اصطلاحٍ آخَرَ خَوفاً من اللَّبس .

والتنوينُ ضده تركُ التنوين كيفما كان سقوطُه إما للإضافة، وإما لترك الصَّرْف، ويُكتَفى بأحدهما عن الآخَر، مثال ذلك[1]:

.... وَنَوَّنُوا عُزيرُ (رِ)ضَا (نَـ)ـصٌّ ... ...

... ... وقَلْبِ نَوْ وِنُوا (مِـ)ـن (حَـ)ـميدِ ... ... [2]

وعكسُه[3] قولُه[4]:

سَلاسِلَ نَوِّنْ (إِ)ذ (رَ)وَوا (صَـ)ـرفَه (لَـ)ـنَا

وقد يعبَّرُ عن التنوين بالنون؛ لأنه كذلك في اللفظ كقوله[5]:

شِهَابٍ بنونٍ (ثِـ)ـقْ ... ...

---

(١) من فرش سورة التوبة، وتكملته:

عشيراتُكُم بالجمع (صِـ)ـدقٌ ونونوا عزيرُ (رِ)ضَا)نَـ)ـصٌّ وبالكسر وُكِّلا

(٢) من فرش سورة المؤمن، وتتمته:

فأَطَّلِعَ ارفَعْ غيرَ حفصٍ ... ... .أدخِلوا (نفرٌ) صِـلا

(٣) في هامش ب ورقة ٧٤ : « ليس عكسه، وإنما عكسه قوله: ومتمٌّ لا تنوِّنه ... البيت. وهذا منه وهمٌ عفا الله عنه.

وإنما قوله: « سلاسل ... » مثالٌ لما سقط منه التنوينُ بشرط الصرف » .

(٤) البيت من فرش سورة الإنسان، وعجزه:

وبالقصر قفْ (مِـ)ـن (عَـ)ـن (هـ)ـدىً خُلْفُهُمْ (فَـ)ـلا

(٥) أول فرش سورة النمل، وتتمته:

... ... وقل يأتِيَنِّي (د)نا مَكُثَ افتحْ ضمةَ الكافِ (نَـ)ـوفَلا

وقال في عكسِهِ[1]:

ولا نونَ شِركاً (عـ)ـن (شَـ)ـذاً (نَفر) (مِـ)ـلا

والتحريكُ ضِدُّهُ السكونُ، سواءٌ كان التحريكُ مطلَقاً أو مقيَّداً، فإذا قال في قراءةٍ ما: حرِّك، فُهِمَ أن الباقِين بالإسكان، وإذا قال في قراءةٍ ما: سكِّنْ، فُهِمَ أن الباقِين بالتحريك، إلا أن الحركةَ لا تتعيَّنُ من هذا، وإنما تتعيَّـنُ مـن البيـت بعـدُ، مثالُ ذلك قولُه[2]:

وَحُرِّكَ عينُ الرُّعب ضَماً (كَـ)ـمَا (رَ)سَا

وقولُه[3]:

مَــعاً قَدرُ حَرِّكْ (مِـ)ـن (صِحَابِ) ...

وعكسُه قولُه[4]:

وَسَكِّنْ مَعاً شَنْئَانُ (صَـ)ـحًّا (كِـ)ـلاهما

وقوله: أَعْمِل، من قوله: أَعملْـتُ فلانـاً في كـذا؛ أي: استعملتُه فيـه، كـأنَّ القارئَ أَعمَـلَ الحركـةَ في اللفـظ بـالحرف، حيـث ظهـرَ لهـا أثـرٌ فيـه مـن الرفـع

---

(١) البيت من فرش سورة الأعراف، وأوله:

وحرِّكْ وضمَّ الكسرَ وامددْ هامزا

(٢) البيت من فرش سورة آل عمران، وعجزه:

ورُعباً ويغشى أنِّثوا (شـ)ـائعاً (تـ)ـلا

(٣) البيت من فرش سورة آل عمران، وتتمته:

... ... وحيث جا يُضمُّ تمسُّوهنَّ وامدد (شُـ)ـلْشُلا

(٤) البيت من فرش سورة المائدة، وعجزه:

وفي كسرِ أنْ صَدُّوكم (حـ)ـامدٌ (دَ)لا

والنصب والخفض، وموضعُهُ خفضٌ على الصفة لـ « تحريك » .

وهذه الأضدادُ المذكورةُ في هذين البيتَين ليست على جهة الحصر، بل أتى بأضدادٍ أُخَرَ غيرِها، ولكن ما ذَكَر هو الأكثرُ في الكتاب، وإلا فقد قال[1]:

هُنَا قاتَلُوا أَخِّرْ (شِـ)ـفَاءً ...

وقولُه[2]:

... ... وختامُهُ بفتحٍ وقَدِّم مَدَّهُ ... ...

وقولُه[3]:

... ... شَدِّدْ وأَهمِلا

ولهذا قال في ذلك: « كَمَدٌّ وإثباتٍ » .

/ وموضعُ « كَمَدٌّ » رفعٌ على أنه خبرُ ابتداء مضمَرٍ؛ كأنه قال: هو كَمَدٌّ، وكذا إلى آخِرِه . ٨١/أ

* * *

وَحَيْثُ جَرَى التَّحْرِيكُ غَيرَ مَقيَّدٍ هُوَ الفَتْحُ وَالإِسْكَانُ آخَاهُ مَنْزِلاَ

اعلَمْ أنَّ التَّحريكَ في هذا الكتاب يأتي على وَجهَين: مُطلَقٌ ومقيَّدٌ، فالمقيَّد

---

(١) البيت من فرش سورة آل عمران، وتتمته:

... ... وبعدُ في براءةَ أخِّرْ يقتلونَ (شَـ)ـمَرْدَلا

(٢) البيت من فرش سورة المطففين، وتمامه:

وفي فاكهين اقصُرْ (عُـ)ـلاً ... ... (ر)اشداً وَلاَ

(٣) البيت من فرش سورة الأنعام، وتمامه:

سبيلَ برفعٍ (خـ)ـذْ ويقضِ بضمٍّ سا كنٍ معْ ضمِّ الكسرِ ... ...

يقيِّدُهُ بالرفع والضم، أو بالكسر والخفض، مثالُه[1]:

وَحُرِّكَ عينُ الرُّعبِ ضَماً (كـ)ـما (رَ)سَا

وقولُه[2]:

... ... وَاللاَّمَ حَرِّكُوا برفعٍ ... ...

وقولُه[3]:

... وبالتَّحرِيكِ بالكَسْرِ (كُـ)ـفِّلا

والمطلَقُ لا يَزيدُ فيه على لَفظِ حَرِّك كقوله[4]:

مَـعــاً قَدرُ حَرِّكْ (مِـ)ـن (صِحَابٍ)

وعلى الجملة إذا قال: حَرِّكْ وقيِّدَ، فالقراءةُ المذكورةُ بالحركة المستفادَةِ من التَّقْييد، والقراءةُ المسكوتُ عنها بالسُّكُون، فالذي ضدٌّ للحركة[5] [هو السكون][6].

وإذا قال: حَرِّكْ وأطلَقَ، فالمرادُ الفتحُ اصطلاحاً منه، وضدُّهُ أيضاً السكونُ، وإذا قال: سكِّنْ ويَسكُتُ، فُهِمَ لمن ذُكرَ الإسكانُ، وفُهم للباقين التحريكُ، لكنه

---

(١) تقدم .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وتمامه:

وتُسألُ ضمُّوا التاءَ واللامَ ... ... (حـ)ـلوداً وهْوَ من بعد نفيٍ لا

(٣) البيت من فرش سورة الأنعام، وتمامه:

وسكِّنْ (شـ)ـفاءً واقتدِهْ حذفُ هائه (شـ)ـفاءً ... ...

(٤) تقدم .

(٥) هكذا بالأصل .

(٦) زيادة يقتضيها السياق .

لا يكونُ إلا الفتحُ اصطلاحاً منه أيضاً كقوله: « معاً قدرُ حَرِّك » المراد فتحُ الدال، والباقون بالسكون فيها، وعكسُ هذا قولُه[١]:

وَسَكِّنْ مَعاً شَنْئَانُ (صَـ)ـحًا (كِـ)ـلاَهُمَا

فالمذكورون لهم في النون الإسكانُ، وللباقين فيها التحريكُ، لكنه بالفتح لأنه مُطلَقٌ، وأما إذا قال: سَكِّنْ ولم يسكُتْ، فإنَّ مَن ذُكِرَ على السكون، والباقون على ما يُقَيِّدُ كقوله[٢]:

وأَرْنا وأَرْني ساكنَ الكسرِ (دُ)مْ (يـ)ـداً

فالمذكورون بالإسكان المذكور، والباقون بالكسر المذكور، وكقوله[٣]:

وثُلْثَي سُـــكونُ الضمِّ (لـ)احَ وجَمَّلا

فالتحريكُ والإسكانُ ضدان، والتحريكُ المطلَقُ يُؤاخيه الإسكانُ، فإذا قال: حَرِّكْ وأطلَقَ، عُلِمَ أن المرادَ الفتحُ، وأن الباقين بالإسكان، وإذا قال: سَكِّنْ، عُلِمَ أن الباقين بالتحريك المطلَق وهو الفتحُ .

ونَصَبَ « منزلاً » على الظرف، أي: آخاهُ في منزله الذي هو فيه، أي الحرفُ الذي يتَّصِفُ بهما واحد، ويجوزُ نصبُه على التمييز .

* * *

---

(١) تقدم .

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

وفي فصلت (يُـ)ـروَى (صـ)ـفا (دُ)رِّهِ (كُـ)ـلا

(٣) البيت من فرش سورة المزمل، وصدره:

وثـا ثُلُثِهِ فانـــصِبْ وفا نصفِهِ (ظُـ)ـبىً

وَآخَيْتُ بَين النُّونِ وَاليَــاءِ فَتحِهِم
وَكَسْرٍ وبينَ النَّصْبِ وَالخفْضِ مُنْزِلاَ

يقول: إذا كانت القراءةُ متردِّدَةً بين الياء والنون، وبين النصب والخفض، وبين الفتح والكسر، فإنه يَذكُرُ أحدَ العبارتَين، ويَستغني بها عن الأخرى، فأما النونُ والياء، فإنما يأتيان في أولِ المضارِع كقوله[1]:

يُعلِّـمُـــــهُ بالياء (نَـ)ـصٌّ (أ)ئمةٍ

والباقون بالنون، وعكسُه قولُه[2]:

ونـــُـــــدخِلُه نونٌ مع طلاقٍ ...

وأما النصبُ والخفضُ فيأتي بهما إذا كانا إعراباً كقوله[3]:

... وانصبْ بينكم (عَمَّ)[4](صَـ)ـندَلا

فضدُّهُ الخفضُ للباقين .

وأما الفتحُ والكسرُ / فيأتي بهما إذا كانا بناءً كقوله[5]: ٨٢/أ

---

(١) البيت من فرش سورة آل عمران، وعجزه:

وبالكسر إِني أَخلُقُ (ا)عتادَ أَفصَلا

(٢) البيت من فرش سورة النساء، وتمامه:

... ... وفوقُ معْ نُكفِّرْ نُعذِّبْ معْهُ في الفتح (إ)ذ (كَـ)ـلا

(٣) البيت من فرش سورة

(٤) عمَّ رمز لنافع وابن عامر ، من قوله:

.... عمَّ نافعٌ وشامٍ

(٥) البيت من فرش سورة آل عمران، وتمامه:

ورِضوانٌ اضمُمْ غيرَ ثاني العُقُود وكسْـ ـرُهُ (صـ)ـحَّ ... ...

... إنَّ الـــــدِّينَ بالفتحِ (رُ)فِّلا

وعكسُهُ[١]:

... أنَّ الله يُكسَرُ (فـ)ـي (كِـ)ـلا

وجَعَلَ هذا التنوينَ[٢] في الحركات حتى يَميزَ بين ما هو بناءٌ وإعرابٌ، وقد يضطرُهُ الوزنُ في بعض المواضع فيُدخِلُ بعضَ الحركات مكانَ بعضٍ كقوله[٣]:

وبا عبدَ اضمُمْ واخفِضِ التا بعدُ (فُـ)ـزْ

فضدُّ الخفض النصبُ، وليس حركةُ الباء بنصبٍ، بل هي فتحةٌ؛ لأنه في قراءة الباقين (ماض) والحركةُ بناءٌ .

ومُنزِلا: حالٌ من ضمير آخيتُ من قولك: أنزلتُ القومَ منازِلَهم؛ أي: جَعَلتُ كلَّ واحدٍ في رتبته، يعني آخيتُ بين كذا وكذا في حال كَوني مُنزلاً من ذلك كلَّ شيءٍ منزلَته .

* * *

وَحَيْثُ أَقُولُ الضَّمُّ وَالرَّفْعُ سَاكِتاً فَغَيرُهُمْ بِالفَتْحِ وَالنَّصْبِ أَقْبَلاَ

يقول: إذا كانت قراءةٌ متردِّدَةٌ بين الرفع والنصبِ، أو بين الضمِّ والفتح، فإني أذكرُ الضمَّ، ويُفهَمُ للباقين الفتحُ، أو أذكُرُ الرفعَ فيُفهَمُ للباقين النصبُ،

---

(١) البيت من فرش سورة آل عمران، وتمامه:

وذكِّرْ فناداه وأضجِعْهُ (شـ)ـاهداً ومن بعدُ ... ...

(٢) لعله (التنويع) .

(٣) البيت من فرش سورة المائدة، وعجزه:

رسالتَه اجمعْ واكسرِ التا (كـ)ـما (ا)عتَلا

فمثال الضم قولُه[1]:

وضَـــمُّهُم في يَزلقونَكَ (خَـ)ـالِدٌ

يُفهَمُ للباقين الفتحُ، ومثالُ الرفع قولُه[2]:

وحتى يقولَ الرفعُ في اللامِ (أُ)وِّلا

يُفهَمُ للباقين النصبُ، ولا ينعكس ذلك، أعني أن يُذكَـرَ الفتـحَ أو النصـبَ، فيُفهَمُ منه للباقين الضمُّ والرفعُ، بل إنما يُفهَـمُ إذا ذُكِـرَ الفتـحُ والنصـبُ الكسـرُ والخفضُ كما تقدَّمَ في قوله: « وآخيتُ » . ونوَّعَ أيضاً الحركـاتِ باعتبـار البنـاء والإعراب .

وفي هذا البيت من البديع: اللفُّ[3]، فإن الضمَّ يدلُّ على الفتح، والرفعَ يـدلُّ على النصب، قال ا لله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُـوا مِـنْ فَضْلِـهِ﴾[4] فالسُّكونُ في الليـل، والابتغـاءُ في النهـار، وقـال امـرؤُ القيس[5]:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَا[6]وَكْرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالي

---

(١) البيت من فرش سورة ن، وعجزه:

ومَن قبلَهُ فاكسِرْ وحرِّكْ (رِ)وىً (حَـ)ـلا

(٢) البيت من فرش سورة البقرة، وصدره:

وفتحُكَ سين السِّلمِ (أَ)صلٌ (رِ)ضىً (دَ)نا

(٣) ذكرُ متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكرُ ما لكل واحد من غير تعيين، ثقةً بأن السـامعَ يردُّه إليه. انظر شرح التلخيص للبابرتي ٦٣١ .

(٤) سورة القصص: ٧٣ .

(٥) من الطويل، في ديوانه: ٣٨ . وقد رسمت فيه (لدى) بالياء .

(٦) لدا إذا كانت بمعنى عند:ترسم بالألف، وإذا كانت بمعنـى في:ترسـم باليـاء . مـن هـذا قـول بعضهم:

=

وقال آخرُ[1]:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَـــــوَاكِبُهْ

وقولُه: « ساكتاً » نَصْبٌ على الحال من الضمـير في « أقـولُ » ؛ معنـاه: أقـولُ ضُمَّ وأسكُتُ، ولا أقيِّـدُ، فـإن البـاقين بـالفتح، فـإن قيَّـدَ و لم يسـكُتْ، فـالقراءةُ الأخرى بحسب تقييده كقوله[2]:

وَحَرِّكْ وضُمَّ الكَسْرَ وَامْدُدْهُ هَامِزاً

و كقوله[3]:

ضُمَّ الإسكانَ (صـ)ـِف

و « الضمُّ » : مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ، وكذلك « الرفعُ » التقديـر: وحيـثُ أقـولُ الضمُّ لبعض القراء، والرفعُ للآخَرين، والأحسنُ أن لو قال:

وحيث ذكرْتُ الضمَّ والرفعَ ساكتاً

فيُعربُ ولا يَحكي؛ لأنه لا يذكُرُ الضمَّ بلفظ ما حكاه هنـا، إنمـا يذكُـرُ مـا يقتضيه نحو: ضُمَّ واضمُمْ وضُمُّوا، وما أشبه ذلك من العبارات، و « أقبَـلَ » خـبرٌ عن « غيرهم » ، و « بالفتح » متعلـقٌ بـه، أي: جـاء في روايتـه، وأفـردَ الضمـير في

لدا بمعنى عند فارسم بالألف وإن بمعنى في فبالياء عُرِف

وهذا يوافق ما عليه مرسوم الإمام في قوله تعالى: ﴿لدا الباب﴾ في سـورة يوسـف، و﴿لـدى الحناجر﴾ في سورة المؤمن.

(١) من الطويل، في ديوان بشار ٣١٨/١ .

(٢) البيت من فرش سورة الأعراف، وعجزه:

ولا نونَ شِركاً (عـ)ـن (شَـ)ـذا (نفرٍ) مِلا

(٣) تقدم .

«أقبـــلَ» مراعاةً للفظ: «غيرِ»، تقول: غيرُ زيدٍ قائمٌ، تريدُ القومَ سواه، ولكنك تُفرِدُ / .

٨٣/أ

* * *

وَفِي الرَّفْعِ وَالتَّذْكِيرِ وَالغَيبِ جُمْلَةٌ عَلَى لَفْظِهَا أَطْلَقْتُ مَنْ قَيَّدَ العُلاَ

اعلَمْ أنَّ الناظِمَ ـ رحمه الله تعالى ـ إذا ذكَرَ قراءةً مَّا، فإنه يُقيِّدُها على حسَبِ ما يذكُرُ، إلا أنه قد لا يُقيِّدُ أحكامَ القراءة في بعض المواضع، فإمَّا أن يأتيَ بالقراءة على اللفظ الذي يُريدُ إذا اقتضى ذلك وَزْنٌ أو خَطٌّ، وقد تقدَّمَ هذا في قوله[1]:

وباللفظ أستَغني عن القيد إن جَلا

وإمَّا أن يسكُتَ ولا يُقيِّد، ويكونُ سكوتُهُ تقييداً، إلا أنَّ هذا منحصرٌ في ثلاثة أحكامٍ: في الرفع والتذكير والغيب وأضدادها، فإذا وَجدتَ الحرفَ غيرَ مقيَّدٍ، فانظُر فإن كان يحتَمِلُ الرفعَ والنصبَ، فالمرادُ الرفعُ، وإن كان يحتَمِلُ التذكيرَ والتأنيثَ، فالمرادُ التذكيرُ، وإن كان يحتَمِلُ الغيبَ والخطابَ، فالمرادُ الغَيبُ، مثالُ الرفع قولُه[2]:

... ... و(حقُّـ)ـكَ يومُ لا

---

(١) تقدم .

(٢) البيت من فرش سورة الانفطار، وصدره:

وظا بضنين (حقُّ) (ر)اوٍ وخفَّ في فعدَّلكَ (الكوفي) ... ...

يحَتملُ ﴿يومَ لا تملِكُ﴾[1] الرفعَ والنصبَ، فالمرادُ لأهل رمزِ « حقُّك » الرفعُ، ومثالُ التذكير قولُه[2]:

ويُجبَى (خَـ)ـلِيطٌ ... ...

يحَتمـلُ: ﴿يُجبـى إليـه ثمـرَاتُ﴾[3] التذكـيرَ والتـأنيثَ، فـالمرادُ للمذكوريـن التذكيرُ .

ومثال الغَيب قولُه[4]:

وَبَلْ يؤثِرُون (حُـ)ـزْ ... ...

يحَتملُ « يؤثرون » الغيبَ والخطاب، فالمرادُ لمن ذُكِرَ الغيبُ، قال أبـو الحسن السَّخاويُّ[5]: وقد اجتمعَت هذه الثلاثةُ في بيتٍ واحدٍ في قوله[6]:

و(خـ)ـالصةٌ أصلٌ ولا يعلمونَ قُلْ

البيت .

---

(١) سورة الانفطار: ١٩ .

(٢) البيت من فرش سورة القصص، وتمامه:

... ... يعقلون (حَـ)ـفظَتُهُ   وفي خُسِفَ الفتحَين (حفصٌ) تنخّلا

(٣) سورة القصص: ٥٧ .

(٤) البيت من فرش سورة الأعلى، وتمامه:

... ... وتصلى يُضَمُّ (حُـ)ـزْ   (صـ)ـفا تُسمَعُ التذكيرُ (حقٌّ) وذو جلاَ

(٥) انظر فتح الوصيد عند شرح البيت .

(٦) البيت من فرش سورة الأعراف، وعجزه:

لـ(شعبةَ) في الثاني ويُفتَحُ (شـ)ـمللا

قلتُ: يحتَملُ ما قال، ويحتَملُ أن يكون الرفعُ، لم[1] يقيِّدْهُ اتكالاً على الترجمة قبلَه المقيَّدةِ بالرفع، وهي قولُه[2]:

... وَلِبَاسُ الرَّفْعُ (فـ)ـي (حَقٍّ) (نَـ)ـهشَلا

وأما إذا ذكَرَ أضدادَ هذه الثلاثةِ، فلا بدَّ من تقييدها كقوله[3]:

... ... وَانصِبْ بَينَكُم ...

وكقوله[4]:

... ... وأنثُوا   يكون ... ...

وكقوله[5]:

وخاطَبَ عمَّا يعملونَ (كـ)ـما (شَـ)ـفَى

ولا يلزَمُ إذا أتى بهذه القيودِ الثلاثةِ ـ الرفـعِ والتذكـيرِ والغيـبِ ـ أن يذكـرَ الحرفَ المختَلَفَ فيه بلفظ الرفعِ مثلاً، أو بالتذكير أو بـالغيب، بـل يُوردُهَـا كمـا يُريدُ، وتقييدها إنما هو بسكوتِهِ عن التقييد، وبهـذا المعنـى لا يكـونُ هـذا البيـتُ

---

(١) « لم » سقط من ب .

(٢) البيت من فرش سورة الأعراف، وتمامه:

بخُلفٍ (مـ)ـضى في الروم لا يَخرُجُون (فـ)ـي   (ر)ضىً ... ...

(٣) البيت من فرش سورة العنكبوت، وتمامه:

مودةً المرفوعُ (حقٌّ) (ر)واته   ونوِّنْهُ وانصبْ بينَكُم (عمَّ) (صَـ)ـندَلا

(٤) البيت من فرش الأنعام، وتمامه:

(نـ)ـما وسكونُ المعز (حصنٌ) وأنثوا   يكونُ (كـ)ـما (فـ)ـي (د)ينهم ميتةٌ (كـ)ـلا

(٥) البيت من فرش سورة البقرة، وعجزه:

ولامُ مولِّيها على الفتح (كُـ)ـمِّلا

تكراراً لقوله[١]:

وباللفظ أستَغني عن القيدِ إن جَلا

فكأنه يقولُ: في الرفع والتذكير والغَيبِ جملـةُ مواضـعَ في القصيـدِ، أطلقـتُ على لفظها من غير تقييدٍ .

« مَن قيَّدَ العُلا » : أي حَصَّله، يُشير إلى أنه إنما وضَعَ كتابه لمن له حظٌّ من الذكاء والفِطنَة والسِّمَة التي يَرتَقي بها إلى فَهم مُرادِهِ، وإلا فالموضع الذي يُريده مرفوعاً لا يَعلَمُ أنه أراد الرفعَ فيه إلا مَن يَعلَمُ أنَّ الحـرفَ المذكـورَ يحتمِـلُ الرفـعَ والنصب، وهذا لا يتفطَّنُ إليه إلا مَن قيَّدَ العُلا كما قال .

* * *

وَقَبْـلَ وَبَعْدَ الحَـرْفِ آتِي بِكُلِّ مَا

رَمَزْتُ به في الجمعِ إذْ ليسَ مُشكِلاَ

يقولُ: إنَّ الرُّمُوزَ الموضوعةَ لاجتماع القرَّاءِ وهي الكَلِمُ الثماني، يـأتي بهـم قبلَ الحرف المختلَف فيه وبعدَه؛ لأنه غيرُ مُشكِلٍ، ألا تراه لا يُبدِّلُ صحبَةً ولا صِحاباً. هذا اللفظُ ملتَزَمٌ أبداً؛ فبذلك لا يَلتبس. / وقد تقدَّمَ بيانُهُ قَبلُ . ٨٤/أ

وكان حقُّ هذا البيت أن يذكُرَه إثرَ قوله[٢]:

وحِصنٌ عن[٣] الكوفيِّ ونافِعِهم عَلا

---

(١) تقدم .

(٢) من المقدمة، وأوله:

وجِرميٌّ المكيُّ فيه ونافعٌ

(٣) في النسختين: على، والمحفوظ المروي: عن .

وأعربَ «قبلُ» وإن لم تكن مضافَةً؛ لأنه من باب التعليق[1]. ونظيرُهُ قولُ العرَب: «قطعَ الله يدَ ورجلَ مَن قالها[2]» فـ«يد» و«رجل» محذوفان التنوينَ للإضافة، إلا أن أحدَهما أُضيفَ لفظاً، والآخَرَ في المعنى، وكذلك قولُ الشاعر[3]:

يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً أُسَرُّ بِهِ   بينَ ذِرَاعَي وَجَبْهَةِ الأَسَدِ

يَريدُ: بين ذراعَي الأسدِ وجبهَةِ الأسدِ، والتعليقُ إنما يكون في الأفعال[4] نحو قولهم: عَلِمتُ أَيُّهُم قائمٌ، وعلِمتُ لَزيدٌ قائمٌ.

ولا يكونُ التعليقُ في الحروف إلا قليلاً نحو قوله[5]:

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣١٩/٢، وسر صناعة الإعراب ٢٩٨/١، وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٨/٣، والبحر المحيط ١٦٢/٧.

(٢) قال الفراء: «وسمعت أبا ثروان العكلي يقول: قطع الله الغداة يد ورجل من قالها» المعاني ٣٢٢/٢.

(٣) من المنسرح، نسبه في الكتاب إلى الفرزدق ١٨٠/١، والخزانة ٣١٩/٢. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. وذراعا الأسد: كوكبان. وجبهة الأسد: أربعة كواكب فيها عوج، وهما جميعاً من الأنواء التي تستبشر بها العرب إذا سقطت جهةَ الغرب لنزول المطر.

(٤) انظر سر الصناعة ٢٨٢/١، ٢٩٨-٣٠٠، والكتاب ١٤٧/٣، ١٤٩.

(٥) من الوافر، وهو الخزانة لمسلم بن معبد الوالبي ٣٠٨/٢، وسر الصناعة ٢٨٢/١، وهو بغير نسبة في معاني الفراء ٦٨/١، والخصائص ٢٨٢/٢. وقال ابن جني في المحتسب ٢٥٦/٢: «وبعدُ فالحق أحق أن يتبع، هذا البيت لم يعرفه أصحابنا، ولا روَوه، والقياس من بعدُ على نهاية المج له والإعراض عنه، لا سيَّما وقد جاور بحرف الجر حرفاً مثله لفظاً ومعنىً، فلو وُجد هذا البيت عنواناً على كل ورقة من مصحف أبي عمرو، لما جاز استعمال مثله في الشعر إلا كَلاَ ولاَ - يعني قليلاً - فضلاً عن الأخذ به في كتاب الله».

فَلاَ وَاللهِ لا يُلْفَى لِمَا بِي وَلاَ لِلِمَا بِهِم أَبَــداً دَوَاءُ

وقد اختلَفَ النحاةُ في خفض قولهم: لا غُلاَمَـي لِزَيـدٍ[1]، فمنهـم مَـن يقـول بالإضافة وعلَّقَ الحرفَ، ومنهم مـن يقـولُ بـالحرف وعلَّـقَ الاسـمَ، وعلـى هـذا أكثرُهُم؛ لقلَّةِ تعليق الحروفِ، إذ لم يأتِ منه إلا البيتُ المتقدِّمُ[2].

* * *

وَسَوفَ أُسمِّي حَيثُ يَسْمَحُ نَظْمُهُ بِهِ مُوضِحاً جِيداً مُعَمّاً ومُخْوَلاَ

يُريدُ: سوف أسمِّي القارئَ باسمه لا برمزه، إذا استقامَ بذلـك الـوزنُ، سـواءٌ كان قبلَ الحرف المختَلَف فيه أو بعدَه كقوله[3]:

وذَكِّرَ تُسْقَى عَاصِمٌ وَابنُ عَامِرٍ

وكقوله[4]:

... ... وَعَاصِمٌ رَوَى نُونَهُ بِالبَاءِ نُقطَةً أَسْفَلاَ

وكقوله[5]:

---

(١) انظر الأمالي لابن الشجري ١٢٩/٢، ٢٢٠ .

(٢) انظر الخصائص ٤٠٧/٢ ، وسر الصناعة ٢٩٨٢/٢-٣٠٠ .

(٣) البيت من فرش سورة الرعد، وعجزه:

وقل بعده باليا يفضِّل (شُـ)ـلشُلا

(٤) البيت من فرش سورة الأعراف، وتمامه:

وفي النون فتحُ الضمِّ (شـ)ـافٍ ...

(٥) البيت أول فرش سورة الكهف، وعجزه:

على ألف التنوين في عوجاً بلا

وَسَكْتَةُ (حَفْصٍ) دونَ قَطْعٍ لَطِيفَةٌ

ولا يفعلُ ذلك إلا حيث لا يذكُرُ رموزاً، فلا يجمعُ على حرفٍ واحدٍ بين الرموز والتصريح بالاسم .

و « أُسمِي » : فعلٌ يتعدى إلى مفعولَين، لأحدهما بنفْسِهِ، والثاني بالباء، والأصلُ: وسوفَ أسمِّي القارئَ باسمه حيثُ يَسمحُ النظمُ به؛ أي: يَسهُلُ ويتأتّى، ورجُلٌ سَمحٌ جَوادٌ؛ لأنه يهَبُ بسهولة[١] .

وقال عمَرُ بنُ عبد العزيز[٢] يوماً لبعض المؤذِّنين: أذِّنْ أذاناً سَمحاً، وإلاَّ فاعتزِلْنا؛ أي: سَهلاً من غير تطريبٍ ولا لحْنٍ، و « مُوضحاً » : من قولك: أوضحتُ الشيءَ بيَّنتَهُ، ووضُحَ هو، فأنا مُوضِحٌ، وهو واضِحٌ .

و « الجيد » : العنُق[٣]. وجمعُه أجياد، وامرأةٌ جَيداء منه. وهو مفعولٌ بـ « موضِحاً » ، و « مُوضحاً » حالٌ من « نَظمُهُ » أي: يَسمَحُ نظمُهُ به في حال كونه مُظهِراً عُنُقاً، أي: يَسمح به حسناً، يُقالُ: فلانٌ يمشي في الناس طويلَ العُنُق، أي:

---

(١) الصحاح (سمح) .

(٢) ساقه البخاري في ترجمة باب رفع الصوت بالأذان من الصحيح .

(٣) انظر الغرر المثلثة (الجَوْدُ): ٣٩٣ . قال السهيلي: « الجيد إنما يستعمل في مقام المدح، والعنق في الذم، فتقول: صفعت عنقه، ولا تقول: صفعتُ جيدَه، وقوله تعالى: ﴿في جيدها حبلٌ من مسَدٍ﴾ إنما جاء على طريق التهكم والتمليح بجعل الحبل كالعقد » وانظر التاج (جيد) .

ومنه قول امرئ القيس في مقام الامتداح:

وجيدٍ كجيدِ الرِّئمِ ليس بفاحشٍ إذا هي نصَّتْهُ ولا بمعطَّلِ

الديوان: ١٦ .

لا رِيبةَ عليه، ومنه: « المؤذِّنون أطوَلُ الناسِ[١] أعناقاً[٢] يومَ القيامة[٣] » .

حملَهُ بعضُهم على ذلك، أي: لا أُسمي إلا حيث يَسمَحُ النظمُ بـه، مـن غـير كُلفةٍ فيه ولا عَيبٍ .

و « مُعَمّاً » نعتٌ لـ « جيداً » ، وكذلك « مُخوَلا » ؛ أي: يظهَرُالنظمُ عُنُقاً فيـه الحلِيُّ، وذلك أبلغُ في حُسنه، وذلك أن الطفلَ الصغيرَ عند العرب الذي له أعمامٌ وأخوالٌ، يُعلَمُ منه ذلك بالنظر إليه؛ لما في عنقه من الزينة لمنافسة أعمامِه وأخوالِه فيه، فكلٌّ يُقلِّدُهُ ويُزيِّنُهُ.

وأخذ هذا المعنى من قول امرئ القيس[٤]:

/ فَأَدْبَرْنَ كَالجَزْعِ المفَصَّلِ بَينَهُ   بجِيدٍ مُعَمٍّ في العَشِيرَةِ مُخْوَلِ   ٨٥/أ

وجيدٌ يجوزُ أن يكون وزنُهُ: فُعْلاً وفِعْـلاً، فـإن كـان فُعـلاً فالضمـةُ انقلَبَـت كسرةً لتصحَّ الياءُ، وإن كان فِعْلاً فالكسرةُ أصليةٌ، هذا على قول سيبويهِ[٥].

---

(١) كتبت في هامش أ،وليست بخط بالمؤلف،وإنما هي بخـط الأستاذ ابـن حـزب الله كمـا ذكـر المعلق في الهامش .

(٢) بفتح الهمزة جمع عنق، يشير بذلك إلى عزتهـم وأرتفـاع أقدارهـم، ويحتمـل أن يشير بطـول أعناقهم إلى سلامتهم من الغرق في العرق، وروي: إعناقاً بكسر الهمـزة، مـن العنَـق، والعنَـق بفتح الفاء والعين ضربٌ من السير؛ أي: أكثر إسراعاً وأعجل إلى الجنــة، يقـال: أعنَـقَ يعنِـقُ إعناقاً فهو معنِقٌ، والاسم العنَق بالتحريك. انظـر القبـس ١/٢٩٩ - ٣٠٠ ، والنهايـة لابـن الأثير ٣/٣١٠ (عنق) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الصـلاة، بـاب فضـل الأذان وهـرب الشـيطان منـه، مـن حديث معاوية .

(٤) ديوانه: ٢٢ ، وهو من معلقته . أي: بعنق صبيٍّ كريم العمِّ والخالِ .

(٥) قال سيبويه: « يجوز أن يكون (فِعْلاً) و(فُعْلاً) كُسرت فيه الجيـمُ كراهيـة اليـاء بعـد الضمـة »

=

وهو عند الأخفش جيدٌ بالكسر لا غير[1].

* * *

وَمَنْ كَانَ ذَا بَابٍ لَهُ فيه مَذْهَبٌ فَلاَ بُدَّ أَنْ يُسْمَى فَيُدْرَى وَيُعقَلا

يقول: إذا كان بعضُ القرَّاء مختصاً ببابٍ من أبواب القراءات، أو يشاركُهُ فيه غيرُه، وأغلبُ أحكامه (له)[2]، فلا بدَّ أن يُسمِّيَ الروايَ باسمه في أول الباب، ويُحيلَ في باقي الباب عليه، وهذا كبابِ نقلِ الحركةِ قال فيه[3]:

وَحَرِّكْ لِوَرْشٍ ... ...

وكباب وقْفِ حمزةَ، قال فيه[4]:

وَحَمْزَةُ عِندَ الوَقْفِ ... ...

وكهاءِ التأنيث والراءاتِ، واللاماتِ، والإدغامِ الكبير .

ونصَبَ « يُعقَلَ » بالعطف على « يُدرَى » المنصوب بأن، ويجوزُ في « مَن » أن تكونَ شرطاً، ويكونَ خبرُها: « كانَ ذا باب » ، والجوابُ: « فلا بد » ، ويجوزُ أن تكونَ خبريَّةً، و « كان ذا باب » صلَتُها، والخبرُ: « فلا بدَّ » ، ودخلَتهُ الفاءُ؛ لأن

وانظر اللسان والتاج (جيد) ، والكتاب ٥٩٢/٣ في تكسير (فِعْلاً) على (أفعالٍ) و(فُعُول) .

(١) في اللسان والتاج (جيد): « فأما الأخفش فهو عنده (فِعْل) لا غيره » .

(٢) ما بين القوسين سقط من ب .

(٣) البيت من باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وتمامه:

... ... كلَّ ساكنٍ آخرٍ صحيحٍ بشَكل الهمزِ واحذِفْهُ مُسهلاَ

(٤) البيت من باب وقف حمزة وهشام على الهمز، وتمامه:

... ... سهَّلَ همزَه إذا كان وسْطاً أو تطرَّفَ منزِلاَ

المبتدأ موصولٌ .

* * *

أَهَلَّتْ فَلبَّتْهَا المـعـاني لُـبَـابُهَا
وَصُغْتُ بِهَا مَا سَاغَ عَذباً وَسَلْسَلاَ

يقـال: أَهَـلَّ يُهِـلُّ: إذا رفـعَ صوتَـه، ويُقـالُ: أَهَـلَّ واسـتهَلَّ بمعنـىً، ومنـه استهلالُ المولـود عنـد ولادتـه، وإهـلالُ الحجيـج: رفعُهُـم الأصـواتَ بالتَّلبيَـةِ، والمستهَلُّ من المطر ما له وَقْعٌ شديدٌ عند نزوله، ويُقـالُ منـه: هَـلَّ المطرُ هَـلاًّ[1]، ويُقالُ: أُهِلَّ للهلال، وكأنَّ الأصواتَ ترتفعُ عند رؤيته.

ولبَّيتُ الرجلَ قلتُ له إذا نادَى: لبَّيْكَ . ولبَّيـكَ مـن قولـك: ألَـبَّ بالمكـان لَزِمَهُ، فكأنه يقولُ: لُزُوماً لأمرِكِ، ولبَّيكَ عند سـيبويه[2] مصـدرٌ مثنـى، لا يَظهَـرُ معه فعلُهُ أبداً نحو: سبحانَ ا لله .

وصاغَ الشيءَ يصوغُهُ صِياغَةً وصَوغاً، يُعبَّرُ به عن إتقان الشيء وإحكامـه، وساغَ: سَهُلَ، يُقالُ منه: سَاغَ الشرابُ في الحلْقِ سَوغاً: سَلِسَ، وسَـاغ الشـيءُ: طَابَ وهَنُؤَ، والعذْبُ: الحُلْوُ، والمسَلسَلُ: السَّـهلُ، مـن قولهـم: شـرابٌ سَلسَـلٌ، وقد تقدَّمَا .

يقول: إنَّ هذه القصيدةَ رَفَعَت صوتَها صارخةً بالمعاني، فقالت لها المعـاني: لبَّيكِ، و لم تعصِهَا و لم تجبها كلُّ المعاني، إنما أجابَها لُبابُ المعـاني: أي خالِصُهَـا،

---

(١) الصحاح (هلل) .

(٢) انظر الكتاب ٣٤٩/١ باب ما يجيء من المصادر مثنىً منتصباً على إضمـار الفعـل المتروك إظهاره .

فلُبَابُهَا: بدَلٌ من المعاني بدلَ بعض من كلٍّ، ولم أقصِدْ من المعاني إلا ما سَهُلَ مُتَنَاوَلُهُ وقَرُبَ، و « عذباً » : حالٌ .

* * *

وَفِي يُسْرِهَا التَّيسِيرُ رُمتُ اختِصَارَه فَأَجْنَتْ بِعَونِ الله مِنهُ مُؤَمَّلاً

/ يَسَّرتُ له في الأمر يُسراً ويَسَاراً وأيسَرتُ له: جعلتُهُ له ميسوراً؛ أي: سهلاً حاضراً، واليُسرُ واليَسَار أيضاً الغِنا[1]. والمراد هنا الأول، يعني: صِغَرَ حجمِهَا وقِلَّةَ أبياتِهَا . ٨٦/أ

وكتابُ « التيسير[2]» لأبي عمرٍو الداني في القراءات السبعِ معروفٌ .

و « رُمتُ » : حاولْتُ، يعني أنها على صِغَرِ حجمها تتضمن ما في التيسير من أحكام القراءات، وأنه رامَ ذلك فنالَ منه مُرَادَه، ويُقال: أَجْنَت الثمرةُ: حَان أن تُجنى، وأَجنَت الأرضُ: كَثُرَ جناها؛ أي: كَلَؤُهَا وغيرُه .

يقول: كَثُرَت الفوائدُ في هذه القصيدة بسبب نظمها للتيسير، فـ « أجنت » على هذا هو الثاني، ويجوزُ أن يكونَ على الأوَّل؛ أي: حان أن تُجتَنى منه، ومؤمَّلاً على الوجهَين: اسمُ مفعولٍ يُرَادُ به ما اشتملَته من المنافع، ونصبُهُ على التمييز؛ أي: كثُرَت منافِعُهَا من التيسير، أو جاز أن تُجنى منافعُهَا لحسنها وانتهائها في الطيب .

* * *

(١) كذا في الأصل .

(٢) انظر مقدمة التيسير لمصححه أوتو برتيزل: ص - جـ - ط - ي - يا - يب .

وأَلْفَافُها زَادَت بنَشْرِ فَـوائدٍ فَلفَّتْ حياءً وجهَهَا أنْ تُفضَّلا

« الألفاف » : جمعُ لِفٍّ، وهي الأشجارُ الملتفُّ بعضُهَا إلى بعض، يُقالُ: جنَّـةٌ لِفٌّ ولُفٌّ: ملتفَّةُ النبات[١]. قال الله تعالى: ﴿وجَنَّاتٍ أَلفَافاً﴾[٢] .

والنشرُ: التفريقُ ضد الطَّيِّ[٣]. لَمَّا قال في البيت الـذي قبلَـه: إنهـا كَـثُرَ فيهـا الجَنَى، أو ظَهَر فيها الجنى من التيسير، استعارَ لها ألفافاً، أي: ما التفَّت عليه مـن الفوائد أكثَرُ مما في التيسير، لا شكَّ في ذلك، لما تحتويه من اللغة والمعاني الشعرية والتوجيهات النحوية في غير ما موضع، والباءُ في « بنشر » يجـوزُ أن تكـونَ زائـدةً كقوله[٤]:

... ... يَقرَأْنَ بالسُّوَرِ

ويجوز أن تكونَ غير زائدةٍ فتكـونُ للحـال التقديـر: وألفافُهَـا زادَت كائنـةً بنشر فوائد؛ أي: بإظهارها . و « لفَّت » غطَّت .

يقول: لما جاءت أكثَرَ فوائدَ مما في التيسير، وهو لها كالأمِّ، فغطَّـتْ وجهَهَـا حياءً أن تُفضَّلَ عليه. و « حياءً » مصدرٌ لقولـه: « لفَّـتْ وجهَهَـا » نحـو: جَلَسْتُ قُعُوداً، و « أن تُفضَّلَ » مفعولٌ له، العاملُ فيه: لفَّتْ .

---

(١) جنةٌ لفةٌ ولَفٌّ: ملتفة. وجمع لِف: ألفاف، وقد يجوز أن يكون (ألفـافٌ) جمعُ لُـفٍّ، فيكـون جمعَ الجمع، وقـال الجوهـري في قولـه تعـالى: ﴿وجنتٍ ألفافاً﴾: واحدهـا لِـفٌّ بالكسـر . الصحاح (لفف) .

(٢) سورة النبأ: ١٦ .

(٣) الصحاح (نشر) .

(٤) من البسيط، للراعي النميري في ديوانه: ١٢٢، وتمامه:

هنَّ الحرائرُ لا ربَّاتُ أحمرةٍ سودُ المَحاجرِ لا يقرأْنَ بالسُّورِ

وسميتُها حِرْزَ الأماني تَيَمُّناً ووجهَ التهاني فاهْنِهِ مُتقَبِّلا

« الحِرز[١] » : ما تُودَعُ فيه الأشياء، والحرزُ أيضاً: مصدرُ قولك: حَرُزَ المكانُ حَرازةً وحِرْزاً[٢]: امتنعَ، فهو حَريزٌ، والحِرزُ أيضاً: ما أحرزْتَ من شيء، ويُقالُ: أحرزْتُ الشيءَ ضمَمْتَه / إلى الحرز . ٨٧/أ

و « الأماني » جمع أُمنِيَّة، والأصلُ: الأمانيّ بالتشديد، ثم خُفِّفَ، فحُذفت الياءُ الساكنة من الياءَين، وأُجريَت الأخيرةُ مُجرَى ياء القاضي؛ لأن قبلها الآنَ كسرةٌ، ووزنُ أُمنِيَّة: أُفعُولة، والأصلُ: أُمْنُويَة نحو: أُحدوثَةٌ وأُرجُوحةٌ،، فقُلِبَت الواوُ ياءً والضمةُ قبلَهَا كسرةً، ووقَعَ الإدغامُ، ونظيرُها أُضحِيَّة وأضاحي، وأُوقِيَّة وأَوَاقي، ولا يجوزُ أن يكونَ وزنُهَا فُعْلِيَة، وتكونُ الياءان زائدتَين لقولهم: تمنَّيتُ، والغالبُ على الهمزة أولاً الزيادة.

و « تيمُّناً » : تفعُّلٌ من اليُمن وهو البركة، يُقالُ: يُمِنَ الرجُلُ يُمْناً فهو[٣] مَيمونٌ ومُيَمَّن[٤].

ووجهُ القوم: شريفُهُم، ومنه قولُه في آخرِ القصيدة[٥]:

... ... في وجوهِ بني مَلا

---

(١) الصحاح (حرز) وفيه: الحرز: الموضع الحصين، يقال: هذا حرزٌ حريز، ويسمى التعويذ حِرزاً. والحَرَزُ: الخطَر .

(٢) اللسان (حرز) .

(٣) في ب: « وهو » ، ويُمنَ على ما لم يسم فاعله .

(٤) الصحاح (يمن) .

(٥) آخر باب في القصيدة، وهو باب مخارج الحروف والصفات، وتمامه:

رعى طُهرَ دِينٍ ثَمَّهُ ظِلُّ ذي ثَنا صَفَا سَجلُ زُهدٍ في وجوهِ بني مَلا

ومنه: وجهُ الإنسان، و « التهاني » : جمعُ تَهنِيَة بوزن تَفْعِلَة نحو: تَودِية وتَوصِية، والأصل: تهنئة بالهمز، بوزن تهنعة، لأنه من قولك: هنُؤ الشيءُ هناءَةً تيسَّرَ بلا مشقة. و « اهنِه » : أمرٌ من قولك: هنأني الطعامُ هَنْئاً، ويُقال: هَنَأَ الشيءُ: سَاغ، وهنأتُ الرجلَ أَهنِئُه وأَهنَؤُه[1] هَنْئاً: أعطيتُهُ .

و « مُتَقبَّلا » : من التقبُّل، وهو قبولُ الشيء، يقولُ: سمِّيت هذه القصيدةَ بـ « حرز الأماني ووجه التهاني » تفاؤلاً، كما يُسمَّى الرجلُ أبو عبد الله، والمرأةُ أمُّ مالك وإن لم يكن لهما ولدٌ اسمه عبد الله ولا مالك، ومنه قولُ أبي العلاء يصفُ نُوقاً[2]:

قصدتَّ ممدوحاً اسْمُهُ سعيدٌ   سألنَ فقلتُ مَقصَدُنَا سَعِيدٌ

فكان اسمُ الأمير لهنَّ فألاً. وكما يُتَفَاءلُ بالاسم الحسنِ، يُتَشَاءَمُ بضده. قال الشاعرُ[3]:

سمَّتْكَ أمُّكَ عُبدُوساً وَمَا كَذَبت   وَكَيْفَ يُفْلِحُ مَن بَعْضُ اسمِهِ بُوْسُ

فانظُرْ كيفَ تَشَاءَمَ بعُبدوس؛ لأن في حروفه بَاءاً وواواً وسيناً هجاءُ (بُوْسٍ)، وإن لم يكن على ذلك الترتيب، وفي الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لِلَقْحَةٍ[4] تُحلَبُ: « مَن يَحلُبُ هذه » فقامَ رجلٌ فقال له رسولُ الله ﷺ : « ما اسمُكَ » ؟ فقال له الرجلُ: مُرَّةُ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « اجلِسْ » ثم قال: « مَن يَحلُبُ

(١) ضبطه المؤلف بضم النون، وهو خلاف المقصود، وأجمعَ أهل اللغة على أنه مفتوح النون في هذا المعنى، إلا ما جاء عن الزجاج أنه بالضم .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) اللَّقحَةُ بالفتح واللِّقحة بالكسر: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. اللسان (لقح) .

هذه » ؟ فقام رجلٌ فقال له رسولُ الله ﷺ : « ما اسمُكَ » ؟ فقال: حَرْب، فقال له رسول الله ﷺ: اجلس، ثم قال: مَن يحلب هذه، فقامَ رجلٌ فقال له رسول الله ﷺ ما اسمُكَ؟ فقال: يَعيش، فقال له رسولُ الله ﷺ : « احلُبْ »[1].

وقال يوماً عمرُ بنُ الخطاب لرجلٍ: ما اسمُكَ؟ فقال: جَمْرَة، فقال: ابنُ مَن؟ فقال: ابنُ شِهَاب، فقال: مِمَّنْ؟ قال: مِنَ الحُرَقَة، قال: أينَ مسكنُكَ؟ قال: بحَرَّةِ النار، قال: بأيِّهَا؟ قال: بذاتِ لَظَى. قال عمرُ: أدرِكْ أهلَكَ فقد احترقوا. قال: فكان كما قال عمرُ بنُ الخطاب[2] .

وأيضاً لَمَّا كانت جامِعَةً لما يتمنّاه طالبُ هذا العلم، وأسنى ما يَهنَّأُ به، سَمَّاها بذلك، ونصبَ « حرز الأماني » بـ « سميتُ » على إسقاط الخافض، والأصل: وسميتُهَا بحرز الأماني، وأبدلَ الهمزةَ في « التهاني » وفي « اهنِه » ياءً، وحكمَ لها بحكم الياءِ الأصلية، فلذلك قدَّر فيها الحركةَ في التهاني، وحذَفَها في « اهنه » كما تقولُ: ارمِهْ، ونصبَ « متقبلاً » على التمييز للفاعل في « اهنه » ، أي: ليكُنْ قبولُكَ له هنيئاً ليس بذي تعسُّفٍ، ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل أيضاً، (هذا على من فتَحَ الياءَ، وأما على من كسَرَهَا فهو حالٌ لا غير)[3]، والهاءُ في « سميتها » وفي « فاهنِه » تعودُ على القصيدة بلَحظَين: بلَحظِ الكِتَاب والقَصيدة .

---

(١) انظر الموطأ، باب ما يكره من الأسماء برقم: ٢٠٤٩، من رواية يحيى بن سعيد، والحديث مرسَل .

(٢) انظر الموطأ، برقم: ٢٠٥٠، باب ما يكره من الأسماء ، عن ابن عمر من روياة يحيى بن سعيد . وانظر كتاب الياقوتة في العلم والأدب من العقد الفريد ـ التفاؤل بالأسماء ـ ٤٦/٢ .

(٣) ما بين القوسين من ب، وهو في حاشية (أ) غير واضح .

وَنَادَيْتُ أَللَّهُمَّ يَا خَيرَ سَامِعٍ أَعِذْني مِنَ التَّسْمِيعِ قَولاً وَمَفْعَلاً[١]

الأصل في اللهمَّ: يا الله، ثم حُذفَ حرف النداء، وعُوِّضَ منه في آخِر الاسم ميمٌ مشدَّدة، ولذلك لا يُجمَعُ بينهما، لا يقال: يا اللهمَّ إلا في الشعر كما قال الشاعر[٢]:

وَمَا عَلَيكِ أَنْ تَقُولِي كُلَّمَا
سَبَّحْتِ أَوْ هَلَّلْتِ يَا اللَّهُمَّ مَا

وإنما قَلَّ ذلك لأنه جَمْعٌ بين العِوَضِ والمعوَّضِ منه. ونظيرُ ذلك قوله[٣]:

هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِن فَمَوَيهِمَا عَلَى النَّابِحِ العَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ

الأصل: فَوْه، فحُذِفَت الهاءُ، وعُوِّضَ من الواو ميمٌ، فصار فماً، ثم رُدَّت الواوُ في التثنية، / وجُمِعَ بينهما وبين الواو . ٨٨/أ

وقال الفرَّاءُ[٤]: الأصل في اللهم: يا الله أُمَّنَا، فحُذِفَ المفعولُ وهو نا الضمير، وحُذفت الهمزةُ من أُمَّ لكثرة الاستعمال، وبقيت الميمُ المشددة، فهي بقيَّةُ فعلِ أمرٍ معناه: الدعاءُ، واتصلَ باسم الله تعالى، وحُذفَ حرفُ النداء، فليس عنده في قوله: « يا اللهمَّ ما » شذوذٌ .

---

(١) المروي المحفوظ: مِفعَلا بالكسر .

(٢) الرجز بلا نسبة في الخزانة ٢٩٦/٢ ، والرصف: ٣٠٦، واللسان (أله)، ومعاني الفراء ٢٠٣/١ . وبعده:

ارْدُدْ علينا شيخَنا مسلَّما

(٣) من الطويل، للفرزدق في ديوانه: ٢١٥/٢ .

(٤) معاني القرآن ٢٠٣/١-٢٠٤ .

و « أَعِذْني » من قولك: عاذَ بالله عَوذاً وعِيَاذاً: لجأَ إليه[١]. ويُقالُ: أعاذتِ الناقَةُ بولدها عند النِّتاج: لَزِمَتْهُ، وكلُّ شيءٍ لَزِمَ شيئاً كذلك .

و « التَّسميعُ » : مصدرُ سَمَّعَ بعَمَلِهِ: إذا عَمِلَهُ لا يُريدُ به وجهَ الله تعالى، بل يُريدُ به السُّمعةَ في الناس والشُّهرَةَ[٢]، ومثلُهُ راءَى بعملِهِ إذا عَمِلَهُ لا يُريدُ به إلا أن يَراهُ الناسُ، فيُثنوا عليه .

وخرَّجَ مسلمٌ في صحيحه[٣]: « مَن سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومَن راءى راءى الله به » .

[وقال ﷺ[٤]: « إن أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّرْكُ الأصغَرُ، قالوا: وما الشِّرْكُ الأصغَرُ يا رسولَ الله؟ قال: الرِّياءُ، يقولُ الله عزَّ وجلَّ يومَ القيمةِ إذا جازَى العبادَ بأعمالهم: اذهبُوا إلى الذينَ كنتم تُرَاءُون في الدنيا، فانظروا هل تجدُون عندهم الجزاءَ .

وخرَّج مسلمٌ[٥] عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: « إنَّ أولَ

(١) الصحاح (عوذ) .

(٢) في ب: « والشهدة » .

(٣) صحيح مسلم في كتاب الزهد، باب تحريم الرياء (باب من سَمَّع وراءى بعمله)، وهو في صحيح البخاري في كتاب الرقائق، باب الرياء والسمعة، وسنن ابن ماجه، في كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة .

(٤) مسند الإمام أحمد عن محمود بن لبيد ٥/٤٢٨-٤٢٩، والبغوي في شرح السنة ٤/٢٠١ ، وانظر صحيح الجامع للألباني برقم: ١٥٥٥ .

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، (الإمارة) باب من قاتل للرياء والسمعة فاستحق النار. وانظر النسائي، كتاب الجهاد، باب من قاتل ليقال فلان جريءٌ .

الناس يُقضَى عليه يومَ القيامة رجُلٌ استُشهِدَ فأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمَهُ فعرَفَهَا، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهِدْتُ، قال: كذَبتَ، ولكنك قاتلتَ ليُقالَ جَرِيءٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار، ورجُلٌ تعلَّمَ العلمَ وعلَّمَه، وقرأ القرآنَ، فأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمَهُ فعرَفَهَا، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: تعلَّمْتُ العلمَ وعلَّمْتُهُ، وقرأتُ فيكَ القرآنَ، قال: كذَبْتَ، ولكنك تعلمتَ العلمَ ليُقال عالمٌ، وقرأتَ القرآنَ ليُقالَ: هو قارِئٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار، ورجُلٌ وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّهِ، فأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمَه فعرَفَهَا، قال: فما عمِلْتَ فيها، قال: ما تركتُ من سبيل يجبُ أن يُنفَقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليُقالَ: هو جَوادٌ فقد قيل،ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار»][1].

و « قولاً » مصدرُ قال. و « مَفعلاً » : اسمُ مصدرِ فعَل يفعَل، وقطَعَ الهمزةَ من قوله: « وناديتُ اللهمَّ » للضرورة، وأكثرُ ما يَرِدُ ذلك في أوائل الأعجاز، نحو قوله[2]:

لَتَسْمَعَنَّ وَشِيْكاً في دِيَارِهِمُ أَ اللهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَا

وكان أبو عبد الله الدَّرَّاج رحمه الله تعالى يقول: الصَّوابُ أن يقولَ: وناديتُكَ اللهمَّ، ويخرُجَ بذلك عن الضرورة .

قلتُ: يجوزُ أن يكونَ لا ضرورةَ فيه، وذلك أن اسمَ الله تعالى يجوزُ أن

---

(١) ما بين المتعانقين في هامش أ ..

(٢) في ديوان حسان: ٢٥٦ .

يدخُلَ عليه حرفُ النداء، ويجتمعَ مع الألف واللام فيُقالُ: يا ا لله وتُقطَعُ منه إذ ذاك ألفُ الوصل، وهذا بعضُ ما اختُصَّ به هذا الاسمُ في كلامهم، فلما حذَفوا حرفَ النداء المسوِّغِ لقَطْعِ ألفِ الوصل، وعَوَّضُوا منه الميمَ المشدَّدَةَ، تركُوا الهمزةَ مقطوعةً معه حُكماً للعِوَضِ بحُكْمِ المعوَّضِ منه، كما أنَّ (هَرَاقَ) إذا سُمِّيَ به لا ينصرفُ للوزن والتعريف، وإن لم يكن في أوله حرفُ المضارعة، لكنهم حكمُوا للهاء بحكم الهمزة؛ لأنَّ الأصل: أَرَاقَ .

* * *

إلَيكَ يَـدِي مِنكَ الأَيَادِي تمدُّهَا   أَجِرْني فَلاَ أَجْرِي بِجَورٍ فَأَخْطَلاَ

اليَدُ: الجارحةُ، وهي مؤنّثة[١]، وأنشدَ أبو علي في ذلك[٢]:

اليَدُ سَابِحَةٌ وَالـرِّجْلُ ضَارِحَةٌ   وَالعَينُ قَادِحَةٌ وَالمتن مَلْحُوبُ[٣]

وكذلك اليدُ من النعمة، ومنه قولُهم: هـذه يَدٌ مشكورَةٌ، والأصلُ فيها[٤] يَدْيٌ[٥] بوزن: ظَبْي، إلا أنَّ الحذفَ لحقَها على غير قياسٍ، وانتقَلَ الإعرابُ إلى

---

(١) انظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣٥٦/١ ، والمذكر والمؤنث لابن التُّستري الكاتب: ٤٩، ٥٠، ٥٤، ١١٠ .

(٢) من البسيط، وهو لامرئ القيس في ديوانه: ٥٣، من قصيدة مطلعها:

وقد أشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملني   جرداءُ معروقةُ اللَّحيَين سُرحُوبُ

(٣) اليد سابحةٌ: يعني إذا جرى ومد يده، فكأنه سابحٌ في الماء . وضارحةٌ: يعني نافحة. وقادحة: يعني غائرة. والمتن: الظهر. وملحوب: مستور . ويروى: « سلحوب » بدل « ملحوب » يعني: أملس قليل اللحم. انظر شرح ديوان امرئ القيس: ٥٣ .

(٤) في (أ): فيهما .

(٥) قال الفيروز أبادي في الغرر المثلثة: « وأصلها: يدْيٌ، ويقال فيها: اليَدَى واليدَهْ واليدّ مشددة. انظر صفحة: ٣٤٧ (اليَدِيُّ) . وقال ابن جني في المنصف ١٤٨/٢: « لقد أجمعوا على سكون العين من (يد). وقال السهيلي: الأصل فيها « يدْيٌ » انظر: نتائج الفكر: ١٠١ بتصرف .

وأما قولُ الشَّاعر[1]:

يَدَيَانِ بَيْضَاوَانِ عِنْدَ مُحَلِّمٍ ... قَدْ يَمنعَانِكَ أَنْ تُضامَ وتُقهَرَا

بفتح الدال فيه لا يَدلُّ على أن الأصلَ في الواحد: يَدَيٌ، بوزن: جَمَل؛ لأنه لما أَنِسَت العينُ بالحركة في الواحد بسبب الحذف، تَرَكَها حين ردَّ اللامَ في التثنية على ذلك. وتَجمَعُ اليدين[2] (الجارحةَ والنعمةَ) في القلة والكثرة: أَيْدٍ[3]، والأصلُ: أيدُيٌ، فتُقلَبُ الضمةُ قبل الياء كسرةً، فتعتلُّ الياءُ، ثم يُجمَعُ الجمعُ فيُقَالُ: أَيَادٍ، إلا أن أيادي كثيرٌ في النعمة، والأيدي كثيرٌ في الجارحة، ولا يجوزُ أن يُقالَ: إن الأيادِيَ جمعُ يَدٍ التي هي النعمةُ من غير أن يكونَ جَمعَ الجمْعِ، لأن أيادِيَ جَمْعُ الرُّباعي، ويدٌ ثُلاثِيٌّ، ومما جاء فيه الأيادي مُرَاداً به الجارحةُ قولُ الشاعر[4]:

فأَمَّــا وَاحِداً فَكَفَاكَ مِثلي ... فَمَنْ لِيَدٍ تُطاوِحُهَا الأَيَادِي

ومنه قولُ الآخَرِ[5]:

---

(١) من الكامل، وهو في الخزانة بلا نسبة ٤٨٢/٧. وانظر المنصف ١٤٨/٢ وفيه: « وتَظهَرا » بدل « وتقهرا » ويروى: « وتضهدا ». قال ابن جني: وقد تراه قال (يعني الشاعر): يدَيَان فحركها عند الرد لأنها قد جرت متحركة قبل الرد .

(٢) في ب: « اليد من » .

(٣) انظر الغرر المثلثة: ٣٤٧ (اليدِيُّ) .

(٤) من الوافر، وقد نسب لنقيع بن حُرموز في نوادر أبي زيد: ٥٦ .

(٥) قال ابنُ بري: « الرجز لجَندل بن المثنى الحارثي يصف سراباً على الصحيح » .وقبله:

والآلُ في كل مُرادٍ هَوجَلِ

انظر اللسان (غزل، هجل، سخم، يدي) ، والتاج (رود، غزل، هجل، سخم، نجل، يدي)، وأساس البلاغة للزمخشري (سخم) .

كَأَنَّهُ بِالصَّحْصَحَانِ الأَنْجَلِ
قُطْنٌ سُخَامٌ بِأَيَادِي غُزَّلِ

وتمدها: تبسُطُها، والهاءُ تعود على قوله: يدي، يقول: يا رب وُرودُ النعمِ منك تمدُّ يدي إليك، أي مِن نِعَمِ الله على العبْد: تضرُّعُهُ إليه واستكانتُهُ له، ويدي مفعولٌ بفعلٍ محذوفٍ، التقديرُ: إليك مددتُ يدي، والأيادي مبتدأٌ، وتمدُّهَا: جملةٌ في موضع خبر، وفاعلُ « تمدها » يعودُ على الأيادي .

و « منك » حالٌ من فاعل « تمدها » ، ويُقَالُ: أَجَرتُ الرجلَ: حميتُهُ ومنعتُهُ، وجارَ السلطانُ جَوراً: تركَ العدلَ، والمسافرُ تَرَكَ القصدَ والطريقَ فلم يَهتَدِ .

وخَطِلَ في كلامه خَطَلاً، وأخطَلَ: أخطأ[1]. رغِبَ من الله تعالى أن يجيرَه من الجَور، وهو العدولُ عن القصد والإصابة . ونصبَ « فأخطل » بإضمار أن؛ لأنه في جواب النفي الذي هو قوله: « فلا أجْرِي » التقدير: اللهمَّ أجِرْنِي من الخطأ والزَّلَلِ .

* * *

أَمِينَ وَأَمْناً للأَمِينِ بِسِرِّهَا　　　وَإِنْ عَثَرَتْ فَهْوَ الأَمُونُ تَحَمُّلاَ

لَمَّا دعا في البيت قبلَه أمَّن على دعائه هنا، فقال: أمين؛ ومعناه: اللهمَّ استجِبْ لنا[2].

---

(١) انظر الصحاح واللسان (خطل) .

(٢) يرى أبو حاتم الرازي في كتابه « الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية » أن أصول أسماء الله الحسنى أربعة، وهي: الله، الرحمن، السلام، آمين. وباقي الأسماء صفات ودلائل على هذه الأصول الأربعة ، وممن يرى هذا كذلك ثعلب في مجالسه ١٢٦/١ قال: « آمين: اسمٌ من =

وفيه لغتان: القصرُ والمدُّ[١]، أَمِين بـوزن عَمِين، وآمِـين بـوزن عـامِين، قـال الشاعِرُ في القَصْر[٢]:

تَبَاعَدَ مِنِي فُطْحَلٌ وابنُ أمِّهِ أَمِينَ فَزَادَ ا لله مَا بَيننَا بُعْدَا

وقال في المدِّ[٣]:

يَا رَبِّ لا تَسْلُبنِّي حُبَّهَا أَبَداً وَيَرحَمُ ا لله عَبْداً قَالَ آمِينَا

قال أبو العباس ثعلبٌ[٤]: ولا تشدَّدُ الميمُ، فإنه خطأٌ .

أسماء ا لله عز وجل »، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: ١٢ قال: « وآمين: اسم من أسماء ا لله » . وقد ردَّ هذا الكلام الفارسي في الحلبيات: ١٠٠ قال: « ومما يدل على أنه ليس باسم من أسماء ا لله وأنه من أسماء الأفعال على ما ذكرتُ: أنه مبني، كما أن هذه الأسماء الموضوعة للأمر مبنية، وليس في أسماء ا لله تعالى اسم مبني على هذا الحد، فلما كان هذا الاسم كصه وإيه ونحوهما، دل ذلك على أنه بمنزلتها، وليس من أسماء القديم (يعني به ا لله سبحانه وتعالى، والأحسن أن يقال: الأول) سبحانه إذ ليس من أسمائه اسم مبني على هذا الحد » . وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: ١٢: « وقال قومٌ من المفسرين في قول المصلي بعد فراغه من قراءة أم الكتاب (آمين): كأنه قال يا ا لله وأضمر استجب لي... ثم تحذف يا النداء ».وانظر للتوسع لمعة في الكلام: ١٧٢ وما بعدها، وتفسير ابن أبي الربيع ١/٤٠-٤١ .

(١) المقصود بالمد هنا المد الطبيعي ومقداره حركتان، لا كما يتوهمه بعض القرأة فيمدونه مداً مشبعاً ظانينه مدَّ بدلٍ، وليس كذلك. أما القصر هنا فالمراد به: عدم الزيادة على مقدار تمكين الفم من النطق بحركة الفتحة من دون إشباع لها .

(٢) البيت من الطويل، وهو لجُبير بن الأضبَط في تهذيب إصلاح المنطق ٢/٤٢ .

(٣) من البسيط، وهو لمجنون ليلى في ديوانه: ٢١٩، ونسبه ابن منظور في اللسان (أمن) لعمر بن أبي ربيعة ، وليس في ديوانه .

(٤) الفصيح: ٣١٦ . وانظر الحلبيات: ٩٧، وعمدة الحفاظ ١/١٣٧-١٤١، وقد خص هذه الكلمة بالتأليف ابن الخشاب المتوفى (٥٦٧ هـ) في رسالة سماها « لمعة في الكلام على لفظة آمين » وحققها الدكتور سليمان العايد.

وهو مبنيٌّ لوقوعه موقع المبني، وهو فعلُ الأمر الذي هو استجِبْ، وبُني على حركةٍ لالتقاء الساكنين، وخُصَّ بالفتح لثِقَلِ الكسرة والضمة لاسيَّما بعد الياء والكسرة .

/ ونصَبَ « أمناً » على أنه مفعول بفعل محذوف، عطَفَه على اسم الفعل الذي هو أمين، التقدير: اللهم استجب لنا وهَبْ أمْناً[1]. ٩٠/أ

وتقول في فعلِه: أَمِنتُ الشيءَ أَمْناً ضدُّ خِفتُهُ، وأمِنتُ الرجَلَ أمانَةً وثقتُ به، ورجُلٌ أَمَّانٌ[2] وأمين، وأَمِنَتِ الناقةُ أن تضعُفَ فهي أَمُونٌ[3]؛ أي: هي وثيقةٌ أمينةٌ، ويُقال: هي القوية الخَلق، كأنه أُمِنَ فيها من العثور لقوَّتها.

و « السِّر » : ضدُّ الجهر، وهو أيضاً الخالص من كلِّ شيءٍ، وإياه أرادَ هاهنا، وهو ما اشتملَتْهُ من الفوائِد المتخيَّرةِ والمعاني المنتَخَبَةِ .

و « العِثَارُ » : السُّقُوط[4]. يُقالُ منه: عَثَرَ يَعثُرُ إذا سقطَ في مَشيه، ويُستَعَارُ للكلام إذا أخطأَ فيه، يقول: اللهمَّ ارزُق أمناً للأمين بسرِّها، وكونه أميناً بسرِّها

آمين » وحققها الدكتور سليمان العايد.

(١) انظر الكنز للجعبري في المحل .

(٢) ضبطها المؤلف بفتح الهمزة، والصحيح أنها بالضم (أُمَّان) كما في المعاجم، منه قولهم: رجلٌ أمِنٌ وأُمَّانٌ؛ أي: له دِين، قال الأعشى:

ولقد شهدتُ التاجرَ الـ أُمَّانَ مَورُوداً شرابُهْ

أما الأَمَّان بالفتح فهو والأمانة بمعنىً. انظر الصحاح واللسان (أمن) .

قال الفيروز أبادي في الغرر المثلثة: ٣٦٦ (أمُن): « أمُنَ الرجل ككَرُمَ، فهو أمينٌ وأُمَّانٌ، صار مأموناً به » .

(٣) انظر اللسان (أمن) والغرر المثلثة: ٣٦٥ (الأمان) .

(٤) الصحاح (عثر) .

هو اعترافُهُ بما فيها وإذاعتُهُ له، ثم قال على وجه الاستصغار: وإن عَثرَتْ هذه القصيدةُ، فالأمينُ بسرِّها أمونٌ لها؛ أي: هو لها كالأمون يتحمَّلُ ما فيها، ويُغضِي عنه إكراماً، كما تتحمَّلُ الناقةُ الأمونُ ما فوقَها من الأعباء .

و « تحملاً » في البيت من باب قولهم: زيدٌ الأسدُ شِدَّةً، يجوز فيه أن يكونَ تمييزاً؛ لانبهام ما وقعَ به التشبيهُ، ومنهم مَن يجعلُه في موضع الحال؛ لانبهام الحالةِ التي وقعَ عليها التشبيهُ، التقدير: زيدٌ الأسدُ في حال كونه ذا شِدَّةٍ .

* * *

أَقُـــــولُ لحرٍّ والمروءةُ مَرؤُهَا لإخوتِهِ المرآةُ ذو النُّورِ مِكحَلا

أخبرَ أنه يُخاطِبُ الحرَّ بما تتضمَّنُهُ الأبياتُ التي تلي هذا البيتَ؛ لأنه أهلٌ للخطاب بذلك، التقديرُ: أقولُ لحرٍّ: أخي أيها المجتَازُ نظمِي ببابه .

واعتَرضَ بين القول والمقولِ بقوله: « والمروءَةُ مرؤُهَا » إلى آخر البيت، وجُمَلُ الاعتراض كثيرةٌ في كلام العرب، وهي أبداً فيها تسديدٌ للكلام الذي بعدها، ومنه قولُ الشاعر(١):

إنَّ سُـــلَيمَى واللهُ يكلَؤُهَا
ضَنَّتْ بشيءٍ ما كان يَرزَؤُهَا

وقولُ الآخَرِ(٢):

إنَّ الثَّـمَـــانين وَبُلِّغْتَهَا قد أحوجَت سَمْعِي إلى تَرجُمَانِ

---

(١) البيت في اللسان والتاج (كلأ) بغير نسبة، وهو في ديوان ابراهيم بن هرمة: ٥٥ .

(٢) من السريع، وهو في شرح شواهد المغني ٨٢١/٢ لعوف بن محلم .

التَّقديرُ: إنَّ سُلَيمى ضَنَّت بشيء، وإنَّ الثَّمانين قد أَحوجَت سَـمْعِي، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿فَلا أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّـهُ لَقَسَـمٌ لَـو تعلَمُـونَ عَظِيْـمٌ * إنـَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيْمٌ﴾[1] التقدير: أُقسمُ بمواقع النجوم إنه لقرآنٌ كريمٌ .

وأشار بهذه الجملةِ الاعتراضية إلى قولـه ﷺ [2]: « المؤْمِـنُ مِـرْآةُ أَخِيـهِ، فَـإِذَا رَأَى شَيئاً فَلْيُمِطْهُ » يعني أنه يُريهِ عُيوبَهُ فيُصلِحُهَا، كمـا تُريـه المـرآةُ ذلـك، ومنـه قولُ الشَّاعر[3]:

صَـدِيقِي مِرْآةٌ أُمِيطُ بِهَا الأَذَى   وَعَضْبٌ حُسَامٌ إِنْ مُنِعْتُ حُقُوقِي
/وَإِنْ ضَاقَ أَمْرٌ أَو أَلَمَّتْ مُـلِمَّةٌ   لَجَأْتُ إِلَيهِ دُونَ كُـلِّ شَـقِيق ٩١/أ

و « المروءةُ » : كمالُ الرُّجُوليَّةِ، يُقالُ: مَرُؤَ الرجـلُ مُـروءَةً: حَسُنَتْ هيئَتُـهُ، وتمرَّأَ الرجُلُ: تكلَّفَ المروءةَ، والمرءُ: الرجُلُ، والأنثى: امرأَة، ويُقالُ: امرُؤٌ ومَـرءٌ، والأولُ أكثَرُ، وامرأةٌ ومَرْأَةٌ كذلك، ومع الألـف والـلام يُقـالُ: الإمْـرُؤُ، والمَـرْءُ، والثاني أكثرُ، والإمْرَأَةُ، والمَرْأَةُ كذلك، والأصل: مَرْءٌ ومَرْأَةٌ، فتوهَّمُوا أن الهمـزةَ محذوفةٌ، فأدخلوا ألفَ الوصل، وسكَّنوا الميـمَ لذلـك، والمـرآةُ معروفـةٌ، وتُجمَـعُ: مَرَاءٍ، والأصل: مَرَائِيُ، ثم أُعِلَّ كجَوارٍ، وأما المرايا فهو جمـعُ مَرِيَّـة، يقـال: ناقـةٌ

---

(١) سورة الواقعة: ٧٥-٧٧ .

(٢) بلفظ « المؤمن مرآة المؤمـن، والمؤمـن أخ المؤمـن » في سنن أبي داود، كتـاب الأدب، بـاب النصيحـة والحياطـة، والبخـاري في الأدب المفـرد. ولفـظ: « إن أحدكـم مـرآة أخيـه » رواه الترمذي، في كتاب البر والصلة باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم .

(٣) انظر فتح الوصيد فقد ساقهما الشارح عند قول الناظم: « أقول لحرٍّ ... » وكذلـك في الـدرة الفريدة للمنتجب الهمداني لوحة (٦٣ ب) .

مَرِيَّة: غزيرةُ اللبن[١]. والأصل: مَرائِيُ، الهمزةُ التي بعد الألف حادثةٌ في الجمع، واللامُ معتلّة، فقُلبت الكسرةُ فتحةً، فانقلَبت الياءُ ألفاً، فصارت مَراءا، فوقعت الهمزةُ بين ألِفين، فقُلبت ياءً فقيل: مَرايا. والهمزة في المرآة أصليةٌ فلذلك صحّت[٢].

و « المِكحَل » : المِرْوَدُ[٣]. ويُقال له: مِكحَالٌ أيضاً، نظيرُه مِفتَح ومفتاح، وكلُّ ما يُعمَل به ويُنقل من الآلات فميمُه مكسورةٌ نحو: المِطرقة والمِقرعة والمِقطع والمِخرز، إلا أحرُفاً شذَّتْ منها: المُكحُل والمُدهُن، والمُسعُط .

وإعرابُ هذه الجملةِ أن تقولَ: « المروءة » مبتدأ، و « مرؤها » : مبتدأٌ ثان، و «المرآة»: خبره، والجملة خبر الأول، و « ذو النور » : صفةٌ للمرآة، وإنما ذكَّرَه لأنه خبر عن المرء، وهو مذكَّرٌ، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لم تكُنْ فتنَتَهُم إلا أن قالوا﴾[٤] فيمن نَصَب[٥] وأنَّثَ[٦]؛ لأنَّ القولَ وإن كان مذكَّراً فهو في المعنى الفتنة، فأنَّث لذلك حملاً على المعنى. ويتعلقُ « لأخوته » بـ « ما » في قوله: المرآة

---

(١) الصحاح واللسان (مري) .

(٢) انظر الصحاح واللسان (مرأ) .

(٣) الصحاح (كحل) .

(٤) سورة الأنعام: ٢٣ .

(٥) الذين قرؤوا بالنصب الباقون من قول الشاطبي:

وفتنتُهم بالرفع (عـ)ـن (د)ين (كـ)ـامل

يعني: الباقين من المذكورين، والمذكورون هم: حفص وابن كثير وابن عامر .

(٦) الباقون من قول الشاطبي:

... وذكِّر لم يكن (شـ)ـاع وانجلا

أي: القراء السبعة عدا الكسائي وحمزةَ المذكورَين في البيت .

من معنى الفعل، التقدير: مرؤُها مُبين لإخوته؛ لأنه إذا كان لهم مرآةً، كان مبيناً لهم عيوبَهم ومُظهِراً لها .

و « مِكحَل » : نَصبٌ على الحال، أي: مُنورًا مشبَّهاً بذلك. شبَّهَ المرءَ بالمرآةِ في حال كونها كذلك، وإنما عبَّرَ بالمِكحَل عن المنوِّر؛ لأن المِيلَ شأنُهُ كذلك إذا أَلقَى الكحلَ في العين هو ينوِّرُهَا، وكذلك المرآةُ، تُنوِّرُ الوجهَ؛ أي: تُزيلُ شَينَه .

* * *

أَخِي أَيُّهَا المجْتَازُ نظمِي ببابِهِ يُنَادَى عليه كَاسِدَ السُّوقِ أَجمِلا

« أخي » : هو الحرُّ في قوله: « أقول لحرٍّ » ، وهو منادىً حُذفَ منه حرفُ النِّدَاء، التقديرُ: يا أخي، وهذا هو المقُولُ في البيت قبلَه، و « المجتاز » : المارُّ، وأصلُه: مجتَوِز مفتَعِل من الجواز، فقُلِبَت الواوُ ألفاً / لتحرُّكِهَا وانفتاح ما قبلَها. ٩٢/أ

والنَّظمُ بمعنى المنطوم، والمراد به كتابُهُ هذا، و « نظمي » فاعلُ بالمجتاز، و« ببابه » يتعلقُ به، و«ينادَى» : حالٌ من النظم، و « عليه » في موضع رفعٍ على أنه مفعولُ « ينادَى » ، و « كاسدَ » حالٌ من هاء « عليه » ، وإضافتُهُ غيرُ محضة؛ لأنه من باب: حَسَنُ الوجه .

و « أجمِلا » : أمرٌ من قولك: أجمَلَ الرجلُ في القول يُجمِلُ، أي: أحسَنَ فيه. ومنه قولُه[1]:

أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ
وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

والأصلُ: أجملَنْ بالنون الخفيفة، فأبدَلَها ألفاً لأن قبلَها فتحةً شبَّهَهَا بالتنوين

(١) من الطويل، وهو في ديوان امرئ القيس: ١٢ .

في قولك: رأيتُ زيداً، ومنه قول قَطَريٍّ بنِ الفُجَاْءَةِ[1]:

فمَا في تَساقِي الموتِ في الحرب سُبَّةٌ   على شـارِبيهِ فاسقِني منه واشرَبَا

يقول للحرِّ: إذا مرَّ بك كتابي هذا، ورأيتَ سوقَهُ كاسـدةً، فـأجمِلِ القـولَ، وأحسِنِ الظنَّ، ثمَّ بين ذلك الإجمالَ فقال:

* * *

وَظُنَّ بِهِ خَيراً وَسَـامِحْ نَسِيجَهُ   بالإِغْضَاءِ وَالحُسْنَى وَإِنْ كَانَ هَلْهَلاَ

« الإغضاءُ » : إدناءُ الجفون، ويُقال: غَضَوت على القَذا: سكتُّ، وأغضيتُ، وثوبٌ مُهلهَلٌ وهَلهالٌ وهَلهَلٌ: سـخيفُ النَّسْج، وسُـمِّيَ الرجُـلُ بمهَلهـل؛ لأنـه هَلهَلَ الشِّعْرَ؛ أي: رقَّقَهُ، وقال النابغة[2]:

أَتَاكَ بِقَولِ هَلْهَلِ النَّسْجِ كَاذِبٍ   وَلَمْ يَأْتِ بِالقَولِ الَّذِي هُوَ نَاصِعُ

والنَّسِيجُ: المنسوج، ولما كان بيتُ الشَّعْرِ مؤلَّفاً مـن سَبَبٍ ووَتِـدٍ وفاصلـة، وبيتُ الشِّعْرِ كذلك فيما زعمه الخليلُ، استعارَ للنظم نسيجاً .

يقول: ظُنَّ بالكتاب خيراً، فإنَّ حسنَ الظنِّ بالشي يُوجِبُ حُسـنَ الاعتـذار عنه، وجميلَ التأويل لما يَصـدُر منـه، وجـوابُ « وإن كـان هلهـلا » محذوفٌ، دلَّ عليه: وظُنَّ به خيراً؛ أي: إن كان هَلهَلا في نسجه فعامِلْهُ بالاغضاء والحسنى .

---

(١) المازني. انظر شعر الخوارج: ١٢٧ ، وقبله:

ألا أيها الباغي البزاز تقرَّبَنْ   أساقكَ بالموت الذعافَ المقشبا

وانظر الفصول والغايات: ٤١٠ .

(٢) في ديوانه: ٣٥، وفيه: « ولم يأت بالحق » . من قصيدة مطلعها:

عفا ذو حُسىً من فرتَنى فالفوارع   فجَنبى أريكٍ فالتِّلاعُ الـدوافعُ

وضبطها المؤلف: هَلْهَلِ = وكذلك: المهَلهِل .

وَسَــلِّمْ لإِحْدَى الحُسْنَيَينِ إِصَابَةً وَالأُخْرَى اجْتِهَادٌ رَامَ صَوباً فَأَمْحَلاَ

/ رُمْتُ الشيءَ: حاولتُهُ وطلبتُهُ، والصَّوبُ: نُزُولُ المطر[1]، والمَحْلُ: جَفـافُ النبات لعدم المطر، وأمحلَت الأرضُ فهي مُمْحِلٌ، وأمحَلَ فلانٌ: صادَفَ المَحلَ[2]. ٩٣/أ

إذا اجتهد العالِمُ فأصاب فله أجران: أجـرُ الاجتهـاد، وأجـرُ الإصابـة، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرُ الاجتهاد خاصةً، فـالمجتهد بـين حـالَين، حالـةٌ يحـوزُ فيهـا أجرَين، وحالةٌ يحوزُ فيها أجراً واحداً، فلا بدَّ له على الجملة مـن الأجـر، والمـرادُ بالحسنيَين في قوله: « وسلِّمْ لإحدى الحسـنَيين » الحالتـان اللتـان قدَّمناهمـا: حالـةُ الاجتهاد والإصابة، ويترتَّبُ عليها أجران، وحالةُ الاجتهاد دون الإصابة، ويترتـبُ عليها أجرٌ واحدٌ، فيقـول لأخيـه: سَـلِّم فـلا بـدَّ لي مـن الأجْـر، فـإن كنـتُ قـد أخطأتُ فلي أجرٌ واحدٌ، وعبَّرَ عن الخطأ بعد الاجتهاد بقوله:

وَالأُخْرَى اجْتِهَادٌ رَامَ صَوْباً فَأَمْحَلاَ

أي: رامَ الاجتهادُ الإصابةَ، وهي الصَّوبُ، فأمْحَلَ أي: صادفَ المَحْلَ، وبنَـى الناظِمُ رحمه الله تعالى مَذهبَه هُنا على أنه ليس كلُّ مجتهدٍ مُصيباً .

وقد اختلفَ العلماءُ[3] في ذلك؛ فقالت طائفَةٌ: ليس لله في حُكمٍ من أحكام الشريعة حُكمٌ معيَّنٌ في وقيعة من الوقائع، وإنما الحكمُ ما ظهر في نفسِ المجتهدين، فقد أصابوه، فكلُّ مجتهدٍ على هــذا مُصيـبٌ، أي: إذا أفتـى بشـيء فقـد أصابَـه، ويكونُ حكمُ الله على المكلَّفِ ما ظهر للمجتهد، وهؤلاء على فرقَتَين: فقـالت

---

(١) الصحاح (صوب) .

(٢) الصحاح (محل) واللسان .

(٣) انظر المنخول: ٤٥١ وما بعدها، والموافقات، كتاب الاجتهاد ٦٤/٤ . .

فرقةٌ منهم: في نفس الأمرِ حُكمٌ، لو كان لله حُكمٌ لحَكَمَ به، كما تقولُ: لا نبيَّ بعد رسول الله ﷺ ، وفي الزمان رجلٌ صدِّيقٌ خيِّرٌ، لو أن الله بعث نبياً لبَعَثَه، وهؤلاء يقولون بالأشبَه .

وقالت فرقةٌ منهم: ليس في نفس الأمر شيءٌ هو أشبَهُ[1] .

وقالت طائفةٌ[2]: بل لله تعالى في نفس الأمر حُكمٌ معيَّنٌ، وهو ما تضمَّنَ المصلحَةَ، فمَن صادَفَه فهو المصيب، ومن لم يُصادِف فهو المخطِئُ، ولكنه معذورٌ، واختلف هؤلاء: هل عليه دليلٌ أو لا دليل عليه؟، والقائلون بالدليل اختلفوا: هل هو ظنيٌّ أو قطعيٌّ؟

فالقائل أنه لا دليلَ عليه أنه لو كانت عليه أمارَةٌ لفهمها الكلُّ، كالمطر إذا دلَّتْ عليه أمارَةٌ عَلِمَهَا الكلُّ .

والقائلون بالدليل الظنِّيِّ يقولون: إنَّ الله تعالى امتَحَنَ الخلقَ بذلك الحكم في نفس الأمر، وأمرَهم ببذل الجهدِ في طلَبه، فلولا أنه هو ودليلُه في غاية الحق، لعرَفه الكلُّ فزالَ الامتحان .

والقائلون بالدليل القطعيِّ يقولون: إن تكليفَ الكلِّ بشيءٍ معيَّنٍ، يعتمدُ دليلاً ظاهراً للكل، وما ذاك إلا القطعيُّ، وأما الظنيُّ فتختلِفُ فيه القرائِحُ[3].

وقولُه: « وَسَلِّم لإحْدَى الحُسْنَيَين » فيه حذفُ مضافٍ التقديرُ: وَسَلِّمْ لصَاحِب إحدَى الحسْنيين، ويُروَى « إصابةٌ » رفعاً وجراً .

/ فالرفعُ على تقدير: إحداهُما إصابةٌ والأخرى اجتهادٌ، والجرُّ على البدل من إحدى . ٩٤/أ

---

(١) انظر المنخول: ٤٥٨ .

(٢) انظر المنخول: ٤٥٧ .

(٣) انظر المستصفى: ٢٨٦، وانظر للتوسع الفتاوى ٢٠/١٥ وما بعدها .

و « الأخرى اجتهادٌ » مبتدأٌ وخبرٌ، ويجوزُ جر « اجتهاد » إذا جُرَّ « إصابة » ، فيكون بدلاً من الأخرى، وموضعُ « رام صوباً » رفعٌ أو جرٌّ على أنه صفةٌ لاجتهاد، وجعَلَ الاجتهاد هو الذي يَرومُ الصَّوبَ فَيُمْحِلُ مجازاً .

* * *

وَإِنْ كَانَ خَـرْقٌ فَادَّرِكْهُ بِفَضْلَةٍ مِنَ الحِلْمِ وَلْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلاَ

لما استعارَ لتأليف الكتاب نسيجاً في قوله: « وسامِحْ نسيجَه » استعارَ له هنا خَرقاً، يقول: إن وقعَ فيه خَرقٌ أي: خلَلٌ وفسادٌ، فأصلِحْهُ ورقِّعْهُ بفَضلَةٍ من الحلم، ولْيَكُن المصلِحُ المأذونُ له في إصلاحِهِ ممَّنْ جاد قولاً، و « كان » في البيت تامَّةٌ، مثلُها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةٌ فَلَهَا النِّصْفُ﴾[1]، فيمَن رفَعَ[2]. ومثله قولُ الربيعِ بن ضَبُع[3]:

إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ فَأَدْفِئُونِي فَإِنَّ الشَّيخَ يَهْدِمُهُ الشِّتَاءُ

تُقدَّرُ « كان » في ذلك بالحضور والوُقُوع[4] والحدُوث، والمرفوعُ بعدها فاعلٌ بها، وأصلُ « ادَّرِكْهُ » : ادتَرِكْهُ، فأُبدلت تاءُ الافتعال دالاً، ثم أُدغمت الدالُ في الدال، و « مِقْوَلاً » : تمييزٌ، وهو اللسان، والمراد: صاحبُه، فإنَّ اللسان إنما يجودُ لجودةِ صاحبه. وإنما صحَّت الواوُ في « مِقْوَل » ، ولم تعتلَّ فيُقال مثلاً: مقَالاً، كما يُقال في مِقوَم: مَقَام، إذ هو على وزن الفعل في عدد الحركات

(١) سورة النساء: ١١ .

(٢) وهو نافعٌ وحدَه من السبعة، لقول الشاطبي:

... (نافع) بالرفع واحدةٌ جلا

(٣) من الوافر، وهو في الأزهية للهروي: ١٨٤، والخزانة ٣٨١/٧ .

(٤) في أ: والوقع .

والحروف والسواكن ومحلِّ الزيادة؛ لأنه عندهم في معنى مِقوَال، ومِقوَال لا تعتلُّ فيه الواوُ؛ لأن بعدها السكونُ، كما صحَّحُوا: اجتَوَرُوا واعتَوَنُوا؛ لأنـه في معنـى تجاوَرُوا وتعاوَنُوا[1].

* * *

وَقُلْ صَــادِقاً لَولاَ الوِئَامُ وَرُوحُهُ لَطَاحَ الأَنَامُ الكُلُّ في الخُلْفِ وَالقِلاَ

« الوئامُ » : الوِفاق، يُقال:واءَمَـهُ يُوائمـه مُواءَمـةً، ورُوحُ الوئـام: الحيـاةُ الـتي تحصُلُ بسببه، والروحُ يعبر بها عمَّـا تحصُـلُ بـه الحيـاة، قـال الله تعـالى: ﴿يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوْحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾[2] أي: بالوحي، سمَّاهُ رُوحـاً؛ لحصـول حيـاةِ القلـوب به، وقد جعل الله تعالى في القصاصَ حياةً؛ لحصـول الحيـاة بـه، قـال الله تعـالى: ﴿وَلَكُمْ في القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[3].

وطاحَ الشيءُ يَطيحُ طَيحاً، وطاحَ يَطُوحُ طَوحاً: هَلَـكَ[4]، وأيضـاً / سـقَطَ منبسطاً، وأيضاً اضطَرَبَ عقلُهُ، وطوَّحْتُ الشيءَ فتطوَّحَ، فهذا من طَاحَ يَطُوحُ، ولـو كـان مـن طَـاحَ يَطيـحُ لقيـل: طِحْتُهُ، والأصـل:طَوْيَحْـتُ ككَوثَـرْتُ، أو: طَيْوَحْتُ كجَهْوَرْتُ، ثم قُلبت الواو ياءً فيهما، وأُدغمت الياءُ في اليـاء، والأنـام: الخَلقُ الإنسُ والجانُّ . ٩٥/أ

(١) انظر أدب الكاتب، باب افتعلت ومواضعها: ٣٦١، والسيرافي علـى الكتـاب، بـاب موضـع افتعلت: ٢٠٢-٢٠٤ .

(٢) سورة النحل: ٢ .

(٣) سورة البقرة: ١٧٩ .

(٤) الصحاح (طوح) .

ويجوزُ فيه في الشِّعر: الأَنِيمُ، والخلْفُ: المخالَفَةُ، والقلَى: البُغضُ، يُقال منـه: قَليتُ الشيءَ أَقلِيه قِلاً ومقْلِيَّةً وقَلىً: أبغضتُهُ[1]، وأمَّـا مـن الطَّبـخ فيقـال: قَلَـوتُ الشيءَ قَلْواً وقَلَيْتُهُ قَلْياً: طَبختُهُ[2] في مقلىً[3].

أشَارَ في هذا البيت إلى ما تقولُه العرَبُ في كلامها: لولا الوئامُ هلَكَ الأنامُ.

وزاد في المثل لفظَةَ: « وَرُوحُه » للوزن؛ ولأن فيه مبالغةً، كما تقول: يُعجبني زيدٌ وحُسنُهُ، والمقصودُ: الحسْنُ، لكن جيءَ به بعد مجـيء مـا يتضمنُـهُ مبالغـةً في المعنى المقصود، وغيَّرَ لفظ هَلَكَ بطاحَ مرادفِهِ للوزن، ولما علِمَ أنَّ في النـاس مَـن يخالفه فيما قصَدَ من الاصطلاح، نبَّهَ على فضل الموافقة، وما يحصُلُ مِـن تركهـا، بما أشار إليه من المثَلِ المتقدم.

وَنَصَبَ « صادقاً » [على أنه كان صفـةً لمصـدَر حَذَفَـه، التقديرُ: وقُـلْ قـولاً صادقاً][4]، ونسبَ إلى القولِ الصدقَ مجازاً كما تقولُ: صدَقَ قولُ فلان .

و « الكلُّ » توكيدٌ للأنام، وأجرَى الألفَ واللامَ فيه مُجرَى الإضافـة، وهـذا

---

(١) قال الجوهري في الصحاح (قلا): والقِلى: البغض، فإن فتحتَ القاف مـددت، تقـول: قـلاه يقليه قِلاً وقَلاءً، ويَقلاهُ لغة طيئ، وأنشد ثعلب:

أيامَ أمِّ الغَمر لا نَقلاها ولو نشاءُ قُبلت عيناها

(٢) قال الجوهري في الصحاح (قلا): « قلوتُ السويق واللحم فهو مقليٌّ، وقلوتُهُ فهو مقلوٌّ لغـةٌ، والرجل قلاَّءٌ، والقَلِيَّةُ من الطعام، والجمعُ: قلايا » .

وإلى هذا أشار ابن مالك في منظومته فيما ورد من الأفعال بالواو والياء بقوله:

اعلـم أن الواو والياء قد أتت في بعض ألفاظ النحو كنحو منيتُهُ

إلى أن قال في معنى قليته وقلوته:

وقلـوتُهُ بالنار مثلَ قليتُهُ ورثوتُ خِلا ماتَ مثل رثيتُهُ

(٣) قال الجوهري في (قلا): « والمقلاة والمقلَى: الذي يُقلى عليه، وهما مقليان، والجمع: المقالي ».

(٤) ما بين المتعانقين سقط من ب .

على ما اجتمَعَ عليه النحويون من المسامحة في إطلاق هذا اللفظ هكذا .

قالَ الزَّجَّاجيُّ[١]: وهو في الحقيقة غيرُ جائز، وإنما كان غيرَ جائز؛ لأنَّ لفظَ كلٍّ في المعنى مضافٌ، ولا ينفكُّ عن الإضافة، فإذا دخَلَتْهُ الألفُ واللام صار كالجمْعِ بين الإضافةِ والألف واللام[٢].

و « في الخُلف » متعلقٌ بـ « طاح » .

و « القِلى » : مجرورٌ في التقدير لعطفِه على الخُلف .

* * *

وعِشْ سالماً صدراً وعن غِيبَةٍ فغِبْ
تحضرْ حِظَارَ القُدسِ أَنقَى مُغَسَّلا

الغِيبَةُ كما قال رسولُ الله ﷺ [٣]: « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكرَهُ » ، قيل: أرأيتَ إن كانَ في أخي ما أقول؟ قال: « إِنْ كَانَ فيه مَا تَقُولُ فَقَد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لم يَكُنْ فيه فقد بَهتَّهُ » .

---

(١) قال أبو البركات الأنباري في منثور الفوائد: ٧١ مسألة (١٦٤): « أجاز النحويون إدخال الألف واللام في كل وبعض، وأباه الأصمعي » .
وقال الجوهري: « وكل وبعض معرفتان، ولم يجئ عن العرب بالألف واللام وهو جائز؛ لأن فيهما معنى الإضافة أضفتَ أو لم تضف » الصحاح (كلل) .

(٢) الظاهر من كلام سيبويه وأبي علي الفارسي في الحلبيات (وليس في المطبوع منها) جواز دخول الألف واللام عليها. انظر الكتاب ٢/١١-١٤، وانظر ابن الشجري مفصَّلا في المسألة ومرجحاً الجواز في الأمالي ١/٢٣٣ - ٢٣٧، وانظر في مقابل هذا عمدة الحفاظ للسمين ٣/٤٩٤، ونتائج الفكر: ٢٧٦-٢٨١، وتعليق محمد العيدي في إحالة (١) في علل الوقوف للسجاوندي ١/١١١ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الغيبة (النهي عن الغيبة)، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة .

وقالَ مُعَاذٌ[1]: ذُكِرَ عند رسُولِ الله ﷺ رجلٌ، فقالوا: ما أعجَزَه، فقال رسولُ الله ﷺ[2]: « اغتَبْتُمْ صَاحِبَكُم » قالوا: يا رسولَ الله: قلنا ما فيه، قال: «إِنْ قُلْتُمْ مَا لَيسَ فيهِ فَقَدْ بَهَتُّمُوهُ » .

وعن حُذيفة عن عائشةَ أنها ذَكَرَت امرأةً فقالت: إنها قصيرةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: « اغتَبْتِهَا »[3] .

/ وعلى الجملة فالغِيبَةُ: أن تذكُرَ أخاك بما يكرَهُه لو بَلَغَهُ، سواءٌ ذَكَرْتَ نقصاً في دِينه، أو في نفْسِه، أو في خَلقِهِ، أو في فعله، أو في قوله، أو في ثوبه، أو في داره، أو في دابته، كالعَمَش والحوَل والقِصَر والطُّول والسَّوادِ والصُّفرَةِ، وكقولك: أبوه نبطيٌّ أو هنديٌّ، أو فاسقٌ، أو خسيسٌ، أو إسكافٌ، أو جزَّارٌ، وكقولك: إنه سيءُ الخُلق، متكبر مراء، شديدُ الغضب، جبانٌ، عاجزٌ، ضعيفُ القلب . ٩٦/أ

وحضورُ الشَّيء: شهودُه، والحِظَار بالظَّاء: ما يُحظرُ به على الغنَمِ وغيرِها بأغصان الشَّجر وغيرِها، مأخوذٌ من حَظَرتُ الشَّيءَ: مَنعتُهُ، والحظيرةُ ما وراء الحِظَار، والقُدسُ: الطَّهارة، والمراد بحِظَار القُدس: الجنَّةُ، وكذلك حظيرته، يقول: يجبُ على المرء أن يعيشَ وهو سالمُ الصدر من الحسد والكبر والرياء وغيرِ ذلك من الخُلُقِ المذموم، ويجبُ عليه أن يغِيبَ عن الغيبة إمَّا ببدنه إن أمكنَهُ، وإما بقلبه، فقد نص الله عز وجل على ذمها في كتابه، وشبَّه صاحبَها بأكل لحم

---

(١) انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٥/١٥٠ برقم: ٤٠٩٥ .

(٢) رواه الطبراني وأبو يعلى .

(٣) أبو دواد، كتاب الأدب، باب الغيبة، والترمذي (صفة القيامة) باب تحريم الغيبة .

الميتة، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾[(١)].

وقال أبو هريرة: قال رسُولُ ا لله ﷺ [(٢)]: « لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا ولاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، وَكُونُوا عِبَادَ ا لله إِخْوَاناً » .

وقال أنسٌ: قال رسُولُ ا لله ﷺ [(٣)]: « مَرَرْتُ لَيلَةَ أُسْرِيَ بي على قَومٍ يَخْمِشُون وُجُوهَهُم بأظافيرِهِم فَقُلتُ: يَا جِبريلُ مَن هَؤُلاء؟ قال: هُمُ الذينَ يَغتَابُونَ النّاسَ، وَيَقَعُون في أَعرَاضِهِم » .

وفي الحديث[(٤)]: « أَوحَى ا لله إلى مُوسَى عليه السلام: مَن مَاتَ تَائِباً مِن الغِيبَةِ فَهُوَ آخِرُ مَن يَدخُلُ الجَنَّةَ ، ومَن مَاتَ مُصِرّاً عليها فهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدخُلُ النَّارَ » .

وقال أنسٌ[(٥)]: « أَمَرَ رسُولُ ا لله ﷺ النَّاسَ بِصَومِ يَومٍ، وقال: لا يُفطِرَنَّ أَحَدٌ حتَّى آذَنَ لَهُ، فَصَامَ النَّاسُ حتى إِذَا أَمْسَوا جَعَلَ الرَّجُلُ يجِيءُ فيقُولُ: يَا رَسُولَ ا لله: ظَلِلْتُ صَائِماً فَأْذَنْ لي لأُفْطِرَ، فَيَأذِنُ له، ولِلرَّجُل ولِلرَّجُل[(٦)]، حتَّى جَاءَ رَجُلٌ فقالَ: يَا رَسُولَ ا لله فتَاتَان مِن أَهْلِ بَيتِي ظَلّتَا صَائِمَتَين، وإِنَّهُمَا استَحْيَتَا أَنْ

---

(١) سورة الحجرات: ١٢ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن التحاسد، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، وأبو داود، في كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية .

(٣) أبو داود، في كتاب الأدب، باب الغيبة .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) مسند الإمام أحمد برقم: ٢٢٥٤٥ ، وانظر الترغيب والترهيب ١٥١/٥ برقم: ٤٠٩٨ ، و ٢٧٠/٢ برقم: ١٥٧٦ عن عبيد مولى رسول ا لله ﷺ .

(٦) في ب: « والرجل والرجل » .

تَأتِيَاكَ، فَأْذَنْ لهمَا فَلْتُفطِرَا، فَأَعْرَضَ عنه، ثمَّ عَاوَدَه (فَأعرَضَ عنـه، ثـمَّ عَـاوَدَه[1]) فقالَ: إنَّهُمَا لم تَصُومَا، وكَيفَ صَامَ مَنْ ظَلَّ هَذَا اليومَ يَأكُلُ لحومَ النَّاسِ، اذهَبْ فَمُرْهُمَا إنْ كَانَتَا صَائِمَتَين أَنْ تستَقِيئَا، فَرَجَعَ إليهما فأخبرهُمَا، فاستَقَاءَا، فقَاءَتْ كُلُّ وَاحِـــدَةٍ منهُنَّ عَلَقَةً مِن دَم، فَخَرَجَ إلى النَّبي ﷺ فَأَخبَرَه فقَالَ)[2]: وَالَّذِي نَفسُ محمَّدٍ بيَدِه، / لَو بقِيَتَا في بُطُونِهِمَا لأكَلَتْهُمَا النَّارُ » .

1/97

وفي روايةٍ أخرى: « إنَّه لمَّا أَعرَضَ عنه جاءَه بعد ذلك، وقالَ: يا رسُولَ الله إنَّهمَا والله لقد ماتَتَا أو كادَتَا أن تموتَا، فقـال النبي ﷺ : ايتـني بهمَـا، فجاءَتَـا، فدَعَا بِعُسٍّ[3] أو قَدَحٍ، فقال لإحداهما: قِيئِـي، فقـاءَت مِـن قَيـحٍ وصَديـدٍ حتى ملأت القدَحَ، وقال للأخرى: قِيئِي، فقاءت كذلك، فقال: إن هاتَين صامتا عمَّا أَحَلَّ الله تعالى لهمـا، وأفطرتـا علـى مـا حـرَّمَ الله عـز وجـل عليهمـا، جلسـت إحداهما إلى الأخرى فجعلَتَا تأكلان لحومَ الناس .

وقالت عائشةُ[4]: « لا يَغتابنَّ أَحدٌ أحداً، فإني قلتُ لامرأةٍ مرَّةً وأنا عند النبي ﷺ : إن هذه لطويلةُ الذيل، فقال: الفِظِي، فلَفَظْتُ قطعةً من لحم » .

و « سالماً » : نصبٌ على الحال من الفاعل في « عش » .

و « صدراً » : تمييزٌ للفاعل في سالماً، ويجوز نصبُه على التشـبيه بـالمفعول بـه، كما تقول: مررتُ برجُلٍ قائم أباً .

و « حِظَار » : مفعولٌ بـ « تُحَضَّر » ، و « أنقى » : بمعنى نقياً، وهـو حـالٌ مـن

---

(١) سقط من ب .
(٢) سقط من ب .
(٣) العُسُّ: القدح العظيم، وجمعه: عِساس. انظر الصحاح (عسس) .
(٤) انظر الترغيب والترهيب ٥/١٥٠ برقم: ٤٠٩٤ بلفظ: « فلَفظتُ بَضعَةً » .

المضمر في « تُحَضَّر » ، و « مُغَسَّلا » : نعتٌ لـه؛ أي: نقياً مـن الذنـوب مُغَسَّـلاً منها .

* * *

وَهَذا زَمَانُ الصَّبرِ مَن لكَ بالّتي كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِن البَلاَ

أشار بهذا البيت إلى ما جـاء في الحديـث[1]: « إنَّـهُ يـأتي علـى النَّـاسِ زَمَـانٌ يكونُ القَابضُ فيه على دِينِهِ كالقَابض على الجَمْرِ، ولا يُنجِي منه إلا الصَّبرُ علـى المكَارِهِ » .

والصبرُ على الجملة مقَامٌ عظيـمٌ مـن مقامـات الدِّيـن، ومـنزِلٌ مـن منـازل السالكِين، وقد أثنى الله تعالى علـى أهلـه في غـير مَـا موضِـعٍ مـن كتابـه، فقـال تعالى: ﴿وَجَعَلنَا منهُم أئمَّةً يَهدُونَ بأمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[2] ، وقال تعـالى: ﴿أُولئِـكَ يُؤتَونَ أَجْرَهُم مَرَّتَـين بمـا صَـبَرُوا﴾[3] ، وقـال تعـالى: ﴿وَلَنجْزِيَـنَّ الَّذِيـنَ صَـبَرُوا أجْرَهُم بأحسَن ما كانوا يعمَلُون﴾[4] .

وقال ﷺ[5]: « الصَّبرُ كَنْزٌ مِن كُنُوزِ الجنَّة » .

وقال عليه السلام حين سُئِلَ عن الإيمان فقال[6]: « الصَّبرُ وَالسَّمَاحَةُ » .

---

(١) الترمذي ١٤٢/٢ عن أنس ، وابن بطة في الإبانة ١٧٣/١ عن أنـس ، والسلسـلة الصحيحـة ٩٥٧/٢، ٦٨٢ .

(٢) سورة السجدة: ٢٤ .

(٣) سورة القصص: ٥٤ .

(٤) سورة النحل: ٩٦ .

(٥) قال العراقي في المغني: « لم أجده » . وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٢١/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد ٣٨٥/٥ عن عمرو بن عبسة، والطبراني في الأوسط، في مكارم الأخـلاق =

وفي حديث عطاءٍ عن ابنِ عبَّاسٍ: لمـاَّ دَخَـلَ رسُـولُ ا للهِ ﷺ علـى الأنصـار فقال[1]: « أَمُؤمِنُونَ أنتم؟ فَسَكَتُوا، فقال عُمَرُ: نَعَـم يـا رسـولَ ا للهِ، فقـال: ومـا علامةُ إيمانكم؟ فقال: نشـكُرُ الرَّخَـاءَ، ونصبرُ علـى البَـلاءِ، ونَرضَـى بالقضـاءِ، فقال: مُؤمِنُونَ وَرَبِّ الكعبَةِ » .

وقوله: « مَنْ لَكَ » هو استفهامٌ يُضرَبُ مثَلاً في معنى الاستبعاد لشيءٍ . ومِن هذا المعنى قولُ الشَّاعر[2]:

مَنْ لي بِهِ يَرْضَى وَيَغضَبُ مِثْلَ مَا/أَنِسَ الرَّشَا ثمَّ انثَنَا لنِفَارِهِ

ويَنظر إلى هذا المعنى قولُ الرَّضِي[3]:

سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ مَنْ بالعِرَاقِ لَقَدْ أَبعَدْتِ مَرْمَاكِ

/ وقولُه: « بالتي » هو على حذف موصوفٍ[4] دَلَّ عليه الكلامُ التقدير: مَـن ٩٨/أ لكَ بالحالَة التي، أو بالعزيمة التي يكون القابضُ فيهـا علـى دِينِـهِ كالقـابض علـى الجمر؛ أي: هي في الشدَّةِ والصعوبة كقبضٍ على جَمْرٍ، ويتعلَّقُ قوله: « على جمر» بـ « قبض » ، وقولُه: « فتنجو » : هو منصوبٌ في التقدير، وأَسكَنَ الـواوَ ضـرورةً كقول النَّابغة[5]:

عن جابر، وابن أبي شيبة في الإيمان عن الحسن عن جابر ١٨٤/٢، وابن أبي الدنيا في الصبر ٤٣/٢، والسلسلة الصحيحة برقم: ٥٥٤ .

(١) لم أقف عليه .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ديوان الشريف الرضي: ١٠٧/٢ .

(٤) في ب: « مضاف » .

(٥) ديوانه: ١٥ . وهو من معلقته . ولبَّده: سكَّنه بشدة، والوليدة: الأمة الشابة، والثَّاد: المكان الندي، وهو مصدر وُضع موضع الصفة . وسكن الياء من أقاصيه ضرورة، وجاز ذلك =

رَدَّتْ عليه أقاصِيـــهِ وَلَبَّدَه ضَرْبُ الوَلِيدَةِ بالمسْحَاةِ في الثَّأَدِ

يُريدُ: أقاصيَـه. ولا فـرقَ في ذلـك بـين اليَـاء والـواو، ونصبُـهُ علـى جـواب الاستفهام، وقيلَ: يجوزُ أن يكونَ مرفوعاً، التقديرُ: فتنجُو من البـلاء إن حصَلْـتَ على تلك الحالة، وهذا على ما يقتضيه كـلامُ أهـل العربيـة بـاطِلٌ، يعـني الرفـع، وذلك أنَّ الرفعَ عندهم في هذا الباب إنما يكون على وجهَين:

أحدُهما: العطفُ، فيكونُ ما بعدَ الفاء كما قبلَها في الاستفهام وهوغيرُه .

والثَّاني: أن يكونَ ما بعد الفاء هو الموجِبُ لمقتضى ما قبلَها، فإذا قلتَ: هل تأتيني فتحدثُنِي[1] فرفعتَ « تحدثني » ، فإن عطفتَ كنتَ مسـتفهِماً عـن الحديـث، كما أنت مستفهِمٌ عن الإتيان، وإن لم تعطِف كان الحديثُ واقعاً، وهـو السـببُ في السؤال عن الإتيان؛ أي: أنت الآن تحدِّثُني فهـل تـأتيني، ولا يُتَصـوَّرُ في البيـت هذان المعنيان .

و « البلاء » ممدودٌ، وقصَرَهُ ضرورةً، وأصلُـه الاختبـارُ والامتحـان، ويكـون بالشر والخير، يُقال: بلاه بالمرض والفقر، وبلاه بالصحة والغِنى، قال ا الله تعـالى: ﴿ونَبلُوكُم بالشَّـرِّ والخير فتنَـةً﴾[2] ، ثـمَّ سَـمَّى كـلَّ واحـد مـن النَوعَـين بَـلاءً، وتسميةُ النوع الأول به أكثرُ، والمرادُ في البيت: عذابُ الآخِرَة ومقدماته.

* * *

تشبيهاً بالألف لأنها لا تكون إلا ساكنة، والياء أختها في المد واللين، فحُملت عند الضـرورة عليها .

(١) انظر الأمالي لابن الشجري ٣/١٠٠ .

(٢) سورة الأنبياء: ٣٥ .

وَلَو أَنَّ عَيْناً سَاعَدَت لَتَوَكَّفَتْ سَحَائِبُهَا بالدَّمع دِيَماً وَهُطَّلا

سَاعدتُ الرَّجُلَ: وافقتُهُ، ويَتَعدَّى لمفعولَين، إلى الثاني منهما بعلى، وتوكَّفَ البيتُ ووَكَفَ: قَطَرَ، والسحائب: جمعُ سَحَابة نحو: كَنَانَة وكَنَائِن، وهي استعارةٌ للعَين، والدِيَمُ: جمع دِيمة، وهو المطرُ الدائم، وقيل: أقلُّهُ مطرُ يومٍ وليلَةٍ، وأصل دِيمة: دِومَة؛ لأنه من دَام يدومُ، فانقلبت الواوُ في الواحد ياءً لسكونها بعد كسرة، وقُلبت في الجمع حَمْلاً[1] على المفرد[2]، وإن لم يكن بعدها ألفٌ كما هي في حِياض وسِياط، الأصل: حِوَاض وسِوَاط؛ لأنه جمعُ حَوض وسَوط، فقُلِبَت في الجمع لانكسار ما قبلَها، ولأن الحركةَ طرأت لها في الجمع، ولوقوع الألف بعدها .

والهُطَّلُ: جمعُ هاطِل من قولك: هطلَ السحابُ هطلاً وهطلاناً: سكَبَ[3] .

وموضعُ أَنَّ وما عمِلَتْ فيه رفعٌ بالابتداء على قول سيبويه[4]، سدَّت جملةُ الجواب مسدَّ الخبر، ولا يجوز عنده أن يقَعَ بعد لو مبتدأٌ غيرُها، / وأمَّا قولهم: ٩٩/أ «لو ذَاتُ سِوَارٍ لطَمَتْني» فارتفاعُ «ذات» بفعلٍ مضمَرٍ دلَّ عليه «لطَمَتني»، كأنه قال: لو لطَمَتْني ذاتُ سِوارٍ لطَمَتني، والفرقُ بين أن وغيرها كثرةُ وُرُود نحو:

---

(١) منقوطة في أ . وربما هو رسم للحاء تقييداً لها على طريقة المحققين الأول .

(٢) في ب: «العمر» .

(٣) بعده: «وأشار الناظمُ ـ رحمه الله ـ في هذا البيت إلى قول الحسنِ بنِ أبي الحسن البصري، رُوي عنه أنه وعظَ الناس يوماً، فلم يرَ عيناً تدمَعُ، فقال: ما جمدت العيونُ حتى قسَت القلوبُ، وما قست القلوبُ حتى كثُرَت الذنوبُ، ثم تلا قولَه تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ على قلوبهم ما كانوا يكسِبُونَ﴾[3]» كأن المؤلف استغنى عنه، وليس في ب، وإخاله مضببا لرسم الصاد فويقه، وقد كتبت في صفحة ٢٥٩ في صلب النص .

(٤) الكتاب ١١/٣، والدر المصون ٣٣٠/١، والبحر المحيط ٢٦٤/٣ .

﴿ولو أنَّهُم صَبَرُوا﴾[1] ، وقلَّـةُ وُرُودٍ نحـو: لـو ذاتُ سِـوَارٍ، وانتصـبَ « دِيماً » و «هُطَّلاً» على الحال، كأنه قال: مشبهةٌ ديما وهطَّلا، ويجـوز أن يكـون تميـيزا كأنـه قال: لتوكَّفَت دِيَمها وهطلها .

* * *

وَلَكِنَّهَا عَن قَسْوَةِ القَلْبِ قَحْطُهَا فَيَا ضَيعَةَ الأَعْمَارِ تَمْشِي سَبَهْلَلا

الضميرُ في « ولكنَّها » يعودُ على العين، أو ضميرُ القصة، تفسرُه الجملة بعـدَه كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَـا لاَ تَعمَـى الأَبْصَـارُ﴾[2]، والقَحـطُ: احتِبَـاسُ المطَـر، يُقـالُ: قحَطَ القومُ، وقحطَ المطَرُ: احتَبَس، وقحَطَت الأرضُ قُحُوطـاً، (وأقحَـطَ القـومُ: صاروا في القَحْطِ، وأقحطَ الرجُلُ: أَكسَلَ عن الإنزالِ في الجِمَاعِ)[3] .

والسَّبَهْلَلُ: الذي لا شيءَ معه[4]، قاله الكِسَائي .

ورُوِي عـن عمـرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ أنـه قـال: إنـي لأكـرَهُ[5] أن أَرَى أَحَدَكـم سَبَهْلَلا، يعني: لا في عملِ دنياه ولا أخرَاه، وإحدى اللاَّمين فيـه مزيـدةٌ للإلحـاق بسفَرْجَل، نظيرُه: قَفَعْدَدٌ[6]، وهما صفتان . قـال سـيبويهِ[7]: ولا نعلَمُـهُ جـاء إلا

---

(١) سورة الحجرات: ٥، وانظر الدر المصون ١٦٩/٦ .

(٢) سورة الحج: ٤٦ .

(٣) ما بين القوسين عبارة ابن القطاع في الأفعال ١٤/٣ .

(٤) الصحاح (سبهلل) .

(٥) في ب: « لا أكره » .

(٦) القفعدَدُ: لم يشرحه السجستاني في تفسير غريب أبنية الكتاب . وهو الرجل القصير، وقيـل: نبتٌ. انظر اللسان والتاج (قفعد) . وقال الزبيدي في التضعيف في الرباعي مـن كتـاب أمثلة الأبنية في كتاب سيبويه: ٩٨ (ولم نلق تفسـير قفَعْـدد، وسـعرد، وقسـقب، وقـد سمعـت أن القفعدد: نبت) .

وصفاً، يعني هذا الوَزْنَ .

وقولُه: « يا ضَيعَةَ الأعمار » معناه: يا قومِ احذَرُوا ضيعةَ الأعمار؛ أي: احذروا أن تضيعَ أعمارُكم، أو أن تضيِّعُوا أعمارَكم، وإنما نادَى الضيعةَ على المجاز، كأنه قال: يا ضيعةَ الأعمار احضُري هذا أوانُكِ، وهذا نحو قولِه تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ﴾[1]، ونحو قوله[2]:

فَيَا عَجَباً حَتَّى كُلَيبٌ تسبُّنِي ... كَأنَّ أبَاهَا نَهْشَلٌ أو مُجَاشِعُ

ويجوز أن يكون المنادَى محذوفاً، وينتصبُ « ضيعةَ الأعمار » بفعلٍ محذوف، التقدير: يا قومِ احذَرُوا ضيعة الأعمار .

و « تمشي » بيانٌ للضيعة، وانتصَبَ « سَبَهْلَلا » على الحال من « الأعمار » كأنه قال: تمشي مُضيَّعَةً، يقول: إنما منَعَ العينَ من البكاء قساوةُ القلب، فلمَّا قَحَطَ القلبُ، جَمدت العينُ .

وأشار بذلك إلى ما رُوي عن الحسن بن أبي الحسن البصري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال وقد وعظ الناسَ يوماً فلم يَرَ عَيناً تدمَعُ فقال: والله ما جَمدت العيون حتى قَسَت القلوب، وما قَسَت القلوبُ حتى كثُرَت الذنوبُ، ثم تلا قولَه تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكسِبُونَ﴾[3].

(ولإبراهيمَ الإلبيريِّ[4] في المعنى:

الكتاب للسجستاني: ١٤١، ومنه: « سبهللٌ يعلو الأكم » مثل يضرب لمن يصعد في الآكام فراغاً. مجمع الأمثال ١/٣٤٤ برقم: ١٨٤٧ .

(١) سورة يس: ٣٠ .

(٢) من الطويل، وهو للفرزدق ١/٤١٩ .

(٣) سورة المطففين: ١٤ .

(٤) انظر ترجمته في حلى المغرب ٢/١٣٢-١٣٣، وساق بعض الأشعار، وترتيب المدارك: ٨٢٨، وبغية الملتمس: ٢١٠، وانظر ديوانه: ٤٤ مع اختلاف في الرواية، وما بين القوسين في =

وَأَرَى شُئُونَ العَينِ تُمسِكُ مَاءَهَا وَلَطَالما حَكَتِ السَّحَابَ الوُكَّفَا
وأَخَالُ ذَاكَ لِفَترةٍ عرَضَت لهَا أو قَسْوةٍ في القَلْبِ أَشْبهَتِ الصَّفَا
ويَقِلُّ في طُولِ البُكَاءِ لهفْوتي ولربَّما شفَعُ البكاءُ لِمَنْ هَفَا

وقيل لبعض الصالحين: بمَ يُستعانُ على البكاء؟ قال: بترْكِ ما تبكِي منه[1].

وقال العُتْبِيُّ: لا يكونُ البكاءُ إلا من فَضلٍ، فإذا اشتدَّ الحزنُ، ذهبَ البكاءُ، وأنشَدَ[2]:

فلَئِنْ بَكيناهُ فَحُقَّ لَنَا وَلَئِنْ تَرَكْنا ذَاكَ للصَّبرِ
فَلِمثْلِهِ جَرَتِ العُيُونُ دَماً ولمثلِهِ جمَدَتْ وَلم تجْرِ

وفي الحديث[3]: « أَربَعَةٌ من الشَّقاء: جُمُودُ العَينِ، وَقَسَاوَةُ القَلْبِ، وطُولُ الأَمَلِ، والحِرْصُ عَلَى الدُّنْيا » .

(وعن عبد الله بنِ عمرَ قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ [4]: « لا تُكثِرُوا الكَلامَ بغيرِ ذِكرِ الله فَتَقسو قُلُوبُكُم، فإنَّ كَثْرَةَ الكَلاَمَ بغير ذِكْرِ الله قَسْوَةٌ للقلب، وإنَّ

هامش (أ) غير واضح .

(١) الخبر في فتح الوصيد عند شرح البيت نفسه .

(٢) ومثله عند المتنبي:

وإن صبرنا فإننا صُبُرٌ وإن بكينا فغير مردود
وإن جزعنا له فلا عجبٌ ذا الجزر في البحر غير مردود

انظر التبيان ٢٦٢/١ .

(٣) رواه أبو نُعيم في الحلية (أخبار أصبهان) ٢٤٦/١، وابن عدي في الكامل ١٩٣/٢، والسلسلة الضعيفة ١٥٢٢/٤ .

(٤) الترمذي، كتاب الزهد، باب أبعد الناس من الله القلب القاسي، والبيهقي في شعب الإيمان ٦٥/٢، وانظر السلسلة الضعيفة ٩٢٠/٢، وما بين القوسين في هامش (أ) .

أبعَدَ الناس من الله القلبُ القاسي » .

ولنَذْكُرْ شيئاً مما وردَ في البكاء من خشية الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَليلاً ولْيَبْكُوا كَثيراً﴾[1]، وقال تعالى: / ﴿يَبْكُونَ ويَزيدُهُم خُشُوعاً﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أفَمِنْ هَذا الحَدِيثِ تَعجَبُونَ وتَضْحَكُونَ ولاَ تَبْكُونَ﴾[3] . ١٠٠/أ

وقال عليه السلام[4]: « مَا مِن عَبدٍ مؤمِنٍ تخرُجُ من عَينَيه دُمُوعٌ، وإن كانت مِثلَ رَأسِ الذُّبابِ مِن خَشيَةِ الله تعالى، ثمَّ يُصيبُ شَيئاً مِن حُرِّ وَجهِهِ، إلاَّ حَرَّمَهُ عَلَى النَّارِ » .

وقال عليه السلام[5]: « لا يَلِجُ أحَدٌ في النَّارِ بَكَى من خَشْيَةِ الله تعالى حتَّى يَعُودَ اللبنُ في الضَّرْعِ ».

وقال عقبةُ بنُ عامرٍ ـ رضي الله عنه ـ : ما النَّجَاةُ يا رسُولَ الله؟ قال: « أَمسِكْ علَيكَ لسانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ علَى خَطِيئَتِكَ »[6].

وقالت عائشة ـ رَضيَ الله عنها ـ قلتُ: يا رسُولَ الله أَيدخُلُ الجنةَ أَحَدٌ من

---

(١) سورة التوبة: ٨٢ .

(٢) سورة الإسراء: ١٠٩ .

(٣) سورة النجم: ٥٩، ٦٠ .

(٤) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، وانظر السلسلة الضعيفة برقم: ٤٤٩٠، وضعيف الجامع: ٥١٩٦ ، وزاد (الله) في ب .

(٥) الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، والنسائي، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه .

(٦) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان .

أمَّتِكَ بغير حسَابٍ؟ قال: نَعَم، مَن ذكَرَ ذنوبَهُ فبَكَى[١].

وقال ﷺ[٢]: « مَا مِن قَطْرَةٍ أَحَبَّ مِن قَطْرَةِ دَمعٍ مِن خَشيَةِ الله، أو قَطْرةِ دمعٍ أُهْرِيقَتْ في سَبيلِ الله » .

وكانَ محمَّدُ بنُ المنكَدِرِ[٣] إذا بَكَى مسَحَ وجهَه ولحيتَه مِن دموعه، ويقول: بَلَغَني أنَّ النَّارَ لا تأكُلُ موضعاً مسَّتْهُ الدموعُ.

وقال أبو بكر الصديقُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : مَن استَطَاعَ أن يَبكيَ فلْيَبْكِ، ومَن لم يَستَطِعْ فليَتَبَاكَ .

والبكاءُ على الذنوب من أدلة الخشيَةِ والخوفِ، وقد أثنى الله على الخائفين، قال الله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحمةً للذِينَ هُم لِرَبِّهِمْ يَرهَبُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿رَضِيَ الله عَنهُمْ وَرَضُوا عنه ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[٥].

وقيل ليحيى بنِ معاذٍ[٦]: مَن آمنُ الخلقِ غداً؟ قال: أشدُّهُم خوفاً اليومَ .

وقال أبو سليمانَ الداراني[٧]: ما فارَقَ الخوفُ قلباً إلا خَرِبَ .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط .

(٣) ابن عبد الله بن الهدير القرشي، عالم زاهد، من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة، وروى عنهم، قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق، توفي سنة ١٣٠ هـ. انظر تاريخ الإسلام للذهبي ١٥٥/٥، والأعلام ٣٣٣/٧ .

(٤) سورة الأعراف: ١٥٤ .

(٥) سورة البينة: ٨ .

(٦) الرازي أبو زكريا، واعظ زاهد، لم يكن له نظير في عصره، من أهل الري، مات في نيسابور سنة ٢٥٨ هـ. انظر الأعلام ٢١٨/٩ .

(٧) ابن حبيب المحاربي، أبو بكر، قاض من ثقات التابعين شامي، والداراني نسبة إلى داريا من =

بِنَفْسِي مَنِ اسْتَهْدَى إلى ا للهِ وَحْدَهُ   وَكَانَ لَهُ القُرْءانُ شِرْباً وَمَغْسِلاَ

« استَهْدَى »: استفعَل، مِن هَدَى يَهدِي، ويَرِدُ في كلام العرب لمَعانٍ منها: الاستدعاءُ والطَّلَبُ نحو: استطعَمْتُهُ واستسقَيتُهُ؛ أي: طلبْتُ منه ذلك.

ومنها: وجدتُهُ كذلك، تقول: استجَدتُهُ واستكرمتُهُ واستعظمتُهُ واستسمنتُهُ: وجدتُهُ جيِّداً وكريماً وعظيماً وسميناً .

ومنها: التَّحَوُّلُ من حال إلى حال، يقال: استَنْوَقَ الجمَلُ، واستَتْيَسَتِ الشَّاةُ[1]، واستَنْسَرُ البَغَاثُ[2].

ومنها: معنى تفعَّل[3]، قالوا: (تعظَّم واستعظَمَ، وتكبَّرَ واستكبَرَ، وتيقَّنَ واستيقَنَ .

ومنها: معنى فَعَل، قالوا[4]): استقَرَّ وقَرَّ، وعلا قِرنَهُ واستعلاه .

والأكثرُ فيها المعنى الأوَّلُ، ومنه ما في هذا البيت؛ أي: أفدَى بنفْسِهِ من المكاره مَن طَلَبَ الهدايةَ إلى ا للهِ وحدَه. وانتصابُ « وحدَه » لنيابته منابَ ما نابَ/ عن المنصوب، فإذا قلتَ: جاء زيدٌ وحدَه، فالأصل: جاء زيدٌ منفرِداً، ١٠١/أ

غوطة دمشق، توفي سنة ١٢٠ هـ. انظر الأعلام ١٨٣/٢، وانظر الإحالة رقم (٢) في المصدر نفسه .

(١) قال سيبويه: وقالوا في التحول من حال إلى حال هكذا، وذلك قولك: استنوق الجمل واستتيست الشاة. الكتاب ٧١/٤ .

(٢) « إن البَغاث بأرضنا يستنسر » هكذا في مجمع الأمثال ١٥/١ برقم: ٨ . والبَغاث: ضرب من الطير، وفيه ثلاث لغات، والجمع: بِغثان . والمثل يُضرب للضعيف يصير قوياً، وللذليل يعز بعد الذل .

(٣) في ب : « فعَل » .

(٤) ما بين القوسين سقط من ب .

فمنفرداً حالٌ، ثم أُقيمَ مقامَ الحال الفعل، فقيل مثلاً: جاء زيدٌ ينفرِدُ، ثم أُقيمَ مَقامَ الفعل مصدَرُهُ، فقيل مثلاً: جاء زيدٌ انفراداً، ثم وُضِعَ « وحدَه » موضعَ هذا المصدر فقيل: جاءَ وحدَه، ويجوزُ في البيت أن يكون حالاً من الله تعالى، ويجوزُ أن يكونَ مِن الفاعل في « استهدى » .

والمعنى على الأوَّلِ: طلب الهداية إلى الله تعالى منفرِداً بذلك غيرَ مُشرِكٍ به في طلبه؛ أي: هو في ذلك مخلصٌ لله تعالى .

(والمعنى على الثَّاني: أنه طلبَ الهداية إلى الله تعالى منفرِداً في طلبها؛ أي: هو في زمانٍ أعرَضَ الناسُ فيه عن ذلك، فلا يَسلك أحدٌ طريقَه ولا يطلُبُ طلبَه)[١].

و « مَن » في قوله: « مَن استهدى » يجوزُ أن تكونَ مفعولةً بفعلٍ محذوفٍ التقدير: أَفدِي بنفْسِي مَن استهدى، ويجوزُ أن يكونَ موضعُهَا رفعاً على الابتداء وإضمارِ الخبر، التقديرُ: مُفدًّى بنفسي مَن استهدَى، (ويقبُحُ أن يُجعَلَ خبراً؛ لأنه يَلزَمُ أن يكونَ التقديرُ: المفدَّى بنفسي مَن استهدى[٢]) .

ويتعلَّقُ « بنفسي » بالمفدى، وهو موصولٌ، فيؤدِّي إلى حذف الموصول وإبقاءِ الصلة، وذلك قبيحٌ، وقوله:

وَكَانَ لَهُ القُرآنُ شِرباً ومَغسِلاً

(أي: كان مُلازماً له معتكِفاً عليه حتى يصيرَ له شرباً ومغسلاً[٣]).

---

(١) ما بين القوسين جاء في ب مكانه: « أي هو مخلص لله تعالى » والباقي ساقط .

(٢) ما بين القوسين سقط من ب .

(٣) ما بين القوسين سقط من ب .

والشِّربُ: النصيبُ من الماء، قال الله تعالى: ﴿لها شِربٌ ولكُم شِربُ يومٍ مَعلُومٍ﴾[1]؛ أي: إذا اقتسَمَ الناسُ حظوظَهُم، كان القرآنُ حظَّه، والمغسِل مَفْعِل من غَسَلَ يَغسِلُ، يُرَادُ به المكانُ والزمانُ، أمَّا الزمانُ فلا يصحُّ هنا، فلم يبقَ إلا المكانُ، جعلَه لملازمته إياه كمكانٍ يَغتَسِلُ فيه؛ لأنه يغسِلُهُ من دَرَن الذُّنوب، وسوَّغ له هذا التجوُّز لفظةَ الشِّرْب؛ لأن أصلَها أن تستعمَلَ في الماء.

ويَنظُرُ هذا المعنى إلى ما جاء في الحديث[2]: « مَن شَغَلَه القُرآنُ عن مسألتي، أعطَيتُهُ أفضلَ ثَوابِ الشَّاكرين » .

* * *

وَطَابَت عَلَيهِ أرْضُـهُ فَتَفَتَّقَتْ بِكُلِّ عَبيرٍ حينَ أَصْبَحَ مُخضَلا

العَبير: أَخلاطٌ من الطِّيْبِ، وقيلَ: الزعفَرَان، والخَضِلُ: كلُّ شيءٍ نَدٍ، وشِراءٌ خَضِلٌ: رطبٌ، وأخضَلَتْنا السَّماءُ: بلَّتْنا[3]، وبكى فلانٌ فأخضَلَ لحيتَهُ بدمعِهِ؛ أي: بلَّهَا به، يقول: أَفدِي بنفسِي مَن استهدَى إلى الله وحدَه، وطابَت عليه أرضُهُ. والهاءُ في « أرضه » يجوزُ أن تعودَ على المستهدي، أي: طابت عليه الأرضُ التي تحملُه؛ لما عنده من النور والانشراح، فتفتَّقَتْ له بكل طِيب، لما يثني به عليه أهلُهَا من الثناء الذي يُشبهُ العبيرَ طِيباً.

---

(١) سورة الشعراء: ١٥٥ .

(٢) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ ، والمشكاة: ٢١٣٦، والدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام، والسلسلة الضعيفة: ١٣٣٥ .

(٣) الصحاح (خضل) .

قال بعضُ الأدباءِ يَرثِي[1]:

/ وَلَيسَ فَتِيقُ المسْكِ مَا تجدُونَه وَلَكنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ المخَلَّفُ ١٠٣/أ

ويجوزُ أن تعودَ على القرآن، جعَلَه في حال تلاوته للقرآن وتدبُّرِهِ له كالسالك في أرضٍ قد تفتَّقَت له بأنواع الطِّيب؛ لكثرة الفوائد الحاصلة بالتدبُّر .

ومعنى « أصبَحَ مُخضَلا » أي: هو مبتلٌّ برحمة الله تعالى، وحسَّنَ له ذلك قولُهُ في البيت قبلَه:

وَكَانَ لَهُ القُرآنُ شِرباً وَمَغسِلاً

لما كان له شِرباً ومَغسِلا أصبحَ بذلك مبتلاًّ .

* * *

(١) لمحمد بن عبد الرحمن بن عطية البصري المعروف بالعطوي، كان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية، له فن من الشعر لم يسبق إليه، ذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام ففاق جميع نظرائه، وخف شعره على كل لسان، وروي واستعمله الكتاب، واحتذوا معانيه، وجعلوه إماماً.

والبيت ثاني بيتين رثا بهما أحمد بن أبي داود، قال الأصفهاني: وأنشدني الأخفش للعطوي قال:

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلابُ قومٍ تقصَّفوا

وبعده البيت برواية:

وليس نسيمُ المسلك ريَّا حَنُوطِهِ

انظر الأغاني ١٣٢/٢٣ وما بعدها . وروى البيت صاحب التبيان بشرح ديوان المتنبي ٣٣٨/٢ بصيغة أخرى:

وليس بشَمُّ المسكِ ما تجدونَهُ

عند شرحه لقول المتنبي:

وتفوحُ من طيب الثناء روائحٌ لهم بكل مَكَانةٍ تُستَنشَقُ

فطُوبى لـــه والشَّــوقُ يَبعَثُ همَّهُ
وزَندُ الأَسَى يهتاجُ في القلب مُشعَلا

يُقالُ: طابَ الشيءُ يَطيبُ طِيباً: حَـلا وحَسُـنَ وحَـلَّ، وطـابَ عـن الشـيء نفساً: ترَكَه، وطوبى لفلان أي: أصابَ خيراً. والهاءُ في « له » تعـودُ علـى « مَـن » في قوله: « بنفسي مَن استهدَى إلى الله » ، أي: الحالة الطيبة له.

ويحتملُ أن يريدَ قولَه تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلحاتِ طُوبَى لهم وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[1] قيل: إنه فَرَجٌ تَقَرُّ به أعيُنهم، وقيل: إنه الجنةُّ، وقيل: كَرَامةٌ مِن الله لهم .

وجاء في الخبر عن النبي ﷺ [2]: « أنَّ « طُوبى » شجرةٌ في الجنـة مسـيرةُ مائـة سنةٍ، ثياب أهل الجنّة تخرُجُ من أكمامها، غَرسَهَا الرحمنُ بيَـدِهِ، ونفَـخَ فيهـا مـن روحِهِ، تُنبتُ الحليَ والحُلَلَ، وإن أغصانَهَا لتُرَى من وراء سُورِ الجنّة » .

والأصل فيه: طُيْبَى، فوقَعت الياءُ ساكنةً بعد ضمة وهي عَينٌ، فقُلبـت اليـاءُ واواً، ولو كانت فُعلى صفةً لاستُعمِلَ استعمالَ الأسماء، لقُلِبَـت الضمـةُ كسـرةً، وتصحُّ الياءُ نحو: ﴿قِسمَةٌ ضِيزَى﴾[3]، وامرأةٌ حِيكَى، أصلهما: ضُيْزَى وحُيْكَى؛ لأنه من ضَازَ يَضيزُ الحقَّ: نَقَصَه، وحاكت المرأةُ في مشيها تحيكُ حَيَكانـاً، وهـي مِشيةٌ تُحرِّكُ فيها رأسَهَا ومَنكِبَيهَا وجَسَدَهَا، ثم قُلِبت الضمـةُ كسـرةً، فصحَّـت الياءُ[4] .

---

(١) سورة الرعد: ٢٩ .
(٢) مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد برقم: ١١٢٤٥ .
(٣) سورة النجم: ٢٣ .
(٤) الصحاح (ضيز، حيك) .

فإن قلتَ: هلاَّ زعَمْتَ أنَّ الأصلَ في « ضِيزَى » و « حِيكَى » الكسرُ، ولِمَ ادُّعِيَ أنه مضمومٌ ؟

فالجوابُ: أن فِعلى بالكسر لا يكونُ في الصفات، وإن كانت فُعلى صفةً تُستعمَلُ استعمالَ الأسماء، جازَ فيها قَلبُ الضمَّةِ كسرةً، إجراء له مُجرَى الصفات، وقلبُ الياءِ واواً إجراءً له مُجرَى الأسماء، فيُقَالُ: جاءتني الطِّيبَى والكِيسَى، والطُّوبَى والكُوسَى. وهما مؤنَّثا: الأطيب والأكيَس، وكأنهم فرَّقُوا في هذا بين الاسم والصفة، وخصُّوا الصفةَ ببقاء الياء؛ لِثقَلِهَا وخِفَّةِ الياء .

ومحلُّ « طُوبى » رفعٌ بالابتداء، و « له » الخبرُ، وجاز الابتداءُ به لمعنى الدُّعاء. نظيرُه: ويحٌ له، و « الشوق » مصدَرُ قولك: شاقَهُ الشيءُ شَوقاً: هيَّجَهُ، و«يَبعَثُ»: يُحرِّكُ ويُثيرُ ويُوقِظُ.

و « الزَّندُ » الذي يُقدَح به، وهو الأعلى، والسفلى: زَندة[1]، والأسى: الحُزنُ، يُقالُ: أَسِيتُ على الشيء: حَزِنتُ عليه، آسَى أَسىً .

و « يَهتَاجُ » يفتَعِلُ، مِن هَاجَ يَهيجُ هِيَاجاً: تحرَّكَ، وهَاجَه غيرُه، يُستعمَلُ مُتعدياً وغيرَ متعدٍّ، كرَجَعَ زيدٌ ورَجَعتُهُ، قال الله تعالى: ﴿وإلى الله تُرجَعُ الأُمُورُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فإنْ رَجَعَكَ الله﴾[3] .

وأصلُ يَهتاجُ: يَهتَيِجُ[4]، تحرَّكت الياءُ وانفتَحَ ما قبلَها فقُلِبت ألفاً .

و « مشعَلا » من قولك: أشعَلْتُ النارَ والحربَ: أوقدتهُمَا .

---

(١) انظر الصحاح واللسان (زند) .

(٢) سورة الأنفال: ٤٤، والحج: ٧٦، وفاطر: ٤، والحديد: ٥ .

(٣) سورة التوبة: ٨٣ .

(٤) انظر الصحاح (هيج) .

ومعنى قوله: « والشَّوقُ يَبعَثُ همَّهُ » أي: شوقهُ إلى ما عند الله تعالى يَبعَثُ همَّه، فلا يَزالُ في حُزنٍ.

وفي الخبر: « الدُّنيا سِجنُ المؤمِنِ وجنَّةُ الكافر » .

واستعار للأسى زَنداً يهتاجُ في قلبه أسَفاً على ما سَلَفَ، ونَدَماً على ما فات.

و « مشعَلاً » حالٌ من فاعل يهتاج، وفي أكثر النُّسَخِ: مُشعَلاً بفتح العين اسمُ مفعول، ورأيتُ في بعضِهَا: مُشعِلاً بالكسر اسمُ فاعل، وهو أيضاً حالٌ من الفاعل، كأن الزَّندَ يُشعِلُ في قلبه الهمومَ ويُوقدُهَا، وواو قوله: « والشَّوقُ » يجوزُ أن تكونَ للحال؛ أي: طُوبَى له في هذه الحالة، ويجوزُ أن تكونَ عاطفةً جملَةً على جملَةٍ، والله أعلَمُ .

* * *

هُوَ المجتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِم قَرِيباً غَرِيباً مُسْتَمَالاً مُؤَمَّلاَ

المجتَبَى: المختار، وفعلُه افتَعَل[1]، من جَبَا الماءَ في الحوض يجبُوه ويجبِيه جَبْواً وجَبْياً، وجَبَاً: جمعَهُ؛ لأنكَ إذا اخترتَ الشيءَ فقد جمعْتَ محاسِنَه التي توجِبُ تفضيلَه، والضميرُ من قوله: « هو المجتَبَى » يعودُ على « مَن استَهدى » وهو القارئُ، وإنما كان مجتبىً لأنَّ الله تعالى اختارَه لما يَسَّرَه له من فَهمِ كتابه وتدبُّرِهِ وتلاوتِهِ والعملِ به .

ومعنى قوله: « يغدو على الناس كلِّهم قريباً غريباً » يقرُبُ من الناس ببَدَنِه

---

(١) في ب: « وفعله افتعل » ، وفي أ: فعل افتعل .

دون أفعاله، فهو قريبٌ منهم حِسّاً، بعيدٌ منهم معنىً، ويُحكَى عن بعضهم أنه قال: صحبتُ كذا وكذا فِرقَةٍ، كلُّهم يقول: منِّي منِّي .

و يغدو على الناس: يمرُّ عليهم، و « مُستَمَالاً » مُستَفعَلاً من المَيل، أي: قُلوبُ الناس تَستَميلُهُ بحبِّهِ وتودُّدِه، وأصله مُستَمْيلٌ، فنُقِلَت حركةُ الياء إلى الميم، ثم قُلبت الياءُ ألفاً لتحرُّكِهَا في الأصل وانفتاح ما قبلَهـا في اللفـظ، و « مُؤمَّـلاً »: مقصوداً، يَرجُونَ إجابةَ دُعائه لتحسينهم الظَّنَّ فيه، و « قريباً » حالٌ من الضمير في « يغدو » ، وما بعدَه صفتُهُ .

* * *

يَــعُــدُّ جميعَ النَّاسِ مَولىً لأَنَّهُمْ عَلَى مَا قَضَاهُ اللهُ يَجْرُون أَفْعُلاَ

/ «يعُدُّ » يحسَبُ ويعتَقِدُ، ومنه قوله[1]: ١٠٤/أ

تعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفضَلَ مجْدِكُمْ بَنِي ضَوطَرَى لَولاَ الكَمِيَّ المقنَّعَا

والمولى مُشتَرَكٌ يُطلَقُ على المالك وعلى المملوك، وعلى ابن العم، وعلى الناصر، والمراد به هنا المملوك؛ أي: يَعتقِدُ أنَّ الناسَ كلَّهم عبيد الله تعالى، فلا يَرى لأحد منهم نفعاً ولا ضراً ولا بذلاً ولا عطاءً، قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ أنتمُ الفُقَرَاءُ إلى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغنيُّ الحميدُ﴾[2] .

ويجوز أن يكونَ المرادُ به: المالك، أي: يحسَبُ الناسَ كلَّهم سادات، فلا يحتَقِرُ أحداً منهم عاصياً كان أو مطيعاً، وعلَّلَ ذلك بقوله: « لأنهم على ما قضاه الله يجرون أفعلا » ، أي: لأن أفعالَهم جاريةٌ بقضاء الله وقَدَرِه، فالسَّعيدُ من أسعَدَه الله تعالى، واستعمَلَهُ في طُرُق الخير، وختَمَ له بالحسنى، والشقيُّ من

---

(١) ديوان جرير: ٢/٩٠٧ .

(٢) سورة فاطر: ١٥ .

أبعَدَه الله تعالى، واستعمَلَه في طُرُق الضَّلال، وختَمَ له بالشَّقاوة .

وفي حديث مُسلِم عن النبي ﷺ [١]: « إنَّ الرجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَل الجَنَّةِ فيما يبدو للناس، وهو من أهلِ النَّار، وإِنَّ الرجُلَ لَيَعْمَلُ عمَلَ النَّارِ فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنَّةِ » زادَ البخاريُّ: « وإنما الأعمَالُ بالخواتم » .

ويتعلَّقُ « لأنهم » بـ « يَعُدُّ » ، و« على ما قضاه الله يجرُون » ، ونَصَبَ «أفعالا» على التمييز للفاعل الذي في « يجرون » من باب: تفقَّأَ زيدٌ شَحماً، والأصلُ: لأنهم على ما قضاه الله تجري أفعلهم، فأفعلُهُم فاعلٌ بـ « تجري »، ثمَّ حَذَفَ أفعل الذي هو الفاعل، وأقامَ المضافَ إليه وهو الضميرُ مُقَامَهُ، فصار: على ما قضاه الله يجرُون، ثم ردَّ المحذوفَ تمييزاً وجمَعَه؛ لأنه يجوز فيه الوجهان في نحو قولك: طابَ الزيدون أنفُساً ونَفْساً، بالإفرادِ؛ لأنَّ المقصودَ منه يَحصُلُ بالإفراد والجمع؛ لأنه كذلك كان في الأصل، ومن الجمع قولُهُ تعالى: ﴿بالأخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾[٢]، ومن الإفراد: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيء مِنْهُ نَفْساً﴾[٣] .

وأفْعُلا مفرَدُه فِعْل بكسر الفاء، وجمعه على ذلك على غير قياس، لأن قياسَه في القلَّة: أفعال، ويجوز أن يكونَ واحدُهُ فَعْلاً بفتح الفاء، وجمعُه القياسي في القلَّة: أفعُل نحو: أَكْلُب وأَفْلُس، ويكونُ فَعل وفِعل من فَعَل نحو: الطَّحْن والطِّحْن من طَحَنَ، فالفِعل بالكسر المفعُول، وبالفتح الحركاتُ الصادِرَةُ على الإطلاق[٤]، وأفرَدَ « مولى » للضرورة أو لموافقة لفظِ جميع؛ لأنه مفردٌ في اللفظ .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد برقم: ٦٩٠٠ .

(٢) سورة الكهف: ١٠٣ .

(٣) سورة النساء: ٤ .

(٤) انظر كلام السمين الحلبي في هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿فإنْ طِبْنَ لكُم عن شَيء منه نَفْساً﴾ ٢/٣٠٦-٣٠٧ .

يَرَى نَفْسَـــهُ بِالذَّمِّ أَولى لأنَّهَا عَلَى المجدِ لم تَلْعَقْ مِن الصَّبْرِ والأَلاَ

/ « يرى » هنا من رؤية القلب بمعنى العِلْـم، فيتعـدَّى إلى مفعولَـين أصلُهمـا ١٠٥/أ مبتدأٌ وخبر، وهما: نفسَه وأولى، يقول: يجـب على قـارئ القـرآن أن ينظـرَ إلى عيوبِ نفْسِهِ فيُزيلَهَا، ويكون ذلك شاغِلاً له عن عُيُوب غـيره لمعرفتـه بتقصيره، ففي بعض الآثار عن النبي ﷺ [1]: « إنَّ العَبدَ ليُذنِبُ الذّنبَ فيُدخِلُـهُ ذَنْبُـهُ الجنَّـةَ، قيلَ: يا رسُولَ الله وكَيفَ يُدخِلُه ذنبُهُ الجنةَ؟ (قال: لا يَزَالُ نَصْبَ عَينَيه تائباً منه هارباً عنه حتَّى يُدخِلَه ذنبُهُ الجنَّةَ[2]) » .

وهذا لا يتأتى إلا بالنَّظرِ في عيوب النَّفْسِ وفي تقصيرها، قال الشَّاعر[3]:

اِبْدَأْ بنفسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غيِّهَا فَإِذَا انْتَهتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكيمُ

وقوله: « لأنها على المجد ... » البيت، يقـول: يجبُ أن يعتقِـدَ التقصيرَ مـن نفْسِهِ فيذمَّهَا على ذلك؛ لأنها لم تتكلّف المشاقَّ في اكتسابِ المجـد، ولم ترتكِـبْ الأخطارَ في تحصيله، وكنَّى عن ذلك بلَعْقِ الصَّبْر والألا، فالصبْرُ هو الصَبِر بكسر الباء، وأسكَنَه تخفيفاً كما يُفعَلُ ذلك بكَتِف ونحوه[4]، وهو مرُّ المذاق. و « الألا »

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ب .

(٣) للمتوكل الكناني من قصيدة مطلعها:

للغانيات بذي المجاز رسوم فبطن مكة عهدهن قديمُ

وفي ضمنها البيت المشهور:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ساقه الزمخشري في باب (لا) من المستقصى في أمثال العرب ٢/٢٦٠ ، وانظر الخزانة ٨/٥٦٦-٥٦٧، والكتاب ٣/٤١-٤٢، ونسب إلى البربري والطرماح، وفي شرح القطر نسبه إلى أبي الأسود، وهو في ملحقات ديوانه: ١٣٠ .

(٤) تقدم الكلام عنه .

نَبْتٌ بشيعُ الطَّعْـم، يُشبِهُ الشِّيحَ رائحةً وطعماً، وهو ممدودٌ وقصرُهُ للشِّعْرِ، وواحدتُه: أَلاءَة. قال الشَّاعر[(١)]:

فَخَرَّ عَلَى الأَلاءَةِ لم يُوَسَّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيفٌ صَقِيلُ

ولَعْقُهُ على الحقيقة لا يُستَعْظَم، إنما يُستعظَمُ الصَّبرُ عليه مع العدم[(٢)]، التقدير: يَرى نفسَه أولى بالذم؛ لأنها لم تلْعَق الصَّبِرَ والأَلا على اكتسابِ المجد .

قال أبو الحسن السخاويُّ[(٣)]: ولو قال: لم يصبرْ على الصَّبْر والأَلا لكان أحسن؛ لأنَّ الأَلا لا يُلعَق .

قلتُ: إنما قال الناظمُ: « لم تَلعَق » لأنه أشار إلى مافي بيتٍ أنشده أبو عليٍّ البغدادي[(٤)]:

لاَ تحسِبِ المجدَ تَمْراً أَنتَ آكِلُهُ لَنْ تَبلُغَ المجدَ حَتَّى تَلعَقَ الصَّبِرا

ونظير ما فعَلَهُ الناظمُ قولُ الشَّاعر[(٥)]:

يَا لَيتَ زَوجَكِ قَدْ غَدَا مُتَقلِّداً سَيفاً وَرُمحَا

---

(١) البيت ساقط من ب، وقد نسبه ابن منظور في اللسان (ألأ) إلى ابن عنَمَة .

(٢) عبارة السخاوي في فتح الوصيد عند قول الناظم: « يرى نفسه بالذم ... »قال: « وهو نبتٌ يُشبه الشيحَ رائحةً وطعماً، ولا يُستعظم لعقه، إنما يستعظم الصبر عليه مع العدم » .

(٣) انظر فتح الوصيد عند قول الناظم: « يرى نفسه بالذم ... » .

(٤) الأمالي ١/١٤٦، وانظر الصلة لابن بشكوال ٦٥٧ ، - ساقها من مقطوعة أنشدها أبو علي - في ترجمة هارون بن موسى. قال أبو علي: « وقرأت على أبي بكر بن دريد لبعض العرب ... » .

(٥) من الكامل، وهو لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه: ٣٢، وانظر كتاب الشعر ٥٣٢/٢ ، وأمالي ابن الشجري ٨٢/٣ ولم ينسبه، وانظر تعليق الطناحي على البيت الإحالة رقم (٣) من المصدر نفسه .

والرُّمحُ لا يُقالُ فيه: تقلَّدتُ، وكذلك قولُ الآخر[1]:

عَلَفْتُهَا تِبناً وَمَاءً بَارِداً

والماء لا يُقال فيه: عَلَفْتُ، وكذلك قول امرئ القيس[2]:

غَرَائِرُ في كِنٍّ وَصَونٍ ونَعْمَةٍ يُحَلَّين ياقوتاً وشَذْرَاً مُفَقَّرا

وَرِيحَ سَناً في حُقَّةٍ حِمْيرِيَّةٍ تُخَصُّ بمفرُوكٍ مِنَ المسْكِ أَذْفَرا

ولا يُقال: حليتُه ريحَ سناً، إنما هذه كلُّها على إضمار ما يليقُ بها، التقدير: وحاملاً رُمحاً، وسقيتُها ماءً بارداً، ويضمَّخْنَ ريح سناً. وكذلك بيتُ الناظم التقدير فيه: لم تلْعَق مِن الصبر، و لم تستَدِم الألا .

ورَوَى مُسلِمٌ[3] عن النبي ﷺ سُئِلَ: أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إلى ا لله تعالى ؟ فقال:

---

(١) بغير نسبة في كتاب في كتاب الشعر ٥٣٣/٢ ، وتأويل مشكل القرآن: ٢١٣ ، وأمالي ابن الشجري ٨٢/٣، والأشباه والنظائر ١٠٨/٢، والإنصاف ٦١٢/٢، والخصائص ٤٣١/٢، واللسان (زجج) . وتكملته:

حتى شَتَت همَّالةً عيناها

ويروى: « حتى غدت » . وفي الأصل: فعلفتها .

(٢) ديوانه: ٥٩ من قصيدة مطلعها:

سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا وحلت سُليمى بطن قوٍّ فعرعرا

الغرائر: الغوافل عن الدهر لصيانتهن وتنعمهن، والكِنُّ: ما يُكتن به عن الحر والبرد، والشذْرُ: قطع الذهب. والمفقَّر: المصوغ على هيئة فقار الجرادة .

(٣) صحيح مسلم، كتاب التوبة وقبولها، باب لن ينجي أحداً عمله، وهو في البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، وابن ماجه، كتاب الزهد والمداومة على العمل بلفظ: « خير العمل أدومه وإن قل » والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب صلاة القاعد في النافلة، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان بلفظ: « ما ديم عليه وإن قلَّ » .

«أَحَبُّ العَمَلِ إلى الله تعالى أَدْوَمُهُ» .

ونَقَلتُ من تأليف[1] أبي القاسم بن بُشكُوَال[2] ما هذا نصه: «قرأتُ بخط أبي عليٍّ الغسَّانيِّ /ـ رحمه الله تعالى ـ : قال لي الفقيهُ أبو الحزم بنُ عُلَيم، قال لي أبو بكرِ بنُ موسى البطليوسيُّ المعروفُ بابن الغَرَّاب، قال لي أبو نصرٍ هارونُ بنُ موسى بنِ جَندلَ النَّحويُّ: كنَّا نختلِفُ إلى أبي عليٍّ البغداديِّ ـ رحمه الله ـ وقتَ إملائه النوادِرَ بجامع الزَّهراء، ونحن في فصل الربيع، فبينَا أنَا ذاتَ يومٍ في بعض الطَّريق، إذ أخذتني سحابةٌ، فما وصَلت إلى مجلِسِه ـ رحمه الله ـ إلا وقد ابتلَّتْ ثيابي كلُّها، وحوالي أبي عليٍّ أعلامُ أهل قرطبَةَ، فأمَرَني بالدنوِّ منه، وقال لي: مَهلاً يابانَصرْ، لا تَأْسَف على ما عَرَضَ لك، فهذا شَيءٌ يضمَحِلُّ، عنكَ بثياب غيرَها تُبَدِّلُهَا، ولقَد عَرَضَ لي ما أبقى بجسمي نُدُوباً تَدخلُ معي القبر، ثم قال لنا: كنتُ أختلفُ إلى ابن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ فَادَّلَجْتُ إليه لأتقرَّبَ منه، فلما انتهيتُ إلى الدَّرْبِ الذي كنتُ أخرُجُ منه إلى مجلِسِهِ، أَلفَيتُه مُغلَقاً، وراثَ عليَّ فتحُهُ، فقلتُ: سبحانَ الله، أُبَكِّرُ هذا البُكُورَ، وأُغلَبُ على القُربِ منه، فنظَرْتُ إلى سربٍ بجنب الدَّرب[3] فاقتحَمتُهُ، فلما توسَّطتُهُ ضَاقَ بي، فلم أقدِرْ على الخروج ولا على النهوض، فاقتحمتُهُ أشدَّ اقتحامٍ حتى نفذتُ بعد أن تخرَّقَت ثيابي، وأثَّرَ السَّربُ في لحمي حتى انكشَفَ العظْمُ، ومَنَّ الله تعالى عليَّ بالخروج، فَوافَيتُ مجلسَ الشَّيخِ على هذه الحال، فأينَ أنتَ مما عرَضَ لي؟!

١٠٦/أ

(١) «تأليف» من ب .

(٢) انظر الصلة في ترجمة هارون بن موسى برقم: ١٤٤١ ٢/٦٥٦-٦٥٧ .

(٣) في الصلة «الدار» .

وأنشدَنا:

دَبَبْتَ للمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوا دُونَه الأُزُرَا

فَكَابَدُوا المجدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُم وَعَانَقَ المجدَ مَنْ أَوفَى وَمَن صَبَرا[1]

لا تحسبِ المجدَ تَمْراً أنتَ آكِلُهُ لن تبلُغَ المجدَ حتى تلعَقَ الصَّبِرا

قال أبو نَصرٍ: فكتبناه عنه من قبل أن يأتيَ موضعُهَا في نوادره، وسَلاَّني ما حكاه، وهانَ علي ما عرَضَ لي من بلل الثياب.

وأنشَدَ محمَّدُ بنُ بِشْرٍ[2]:

اصْبِرْ عَلَى مضَضِ الإدلاج في السَّحَرِ وفي الرَّوَاحِ إلى الحاجَاتِ وَالبُكَرِ

لا تَضْجرَنَّ ولا يُعجِزْكَ مطلبُهَا فالنُّجْحُ يَذهَبُ بين العَجْزِ وَالضَّجَرِ

إني وَجَدتُ وفي الأَيَّامِ تجربَةٌ للصَّبرِ عَاقِبةٌ محمُودَةُ الأثَرِ

وَقَلَّ مَن جَدَّ في أَمرٍ يُطَالِبُهُ وَاستَصْحَبَ الصَّبرَ إلاَّ فَازَ بالظَّفَرِ

المضضُ: حُرقَةُ أَلَمِ الكَدِّ والتَّعَبِ .

* * *

(١) الأبيات في المصدر السابق ، وبهجة المجالس ٣١٨/١ .

(٢) ذكرها بتمامها ابن عبد البر في بهجة المجالس ٣٢٥/١ ونسبها إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ونسبها ابن حمدون في التذكرة الحمدونية ٣٢٢/٤ إلى أبي حية النميري.
والبيتان الأخيران في العقد الفريد ١٩٥/١ مع اختلاف في الرواية، وعيون الأخبار ١٢٠/٣.
وهي بكاملها في فتح الوصيد عند شرحه للبيت « يرى نفسه ... » وفيها: « وللرواح » بدل « وفي الرواح » ، و « على الحاجات » بدل « وإلى الحاجات » .

وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالكَلْبِ يُقْصِيهِ أَهْلُهُ
وَمَا يَأْتَلِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَذِّلاَ

/ أشار في هذا البيت إلى ما قاله بعضُ الحكماء يُوصي رجلاً فقال له: ١٠٧/أ انصَح لله كنُصْحِ الكلبِ لأهله، فإنهم يُجيعونَه ويضربونه، ويأبى إلاَّ أن يَحُوطَهُم نُصحاً.

معناه: كن مع الله بهذه المثابة، انصَح في خدمته وإن أدَّبَك بمرضٍ أو فقرٍ أو جوعٍ أو غيرِ ذلك من أنواع المِحَنِ والبلايا. و « يُقصيه » : يُبعِدُه، مِن أقصَيتُ الرجلَ إذا أبعدتَهُ، وقصَا المكانُ وغيرُه قَصْواً: بَعُدَ .

و « يأتلي » يُقصِّرُ، وهو يفتَعِلُ من قولك: ألاَ يألُو أَلْواً وأُلِيّاً[1]: قَصَّرَ، وأصلُ أُلِيّاً: أُلِيواً (فَعِيلاً)، فقُلِبَت الواوُ ياءً لاجتماعها مع الياء، وسبق أولاهما بالسكون، وأدغمت الياءُ في الياء، ونظيره من المصادر: الزفير والشهيق[2] .

و « متبذِّلا » من قولك: رجلٌ متبذِّلٌ: يَلِي عمَلَ نفسِهِ، والبِذْلَةُ من الثياب: ما لا يُصَانُ. كلٌّ ذلك مأخوذٌ من البَذْلِ[3]، وهو ضد المنع؛ لأن عدمَ الصَّون للشيء إعطاءٌ وبذلٌ .

---

(١) انظر الأفعال لابن القوطية (ألى): ١١، وفي اللسان (ألا)، وألَّى يُؤلِّي تألية وأْتلى: قصَّر وأبطأ.

(٢) «للكسرة التي قبلها، إذ لا حائلَ إلا الياءُ الساكنةُ المدغَمَةُ، وإذا كانوا يقولون في قَنَوتُ الشيء: قِنوَةً وقِنيَةً، فيقلبون للكسرة التي في القاف، فهذا أجدر؛ لأن المدغَمَ كأنه لم يكن» هذا الكلام ليس في نسخة ب، وكأن المؤلف استغنى عنه لأنه لا يتسق مع ما قبله، وكأنه مضبَّب وممرض .

(٣) في ب : « من ابتذل » .

ومفعولُ قِيلَ قوله: « كُن كالكلب » لأنه هو المفعولُ بالقول، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿ وإذا قِيلَ إنَّ وعدَ الله حَقٌّ﴾[1]، وإنما جاز ذلك في القول؛ لأن مفعولَه جملةٌ أبداً، أو مفرَدٌ في معنى الجملة نحو: قلتُ الحقَّ .

و « يُقصِيه أهلُهُ » حالٌ من الكلب، وقوله: « وما يأتلي » حالٌ من الهاء التي في « يُقصيه » ، و « متبذِّلا » حالٌ من فاعل يأتلي، أي: يبذُلُ في خدمتهم نفسَهُ جمعاءَ .

* * *

لَعَلَّ إِلاَهَ العَرْشِ يَا إِخْوَتِي يَقِي جَمَاعَتَنَا كُلَّ المكَارِهِ هُوَّلاَ

« لعَلَّ[2]» هنا تَرَجٍّ، وقد تكون توقُّعاً في نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ألاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3] .

وفيها لغاتٌ[4]: لعَلَّ وعَلَّ، ولعَنَّ، وعنَّ، ولغنَّ، وغنَّ، ولأَنَّ .

و « يَقِي » من الوقاية، والأصل: يَوقِي، فحُذفت الواوُ لوقوعها بين ياءٍ وكسرة. و « المكارِهُ » جمعُ مكروه، وكان قياسُهُ مكارِيه، لكنه حذفَ الياء للضرورة، ونحوه قوله[5]:

---

(١) سورة الجاثية: ٣٢ .

(٢) انظر باب مواضع لعل من الأزهية للهروي: ٢١٧ وما بعدها ، ورصف المباني، باب عل: ٤٣٤ .

(٣) سورة الشعراء: ٣ .

(٤) انظر الصحاح والتاج (علل) .

(٥) الرجز في الخصائص ٣٢٦/٣ للعجاج، وليس في ديوانه، ولجندل بن المثنى الطهوي في شرح أبيات سيبويه ٣٢٩/٢ ، والمقاصد النحوية ٥٧١/٤ .

وَكَحَّلَ العَيْنَيْنِ بِالعَوَاوِرِ

المفرد: عُوَّار، وجمعه: عَوَاوير. وعكسه قولُ الآخر[1]:

تَنْفِي يَدَاهَا الحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْيَ الـدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ

أراد الدراهِم والصيارِف؛ لأنه جمعُ درهم وصَيرَف، لكنَّه أشبعَ للضرورة .

ونصَبَ « جماعَتَنا » و « كلَّ » بـ(يَقِي)؛ لأنه يتعدَّى إلى اثنين، قال الله تعالى: ﴿فَوَقَهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ اليومِ﴾[2] .

و « هُوَّلاَ » : حالٌ عن المكاره، الواحدُ: هائل من قولك: هالَني الشيءُ / ١٠٨/أ يَهُولُني هَولاً: أفزعَني وعَظُمَ عليَّ أيضاً، وهيلَ الرجُلُ: أصابَهُ الهولُ، وهِلْتُ منه، وجمَعَ هائلاً على هُوَّل، كما قالوا: بازِل وبُزَّل، وفُعَّل في جَمْعِ فاعل إذا كان غيرَ مذكَّرٍ عاقِلٍ غيرَ متمكن، ومثلُه فارح وفُرَّح، إنما هو قياسيٌّ في المذكَّر العاقل نحو: ضارِبٌ وضُرَّبٌ، وغائبٌ وغُيَّبٌ، وصائم وصوَّمٌ .

* * *

وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَكُونُ كِتَابُهُ شَفِيعاً لهمْ إذْ مَا نَسُوهُ فَيَمْحَلاَ

مَحَلَ فلانٌ بفلانٍ مَحْلاً: سعَى عليه ووَشَى به، وأمحلَ البلَدُ: أجدَبَ، وزمانٌ ماحِلٌ: ذو محلٍ، مثل: لابِنٍ وتَامِرٍ. وفي الدعاء: اللهمَّ لا تجعل القرآنَ بنا

---

(١) من البسيط، ونسب في الكتاب ٢٨/١، والنكت ١٥٦/١، والمقتضب ٢٥٦/٢، والكامل ٣٢٩/١، والمسائل الحلبيات: ٣١٥، وسر الصناعة ٢٥/١، والإنصاف ٢٧/١، والخزانة ٤٢٥/٤، والصحاح واللسان (صرف) للفرزدق، وليس في ديوانه . والصياريف: جمع صيرفي، وهو النقّاد .

(٢) سورة الإنسان: ١١ .

ماحِلاً، أي: ذاكِراً ما أسلفناه من المساوئ في صُحبَتِهِ.

وللقرآن يومَ القيامة حالتان: إحداهما الشفاعةُ لمن قرأه فلم ينسَهُ، و لم ينسَ العمل به، أي: لم يتركْهُ. والثانية: الوِشَايَةُ بمَن قرَأَه فنسِيَهُ متهاوناً من غير عذر، ونسيَ العمَلَ به .

وقال رسُولُ الله ﷺ [١]: « سُورةٌ في القرآن ثلاثُونَ آيةً شَفَعَت لرجلٍ حتّى غُفِرَ له، وهي: ﴿تَبارَكَ الذِي بيَدِهِ المُلْكُ﴾ » .

وعن ابنِ عبَّاسٍ قال: ضَرَبَ بعضُ أصحاب النبي ﷺ خباءَه على قبرٍ، وهو لا يحسَبُ أنه قبرٌ، فإذا فيه إنسانٌ، فقَرَأَ سورةَ ﴿تبارَكَ الذي بيَدِهِ المُلْكُ﴾ حتى ختَمَهَا، فأتَى النبيَّ ﷺ فأخبرَه، فقال النبيُّ ﷺ: « هي المانعةُ، هي المنجيَةُ، تُنجيهِ مِنْ عَذَابِ الله تعالى » .

وَقَد رُوِيَ: « أنَّ مَن اتَّبَعَ القرآنَ، هبَطَ به إلى رِيَاضِ الجنَّة، ومَن اتَّبَعَ القرآنُ، زَخَّ في قفاه، فيقذِفُهُ في جهنَّمَ » . قوله: « زَخَّ » بنَقْطٍ من فوق هو من قولك: زَخَخْتُ في قفاه زَخاً: دَفَعْت[٢].

وقال الحسَن: أولى الناس بهذا القرآن مَن عمِلَ به، وإن كان لا يقرَؤُهُ. وقيل أيضاً: إنَّ أشقى الناس بهذا القرآن مَن حفِظَه و لم يعمل بما فيه .

وفي حديثٍ عن النبي ﷺ قال[٣]: « إنَّ في جهنَّمَ لَوَادِياً، إنَّ جهنَّمَ لَتَتَعَوَّذُ با لله من شَرِّ ذلك الوادي في كل يومٍ مَرَّاتٍ، وإنَّ في ذلك الوادي لَجُبّاً، إنَّ

---

(١) أبو داود في كتاب الصلاة، باب في عدد الآي، والترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ثواب القرآن .

(٢) انظر الأفعال لابن القوطية (زخ): ٢٨٦ .

(٣) الديلمي في الفردوس، كتاب العلم ١/٢٢٥ .

جهنَّم وذلك الوادي ليتعوَّذَان بـا لله مـن شـر ذلـك الجُـبِّ، وإن في ذلـك الجـبِّ لَحَيَّةً، إنَّ جهنّم والوادي وذلك الجُبَّ ليتعوذون با لله مـن شـرِّ تلـك الحيَّـةِ سبعَ مراتٍ، أعدَّها ا لله عز وجـل للأشـقياء مـن حَمَلَـةِ القـرآن. وقـد ذكَرْنَـا في أول الكتاب من فضل القرآن وقراءته ما فيه كفايةٌ إن شاء ا لله .

وعطَفَ « ويجعلنا » على « يقي جماعتَنا » ، و « ممَّــن » مفعـولٌ ثـانٍ ليجعلنـا، و«يكونُ شفيعاً لهم »: صلةٌ لِمَن، و « لهم » و « إذ » متعلِّقان بشفيعاً .

وفي « إذ » معنى التعليل، وفي تعلُّقِ إذ بشفيعاً إشكالٌ؛ لأن الشفاعةَ وُقُوعُهـا في الآخرة، وزمَنُ النِّسيان الدُّنيا، فكيف يصحُّ أن يتعلَّقَ به ؟

قلتُ: والجوابُ عن ذلـك أن يُـرادَ بالشـفاعة ثبوتُهـا ووُجُوبُهـا، والتقديـر: ويجعلُنا ممَّن يكونُ كتابُهُ ثابتةً لهم شفاعتُهُ ، ثم لما كـان ثبـاتُ الشـفاعة في الدنيـا سبباً في وقوعها في الدار الآخرة، أَوقَع موقع الثَّبات شَفيعاً لهم.

وقد انفصل أبو علي الفارسي فيما حكاه عنه أبو الفتح بنُ جنِّي[1] عن قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اليومَ إِذْ ظَلَمْتُم﴾[2] حين أبدَلَ « إذ » من « اليوم » وليسـا / ١٠٩/أ بزَمَنٍ واحد .

قال ابنُ جني: آخِرُ ما حصَلَ منه أن قال: إن الدنيا والآخرةَ متَّصِلَتَان، وهما سواءٌ في حكم ا لله تعالى وعلمِه، حتى كأنها واقعةٌ، وكأنَّ اليومَ ماضٍ، هذا كلُّهُ إذا جعلنا « إذ » اسماً، وأما إن جعلناها حرفاً فلا إشكالٌ .

---

(١) نقله السمين في الدر المصون في تعليقه على الآية ٥/٩٩-١٠٠ .

(٢) سورة الزخرف: ٣٩ .

ومثلُهُ في الإشكال قولُه تعالى: ﴿لَمَقْتُ الله أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنفُسَكُمْ إذ تُدعَونَ إلى الإيمان﴾[1] لا يجوزُ أن يتعلَّقَ « إذ » بـ « مقت » الأوَّل؛ لأنك فَصَلْتَ بينَه وبين متعلَّقه بالخبر، و « مَقْت » مصدَرٌ موصولٌ مقدَّرٌ بأن والفعل، فلا يجوزُ فيه ذلك لأنه أجنبيٌّ منه، ولا يجوزُ أن يتعلق بـ «مقت» الثاني وإن كان متصلاً به؛ لأن زمانَهُمَا مختلِفٌ؛ لأن « مقتَكُم أنفُسَكُم » في الآخرة، و « إذ تُدعَون » في الدنيا، والعاملُ في « إذ تُدعَون » فعلٌ[2] محذوفٌ، دلَّ عليه المقت، التقدير: مَقَتَكُم إذ تُدعَون إلى الإيمان، فيجوزُ الوقفُ عند قوله تعالى: ﴿مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُم﴾ على هذا الإعراب[3].

ونصَبَ « فيمحلا » على جواب النفي؛ أو: لم يكُنْ نِسيَانٌ فيكونُ بسببِهِ مَحْلٌ .

* * *

وَبِا لله حَولي وَاعْتِصَامِي وَقُوَّتي وَمَا لِيَ إلاَّ سِتْرُهُ مُتَجلّلاَ

يُقال: حَالَت القَوسُ عن عَطفها حَولاً: انقَلَبت وزالَت عنه، وكذلك حالَ الشخصُ والرجُلُ إلى موضِعٍ تحوَّلَ، والحَولُ أيضاً والمَحَالة والحِيلَةُ سَواءٌ، ومنه: رجُلٌ حُوَّلٌ: ذو حِيَلٍ. والاعتصامُ با لله : أن تَلجأَ إليه، ومنه: عَصَمَ الله عبدَه عِصمةً: مَنَحَهُ، وعَصَمَه الطعامُ من الجوع عَصماً، والقوةُ: مصدرُ قَوِيَ الشيءُ صار قوياً.

---

(١) سورة غافر: ١٠ .

(٢) في ب: « بعد » .

(٣) انظر الدر المصون ٥/٣١-٣٢ .

نظَمَ في هذا البيت معنى (لا حَولَ ولا قوةَ إلا با لله)، وزاد فيه الاعتصامَ به.

وقال أبو هريرة: قال رسُولُ ا لله ﷺ [١]: « ألا أدلُّكَ على كَنْزٍ من كُنُوز الجنةِ، قال: بلى، قال: قل: لا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم » .

وقال أبو هريرة أيضاً: قال رسول ا لله ﷺ : « ألاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً مِن كَنزٍ مِن تحت العرش، قال[٢]: قُل: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا با لله، يقولُ ا لله عزَّ وجلَّ: أَسلَمَ عبدِي واستَسْلَمَ » .

وقال مجاهدٌ: إذا خرَجَ الرجلُ من بيته فقال: بسم ا لله، قال المَلَكُ: هُدِيتَ، وإذا قال: توكلتُ على ا لله، قال المَلَكُ: كُفِيتَ، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا با لله، قال المَلَكُ: وُقِيتَ، فتتفرَّقُ عنه / الشياطين، فيقول: لا سبيلَ لكم عليه، ما تريدون من رجلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ . ١١٠/أ

وعن عبد ا لله بن مَسعودٍ قال[٣]: « كنتُ عند النبي ﷺ فسَمِعَني وأنا أقولُ: لا حولَ ولا قوةَ إلا با لله، فقال: هل تدري ما تفسيرُها، قلتُ: ا لله ورسولُه أعلَمُ، فقال:لا حولَ عن معاصي ا لله إلا بعصمة ا لله، ولا قوةَ على طاعةِ ا لله إلا با لله، بذلك أخبرني جبريلُ عن ا لله عزَّ وجلَّ » فيكونُ الحَولُ على هذا: مصدرُ حَالَ إلى مكان كذا: إذا تحوَّلَ إليه كما قلناه .

قلتُ: وخبرُ لا في النَّفْيَين المذكورَين في الحديث محذوفٌ التقدير: لا حولَ لنا إلا با لله، ولا قوةَ لنا إلا با لله، وبذلك الخبر يتعلقُ المجروران فيهما المقدَّرُ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول لا حول ولا قوة إلا با لله، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر ، وصحيح مسلم، كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، والترمذي، كتال الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، وابن ماجه ، كتاب الأدب، باب ما جاء في لا حول ولا قوة إلا با لله .

(٢) « قال » ليس في أ .

(٣) انظر السلسلة الضعيفة برقم: ٣٣٥٥ .

والموجود، فيتعلَّقُ « با لله » ، و « عن معاصي ا لله » بـ « لنا » المحذوفة التي هي خبر لا، ولا يجوزُ أن يتعلَّقا بحول أو بقوَّة؛ لأنهما مبنيَّان[1]، ولو تعلَّقَ بهما شيءٌ لكانا منوَّنَين، ألا ترى أنكَ تقول: لا مروراً بزيد اليومَ، ولا نزولاً على عمرٍو غداً، فتنوِّنُ مروراً ونزولاً إذا علَّقتَ بهما المجرورَين، وهما: بزيد وعلى عمرو، ولو لم تعلِّقْهُمَا بالمنفيَّين لبَنَيتَ على الفتح فقلتَ: لا مرورَ بزيدٍ اليومَ، ولا نزولاً على عمرو غداً، وكذلك قولُه تعالى: ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ا للهِ﴾[2] خبرُ لا فيه محذوفٌ التقدير: لا عاصمَ لنا اليومَ من أمر ا لله، وبه يتعلقُ اليوم، ومن أمر ا لله، ولا يجوزُ تعلُّقُهُمَا بعاصم لبنائه، فهو نفيٌ عام .

وقال ابنُ الأنباريّ[3]: الحولُ عند العَرَب: الحيلَةُ، والمعنى: لا حِيلَةَ للعبد في دفع الشر، ولا قوة على دَرْكِ الخير إلا با لله . و « حولي » وما بعده مبتدَآت[4] خبرهما « با لله » ، و « سِترُهُ » مبتدأٌ خبرُهُ « لي » ، و « متجلِّلا » حالٌ من الياء في «لي» التقدير: وما لي إلا سترُهُ في حال كوني متجلِّلاً به أي: متغطِّياً به، أي: اتخذْهُ جلالاً، وجلالُ كل شيء غطاؤُهُ، وجمعُه في القليل والكثير: أجلَّةٌ نحو: كِنَان وأَكنَّة، وعِنَان وأعِنَّة .

* * *

(١) في أ : « سيان » أو ما يشبهها .

(٢) سورة هود: ٤٣ .

(٣) انظر اللسان (حول) .

(٤) في ب : « مبدآت » .

فَيَا رَبِّ أَنتَ ا للهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي عَلَيكَ اعْتِمَادِي ضَارِعاً مُتَوَكِّلا

حسبُكَ ذاك أي: كَافِيكَ، وهو اسمٌ فيه معنى الفعل، وحكى سيبويهِ[1]: حَسْبُكَ يَنَمِ النَّاسُ، وانجزَم « ينم » على جواب ما تضمَّنه « حَسْبُكَ » من معنى الشَّرط،/ التقدير: اكتَفِ فإن تكتَفِ يَنَمِ الناسُ .

١١١/أ

ويُقالُ: أحسبني الشيءُ: كفاني[2]، وقولُه: « عدتي » العدة: ما أعددتَه من آلة. نَظَمَ في هذا البيت معنى حسبي ا لله .

قال محمد بنُ حسَّان[3]: قال لي معروفٌ الكرخي[4] ـ رحمه ا لله ـ: ألا أعلِّمُكَ عشر كلمات، خمساً للدنيا، وخمساً للآخرة، من دعا ا لله عزَّ وجلَّ بهنَّ وجَدَ ا لله تعالى عندهنَّ، قلت: اكتُبْهَا، قال: لا، ولكن أُرَدِّدُهَا عليك كما ردَّدَها عليَّ بكرُ بنُ حُبَيش: حسبيَ ا لله لِدِيني، حسبيَ ا لله لِدُنيَاي، حسبيَ ا لله الكريمُ لِمَا أهمَّني، حسبيَ ا لله الحليمُ القويُّ لِمَن بَغَى عليَّ، حسبيَ ا لله الشَّديدُ لمن كادَني بسُوءٍ، حسبيَ ا لله الرحيمُ عند الموت، حسبيَ ا لله الرءوفُ عند المسألة في القبر، حسبيَ ا لله الكريمُ عند الحساب، حسبيَ ا لله اللطيفُ عند الميزان، حسبيَ ا لله القدير عند الصراط، حسبيَ ا لله لا إله إلا هو عليه توكلتُ وهو ربُّ العرْشِ العظيم .

---

(١) الكتاب ٣/ ١٠٠ . باب الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي لأن فيها معنى الأمر والنهي .

(٢) انظر الأفعال لابن القوطية (حسب): ٤١.

(٣) محمد بن حسان الضبي، أديب له شعر، أدب أولاد المأمون العباسي. توفي سنة ٢٣٠ هـ. الأعلام ٦/ ٣٠٩ .

(٤) معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد الأعلام الزهاد، ولد ونشأ وتوفي ببغداد، اشتهر بالصلاح، كان يختلف إليه أحمد بن حنبل، ولابن الجوزي تأليف عنه. توفي سنة ٢٠٠ هـ. انظر الوفيات ٢/ ١٠٤ .

وقد رُوِيَ عن أبي الدرداء أنه قال[1]: « مَن قالَ في كل يومٍ سبعَ مرَّاتٍ: ﴿فَإِن تَوَلَّوا فقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾، كفَاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ما أهمَّه من أمر آخِرَتِهِ، صادقاً كان بها أو كاذباً » و « أنت » مبتدأ، و « الله حسبي » خبرٌ بعد خبر .

وعَمَدتُ فلاناً: قصَدتُ إليه، والعَمْدُ أن تعمدَ[2] الشيءَ بعِمَادٍ يُمسِكُهُ، واعتمدتُ[3] على الشيء من هذا أي: جعلتُهُ عِمَاداً يُمسِكُني، والضَّارع: الذليل[4]، والمتوكِّلُ: المظهِرُ للعجر معتمداً على من يتوكَّلُ عليه. و « عليك اعتمادي » ابتداءٌ وخبرٌ، و «ضارعاً»: حالٌ من الياء في « اعتمادي » المعمولةِ للمصدر، و «متوكِّلاً»: نعتٌ أو حالٌ أخرى .

⁂

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ، الآية: ١٢٩ من سورة التوبة .

(٢) بابه ضرَبَ .

(٣) في ب: واعتمد .

(٤) انظر الأفعال لابن القوطية (ضرع): ٨٩ .